عبق من السيرة الحسينية



عارف آل سنبل

مؤسسة طيبة لإحياء التراث



مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان أبي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

عبق
من السيرة الحسينية

هوية الكتاب

اسم الكتاب

عبق من السيرة الحسينية

تأليف

عارف آل سنبل

نشر

مؤسسة طليعة نور

توزيع

مؤسسة طيبة لإحياء التراث

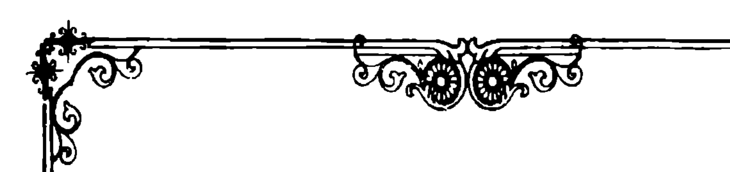
شابك: ....

الطبعة : الأولى ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م



قم المقدّسة / شارع سمية / زقاق ١٢/ رقم الدار ٣٦٩/١

تلفون : ٧٧٤٨٩٨٦ ـ ٠٢٥١ / فاكس : ٧٧٤٨٩٨٥ ـ ٠٢٥١



عبق
من السيرة الحسينية

تأليف

عارف آل سنبل






بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إليك أيها الرضا ...

إليك أيها السلطان...

إليك يا أبا الجواد ...

إليك بعد السلام ارفع هذه الأوراق ...

وأنا بجوارك لعلها تنال نظرة القبول...

فاسعد بذلك يا مولاي...

عبدك المقر بالرق .. عارف



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وآلاف التحية والصلاة على من بعث رحمة للعالمين، وعلى آله غياث المضطر المستكين، وبعد...

لقد حالفني السعد يوم طُلب مني أن أقطف من جنة الحسين عليه السلام ثماراً؛ لأقدمها على طبق من نور للحاضرات في مجلس الزهراء عليها السلام.

وكان من أملهم أن أجمع من عبيرها شيئاً؛ لأنثره على قلوب الحاضرات فتخصب أرواحهن، وتثمر أيامهن.

لقد كان ما يطلبونه مطمحاً كبيراً عقد بقصير الباع، فكيف يتسنى له أن تمتد يده فتقطف ما أملوا، أو يجمع لهن ما ترقبوا.

إن من حق أمثالي أن يقف حائراً بين ما يطلبونه مني وبين ما هو بعيد المنال علي، فقد رأت عيناي ما يسكر العقول حسناً وبهاءً، وخانتني قواي بل قصرت يداي عن أن تصل إلى شيء منه.

فلم يبقَ لي إلا أن أستعطف أهل الرحمة الواسعة رجاء أن تنحني أغصان المعرفة؛ حتى تصبح ثمارها في قبضتي وبين أناملي، فإنني لا أخفي عليك . عزيزي القارئ ـ ما يهولني من هذه الدعوة، إذ أوقفتني على ساحل بحر

متلاطم الموج ثم هتفت بي:

اقتحم هذا البحر ... واستخرج جواهره... وأنى يكون لي ذلك ؟! وقد غرق في هذا البحر الماهرون قبلي... يوم أحسنوا بأنفسهم ظناً.

أبعد هذا وذاك تراني مطمئناً بما عندي . وأنا الخالي الوفاض . فأقتحم؟...أم تراني واثقاً بما لدي . وأنا الفقير . فأقدم؟...إن قدميَّ تظلان بين الإقدام والإحجام، لولا بصيص أمل أشرق يوم ألقيت كفَيَّ على ساحل جودهم، وترامى قلبي على ضفاف كرمهم؛ رجاء الرفد والعطاء... وهم الذين ما خاب من رجا جودهم وأمل عطاءهم.

لقد جادوا كما عوَّدوا عشاقهم بما يفوق تأميلي، فكان ما تراه بين يديك ماثلاً.

لقد كانت أوراقٌ . لا تتجاوز المائة إلا بقليل . حصيلةَ أيام عشرة، طفنا فيها برحاب الحسين عليه السلام، فأدركنا أنه طواف لا يسع أحداً أن يكمل شوطاً من أشواطه، فقنعنا بما وجدنا.

وبدت السعادة على من سمعوا تلك الأحاديث؛ مشعرة عمق الحب الذي حملوه لريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله، وأولوا ذكره عناية، فدونوا ما سنح منها، فكان كتيباً فيه شتات متناثر.

وعاد الطلب مرة أخرى بأن أعيد النظر فيما كتب؛ ليكون كما أتمنى، فقد أصبح الكتاب متداولاً بأيدي الآخرين، فكان لهم ما تمنوا، وأعدت النظر بل أجلته في الرحاب الواسعة، وكلما عاد طرفي دونت ما رأيت، وأفرغت ما حملت بين جوانحي على صحائف شرفها ذكر الحسين عليه السلام، وبدأ الكتاب يتمدد في جهات متعددة... يسد نقصاً هنا، ويؤسس فصلاً هناك...حتى أصبح كما تراه بين يديك.

فلمن أحسنوا بي الظن من مجلس الزهراء عليها السلام أقدم شكري، وللملحِّ عليَّ

بالمراجعة أبعث شكراً آخر، فقد كان كلامه فاتحة خير لاستكمال ما بدأت.

ويعجز لساني أمام ما قدمه عدد من فضلاء أهل العلم يوم سرحوا طرفهم في هذه الأوراق، مبدين ملحوظاتهم القيمة، ومباركين هذا العمل، فلهم ولمن راجع الكتاب من أهل الإيمان جزيل الثناء والإكبار.

وختام قولي أرفعه بين يدي مولاي الإمام الحسين عليه السلام، وقد ملأ الأمل إهابي، أن يكون كل حرف سطرته قد بلغ منه محل الرضا، ومن حاز رضاه فلا يبالي...

سادة لا تريد إلا رضا الله كما لا يريد إلا رضاها

فعلى أعتابك أيها العزيز قد جثوت...

وبيديَّ العاجزتين قد طرقت بابك الجليل...

وبصوتي المتهدج قد ناديت...

فإن الأمل قد لمع من عيني في أن يُفتح الباب فتشرق أيام السعود...

وتطلع شمس نهار السعادة... وأنال المبتغى...

الراجي قبول الخدمة

من مولاه

عارف

وسيظل الحسين عليه السلام حديثنا ...

رب سائلٍ يحدث نفسه قائلاً:

لماذا كان الحديث منصباً حول الحسين عليه السلام ؟

ولماذا كان الاهتمام بحياته على وجه الخصوص؟

ولماذا كانت كل هذه الوقفات في حياته ؟

فأجيبه بالقناعات التي آمنت بها مذ كنت صغيراً، وتوثقت عراها عندي كبيراً، وعنها قد صدرت يوم حركت لساني بذكره، وساعة خط اليراع اسمه المبارك.

إنها أربع قناعات، وكل واحدة منها كفيلة بإقناع القارئ بضرورة الوقوف عند هذا التأريخ المبارك، وهي:

١.البعد الإنساني.

٢. تجسيد المفاهيم الإسلامية.

٣.التأثير التربوي.

٤.الهدف العبادي.

ولاشك أننا بحاجة لأن نقف عند كل واحدة من هذه القناعات وقفة تأمل، نستجلي دقائقها.

أولاً: البعد الإنساني:

إن الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام لو لم يكن فيه إلا أنه حديث عن الحق الصريح والقيم الإنسانية العليا لكفى بذلك داعياً للوقوف عند كل تفاصيل حياته، وحسبه باعثاً نحو التعرف على جزئيات سيرته الشريفة.

فأنت تعلم بأن المجتمعات البشرية تشكو هذه الأيام حاجتها الماسة لمن يمد يد المساعدة؛ لينتشلها بعد غرقها في بحر المادة، وبعد طغيان التعامل المادي في مرافق الحياة المتعددة.

وأصبح أهل هذا الزمان يشكون من المادية التي بدأت تزحف عليهم، حتى كادت أن تحولهم إلى آلات صماء، لا تحمل من المشاعر شيئاً يذكر.

وستجد التنافس بين الأمم على جمع أكبر قدر من المال، ولو كان فيه سحق لشعب بكامله أو إهدار لحقوق أمة، أو إضرار بأهل الأرض جميعاً.

إنني متيقن بأنك متى رميت بطرفك نحو العالم رأيت مصداق ذلك واضحاً، وسترى أنهم قد فتحوا أبوابهم نحو الثقافات الروحية الآسيوية؛ ليتخلصوا من الضغوطات التي يواجهونها.

وإن أخوف ما يخاف منه أن يزحف هذا الوباء على أمة تعتنق الإسلام ديناً، وتعتبر نفسها موصولة بركب الأنبياء الذي يشدو حاديه بالقيم الإنسانية.

وأحسب أنه ما لم تردد أحاديث رواد البشرية ومربيها على مسامع الأمة الإسلامية فإنها ستنسى، وستحل مكانها مغامرات لحثالات تاريخية، كونت لها ذكراً واسعاً فوق أشلاء ملايين من الضحايا.

ثانياً: تجسيد المفاهيم الإسلامية:

إن من يقرأ سيرة الإمام الحسين عليه السلام، ويرى تفاصيل حياته اليومية، ويتعرف على معاملاته السلوكية؛ فإنه ـ بلا أدنى شك ـ يقرأ الإسلام مجسداً

أمام ناظريه، ويشاهد القرآن الكريم وهو يتحرك في جزئيات الحياة.

ولا أجدك إلا موافقاً لما يقال من حاجة المسلمين إلى رؤية الإسلام وهو يتحرك في كل مفاصل الحياة.

وهذه حياة المسلمين أمامك، فأرسل بريدها؛ لتشاهدهم عن قرب، فتجدهم يقرؤون القرآن الكريم، ويريدون تطبيق الإسلام في واقعهم الذي يعيشونه، وقد وقعوا حائرين بين ما يقال من نصائح وواجبات وبين ما يفعل ويطبق.

وسأشير لموطنين من تلك المواطن:

الأول: المواقف الأخلاقية:

لقد تصفحنا مقالات مطولة عن التواضع، ووجدنا في التراث كلمات قيّمة تقدس هذا الخلق، وقرأنا من الأحاديث عدداً كبيراً يشيد به، ويبين عظمته، ويوضح أهميته، بل ويمكننا أن نستظهر شيئاً منها دون مراجعة أو تأمل طويل.

ومع كل هذا ستجد أننا نظل نبحث عن التطبيق العملي لهذه الصفة، ونفتش عن الميادين التي تكون مسرحاً له.

ولكننا سنجد عند قراءة سيرة الإمام الحسين (عليه السلام) ضالتنا؛ لأننا سنرى التواضع وهو يتجسد أمامنا في مشهد عملي متحرك، نتعلم من خلاله الأسلوب القويم والطريقة الصحيحة، بحيث نبتعد عن التكبر الممقوت ونربأ بأنفسنا عن الذلة المستهجنة.

إننا عندها ـ فقط ـ نتمكن من تطبيق خلق التواضع في الممارسات اليومية والحياة السلوكية تطبيقاً صحيحاً.

الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

ستقرأ آية تلوناها مراراً، وسمعنا بها في مواقف متعددة، وهي قوله تعالى:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[1].

وما أكثر ما قرأنا الأحاديث الشريفة فشاهدنا التأكيد على هذا الواجب، فأوقفتنا على أهميته.

ولكننا نظل بعيدين عن معرفة مقدار ما يمكن أن يتطلبه هذا الواجب من الفداء والتضحية.

فإذا ما قرأنا سيرة سيد الشهداء عليه السلام شاهدنا الأمر بالمعروف ماثلاً بين أيدينا، ورأينا النهي عن المنكر متجسداً خلال المواقف الحية؛ فعرفنا من يوم عاشوراء ما قد يستلزمه هذا الواجب من التضحية والفداء.

ثالثاً: التأثير التربوي:

هناك أثر تتركه القصص بوجه عام على سلوكيات القراء، فهم يعيشون نموذجاً من نماذج التعامل البشري.

يشاركونهم المشاعر، ويتفاعلون معهم سلباً وإيجاباً، فتنعكس مشاعر الغضب أو الرضا على وجوههم، وتنبسط لذلك نفوسهم، أو تنقبض، وتجدهم ينحازون إلى جهة معينة، ويصطفون خلف شخصيات يرون أنفسهم من خلالها.

وأما القارئ المعتقد بإمامة أهل البيت عليهم السلام فمتى ما قرأ قصص المعصومين فإن معتقده يبعثه على الاصطفاف خلف سيده وقدوته، فيصوغ نفسه، ويوجه مشاعره وفق ما يمليه عليه تصرف المعصوم، وسنرى أن ما ذكر في الروايات من قيم بدأ القارئ يتبناها ويدافع عنها.

ولذلك فإننا ننتظر منه سلوكيات عالية، وآداباً تتناسب مع معطيات

---

(١) آل عمران: ١١٠.

الروايات، ومحاكاة لما سمعه أو قرأه من مكارم أخلاق.

وأحسب أن حديثاً سيدور بين القارئ ونفسه، فيبدأ في مخاطبتها قائلاً: إنني مهما أبلغ من المجد والرفعة عند نفسي أو الناس، فلست ببالغ مقداراً يذكر أمام شيء من المجد الذي ناله الإمام الحسين عليه السلام.

وإذا كان الأمر هكذا؛ فما الذي يحول بيني وبين أن أتواضع لذاك الإنسان، أو أن أصفح عن آخر اعتدى عليَّ، بل وأُحسن إليه ؟ ستكون كل هذه التصرفات هيّنةً عليَّ، وأنا أرى أهل السيادة والفخر يمارسونها دون أنفة أو ممانعة.

ويمكنك أن تقرأ إشارة واضحة لهذا البعد المرتقب من المرتبطين بالإمام الحسين عليه السلام في الزيارة المروية في كتاب المزار: " أشهد لقد طيب الله بك التراب، وأوضح بك الكتاب، وجعلك وأباك وجدك وأخاك عبرة لأولي الألباب، يا بن الميامين الأطياب التالين الكتاب "[(١)].

إن هذا الأسلوب من التعبير قريب جداً من الأسلوب القرآني حينما تعامل مع قصص الأنبياء عليهم السلام، فقد قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[(٢)].

إننا نقرأ في القرآن الكريم ملاحم بطولات كان يقوم بها الأنبياء عليهم السلام، فمنهم من يلقى في النار فتكون عليه برداً وسلاماً، ومنهم من يقف بوجه طاغوت متمرد يعتبر نفسه رباً للعباد، فيهز كيانه بدعوته التي تنزله من عرش غروره إلى واقعه العبودي، وتكون كل هذه القصص عبرة لأولي الألباب، يشاهدون الحق كيف ينتصر ولو طال الأمد، ويقرؤون صلابة الموقف

(١) المزار للشهيد الأول : ٤٦.

(٢) يوسف : ١١١.

المتجسد في رجال عزل من السلاح، يقفون بوجه المدججين به.

إن رجال السماء هم حلقات هذه السلسلة، قد سطروا بموقفهم أروع الدروس، وأحد ساداتها هو الإمام الحسين عليه السلام جاء بعد أن انقطع الوحي، وكمل نزول القرآن الكريم، وحياته نموذج من نماذجها، فرحنا نقرأ تفاصيلها من كتب التاريخ لتكون لنا عبرة .

إننا نقرأ الآيات المتحدثة عن النبي نوح عليه السلام وصبره في الدعوة، وعن النبي موسى عليه السلام والشدائد التي لاقاها في طريق تبليغه، ونعيد تلاوتها ونستلذ بالتأمل فيها، ولا تمنعنا معرفتنا بقصصهم من معاودة القراءة، بل نعتبرها باباً نكسب من خلالها الثواب، ونزداد فيها تأملاً، وهذا هو ما يدعونا لتكرار قراءة قصة كربلاء، طلباً عن الثواب، وتكريساً لقيمها ومبادئها.

رابعاً :الهدف العبادي :

وهي جهة لا أظنها تغيب عن القارئ الكريم، وهو يعلم أن ذكر الإمام الحسين عليه السلام ما هو إلا ذكر لآية عظمى من آيات الله عز وجل، قد تجلت فيها عظمته أكثر من أي شيء آخر.

وقد تجد عند من هجر كلام أهل البيت عليهم السلام عدم الأنس بأمثال هذه التعبيرات، ويظنها من مفرزات ما وضعه الغلاة، أو أرباب الفلسفة.

ولو كلَّف أولئك أنفسهم قليلاً من البحث لوجدوا أن هذه العبارات لا تعدو ما ورد على ألسنة خزان الوحي من آل محمد عليهم السلام.

وحسبك بما خصصه الشيخ المجلسي قدس سره في مجلده الثالث والعشرين من بحار الأنوار، فقد عقد باباً يدور حول هذا الأمر.

وأكتفي برواية منه عن أبي جعفر عليه السلام، وفيها أنه قال: إن علياً آية

لمحمد صلى الله عليه وآله وإن محمداً يدعو إلى ولاية علي عليه السلام[١].

وروى صاحب المزار في "زيارة أمير المؤمنين عليه السلام" هذه العبارة:

السلام عليك يا آية الله العظمى، السلام عليك يا خامس أهل العباء[٢].

وقد أبان الشيخ المجلسي رحمه الله السبب في إطلاق كلمة (الآيات) على الأئمة عليهم السلام بقوله:

إنما أطلق عليهم الآيات لأنهم علامات جليلة واضحة، لعظمة الله وقدرته وعلمه ولطفه ورحمته[٣].

وأختم الكلام بما رواه الشيخ النوري رحمه الله في مستدرك الوسائل[٤]، وبما ينبغي أن يكون أمام أنظارنا كل صباح ومساء؛ ليكون طريقاً نسلكه، ومنهاجاً نسير على خطاه، ولنعرف ما الذي نصنعه بذكرنا للإمام الحسين عليه السلام في كل آناتنا.

لقد روي عن الأصبغ بن نباتة أنه قال: سمعت ابن عباس يقول:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

ذكر الله عز وجل عبادة، وذكري عبادة، وذكر علي عبادة، وذكر الأئمة من ولده عبادة .

فما أجدرنا بعد هذا الحديث أن نستديم في العبادة ذاكرين آل الله في كل أوقاتنا.

---

(١) بحار الأنوار : ٢٣/ ٢٠٨.

(٢) المزار للمشهدي : ٢٠٦.

(٣) بحار الأنوار : ٢٣/ ٢٠٧.

(٤) مستدرك الوسائل : ٥/ ٢٨٣.

القسم الأول :

الحسين
بين يدي أصحاب الكساء

- ❖ الباب الأول : مولد الفجر
- ❖ الباب الثاني : سنن الولادة
- ❖ الباب الثالث : ملاذ الملائكة
- ❖ الباب الرابع : ريحانة المصطفى ١
- ❖ الباب الخامس : ريحانة المصطفى ٢
- ❖ الباب السادس : بين يدي المرتضى ١
- ❖ الباب السابع : بين يدي المرتضى ٢
- ❖ الباب الثامن : بين يدي المرتضى ٣
- ❖ الباب التاسع : عبق الريحانتين

الباب الأول

مولد الفجر

مولد الفجر

تَهَلَّلْـــتَ كالعَــارِضِ البَــاكِرِ
وأبْلَجْـــتَ كـــالفَلَقِ الـــسَّافِرِ
وعَطَّـــرَ مـــيلادُكَ الخـــافِقَيْنِ
كَنَـــشْرِ نَـــسيمِ الـــصَّبَا العَـــاطِرِ
دَعَتْـــكَ النبُـــوَّةُ ذُخـــراً لهـــا
فكُنْـــتَ لهـــا بُغيَـــةَ الـــذَّاخِرِ
وعَـــوَّدَكَ الـــوَحْيُ حِرْصـــاً عليـــكَ
كحِـــرْصِ الـــشجاعِ علـــى البَـــاتِرِ
تَبَـــارَكَ بيـــتٌ تَفرَّعْـــتَ مِنْـــه
وأوْرَقْـــتَ مِـــنْ غَرْسِـــهِ الثـــامِرِ
طَلَعْـــتَ عليـــهِ طُلُـــوعَ الهِـــلالِ
علـــى الأُفْـــقِ فـــي الفَلَـــكِ الـــدَّائِرِ

الحاج عبدالحسين الأزري
الديوان ص ١٩٠

الفصل الأول:

خصائصه في الحمل

هكذا تبدو علامات الاصطفاء للصفوة المنتجبة، رغم أنهم لا يزالون في الأرحام، وهكذا تُلفت السماء أنظار أهل الأرض لرجال الله المُخلصين، إنها الآيات يقتفي بعضها إثر بعض؛ لتحط رحالها عند الريحانة المختارة.

لقد كشفت الروايات الشريفة عن مجموعة من تلك الخصائص التي حُبي بها الإمام الحسين عليه السلام وهو لا يزال حملاً، وسنتخير منها ثلاثاً، وهي:

١. المدة القصيرة للحمل.

٢. النور الزاهر.

٣. ولوج الروح المبكر.

أولاً : المدة القصيرة للحمل:

يحدد الفقهاء أقل مدة لحمل الجنين بأنها ستة أشهر، وعلى هذا الرأي علماء الشيعة [(١)] والسنة [(٢)].

---

(١) رسائل الشريف المرتضى : ١/٢٤٤، والخلاف : ٥/ ٨٨، والسرائر : ٢/٧٤٨، وعبارتاهما صريحة في عدم وجود المعارض لهذا القول، فقد قالا :"أقل الحمل ستة أشهر بلا خلاف".

(٢) الشرح الكبير لابن قدامة : ٩/٧٣، معرفة السنن والآثار للبيهقي : ٦/ ٦٦، وعبارته "وبه قال الشافعي وغيره من الفقهاء".

وتبدو هنا واضحةً كلمة السيدة فاطمة عليها السلام " وإمامتنا أماناً من الفرقة "، فإن الذي وحد المسلمين

←

ويشارك الأطباء الفقهاء في هذا الرأي، ولا يوجد عندهم خلاف فيه(١).

ولو سألت الأطباء(٢) عن طبيعة المولود الذي يكون عمره ستة أشهر، لعرفت لماذا كانت إحدى خصائص الإمام الحسين عليه السلام مدة حمله المبارك.

فإن كلمات الأطباء واضحة في هذا المضمار، وهي تشير إلى أن المولود في الظروف القديمة يمكن القول بأن موته متحقق حتماً، إلا أنهم مراعاة للدقة العلمية يقولون: موته متوقع بنسبة ٩٩ بالمئة، فإنه حينما يولد بهذا العمر فإن أجهزته لا تكون متكاملة.

وقد اختلف الأمر في هذا الزمان، فقد وجدت فيه وسائل تقنية، وأجهزة متطورة، أدت إلى تمكينهم من إيجاد بيئة مناسبة للجنين، يتمكن من العيش فيها حتى تتكامل أجهزته.

ويتجلى الإعجاز والخصوصية في الحمل بالإمام الحسين عليه السلام من خلال أمرين، وهما:

في هذه المسألة أنها صدرت للأمة عن أمير المؤمنين عليه السلام وحده، فقد ذكر في مستدرك الوسائل: ١٥/١٢٣، أن الهيثم كان في جيش، فلما جاء جاءت امرأته بعد قدومه لستة أشهر بولد، فأنكر ذلك منها، وجاء إلى عمر، وقص عليه، فأمر برجمها، فأدركها علي عليه السلام من قبل أن ترجم، ثم قال لعمر: أربع على نفسك، إنها صدقت، ... إن الله تعالى يقول: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ الأحقاف: ١٥، وقال: ﴿... وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ...﴾ البقرة: ٢٣٣. فالحمل والرضاع ثلاثون شهراً، فقال عمر: لولا علي لهلك عمر.

وبهذا المضمون يروي القضية المسلمون عامة مع اختلاف التعبيرات، ويمكنك أن تراجع المجموع للنووي: ١٨/١٢٩، وقد قال الدكتور محمد علي البار في كتابه (خلق الإنسان بين الطب والقرآن) ص٤٥١: "وأما أقل الحمل فقد كان أول من استدل عليه من كتاب الله الإمام علي كرم الله وجهه"، ومع كل ما نشاهده من تطور في علم الطب، إلا أنه - وإلى الآن - لم يتجاوز كلام أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) يذكر الأطباء أن أقل مدة الحمل ٢٤ أسبوعاً، وهو ما يعادل ستة أشهر، وما كان أقل من ذلك فهو سقط. وأكثر مدة الحمل ٤٠ أسبوعاً، يقل أسبوعين أو يزيد أسبوعين.

(٢) راجع كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن: ٤٥١؛ لترى الدكتور محمد علي البار وهو يعبر عن رأي الطب قائلاً: "أقل الحمل الذي يمكنه العيش بعده ستة أشهر، وفي الواقع قليلاً ما يعيش هذا المولود".

الأول: بقاؤه حياً بعد الولادة، وهو في ظروف لم تكن الحياة مهيأة فيها لمن يولد بهذه الحالة.

الثاني: ولد كاملاً، تام الخلقة وكأنه ابن تسعة أشهر (١).

فحق لنا بعد هذا أن نقول: إن الإمام الحسين عليه السلام قد خص بمدة الحمل، ولم يشاركه فيها إلاّ يحيى بن زكريا أو عيسى عليهما السلام (٢).

ثانيا: النور الزاهر:

لو تفردت مصادرنا بهذا الخبر لاكتفينا بها، ولكن مصادر الفريقين قد اشتركت في الحديث عن أمر عرفت به السيدة فاطمة عليها السلام، وهو أنها كانت ذات نور يزهر من محياها الشريف.

وقد نقلت هذه المكرمة عمن عشن معها، وشاهدنها بهذه المزية والصفة، فقد روي عن عائشة أنها قالت:

كنت أسلك الخيط في سم الخياط في الليلة المظلمة من نور وجه فاطمة؛ فلذلك لقبت بالزهراء (٣).

ونقل القرماني في أخبار الدول قول عائشة: كنا نخيط، ونغزل، وننظم الإبرة بالليل في ضوء وجه فاطمة (٤).

ويناسب هنا أن أذكر ما أشار له الدولت آبادي، فإنه لا يخلو من لطف، فقد قال:

---

(١) استقيت هذه المعلومات من إجابة شفهية لسؤال قدم للدكتور/إبراهيم الدبوس وفقه الله لكل خير.

(٢) لقد روي ذلك عن الإمام الرضا عليه السلام في مسنده ج ١٤٥/١.

ومن العلماء من يذهب إلى أن مدة حمل عيسى عليه السلام كانت بضع ساعات، وقد قالوا بذلك تبعاً لما ورد في الكافي: ٣٣٢/٨، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "إن مريم حملت بعيسى تسع ساعات كل ساعة شهر".

(٣) نخبة اللآلي شرح بدأ الأمالي: ٨٥.

(٤) أخبار الدول: ٨٧، نقلاً عن شرح إحقاق الحق: ٢٤٤/١٠.

"واعلم أن ذوات هؤلاء مخلوقة من النور، وقد كان هذا النور يظهر في وجه فاطمة"[١].

وقد حدثتنا الروايات عن الزهراء عليها السلام بأنها قد مرت بها فترة من الزمان كان يعلو وجهها نور آخر لم يكن معهوداً في جلال محياها.

إنها كانت تلك الأيام قد حملت بين أحشائها الريحانة الثانية للرسول عليه السلام، فكان نوره زاهراً وظاهراً، مع أن وجه أمه ما خلا يوماً من الأيام من إشراق النور.

ولعل خصوصية في نور الحسين عليه السلام ميزته عن غيره من الأنوار، وهي التي أعطت الناظر قدرة على أن يلحظ نوعاً من التغير في وجه فاطمة عليها السلام، ألا ترى أننا نميز النور الملوَّن عندما يشع، ولو كان محاطاً في جوانبه بنور أبيض.

ودعنا نقترب من خبر هذه اللحظات قليلاً، وهو مروي عن السيدة فاطمة عليها السلام، فقد قالت:

"لما ولدتُ الحسن عليه السلام أمرني أبي أن لا ألبس ثوباً أجد فيه اللذة حتى أفطمه، فأتاني أبي زائراً، فنظر إلى الحسن وهو يمص النوى، قال: فطمتيه ؟ قلت: نعم.

قال: إذا أحبَّ عليٌّ الاشتمال، فلا تمنعيه، فإني أرى في مقدم وجهك ضوءاً ونوراً، وذلك أن ستلدين حجة لهذا الخلق، وحجة على ذا الخلق.

فلما أن تم شهر من حملي، وجدت في بطني سخنة، فقلت لأبي ذلك، فدعا بتور[٢] من ماء، فتكلَّم عليه، وتفل فيه، وقال: اشربي، فشربت، فطرد الله عني ما كنت أجد.

وصرت في الأربعين من الأيام، فوجدت دبيباً في ظهري كدبيب النمل

---

(١) نفحات الأزهار: ٥/ ٢٩٢، نقل كلامه من مخطوط باسم هداية السعداء.

(٢) التور: إناء صغير.

بين الجلدة والثوب، فلم أزل على ذلك حتى تم الشهر الثاني، فوجدت الاضطراب والحركة، فوالله لقد تحرك في بطني، وأنا بعيدة عن المطعم والمشرب، فعصمني الله كأني شربت لبناً حتى تمت الثلاثة، وأنا أجد الخير والزيادة في منزلي"[١].

ثالثا : ولوج الروح المبكر:

لقد أتحفتنا الرواية السابقة بخصوصية أخرى لسيد الشهداء عليه السلام، فإن من المعروف أن الروح تلج في الجنين وهو في الشهر الرابع، ولكن الرواية قد عرضت أمراً آخر خص به الحسين عليه السلام، فقد ولجته الروح لما أتم الشهر الثاني.

تتمة خبر الولادة:

ولنقرأ بقية خبر الحمل المبارك، والمروي عن سيدة النساء عليها السلام، فقد قالت:

" فلما صرت في الأربعة آنسَ الله به وحشتي، ولزمت المسجد[٢] لا أبرح منه إلا لحاجة تظهر لي، فكنت في الزيادة والخفة في الظاهر والباطن حتى أكملت الخمسة.

فلما أن دخلت الستة كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلى مصباح، وجعلت أسمع ـ إذا خَلَوْتُ بنفسي في مصلاي ـ التسبيح والتقديس في باطني.

فلما مضى فوق ذلك تسع ازددت قوة، وكنت ضعيفة اللذات، فذكرت ذلك لأم سلمة فشد الله بها أزري.

---

(١) الخرائج والجرائح : ٨٤٣/٢.

(٢) أي مسجد صلاتها، ومحراب عبادتها.

فلما زادت العشر من الستة، وغلبتني عيني أتاني آتٍ في منامي، فمسح جناحه على ظهري، ففزعت، وقمت وأسبغت الوضوء، فصليت ركعتين، ثم غلبتني عيني، فأتاني آتٍ في منامي وعليه ثياب بيض، فجلس عند رأسي، فنفخ في وجهي وفي قفاي، فقمت وأنا خائفة فأسبغت الوضوء، وأديت أربعاً، ثم غلبتني عيني، فأتاني آتٍ في منامي، فأقعدني، ورقاني، وعوَّذني.

فأصبحت وكان يوم أم سلمة المباركة، فدخلت في ثوب حمامة[١]، ثم أتيت أم سلمة، فنظر النبي عليه السلام إلى وجهي، ورأيت أثر السرور في وجهه، فذهب عني ما كنت أجد، وحكيت ذلك للنبي عليه السلام، فقال: أبشري، أما الأول: فخليلي عزرائيل، الموكَّل بأرحام النساء يفتحها.

وأما الثاني: فخليلي ميكائيل، الموكَّل بأرحام أهل بيتي، نفخ فيكِ ؟ فقلت: نعم.

فبكى ثم ضمَّني إلى نفسه، فقال: وأما الثالث: فذاك حبيبي جبرائيل، يُخدِمُهُ اللهُ ولدَكِ، فرجعت، فأنزلته تمام الستة"[٢].

---

(١) لم أجد تبياناً لكلمة حمامة في الحديث، فهل المراد بها منطقة أم امرأة تنسب لهما الثياب ؟ وعند رجوعنا لكتب اللغة نجد عدة معانٍ لكلمة (حمامة)، ومنها: وسط الصدر والمرأة والمرآة وموضع معروف وخيار المال وسعدانة البعير وساحة القصر النقية وبكرة الدلو والمرأة الجميلة وحلقة الباب، وللاستزادة يمكن أن تراجع لسان العرب : ٢١/ ١٦٠.

(٢) الخرائج والجرائح : ٢/ ٨٤٤، وبحار الأنوار : ٤٣/ ٢٧٢ - ٢٧٣.

الفصل الثاني:

خصائصه عند الميلاد

ساعة الميلاد:

يا ليل شعبان افتخر، فإن نور الحسين سيشرق في ثنايا أيامك...

ويا صبح الثالث منه ارفع لسان الحمد فقد خصصت بإشراقتين، وأشرقت فيك شمسان.

ودونك فاسأل لم تدلت (لعيا) من علاها، وأشرفت من سماها تاركةً مراتع الجنان...

أم أنها قد رفعت قدراً في المقام فكانت جنة المنى أن تحتضن بيت الحسين بروحها، ويحتضنها بيته بالجدران.

نعم لقد ارتقيت يا ابنة الخلد حتى رفعت إلى بيت فاطمة، يضمكما بيت واحد، ويظللكما سقفه الرفيع؛ لتشهدي كيف تشرق زجاجة المصباح من الكوكب الدري.

إن هذه الحوراء (لعيا[1]) ـ والتي حلت بالمقام الرفيع عند الله عزّ وجلّ ـ قد أمرها الله تعالى بأن تهبط إلى دار الدنيا حاملة مهمة عظيمة، أن تؤنس وحشة فاطمة عليها السلام.

---

(١) ورد في تعريفها أنها حوراء من حور الجنة، وأهل الجنان إذا أرادوا أن ينظروا إلى شيء حسن نظروا إلى لعيا... وقصر لعيا أعلى من تلك القصور، ومن كل قصر في الجنة، إذا أشرفت عليها نظرت جميع ما في الجنة، وأضاءت الجنة من ضوء خدها وجبينها. مدينة المعاجز: ٣ /٤٢٦.

ومد عيناً للملأ الأعلى فانظر رضوان خازن الجنان، وما الذي يصنعه فقد أتاه من الله أمر بأن يزخرف الجنة، كرامةً لمولودٍ يولَد لسيد الكائنات.

وأما بقية الملائكة، فقد أمروا بأن يقوموا صفوفاً، بالتسبيح والتقديس والثناء على الله تعالى.

وخُص ثلاثة من سادة الملائكة وهم: جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، بأن يهبطوا إلى الأرض، في قبيل من الملائكة ـ أي مليون ملك ـ وكما يعبر في اللغة العربية بألف ألف ملك.

لقد هبطت لعيا على فاطمة عليها السلام، فوجدت ترحيباً بالمقال، وقد بدا على وجه الصديقة فاطمة عليها السلام الحياء؛ لأنها لم تجد شيئاً تفرشه لها.

فبينما هي متفكرة، إذ هبطت حوراء من الجنة، ومعها درنوك(١) من درانيك الجنة، فبسطته في منزل فاطمة عليها السلام، وجلست عليه لعيا.

اللحظات المباركة:

سرح طرفك في تفاصيل الروايات لترى ما تصنعه لعيا بهذا الوليد المبارك، لقد قَبِلَتْهُ، وقطعت سرته، ونشفته بمنديل من الجنة، وقبَّلت عينيه، وتفلت في فيه، وقالت له: بارك الله فيك من مولودٍ، وبارك في والديك، وهنَّأت الملائكةُ جبرائيلَ، وهنَّأ جبرائيلُ محمداً عليه السلام سبعة أيام بلياليها(٢).

لقد تمت الولادة بالحسين عليه السلام مقترنة بمطلع الفجر، وكأن إيماءة تشير بذلك، فإن كان الفجر بمقدمه تتلاشى قوافل الظلام، وترحل معه خفافيشه، فإن هذا القادم من عالم النور سيبدد ظلمات بعضها فوق بعض، وسيسحق

(١) الدرنوك: بضم الدال أشهر من فتحها، وهو ستر له مخمل، و يقال: ضرب من البسط يشبه به فروة البعير، راجع مجمع البحرين: ٢/٢٨.

(٢) مدينة المعاجز: ٣ /٤٢٨.

تحت أقدام ركبه قطاع الطريق على أبناء آدم، وستبعثر آثارهم أذيال أتباعه.

استقبال الوليد المبارك:

لقد تحدثت صفية بنت عبدالمطلب ﷺ، عن تلك اللحظات العظيمة قائلة: لما سقط الحسين ﷺ من بطن أمه . وكنت وليتها . قال النبي ﷺ: يا عمَّة، هلمّي إليَّ ابني.

فقلتُ: يا رسول الله، إنا لم ننظِّفه بعد.

فقال ﷺ: يا عمَّة، أنتِ تنظفينه؟! إن الله تبارك وتعالى قد نظَّفَهُ وطَهَّرَه.

وتكمل المشهد قائلة: لما سقط الحسين ﷺ من بطن أمه، فدفعته إلى النبي ﷺ، فوضع النبي ﷺ لسانه في فيه، وأقبل الحسين على لسان رسول الله ﷺ يمصُّه.

قالت: "فما كنت أحسب رسول الله ﷺ يغذوه إلاَّ لبناً أو عسلاً"[1].

وروي أن رسول الله ﷺ قام إليه وأخذه، فكان يسبِّح ويهلِّل ويُمَجِّدُ، صلوات الله عليه[2].

وتقول أسماء ﷺ محدثة عن تلك اللحظات: "وجاءني النبي ﷺ فقال: يا أسماء، هلمّي ابني، فدفعته إليه في خرقة بيضاء، فأذَّن في أذنه اليمنى وأقام في اليسرى، ووضعه في حجره"[3].

التهنئة بالوليد:

لقد سمع الناس خبر الولادة السعيدة، فأقبلوا، ودخلوا على رسول الله ﷺ،

(١) أمالي الصدوق : ١٣٦.
(٢) بحار الأنوار : ٤٣/٢٥٦.
(٣) بحار الأنوار : ٤٣/٢٣٩.

وهنَّؤوه بمولوده، ثم قام رجلٌ في وسط الناس، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، رأينا من علي عجباً في هذا اليوم.

قال: وما رأيتم؟

قال: أتيناك، لنسلّم عليك، ونهنيك بمولودك الحسين عليه السلام، فحجبنا عنك، وأعلمنا أنه هبط عليكَ مئة ألف ملك وأربعة وعشرون ألف ملك، فعجبنا من إحصائه وعده الملائكة.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: ـ وأقبل بوجهه إلى علي متبسماً. ما علمك أنه هبط عليّ مائة وأربعة وعشرون ألف ملك؟

قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، سمعت مائة ألف لغة وأربعة وعشرين ألف لغة؛ فعلمت أنهم مائة وأربعة وعشرون ألف ملك.

قال: زادك الله علماً وحلماً يا أبا الحسن [1].

تذييل :

أولاً : فخر لعيا بالحضور:

لقد خصت " لعيا " والحور العين بشرف الحضور ساعة الميلاد، فقد حضرن عند سيدة النساء عليها السلام عارفات بعظمتها وجلالتها، وحاملات لشرف إيناسها، وشهدن الحدث العظيم، وهو انبثاق نور سيد الشهداء عليه السلام.

وإن القارئ لروايات العترة الطاهرة يعرف أن مجموعة من الآيات تبدو ساعة ولادة الأئمة عليهم السلام، وقد خصصن .الحور العين .بهذا المشهد المبارك.

ولا يحسب القارئ أن هذه المعاني أملتها علينا العواطف، بل هو ما أشارت له كلمات ابن عباس، فقد قال: "والذي بعث محمداً بالحق نبياً، إن صلصائيل

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣٣١/١.

يفتخر على الملائكة أنه عتيق الحسين، ولعيا تفتخر على الحور العين بأنها قابلة الحسين"[١].

ثانياً: التشريف الإلهي للميلاد:

لقد خص هذا الميلاد ـ دون سواه ـ بأن تكون (لعيا) من حضاره، وهذا التخصيص من قبل الله ﷻ يعتبر تشريفاً للميلاد، فقد امتاز عن غيره بهذا الحضور.

وقد يتساءل القارئ عن السبب في تأطير هذا الحدث بهذه التعبيرات، بحيث وضعت الحور في موقع المتشرفات، وعُبّر عن الحسين عليه السلام بأنه مصدر الشرف، واعتبر حضورهن تشريفاً لحدث الولادة، ولم يشرّفن المولود.

فأجيب بأن الافتخار قد سمعناه من الملك العتيق، ومن الحور القابلات، ولم نسمعه من الإمام الحسين عليه السلام.

وقد تحدثت الروايات عن مشهد مشابه له، وكان مع السيدة فاطمة عليها السلام، فعبرت عنه الزيارة الشريفة بهذا الأسلوب: "التي شرَّفت مولدها بنساء الجنة"[٢]، فلم تقل الزيارة: (شرَّفتها)، بل قالت: (شرَّفت مولدها)، وفرق واضح بين التعبيرين.

وبمعنى آخر:

إن حضور (لعيا) تشريف من الله سبحانه وتعالى للإمام الحسين عليه السلام حيث أرسل لاستقباله ملكة الحور كما يرسل الملوك خاصتهم لاستقبال ضيوفهم، ولا يلزم من ذلك تشرف الضيف بالخاصة.

---

(١) مجمع النورين : ١٦١.

(٢) مفاتيح الجنان : ٤٧٣.

الفصل الثالث:

خصائصه في الرضاع

وجاءت المعالي لتحط رحالها عند مهد هذا الرضيع، وتوالت المفاخر على بابه تنتظر إذنه، لتنال شرف القرب منه والدنو إلى مقره، فقد كان متربعاً في قلب خاتم الأنبياء عليه السلام.

إن من كان هذا مستقره ما كان ليفتح فمه على ماء عذب جادت به الأرض، بل ما انفتح إلا ليستقبل اللسان الذي قد مدت الملائكة أبصارها منتظرة أمره إنه لسان رسول الله عليه السلام، وكان ريقه أول شيء يزدرده، فمر بأحشائه.

وما وقف الأمر عند ذلك القدر، بل تجاوزه فكان رضاعه إعجازاً بيد سيد الأنبياء عليه السلام ولسانه.

لست أعلم .والناس معي .قدر ذلك الريق المنحدر من علياء الرسول عليه السلام لجوف حبيبه، غير أني أرى ريقه يمر على الداء المستعصي على أهل المعرفة بالطب فيهزمه، ويصافح ماء البئر الذي لا يستساغ شربه فيصبح عذباً تميل نحوه الخلائق، فقل لي بعد هذا ما الذي صنعه ريق سيد الكائنات بريحانته!!

لقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "كان رسول الله عليه السلام يأتي مراضع فاطمة، فيتفل في أفواههم ويقول لفاطمة: لا ترضعيهم"[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٣٠/١٨.

وتحدثت الروايات بأن الأقدار شاءت أن تكون السيدة فاطمة عليها السلام عليلة، وقد أدى ذلك لأن يجف لبنها.

فطلب رسول الله صلى الله عليه وآله مرضعاً فلم يجد، فكان يأتيه، فيلقمه إبهامه، فيمصُّها، ويجعل الله له في إبهام رسول الله رزقاً يغذوه[1].

وتشرح رواية أخرى هذا الحدث فتقول:

"ولم يرضع الحسين عليه السلام من فاطمة، ولا من أنثى، لكنه كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله، فيضع إبهامه في فيه، فيمصُّ منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فنبت لحم الحسين عليه السلام من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله ودمه من دمه"[2].

وفي رواية أخرى، بل كان رسول الله يدخل لسانه في فيه، فيغرُّه كما يغرُّ الطير فرخه، فيجعل الله له في ذلك رزقاً، ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة، فنبت لحمه من لحم رسول الله[3].

لقد رأيت فيما مر عليك تعدد الروايات الواصفة لحالة إرضاع الحسين عليه السلام، والتي ربما تشير إلى اختلاف الحالات التي صدرت من الرسول صلى الله عليه وآله أيام رضاع الحسين عليه السلام، فقد كان يعطيه إبهامه آناً وآونة لسانه.

وجميع هذه الروايات تشير إلى حقيقة واضحة، وهي أن عملية الرضاع كانت إعجازية، ولم تكن عادية، فقد كان الرضاع بواسطة الجسد المعظم لخاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله، وقد أفصحت الروايات بأن لحم الحسين عليه السلام قد نبت من لحم رسول الله صلى الله عليه وآله، وبأن دمه عليه السلام كان من دم جده صلى الله عليه وآله.

وفي هذا البيان ما يقربنا من معنى الحديث الشريف، والذي رواه الفريقان

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/٢٠٩.

(٢) كامل الزيارات: ١٢٤.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/٢٠٩.

في المهم من كتبهم، "حسين مني وأنا من حسين "[١].

إن التعبير عن الإمام الحسين عليه السلام بأنه من رسول الله صلى الله عليه وآله سيكون تعبيراً شاملاً لعلاقة خلقية جسدية، وليست نورية فقط، فقد كان لحمه من لحمه ودمه من دمه، ويرتبط به من جهات أخرى ستقرأ تفاصيلها في الأوراق الآتية، والله العالم بأسرار أوليائه الذين لا يقاس بهم أحد.

وقفة مهمة

١ـ أم الفضل وإرضاع الحسين عليه السلام:

ربما سمعنا من على منبر، أو قرأنا في ثنايا كتاب، هذه الرواية التي تتحدث عن قيام أم الفضل بإرضاع الحسين عليه السلام، ونصها كما يلي:

روي عن أم الفضل بنت الحارث، قالت: رأيت فيما يرى النائم، أن عضواً من أعضاء النبي صلى الله عليه وآله في بيتي، فقصصتها على النبي صلى الله عليه وآله، فقال: خيراً رأيتِ، تلد فاطمة غُلاماً، فترضعينه بلبن قثم، فولدت فاطمة غلاماً، فسمَّاه حُسَيْناً، فدفعه إلى أم الفضل، فكانت ترضعه بلبن قثم [٢].

ويمكننا أن نطرح أمام هذه الرواية أربعة أسئلة مهمة، تبحث عن إجابة:

١. هل كانت أم الفضل في المدينة؟
٢. متى ولد قثم؟
٣. كيف أرضعت من لم يرتضع من أنثى؟
٤. كيف اتحدت رؤياها مع رؤيا أم أيمن؟

---

(١) مسند أحمد : ٤/ ١٧٢ ، وسنن ابن ماجة : ٥١/١ ،وسنن الترمذي : ٣٢٤/٥ ،والمستدرك : ١٧٧/٣.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله :٤٦/٧، وتعدد ذكر الرواية بالفاظ متعددة وفي مصادر عدة، ويمكن مراجعة تاريخ مدينة دمشق : ١١٤/١٤، الطبقات الكبرى : ٢٧٩/٨، وفي بحار الأنوار : ٤٣ /٢٤٢، أن الرضاعة منها كانت للإمام الحسن عليه السلام.

أولاً: هل كانت أم الفضل في المدينة؟

إن العباس بن عبد المطلب ـ زوج أم الفضل ـ لم يكن حينئذٍ قد أتى المدينة، بل كان لا يزال في مكة، وكانت أم الفضل معه هناك[١]، كما هو الظاهر من التاريخ، فإننا لا نجد لها ذكراً فيمن هاجر إلى المدينة.

وعلى هذا فإنه ليس بين أيدينا ما يثبت وجودها في المدينة زمان رضاعة الحسين عليه السلام.

ثانياً: متى ولد قثم؟

حينما أسأل التاريخ، محاولاً معرفة وقت ولادة قثم، فإنه لن يسعفني بذلك، ولكن وجدت من الروايات ما يقرب الأمر.

فمن هذه الروايات ما ينص على مشاركته في دفن الرسول صلى الله عليه وآله، بل وكان له دور في ذلك[٢]، وهذا الخبر مما يدل على أنه كان في مرحلة عمرية متقدمة، وقد أهلته لتلك المشاركة.

ومن الروايات، ما يذكر أنه كان من الثابتين يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وآله[٣]، وذلك يوم فر أكثر المسلمين، فهو ممن شارك في الحرب، وكان له من القوة ما يجعله ثابتاً فيها، وهذا لا يكون إلا لمن له من العمر ما يمكنه من ذلك.

إن هذه الروايات تباعد بين عمر الإمام الحسين عليه السلام وعمر قثم، فقد كان الحسين عليه السلام في الخامسة من عمره، وكان قثم يخوض مع الرسول صلى الله عليه وآله الحرب يوم حنين.

---

(١) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم: ٢٦٤/٥. وقد جزم بذلك.

(٢) بحار الأنوار: ٢٤/٧٩، والاستيعاب: ١٣٠٤/٣، وشرح نهج البلاغة: ٤١/١٣.

(٣) الدرر: ٢٢٥.

ورب قائل يقول: إن الإمام الحسين عليه السلام قد أرضع بلبن قثم، ولم يقل أحد بأنه أرضع معه في وقت واحد كامل الرضاعة، وهذا ما لا يستلزم أن يكون الشخصان في عمر واحد، فقد يكون قثم في آخر أيام رضاعته، وعندها بدأت أمه في إرضاع الإمام الحسين عليه السلام.

ويمكن أن أجيب القائل، بأن الفاصل بينهما لو كان سنتين فإن عمر قثم يوم حنين سيكون سبع سنين، وهو ما لا يجعل منه مشاركاً في الحروب .

والذي يبدو أن رواية إرضاع أم الفضل للإمام الحسين عليه السلام كانت محاولة واضحة لنفي كرامة خص بها سيد الشهداء عليه السلام، وهي إرضاعه الإعجازي بإبهام رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثالثاً : كيف أرضعت من لم يرتضع من أنثى ؟

لقد كان من الروايات السابقة ما يدل على أن الحسين عليه السلام لم يرضع من أي امرأة، وإنما كان إرضاعه إعجازاً.

رابعاً : كيف اتحدت رؤياها مع رؤيا أم أيمن؟

ويمكننا أن نلاحظ أنَّ هذه الرواية فيها نوع من التشويش على كرامته عند الإرضاع.

والذي يعاضد هذا القول ورود رواية أخرى مشابهة لما ذكر، وفيها أن المرأة التي رأت الرؤيا هي أم أيمن، وليس فيها ذكر لإرضاعها للحسين عليه السلام.

وإنما ذكروا توليها لبعض شؤونه عليه السلام، كما سترى في الرواية التي ذكرها الشيخ الصدوق في أماليه، وهي كما يلي:

روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: " أقبل جيران أم أيمن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالوا: يا رسول الله، إن أم أيمن لم تنم البارحة من البكاء، لم تزل تبكي حتى أصبحت.

قال: فبعث رسول الله عليه السلام إلى أم أيمن، فجاءته، فقال لها: يا أم أيمن، لا أبكى الله عينيك، إن جيرانك أتوني، وأخبروني أنك لم تزالي الليل تبكين أجمع، فلا أبكى الله عينيك، ما الذي أبكاك ؟.

قالت: يا رسول الله، رأيت رؤياً عظيمةً شديدةً، فلم أزل أبكي الليل أجمع، فقال لها رسول الله عليه السلام: فقصيها على رسول الله، فإن الله ورسوله أعلم، فقالت: تعظم عليَّ أن أتكلم بها.

فقال لها: إن الرؤيا ليست على ما ترى، فقصيها على رسول الله. قالت: رأيت في ليلتي هذه، كأن بعض أعضائك ملقى في بيتي.

فقال لها رسول الله عليه السلام: نامت عينك يا أم أيمن، تلد فاطمة الحسين فتربينه، وتلينه، فيكون بعض أعضائي في بيتك.

فلما ولدت فاطمة الحسين عليهما السلام، فكان يوم السابع أمر رسول الله عليه السلام فحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره فضة، وعق عنه، ثم هيأته أم أيمن، ولفته في برد رسول الله عليه السلام، ثم أقبلت به إلى رسول الله عليه السلام. فقال عليه السلام: مرحباً بالحامل والمحمول، يا أم أيمن، هذا تأويل رؤياك[1].

٢ـ ابن يقطر وأخوته للحسين عليه السلام :

كان يقطر[2] خادماً للرسول عليه السلام، وزوجته ميمونة كانت في بيت أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أنجبت ولدها عبد الله قبل ولادة الحسين عليه السلام بثلاثة أيام فكان لدة له وترباً من أترابه[3].

---

(١) أمالي الصدوق : ١٤٢.

(٢) هناك من يضبط اسمه بالباء، فيقول: بقطر، ولكن في عوائد الأيام : ٨٦٧: "بالقاف الساكنة بعد الياء المثناة التحتانية ثم الطاء المهملة"، وفي حاشية الإرشاد ٧٠/٢: "كذا في النسخ الخطية، وكذا ضبطه علماؤنا، إلا أن ابن داود ذكر قولاً بالباء ـ بقطر ـ".

(٣) تاريخ الكوفة : ٣٢٢.

لقد ورد التعبير عن عبد الله بأنه كان رضيعاً للإمام الحسين عليه السلام في موطنين، وهما:

ـ الزيارة الواردة وفيها: السلام على عبد الله بن يقطر رضيع الحسين عليه السلام[١].

ـ المصادر التاريخية، وفيها: عبدالله بن يقطر ـ رضيع الحسين ـ ....[٢].

توجيه الخبر:

لقد وقف المحققون أمام هاتين العبارتين وما يقابلهما من أخبار قد صح فيها غير ذلك[٣] فوجهوا لفظة الرضاعة بأن المعني بها هو الحضانة فقط، ولا تتجاوزها للإرضاع[٤].

وقد قالوا بهذا التوجيه لأمور عدة، وهي:

١. لا يتصور أن تكون السيدة فاطمة عليها السلام قد أرضعت ابن يقطر فإنه أمر لم يعهد من الهاشميات القيام به، فكيف بسيدة نساء العالمين؟! بل هو أمر كانت تتكسب النساء من خلاله.

٢ـ وليس بعيداً عنك ما ذكرته الروايات من أن فاطمة عليها السلام كانت العلة تمنعها من إرضاع الحسين عليه السلام.

٣. لو كانت الرضاعة لابن يقطر قد تمت لما غفلت عنها كتب التراجم، لأن مثل هذا الخبر لا يسكت عنه، وسيكون من خصائصه.

٤. إننا لو قبلنا هذه الفرضية فإن الأخوة من الرضاع مع الحسين عليه السلام لا تتم، لأن الحسين عليه السلام لم يرتضع من أنثى قط، بل انحصر رضاعه بالإعجاز فقط.

---

(١) إقبال الأعمال : ٣/٣٤٦.

(٢) تتعدد المصادر الذاكرة لذلك، ومنها ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد : ٧٧ .

(٣) إبصار العين : ٩٣.

(٤) يمكنك أن تجد هذا التوجيه في: إبصار العين : ٩٣، وحاشية الفوائد الرجالية: ٤/٣٢، وحاشية أعيان الشيعة : ١/٥٩٥.

٣ـ أخَوان آخران من الرضاع:

لقد ذكر المؤرخون اسمي رجلين زعم أنهما أخوين للإمام الحسين عليه السلام ولا أجد حاجة للوقوف مع تلك الأخبار بعد أن ثبت بطلانها، وسأكتفي بذكر الاسمين، هما:

أ. قيس بن ذريح[١].

ب. عبد الله بن بشار بن أبي عقب الشاعر[٢].

(١) البداية والنهاية: ٣٤٥/٨، تاريخ الإسلام: ٢٠٩/٥، وقد صدرا الخبر بعبارة التمريض، فقالا: وقيل إنه أخو الحسين بن علي من الرضاعة.

(٢) إحقاق الحق: ٤٣٣/١١.

الفصل الرابع:

تاريخ الفجر المبارك

أهمية تحديد تاريخ الولادة:

هناك أهمية في تحديد تأريخ الولادة المقدسة لا تخفى على القارئ الحصيف، فإنه يشكل عنصراً مهماً في فهم بعض الروايات، بل له مدخلية في قبول بعضها الآخر أو رفضه، ويمدنا كذلك بالمعونة في تحديد المعاني الصحيحة للروايات المرتبطة بالحسنين عليهما السلام، وسأشير إلى شاهدٍ من هذه الشواهد:

لقد ذكر الشريف الرضي رحمه الله ضمن مختاراته لنهج البلاغة (الخطبة الشقشقية)، فكان منها:

"فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي، ينثالون عليَّ من كل جانب، حتى لقد وُطِيءَ الحسنان، وشُقَّ عِطفَاي"[1].

وأحسب أن القارئ متى ما قرأ كلمة (الحسنان) لا يشك أن المعني بذلك الإمامان الحسنان عليهما السلام.

ولكنه عند رجوعه لكلمات العلماء الشارحة لهذه العبارة سيجد أنها محل خلاف ومحط نقاش.

---

(١) نهج البلاغة : ١/٣٥.

فإن من الباحثين . كالشريف المرتضى رحمه الله في رسائله[1] ـ من يرى أن المقصود بـ(الحسنان) في الخطبة هما الإمامان الحسنان عليهما السلام.

ومن الباحثين من يرفض ذلك، ويقول: إن المقصود هما الإبهامان، وقد ورد في كلام العرب، وشاهد ذلك من قول الشنفرى:

مهضومة الكشحين درماء جماء ملساء بكفيها شثن [2]

ويتكئ هذا الرفض على التأمل في عمر الحسنين عليهما السلام حين البيعة لأمير المؤمنين عليه السلام، فقد كانا حينئذ قد بلغا مبالغ الرجال، ولا يمكن أن يتصور أن الأرجل كانت تنالهما، وهما بهذا السن[3].

ويمكن رسم صورة لحالة أمير المؤمنين عليه السلام توضح لنا الفكرة أكثر، وذلك بالرجوع إلى ما ذكره الشيخ النوري رحمه الله في مستدرك الوسائل، فقد ذكر رواية مفادها أن أمير المؤمنين عليه السلام إنما كان يومئذ جالساً محتبياً، وهي جلسة رسول الله عليه السلام المسماة القرفصاء، وهي جمع الركبتين وجمع العطف . وهو الذيل ـ واجتمعوا ليبايعوه، وزاحموه، حتى وطؤوا ذيله وإبهامه من تحته[4].

سنة الميلاد وشهره ويومه :

لقد اتفقت كلمة المؤرخين على المكان الذي تشرف بميلاد الإمام الحسين عليه السلام، وهو المدينة المنورة.

وأما الزمان الذي أشرقت فيه أنواره المباركة فمختلف فيه، سواء في يومه أو شهره أو سنته.

---

(١) رسائل الشريف المرتضى : ١١٢/٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٣ /١٦٧.

(٣) راجع مجلة تراثنا : ٣٩ /٢٦٤.

(٤) مستدرك الوسائل : ٤٠٢/٨.

سنة الميلاد:

لقد قيل: إن الولادة كانت في السنة ...

١ـ الثالثة من الهجرة، ٢ـ أوالرابعة، ٣ـ أوالخامسة، ٤ـ أوالسادسة، ٥ـ أوالسابعة منها.

ومن هذه الأقوال ما هو مروي عن أهل البيت عليهم السلام، وعندها سنقف، فهي أولى بالاعتماد من غيرها.

لقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أن الولادة كانت في السنة الرابعة، ونجد مجموعة من العلماء تتبنى مفاد هذه الرواية، ومن هؤلاء ابن عنبة[1]، والشيخ المفيد[2]، وابن شهرآشوب[3]، والعلامة الطبرسي[4]، والعلامة الإربلي[5]، رحمهم الله تعالى .

ومن الروايات ما يشير إلى أن المولد المبارك كان في السنة الثالثة للهجرة، وقد روي ذلك عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وعلى هذا يسير عدد من العلماء كالشيخ الكليني[6]، والشهيد[7]، والشيخ المفيد[8]، والعلامة الحلي[9]، والشيخ الطوسي[10]، رحمهم الله تعالى.

ولكي نقف على حقيقة هذا الترديد بين التأريخين، لا بد من ملاحظة ما

---

(١) عمدة الطالب : ١٩١.

(٢) الإرشاد : ٢/ ٢٧.

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٢٣١/٣.

(٤) تاج المواليد : ٨٥.

(٥) كشف الغمة : ٥٥٠/١.

(٦) الكافي : ٤٦٣/١.

(٧) الدروس : ٨/٢.

(٨) المقنعة : ٤٦٧، وهو على خلاف ما ذكر في الإرشاد .

(٩) تحرير الأحكام : ١٢١/٢، ومنتهى المطلب : ٨٩٢/٢.

(١٠) تهذيب الأحكام : ٤١/٦.

ذكره العلامة المجلسي رحمه الله في كتابه (مرآة العقول)[١]، فقد أشار إلى أمر مهم، وهو أن تاريخ ولادة الإمام الحسين عليه السلام مرتبط بتاريخ ميلاد الإمام الحسن عليه السلام، والذي يذكر المؤرخون أنه كان في السنة الثانية أوالثالثة للهجرة.

وأساس الاختلاف والترديد في مولد الإمام الحسن عليه السلام راجع إلى الاختلاف في مبدأ التاريخ الهجري.

فهناك من يقول: إن السنة الهجرية بدأت من الشهر المحرم، وهناك من يرى مبدأها شهر ربيع الأول، تبعاً لحدث الهجرة النبوية، والتي كانت فيه، وقول آخر: بأنها تبدأ من شهر رمضان.

ولهذا ... فإن من يعتبر شهر ربيع بداية السنة الهجرية، فإن مولد الإمام الحسن عليه السلام يكون عنده في السنة الثانية للهجرة، ومن كان يعتبر البداية شهر رمضان فإن مولده عليه السلام يكون عنده في السنة الثالثة للهجرة.

إن هذا الاختلاف بحسب الاعتبارات المختلفة لبداية السنة الهجرية انعكس على تحديد ميلاد الإمام الحسن عليه السلام، والذي بدوره أثر على تحديد تأريخ ميلاد الإمام الحسين عليه السلام، فقيل: بأنه كان في السنة الثالثة أو الرابعة؛ لأنهم يعرفون أن الفاصل بينهما محدد المقدار ومعروف المدة.

شهر الميلاد ويومه :

لقد اختلف في شهر الميلاد المبارك ويومه كما اختلف في سنته، إلا أنك ستجد الروايات القائلة بأن الولادة كانت في شهر شعبان كثيرة .

وقد تبناها عدد من علمائنا الأبرار[٢]، وحسب عبارة الشيخ المجلسي رحمه الله:

---

(١) مرآة العقول ٥: ٣٥٠.

(٢) العلامة الحلي في تذكرة الفقهاء : ١٩٧/٦، والسيد ابن طاووس في الإقبال : ٣٠٣/٣، والشيخ الكفعمي في المصباح : ٥٢٣،والشيخ المفيد في مسار الشيعة : ٦١، والعلامة الطبرسي في تاريخ المواليد: ٨٥، والشيخ الإربلي في كشف الغمة : ٥٥٠/١.

الأشهر في ولادته صلوات الله عليه، أنه ولد لثلاث خلون من شعبان[(١)].

ومن الروايات المصرحة بذلك:

ـ ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: "ولد الحسين بن علي لخمس ليالٍ خلون من شعبان سنة أربع من الهجرة"[(٢)].

ـ ما ورد في الدعاء الذي يُدعى به في اليوم الثالث من شهر شعبان، فقد خرج توقيع من الناحية المقدّسة إلى القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمد عليه السلام: أن مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خَلَوْنَ من شعبان فصمه وادع فيه بهذا الدعاء:

"اللهم إني أسألك بحق المولود في هذا اليوم، الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته، بكته السماء ومن فيها، والأرض ومن عليها، ولما يطأ لابتيها"[(٣)].

التوفيق بين تاريخي ميلاد الحسنين عليهما السلام:

لقد روى الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: "كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر[(٤)]، وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشراً"[(٥)]، وقد أشار لذلك بعض المؤرخين[(٦)].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠١/٤٤.

(٢) مصباح المتهجد: ٨٥٢.

(٣) مصباح المتهجد: ٨٢٦.

(٤) لا يقصد بالطهر في أمثال هذه التعبيرات تعرض السيدة فاطمة عليها السلام لما تتعرض له النساء عند الولادة، بل يقصد بذلك أنها مكثت بعد الولادة مقدار أقل الطهر، وهو عشرة أيام ـ وكان ذلك دون أن ترى دماً كما اعتادت النساء عليه ـ ثم حملت بعد ذلك بالإمام الحسين عليه السلام.

(٥) ٤٦٤/١، وأما بناءً على ما ذكره الواقدي فإن الفاصل بين ولادة الإمام الحسن عليه السلام والحمل بالإمام الحسين عليه السلام خمسون يوماً، كما ذكر في أعيان الشيعة ٥٦٢/١، فيكون الفاصل بين الولادتين أقل من ثمانية أشهر بعشرة أيام.

(٦) تاريخ الأئمة: ١٣.

ولو حاولنا تطبيق ذلك على التأريخ المتعارف والمعمول به فإنه لا يتفق، لأن أُولى الولادتين في شهر رمضان، والأخرى في شهر شعبان، فيكون الفاصل بين الولادتين عشرة أشهر وثمانية عشر يوماً.

وقد أجيب على هذا الاستفهام بإجابات أربع، وهي:

الإجابة الأولى:

إن ما يذكر عند المؤرخين من أن ولادة الإمام الحسن عليه السلام كانت في النصف من شهر رمضان ليس موضع تسليم، بحيث يعتبر أساساً يرتب عليه تأريخ ولادة الإمام الحسين عليه السلام.

والسبب في تبني هذا الرأي أمور، وهي:

١. ورود الروايات المصرحة بأن ولادة الإمام الحسين عليه السلام كانت في شهر شعبان.

٢. وجود رواية تحدد المدة بين ولادة أحد الإمامين عليهما السلام والحمل بالآخر، وتحدد المدة بين الولادة بهما.

٣ـ عدم وجود رواية تدل على أن ولادة الإمام الحسن عليه السلام كانت في شهر رمضان، وما هو موجود في المصادر لا يتجاوز كونه أقوالاً لعلماء ومؤرخين[(١)].

ويمكن أن يلاحظ على هذا القول بأن هذا الرفض لتأريخ ولادة الإمام الحسن عليه السلام في شهر رمضان لا يحظى بالقبول لدى العلماء، فقد اشتهر هذا القول بين علماء الشيعة والسنة[(٢)].

---

(١) راجع بحار الأنوار: ٢٠٢/٤٤.

(٢) مسار الشيعة: ٢٤، والكافي: ٤٦١/١، وقد ذكر الشيخ الرحماني عرضاً لكلمات المؤرخين والعلماء الدالة على أن الميلاد كان في شهر رمضان، وذلك في كتابه (الإمام المجتبى مهجة قلب المصطفى) من: ٥٩٥ـ٥٩٨، وسأكتفي بذكر أسمائهم فقط، وهي: الشيخ المفيد في الإرشاد، وابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب، والكفعمي، والطبري في دلائل الإمامة، وكمال الدين ←

الإجابة الثانية :

وهي على العكس من الإجابة الأولى، حيث لم يسلِّم هؤلاء بأن مولد الإمام الحسين عليه السلام كان في شهر شعبان كما اشتهر.

فإن من العلماء من يرى أنه كان في آخر شهر ربيع الأول، ومنهم: الشيخ المفيد في المقنعة[1]، والعلامة الحلي في تحرير الأحكام[2]، والشهيد الأول في الدروس[3]، والشيخ الطوسي في التهذيب[4].

يقول السيد حسين بن شمس الحسيني في أرجوزته:

ومولدُ الحسينِ في ربيعِ   لثالثٍ من هجرةِ الشفيعِ
حادي وستينَ قضى الشهيدُ   بكربلا تزورُهُ الوفودُ[5]

ومن الواضح أن هذا القول ينسجم مع ما ذكر من أن المدة الفاصلة بين الميلادين كانت ستة أشهر وعشرة أيام.

الإجابة الثالثة :

إن الحمل لمدة ستة أشهر لم يكن للإمام الحسين عليه السلام، بل كان للإمام الحسن عليه السلام، وإن ذلك راجع إلى اشتباه الراوي، حيث سمع أن بين الولادة

ابن طلحة في مطالب السؤول، والحافظ الجنابذي، والحافظ الكنجي في كفاية الطالب.

ونقل عن المجالس السنية : ٢/٣٢٤ هذه العبارة" ولد بالمدينة المنورة ليلة النصف من شهر رمضان على الصحيح المشهور بين الخاصة والعامة ".

وقد ذكر الدكتور علي الصلابي في كتابه (سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين) في الصفحتين : ١٩-٢٠ :أن الولادة كانت في شهر رمضان على الصحيح، وعاضد قوله بما نقله عن الليث بن سعد في نسب قريش : ١/٢٣ ، والبرقي في الذرية الطاهرة : ٦٩ ، وابن سعد في طبقاته : ١/٢٢٦.

(١) المقنعة : ٤٦٧.

(٢) تحرير الأحكام : ٢/١٢١.

(٣) الدروس : ٢/٨.

(٤) التهذيب : ٦/٤١.

(٥) الصراط المستقيم : ٢/٢١٥.

بالإمام الحسن عليه السلام والحمل بالإمام الحسين عليه السلام طهر واحد، فنسب ما بعده من خبر الحمل ستة أشهر للإمام الحسين عليه السلام.

أو أن ذلك راجع للرواة، والذين نقلوا الرواية من مصادرها المخطوطة، وبما أن الكتابة القديمة لا تعتمد التنقيط؛ فإن كتابة الاسمين ستكون متشابهة[١].

وهذا التوجيه يحاول أن يجعل القضية محصورة في الخطأ في النقل للرواية، والذي ينصب على كون الحمل ستة أشهر لم يكن للإمام الحسين عليه السلام، بل كان لأخيه الإمام الحسن عليه السلام.

ولكنني لا أعلم كيف سيكون التعامل مع الروايات الأخرى؟، وهي روايات تحدثت عن الإمام الحسين عليه السلام مفرداً وذكرت أن مدة الحمل به كانت كمدة الحمل بيحيى بن زكريا عليهما السلام.

وسأذكر مقتطفات من الروايات الواردة في هذا الباب، ومنها:

- روي عن أبي عبد الله عليه السلام: "وحملت بالحسين، فحملت ستة أشهر، ثم وضعته"[٢].

. وعنه عليه السلام "إذا سقط لستة أشهر فهو تام ؛ وذلك أن الحسين بن علي عليه السلام ولد وهو ابن ستة أشهر"[٣].

- وعنه عليه السلام "حمل الحسين ستة أشهر"[٤].

- "وكان حمل يحيى ستة أشهر، وحمل الحسين عليه السلام كذلك".[٥]

---

(١) أعيان الشيعة : ٥٦٢/١.
(٢) علل الشرائع : ٢٠٦/١.
(٣) تهذيب الأحكام : ٣٢٨/١.
(٤) وسائل الشيعة : ٣٨٤/٢١.
(٥) كمال الدين : ٤٦١.

فهل سيقال عنها جميعاً بأن رواتها قد وقعوا رهن الاشتباه؛ فخلطوا بين الاسمين ؟ أو أن النساخ ـ على تعددهم ـ كان منهم الخطأ، فلم يفرقوا بين الاسمين ؟!. هذا بعيد جداً، بل غير محتمل في هذه الروايات .

الإجابة الرابعة:

وتمكننا من اعتماد الأقوال المشهورة للميلادين المباركين، فميلاد الإمام الحسن عليه السلام كان في شهر رمضان، وميلاد الإمام الحسين عليه السلام كان في شهر شعبان، ولكن المدة الفاصلة ليست كما ذكر ستة أشهر، بل هي عشرة أشهر وعشرون يوماً.

وقد اعتمد هذا القول على ما ذكره ابن شهرآشوب في المناقب (١) والفتال النيسابوري في روضة الواعظين (٢).

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣/ ٢٣١.

(٢) روضة الواعظين : ١٥٣.

الباب الثاني

سنن الولادة

سنن الولادة

بوركت أيها الوليد المطل على المسلمين بالسنن... وبورك يوم تجلى فيه نور الحسن عليه السلام، فأشرق السعد معه، حاملاً خير هدية وأفضل هداية للخلق، إذ أبصروا الطريق بما صاحب الميلاد من سنن سنها الرسول صلى الله عليه وآله، وعرَّف المسلمين ما يصنعونه مع كل وليد يقدم إليهم.

ثم جاء ميلاد السبط الثاني، فكان ما يجريه الرسول صلى الله عليه وآله من السنن تكريساً لسنن سبق تبيانها.

لقد أفاقت البشرية على ممارسات ملؤها التقدير والاحترام لمولود للتو قد بدأت الدنيا تحسب أيامه، فأصبحت بعدها تعتبرها جزءاً من تاريخه المؤثر فيه.

لقد تحدثت أسماء عن تلك السنن، والتي شاهدتها، وكانت قريبة منها، فقد سمعت صوت النبي صلى الله عليه وآله وهو يناديها قائلاً:

يا أسماء[1]، هلمي ابني، فدفعته إليه في:

---

(١) من هي أسماء التي يذكر المؤرخون حضورها ؟ إن الذي يتبادر إلى الأذهان أنها أسماء بنت عميس، والتي قد عرفت بعلاقتها الخاصة بأهل البيت عليهم السلام ، والحاضرة في الأحداث المؤلمة بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله .

مع أننا نعلم أنها كانت في الحبشة أيام ولادة الحسنين عليهما السلام ، ولم ترجع للمدينة إلا مع زوجها جعفر الطيار عليه السلام عام خيبر، أي في السنة السابعة، مما يمنع حضورها في مثل هذه الحادثة.

وليس هذا هو الموقع الوحيد الذي تذكر فيه، بل يذكرون حضورها في زفاف السيدة فاطمة عليها السلام كذلك . وقد تنبه لذلك الكنجي الشافعي، فذكر في كتابه كفاية الطالب : ٣٠٧، بعد ذكر خبر زفاف الزهراء عليها السلام ، فقال: "وإن أسماء التي حضرت في عرس فاطمة عليها السلام إنما هي أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصاري، وأسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر في الحبشة ".

واحتمل ذلك السيد جعفر العاملي في (الصحيح من سيرة النبي الأعظم) : ٤٧/٨، بينما جزم السيد

١ . " خرقة بيضاء "

٢ . " فأذَّنَ في أذنه اليمنى "

٣ . "وأقام في اليسرى "

ووضعه في حجره، فلما كان يوم سابعه:

٤ . "عقّ عنه النبي عليه‌السلام بكبشين أملحين "

٥ . وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، ثم

٦ . " حلق رأسه،

٧. وتصدق بوزن شعره وَرِقاً " [1]

٨ . "وطلى رأسه بالخلوق "

وقال: يا أسماء، الدم فعل الجاهلية"[2].

وربما قرأت في بعض الروايات، أن السيدة فاطمة عليها‌السلام هي التي عَقَّت عن ولدها، فلا تظن أن تنافياً بين الروايات قد حصل، إذ لعل الزهراء عليها‌السلام هي التي أدت العقيقة، ولكن كان بأمر من أبيها رسول الله عليه‌السلام، أو بإعطائه لها ثمن العقيقة.

محمد الحسيني الجلالي به في حاشية شرح الأخبار : ٥٧/٣ ، وهو أنسب الأقوال.

ولم يرتضِ السيد الأمين في الأعيان : ٣١٣/١ ،أن تكون الحاضرة أسماء الأنصارية ، فقال: " لكن ينافي ذلك آخر الحديث ، وهو أنها حضرت وفاة خديجة ، وأسماء بنت يزيد الأنصارية من أهل المدينة ، لم تكن بمكة حتى تحضر وفاة خديجة ".

(١) الوَرِق: الفضة.

(٢) وسائل الشيعة : ٤٠٨/٢١.

تأملات في السنن

١. العقيقة

عندما ينحني الجزار على ذبيحة ليقطع أوداجها، فيجري دمها، وتلفظ أنفاسها، لا نعلم ما الذي يجري وراء الغيب لهذا المولود وقد عق أهله عنه.

إلا أننا يمكن أن نستجلي آثارها من خلال الدعاء الوارد فيها، وهو: "اللهم لحمها بلحمه، ودمها بدمه، وعظمها بعظمه، وشعرها بشعره، وجلدها بجلده، اللهم اجعله وقاءً لفلان بن فلان". [1]

لقد قرأت ألفاظ الدعاء الواضحة، ورأيت أنها تشير إلى بعضٍ مما يرجوه الأهل بذبح هذه الماشية.

إن الدعاء يحمل في طياته طلباً بدفع البلاء عن المولود، وأن يجعلها الله ﷻ فديةً له، لحماً بلحم، وعظماً بعظم، وجلداً بجلد [2].

ولهذا لا يبعد القول بأن للعقيقة آثاراً معنوية، بل وصحية على المولود أيضاً، فقد روي عن الرسول ﷺ قوله: المولود مرتهن بعقيقته، فكه أبواه، أو تركاه[3].

---

(١) الكافي : ٣١/٦.

(٢) اللمعة الدمشقية : ١٧٦.

(٣) الكافي : ٣٩/٦.

٢ـ الخرقة البيضاء

لقد تعلمت أسماء من موقف رسول الله عليه السلام تجاه الخرقة الصفراء... والتي سبق أن لفت فيها الإمام الحسن عليه السلام فرأت رسول الله يرمي بها، ثم يقول: يا أسماء، ألم أعهد إليكم أن لا تلفوا المولود في خرقة صفراء؟، فلفته في خرقة بيضاء[١].

ولا بد أن نقر بأن مجال القطع بعلة هذا النهي متعذر، ولكن إيماننا يقول: إن لكل نهي علة تقف وراءه، ولا يمكن أن يكون الأمر اعتباطياً.

لم يكن هذا الموطن الوحيد الذي تحدثت فيه الروايات عن الألوان، ويمكنك أن تتبع التراث الروائي المتحدث عن مقتنيات الإنسان، فقد ذكر الألوان التي ينبغي أن تكون عليها مبيناً آثارها.

ولا يخفى على القارئ الكريم ما تتمخض عنه الدراسات الحديثة عن الألوان، ومدى تأثيرها على الناظرين لها.

ولعل القارئ قد لاحظ الأمر بنفسه، ورأى تأثيرها على انطباعاته، فتوحي له ألوان بالسعة، وألوان توحي له بالضيق.

وقد بدأ مؤخراً الاهتمام بالألوان، فأخذت موقعاً لدى بعض المهتمين بها، حتى أصبحت من الأمور التي يهتم بها في تكوين البيئة المناسبة في المنزل أو العمل، بل قالوا فيها أكثر من ذلك، فإن منهم من يعتبرها من أدوات العلاج التي تمارس مع المرضى.

٣ـ الاسم الشريف

هذه آيات أخرى تنزلت من قدس الحسين عليه السلام وكان مستقرها في حروف اسمه المتقطر بالحزن، والمتشح بالأسى، حتى ظن عشاقه أن المداد ما ارتدى

---

(١) روضة الواعظين : ١٥٣.

السواد إلا لأنه علم أنه سيخط حروف اسمه يوماً ما؛ فأعد للحزن لباسه.

لقد حمل اسم (الحسين) مجموعة من المميزات سنقف عند أربع منها وقفة تأمل، وهي:

أولاً- وهج الحزن:

اسم الحسين، وما أدراك ما اسمه، هو اسم قد اتشح بوشاحٍ ميَّزه على غيره من الأسماء، فصار بينها فريداً في بعض خصائصه كما كان صاحبه.

إنه اسم قد بدا منه وهج النبوة، وشع من جنباته بريق الإمامة، وتفرد بأن تلوَّن بلون الدم القاني، تراه العين فتسمح لدمعها بالجريان، وتسمعه الأذن فيكتسي صاحبها بجلباب الحزن، فهل كان ذلك يوم سمعنا بقصة كربلاء، فأصبح الاسم مذكراً بالحدث -شئنا أم أبينا-؟ أم أنه كان قبل ذلك... وقبل أن تفيق الدنيا على مصرع الشمس، فترى تكسر زجاجة المصباح، وإصابة قلب خاتم الأنبياء؟

لقد أبكى هذاالاسم آدم عليه السلام لما نطق به، وسالت دموعه... وأحزن زكريا عليه السلام يوم تفوه بحروفه، فخنقته العبرة.

ثانياً- التسمية المدخرة:

لقد جاء التصريح في الروايات بأن اسم سيد الشهداء عليه السلام لم يكن قد سمي به أحد من قبله.

فقد روي: "الحسن والحسين اسمان من أسامي[1] أهل الجنة، ولم يكونا في الدنيا[2]".

(١) اسم جمعه أسماء، وجمع أسماء هو أسامي، لسان العرب : ١٤/٤٠٢.
(٢) بحار الأنوار : ٤٣/٢٥٢.

لقد جرى مع الحسنين عليهما السلام ما جرى مع النبي يحيى عليه السلام، فقد كان اسمه المبارك منزلاً من السماء، ولم تكن الدنيا قد طرق سمعها من قبل.

وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ ... لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾[1].

قال: "يحيى بن زكريا لم يكن له سمي قبله، والحسين بن علي لم يكن له سمي قبله، وبكت السماء عليهما أربعين صباحاً" [2].

ولم يكن التاريخ بعيداً عما أفادته الروايات، بل أكد ذلك المعنى.

يقول المؤرخون: لم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذين الاسمين، حتى تسمي أبناءها بهما، وإنما سماهما النبي عليه السلام بهما بوحي من السماء [3].

وحكى أبو الحسين النسابة، فقال: كأن الله عزّ وجلّ حجب هذين الاسمين عن الخلق ـ يعني حسناً وحسيناً ـ حتى يُسَمَّى بهما ابنا فاطمة عليها السلام، فإنه لا يعرف أن أحداً من العرب تسمَّى بهما في قديم الأيام إلى عصرهما، لا من ولد نزار ولا اليمن، مع سعة أفخاذهما، وكثرة ما فيهما من الأسامي، وإنما يعرف فيهما حَسْن بسكون السين، وحَسِين بفتح الحاء وكسر السين[4].

ولكي تتضح ملامح التشريف في هذه الناحية نقرأ ما كتبه الشيخ الطبرسي قدس سره عند حديثه عن تسمية النبي يحيى عليه السلام، فقد قال:

وفي هذا تشريف له من وجهين:

أحدهما: أن الله سبحانه تولَّى تسميته، ولم يكلها إلى الأبوين.

(١) مريم : ٧.
(٢) بحار الأنوار : ٤٥/٢١٨.
(٣) حياة الإمام الحسين عليه السلام ١/ ٣٠ـ٣١.
(٤) بحار الأنوار : ٤٣/٢٥٢ - ٢٥٣.

والآخر: أنه سَمَّاه باسم لم يسبقه إليه، يدلُّ ذلك الاسم على فضله[1].

وقد قالوا: لكل تخصيص كرامة[2]، وقد خص سيد الشهداء عليه السلام بالتسمية؛ فدلت على كرامته.

ولعل في إفراد الحسين عليه السلام بالتسمية إشارة إلى تفرد هذا الوليد بما لم يشاركه فيه أحد، وهذا ما كتبه سيد الشهداء عليه السلام على كل رملة من رمال كربلاء المقدسة، يوم رسم نماذج التضحية والفداء في سبيل الله عز وجل.

ثالثاً- التذكير بالله تعالى:

ترتبط الأسماء عند عامة الناس بأحداث مهمة، أو شخصيات محترمة، أو صفات يرى أهل الوليد أهميتها، فيسمون أبناءهم بها، إما تخليداً لذكرى مقدرة عندهم، أو محاولةً للربط بين ابنهم و من يرونهم عظماء، متمنين أن يكونوا مثلهم، أو يكون إعلاناً منهم بالولاء والانتماء لهذه الشخصية أو تلك.

وأما المنهجية الإسلامية فتربط العباد بخالقهم سبحانه وتعالى، فكلما نودي مسلم باسمه ذكرَّ القائل والسامعين بخالقهم عز وجل.

وإنك ستجد في الشريعة الإسلامية استحباب التسمية بأسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والذين هم خيرة الله في الأرض، وهم المذكِّرون بالله عز وجل.

وربما سألت عن السر الكامن في أسماء هؤلاء، حتى أصبحوا حاملين لميزة التذكير بالله عز وجل، فأجيبك بأن أمرين قد حملتهما أسماء الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وهما:

---

(1) مجمع البيان: ٣/ ٥٠٤.

(2) تقريب القرآن: ١٦/ ٣٦.

أ- الأنبياء والأئمة رموز التوحيد:

لقد أصبحت هذه الشخصيات من رموز التوحيد الإلهي، فما إن تُذكر أسماؤهم حتى تتداعى عقائد الموحدين.

إن التأريخ الطويل الذي عاشه الأب الثاني للبشرية، داعياً إلى الله ألف سنة إلا خمسين عاماً، يمكن أن يستدعى بذكر اسم نوح عليه السلام.

وإن الوقوف بوجه المشركين، والصلابة في وجه الطواغيت، وتحطيم أصنامهم التي ظلوا عليها عاكفين يستدعيها ذكر اسم إبراهيم خليل الله.

إننا سنذكر الله عز وجل متى ما ذكروا، فقد تفانوا في رضاه، حتى أبلوا في الجهاد بلاءً حسناً.

ب- من أسمائهم ما اشتق من أسماء الله تعالى:

إن قسماً من أسماء الأنبياء -وكما هي أسماء أصحاب الكساء- مشتقة من أسماء الله تعالى، بحيث لو رجعنا للروايات لوجدنا شواهد هذا القول واضحة.

واسم الحسين قد جمع الأمرين معاً ...

إن هذين الأمرين يمكن أن نراهما مجتمعين، في الاسم المبارك للإمام الحسين عليه السلام كما سنرى.

علاقة تسميته عليه السلام بالأنبياء:

إن اسم الحسين عليه السلام قد ارتبط باسم ابن هارون، وهو أحد الأنبياء، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: " سميتهما باسمي ابني هارون - يعني الحسن

والحسين ـ شبر وشبير"[1].

وروي عن الإمام زين العابدين عليه السلام قوله :

فلما ولد الحسين عليه السلام أوحى الله عز وجل إلى جبرئيل عليه السلام، أنه قد ولد لمحمد ابن، فاهبط إليه فهنئه، وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون، قال: فهبط جبرئيل عليه السلام، فهنأه عن الله تبارك وتعالى، ثم قال:

إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون، قال: وما اسمه؟ قال: شبير، قال: لساني عربي، قال: سَمِّه الحسين، فسمَّاه الحسين.[2]

وكم في هذه التسمية من ترسيخ لبعض المعاني، والتي كان يريد رسول الله صلى الله عليه وآله تثبيتها في نفوس المسلمين، وهي مما يرتبط بولاية أمير المؤمنين عليه السلام، فهو منه بمنزلة هارون من موسى، وأسماء أبنائه كأسماء أبناء هارون، وهو المستخلف على الناس كما استخلف موسى أخاه هارون عليهما السلام.

الاشتقاق من اسم الله عز وجل :

إن اسم الحسين عليه السلام مشتق من أسماء الله تعالى، وشواهد هذا القول كثيرة، ومنها:

ـ ما روي عن جابر: عن النبي صلى الله عليه وآله:

"سُمِّيَ الحسن حسناً لأن بإحسان الله قامت السماوات والأرضون، واشتق الحسين من الإحسان، وعلي والحسن من أسماء الله تعالى، والحسين تصغير الحسن"[3].

---

(١) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، لابن عساكر : ١٧.
(٢) أمالي الصدوق : ١٣٤.
(٣) العوالم : ٢٧.

-وفي حديث لرسول الله عليه السلام: وشَقَّ لك - يا حسين - اسماً من أسمائه، فهو ذو الإحسان وأنت حسين[١].

-وفي حديث توبة آدم عليه السلام لما توسل بأهل البيت عليهم السلام سأل عن أسمائهم، فقال: يا رب، بحق قدرهم عندك ما اسمهم؟

فقال عزّ وجلّ: أما الأول فأنا المحمود وهو محمد، والثاني فأنا العالي وهذا علي، والثالث فأنا فاطر السماوات وهذه فاطمة، وأما الرابع فأنا المحسن وهذا حسن، والخامس فإني ذو الإحسان وهذا الحسين، كل يحمد الله تعالى [٢].

وليس هذا بدعاً من القول، بل قد ذكره المفسرون لاسم يحيى عليه السلام، فقد ذكروا أنه مشتق من اسم من أسماء الله عزّ وجلّ، وهو" الحي" [٣].

معنى الاشتقاق:

ويعرف الاشتقاق بأنه: انتظام صيغتين على معنى واحد، مثل الله وإله [٤].

وقد أشير إلى أن المراد من اشتقاقه ليس اشتقاق اللفظ فقط، بل اشتقاق الحقيقة والمعنى من اسمه تعالى، كما جاء في حديث المعراج إن الله تعالى قال لي: يا محمد، اشتققت لك اسماً من أسمائي، فأنا المحمود وأنت محمد، واشتققت لعلي اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي، وهكذا فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فكلهم أشباح نور من نوره تعالى جل اسمه [٥].

---

(١) معاني الأخبار: ٥٥.

(٢) حلية الأولياء: ٥٥٤/١.

(٣) تفسير السمرقندي: ٢٣٥/١، وتفسير القرطبي: ٧٦/٤.

(٤) مجمع البحرين: ١٩٦/٥.

(٥) هامش تحف العقول: ١٦٣، وقد ذكروا في وجه اشتقاق اسم فاطمة من اسم الفاطر ما يقرب لنا المعنى، وهو أن الفطر - بمعنى الخلقة أو الشق - يوجب فطم المخلوق عن حالته الأولية - وهو العدم - إلى الوجود، فهو حاوٍ لمعنى الفطم، فاشتق اسم فاطمة من اسم الفاطر اشتقاقاً معنوياً. مصباح الهداية في إثبات الولاية: ١٤٨.

مظاهر الاشتقاق :

أولاً : اشتقاقه اللفظي:

إن اسم الحسين عليه السلام مشتق من اسم من أسماء الله عز وجل وهو (ذو الإحسان)، ويسمي أهل اللغة هذا الاشتقاق بالاشتقاق الأكبر، وهو الذي تكون معظم حروف الاسم المشتق موجودة في الاسم المشتق منه .

ثانياً: اشتقاقه المعنوي:

إن الله عز وجل هو(ذو الإحسان)، فهو الذي يحسن لعباده بمختلف النعم، سواء منها الظاهر الجلي أو المستور الخفي.

ويمكننا أن نقترب من الاشتقاق المبارك، فنعرف أن اشتقاق اسم الحسين عليه السلام منه يعطينا معنىً يدل على أن الحسين عليه السلام مظهر لإحسان الله تعالى، أو كما عبر بأن في هذا إشارة إلى كونه مظهر صفات الربوبية [(١)].

إننا نعلم أن الإحسان الإلهي لا حدود له، وخير ما يقرب لنا الأمر ما ورد في الدعاء المبارك :

"يا من يعطي من سأله، يا من يعطي من لم يسأله، ومن لم يعرفه تحنناً منه ورحمةً" [(٢)].

فمن كان مظهراً لهذا الإحسان لا يستغرب منه العطف الذي يشمل به أولياءه والبعداء عنه.

ولو لم يكن إلا أنه قد علَّم الناس كيف يعيشون أحراراً في دنياهم، وعلمهم أسمى دروس السياسة، وأعلى القيم التي تحفظ لهم كرامتهم، لكفى بذلك عطاءً في زمن ضاعت فيه القيم.

---

(١) اللمعة البيضاء : ١٠٣.

(٢) الإقبال : ٢١١/٣.

رابعاً ـ الكنية المباركة :

لقد اشتهرالإمام الحسين عليه السلام بكنيته، وعرف بها، فما أكثر ما تقرأ في الزيارات وتسمع من أفواه الزائرين هذه الجملة: (السلام عليك يا أبا عبد الله).

وهي كنية جاءت على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله عند ولادته، فقد قال: " يا أبا عبد الله، عزيز علي، ثم بكى ... "[١].

إن هذه الكنية جزء من البناء الشخصي للإمام الحسين عليه السلام، ولها بعد تأثيري في نفوس السامعين لها والمتفوهين بها، ولا يمكن أن يتصور أن تترك السماء هذه الجنبة لتصاغ كيفما اقتضت الظروف، وتجد الرواية تكشف عن تولي الرسول صلى الله عليه وآله ـ والذي هو لسان الله في أرضه ـ لهذه المهمة.

المعاني المستوحاة :

أولاً:

إن مما يلاحظه العرب في تكنيتهم للأشياء أن يكون بينها وبين ما يكنّى به علاقة وارتباط، فتراهم يكنون الخل (أبا نافع) لكثرة منافعه، والشمع يكنّى (أبا مؤنس) لنشره الأنس في نفوس أهل الدار بعد الوحشة من الظلام، والديك كنيته (أبو اليقظان) ويقظته واضحة للعيان .

فلا يبعد أن تكون التكنية بأبي عبد الله مبنية على العلاقة المتوفرة بين الإمام الحسين عليه السلام والعبودية لله عز وجل[٢].

وليس من شك في أن العبودية تجلت بأبهى صورها يوم مشى الحسين عليه السلام

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي : ٣٦٧.

(٢) راجع شفاء الصدور في شرح زيارة عاشور :١/١٤٣ـ١٤٤.

في كوكبة من أهل بيته وأصحابه ؛ ليؤدوا التضحية العظمى، فتراهم خارجين من مكة المكرمة وعيونهم ممدودة نحو أرض الفداء، ينتظرون لحظات اللقاء مع الله عز وجل (١).

أليس قد شاء الله أن يراهم قتلى ؟ فها هي الأعناق تمد لبارئها ليصنع بها ما يشاء ...

إن العبودية متحققة بأعلى صورها في نفوس أهل البيت جميعاً، ولكن الناس لا يمكنها مشاهدة ذلك، فالعبودية بين جوانحهم، تتجسد في مواطن تحتاج إلى تأمل حتى يفهم الناظر لها معاني العبودية التي تبوح بها، فإنها لغة لا نجيد التعامل بها، ولا نقف على دقائق أسرارها.

ولكنك ستجدنا نرى الصورة الواضحة للعبودية في الركب الذي يمشي نحو الموت بخطى ثابتة وقلب مطمئن، ليقدم الضحايا والقرابين على عتبة الحب لله تعالى، فلما لم تبقَ في كنانته إلا تلك النفس الطاهرة، التي ما أدركت من الحياة إلا مقدار ما تنقلت الشمس في نصف بروجها جاء ليرفع على كلتا يديه رضيعه ليقدمه بين يدي الله تعالى.

إن كل هذه الضحايا التي اتخذت مضاجعها في قلبه كانت هيِّنة لأنها بعين الله تعالى .

أو ليس الحبيب يراني وأنا أقدم بين يديه هذه القرابين ؟

أو ليس في هذا رضاه ؟

فلتروَّ السيوف منا ولتنهل من دمائنا ... هوَّن ما نزل بي أنه بعين الله تعالى (٢).

---

(١) عقد الشيخ جعفر التستري ﵀ فصلاً رائعاً تحدث فيه عن مظاهر العبودية الحسينية في كتابه الخصائص الحسينية ص ٤٧ ـ ص٦٨.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين ﵇ : ٥٧٣.

لا أجد حيرة أمام منظر كالحيرة أمام هذا المنظر الذي حدثنا عنه الإمام السجاد عليه السلام.

من وصف حالة أبيه عليه السلام عندما اشتد البأس وضاق الخناق، فقد أشرقت أنوار العبودية من كيانه المقدس فانعكست على بعض أصحابه، فكانوا مع اشتداد البأس وقرب لحظات اللقاء، تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم، وتسكن نفوسهم...

قال بعض أصحابه : انظروا، لا يبالي بالموت !! فقال لهم : صبراً بني الكرام فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم من البؤس والضراء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائمة ... [1]

لقد قُرِأت ملامح الحسين عليه السلام في اللحظات الشديدة بأنها علامات تبدو على وجه المحب متى اقتربت لحظات لقائه مع حبيبه، فكلما دنا وقت اللقاء أشرق الوجه بالضياء، وهان العناء، فقد دنا وقت الوصال.

هكذا كان القلب الذي ما عرف غير الله تعالى، ولم يسكن فيه سواه، يفيض على من حوله نوراً فكساهم من نوره ما صيَّرهم نماذج العشق الإلهي.

أترى لم تكن لهم (أنا) أم أنها قد تدكدكت أمام خالقهم ؟

أم ترى لم تكن لهم عيال أم تراهم تاجروا مع الله بها ؟

ألم تكن لهم منازل يسكنونها أم تراهم باعوها على طريق الشهادة ؟

نسوا كل شيء أم تناسوا ؟، أم تلاشى كل شيء، ولم يبقَ غير الله عز وجل، أُفرغ القلب إلا من الحبيب فراحوا يتمايلون على أصوات هزج السيوف وليس يفي بوصفهم إلا قول أمير المؤمنين عليه السلام : "... ومناخ ركاب ومصارع عشاق شهداء، لا يسبقهم من كان قبلهم، ولا يلحقهم من بعدهم"[2].

---

(١) معاني الأخبار : ٢٨٨ـ٢٨٩.

(٢) بحار الأنوار : ٢٩٥/٤١.

قل لي بربك: ما الذي ذاقه الغلام التركي، وهو صريع على الأرض يلفظ أنفاسه، فمذ رأى وجه الإمام الحسين عليه السلام تبسم، ثم صار إلى ربه[(١)].

ثانياً:

عند الرجوع لكتب اللغة نجد أن الأبوة لا تحد في اللغة بمن نزل الإنسان من صلبه، بل "تسوّغ إطلاق الأب على الجد والعم وزوج أم الإنسان بعد أبيه، وكل من يتولى أمور الشخص وكل كبير مطاع"[(٢)].

إن هذا التوسع في استعمال كلمة الأب نراه جلياً في الاستعمالات القرآنية مع إبراهيم عليه السلام وأبيه الذي لم يكن منحدراً من صلبه، ونجد هذا التوسع بصورة أوضح في الاستعمال النبوي فقد قال النبي صلى الله عليه وآله: "... يا علي، أنا وأنت أبوا هذه الأمة..."[(٣)].

إن الأبوة نراها تتسع فتشمل كل واقع تحت التربية، ولا تمنع انطباق الأبوة لهم فواصل السنين.

ومتى ما نظرنا للمصلين والصائمين والقاطعين المسافات قصداً للحج فإنهم جميعاً يسيرون في موكب قد عبَّد الطريق لهم سيد الشهداء عليه السلام، وإليه يعود الفضل في حفظ الدين ومنع الأمويين من تزييف حقائقه، فهو أب لكل عبد لله تعالى[(٤)].

ثالثاً:

إن التاريخ يكشف عن وجود ولد للإمام الحسين عليه السلام يحمل اسم عبدالله، وهو الرضيع الذي كانت نهايته بين يدي أبيه في منظر لا تمتلك النفوس أمامه

---

(١) بحار الأنوار: ٣٠/٤٥.

(٢) تفسير الميزان: ٧/ ١٦٥.

(٣) الأمالي: ٧٥٥.

(٤) راجع شفاء الصدور: ١/١٤٤.

صبراً، وهو عنوان لمنتهى الظلامة التي عاشت تفاصيلها العترة الطاهرة.

وللتكنية بهذا الاسم استحضار قوي للظلامة بقدر ما تحضره حمرة السماء في نفوس العارفين بها.

رابعاً:

من المعني بـ(عبد الله) الذي كان الحسين عليه السلام أباً له؟ أتراه ذاك الرضيع المتشحط بدمه؟ أم تراه ذاك المتشح ببردة العبودية الخالصة لله تعالى، والمنعوت بها في قوله تعالى: "سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً ...

لا شك أن هذا الذوق صنعته الروايات التي تحدثت عن السيدة فاطمة عليها السلام فنعتتها بـ(أم أبيها).

" ولما كان الحسين عليه السلام في هذه النشأة بل في النشآت السابقة أيضاً ـ بناءً على أن الخاتمة على طبق الفاتحة ـ أبا رسول الله من جهة كونه مقوماً لما قرره من الشريعة، ومربياً له وموجباً لاستمراره إلى يوم القيامة ولولاه لاضمحلت الشريعة، وبطل الدين بالمرة، بل هذا الكلام يجري في التكوين أيضاً لا التشريع وحده سمي أبا عبدالله"[1].

(١) اللمعة البيضاء: ١٢٩.

إساءة وافتراء

لو سمَّى مسلم ولده دون الرجوع إلى الرسول ﷺ فإنه شأن من شؤونه الخاصة، وقد فوَّت على نفسه بركة المشورة، ولن يُعد عاصياً ولن يُعتبر عمله ذنباً.

ولكن ذلك لا يُتَصَوَّرُ في حقِّ أمير المؤمنين، فهو ليس كغيره من الناس في ارتباطه برسول الله ﷺ، لقد تغذى على ريقه وليداً، وضمه إليه صغيراً ما تجاوز السادسة من عمره، وسار خلفه يافعاً، يرفع له في كل يوم من أخلاقه علماً، ثم يأمره بالاقتداء به، وهو كما قال الشاعر:

ربيب طه حبيب الله أنت ومن كان المربي له طه فقد برعا[1]

ومن كان بهذه العلاقة والقرابة من رسول الله ﷺ لا يقاس بغيره، فلا يتصور أن يبرم أمراً كهذا دون أن يكون الرسول ﷺ هو الآمر به.

وإذا كان موقع رسول الله ﷺ من أمير المؤمنين عليه السلام موقع الأبوة، فهو بهذه المكانة لولديه وأكثر، وكم قد سمعنا هذا التصريح، فهما ولداه وابنا ابنته.

إن من يعرف هذه المكانة، سيكون نظره للروايات التي تناولت الحدث بصورة منحرفة نظر ريبة وشك، إذ تقول: إن علياً عليه السلام سمى ولده حرباً، أو سماه جعفراً أو حمزة.

إن ذلك أمر لا يتصور وقوعه ولا يتوقع حدوثه، ولكي نقف على الروايات من قرب، ونلاحظ الوضع فيها، نعرض رواية منها:

---

(١) الأنوار العلوية : ٣٤٥، من قصيدة لعبد الباقي افندي الموصلي .

لقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

لما ولدت فاطمة الحسن، جاء النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قال: قلت: سميته حرباً.

قال: بل هو حسن .

فلما ولدت الحسين، جاء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قال: قلت: سميته حرباً. فقال: بل هو حسين.

ثم لما ولدت الثالث، جاء رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: سميته حرباً.

قال: بل هو محسن...[1].

هذه رواية من تلك الروايات الغريبة، والتي تصر على رسم صورة غير صحيحة لأمير المؤمنين عليه السلام، وتحمل بين طياتها دلائل البطلان من عدة وجوه:

أولاً: إن الرواية قد ذكرت المحسن عليه السلام من ضمن من سماه أبوه حرباً، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله سماه محسناً.

والتاريخ ينص على أن المحسن عليه السلام لم يولد في حياة الرسول صلى الله عليه وآله، بل كان شهيد يوم الدار، وأول مضرجٍ بدمه من أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله.

ثانياً: إن العجب لا ينقضي من الرواية، وهي تعرض علياً عليه السلام بعيداً عن الفطنة، والأعجب أن يكون النقل على لسانه، وهو الذي ما ترك ذا لب إلا وحيره من عظيم فطنته ونباهته.

فإن التساؤل يطرح نفسه أمام هذه الرواية، وهو: أتُرى علياً عليه السلام ما أدرك

(١) المستدرك على الصحيحين : ١٦٥/٣، ومثله في صحيح ابن حبان : ٤١٠/١٥، ومجمع الزوائد : ٥٢/٨، وسنن البيهقي الكبرى : ١٦٦/٦.

من إعراض الرسول عليه السلام عن اسم (حرب) لسبطه الأول أنه لا يرضى بهذا الاسم ؟

أم لم يدرك أن تسميته أمر راجع إلى رسول الله عليه السلام، والذي سيأخذ اسمه عن السماء؟

ثالثاً: إن القارئ لسيرة أمير المؤمنين عليه السلام، والمتتبع لكلامه يعلم أن شخصاً كعلي عليه السلام لا يقبل اسم (حرب)، وهو والد أبي سفيان، وصاحب الجولات في الوقائع التي دارت رحاها بين المسلمين والمشركين.

رابعاً: لقد كشفت الروايات صراحة عن الأدب الذي كان يبديه أمير المؤمنين عليه السلام مع رسول الله عليه السلام، فقد قال هذه العبارة: "ما كنت لأسبق رسول الله "[1].

ولا أظن أنه يفوتك أن الرواية التي تذكر أن علياً عليه السلام سماه جعفراً أو حمزة لا تتفق مع أدبه، وسيرته مع رسول الله عليه السلام، ولا تنسجم مع الروايات المتحدثة عن عدم سبقه في التسمية، وانتظاره لمقدم النبي عليه السلام.

المعالجة الموسعة للروايات :

لقد عالج كتاب (المحسن السبط) الروايات المتعددة في هذا الباب، وأحببت أن أختصر ما ذكره في كتابه؛ ليصبح القارئ على إلمام تام بالموضوع.

الرواية في المصادر الشيعية :

لقد وردت الرواية المتحدثة عن رغبة أمير المؤمنين عليه السلام في تسمية ولده باسم (حرب) في صحيفة الرضا عليه السلام[2]، وفي كتاب عيون أخبار

(١) شرح إحقاق الحق : ٥/٢١٦ .
(٢) صحيفة الرضا عليه السلام : ٢٤١.

الرضا عليه السلام [١]، وفي مستدرك الوسائل [٢] عن الإمام السجاد عليه السلام، وهي مروية عن أسماء بنت عميس.

وقد اعتبرها مما تسرب إلى مصادرنا [٣]، وضعف الرواية لما ورد فيها من حضور أسماء بنت عميس عند الولادة مع أنها كانت في الحبشة مع زوجها [٤].

وأما المصادر الخاصة التي ذكرت الرواية فإنها نقلتها من كتب العامة، فمناقب ابن شهر آشوب [٥] نقلها عن أحمد بن حنبل، وأما فضائل الخمسة [٦] فقد حكاها عن الأدب المفرد للبخاري [٧].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢/٢٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٥/١٤٤.

(٣) لقد رواها الشيخ الصدوق قدس سره في عيون أخبار الرضا عليه السلام عن محمد بن علي بن الشاه، وقد قال عنه صاحب قاموس الرجال: ٩/٤٤١: "والظاهر كونه عامياً"، ولعله لذلك اعتبرها مما تسرب إلى مصادرنا، وخصوصاً أنها رويت عن الإمام السجاد عليه السلام عن أسماء في مصادر أخرى دون ذكر عبارة: "وقد كنت أحب أن أسميه حرباً"، كما في أمالي الشيخ الطوسي: ٣٦٧.

(٤) إن هذه المؤاخذة ترتبط بما روي في صحيفة الرضا عليه السلام ومستدرك الوسائل؛ فإن أسماء بنت عميس تحدث الإمام السجاد عليه السلام فتقول: قبلت جدتك فاطمة... وهذا يعني حضورها في المدينة مع أنها كانت في الحبشة عندئذ.

وأما الرواية في عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/٢٨ فهي هكذا: "...حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين عليه السلام، قال: حدثتني أسماء بنت عميس، قالت: حدثتني فاطمة: لما حملت بالحسن عليه السلام، وولدته جاء النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا أسماء، هلمي ابني ...، إن من الواضح بمكان أن أسماء بنت عميس لا تتحدث عن أمر شاهدته، بل هي الراوية عن السيدة فاطمة عليها السلام، وقد ذكرت الرواية حضور امرأة اسمها أسماء، ولا يمكن أن تكون بنت عميس وهي الراوية لقضية لم تشهدها فنقلتها عن غيرها، ولعلها تكون أسماء بنت السكن - كما أوضح في محله -؛ ولهذا لا تكون المؤاخذة على الرواية من هذه الجهة في مكانها.

وإن كان في آخر الرواية تشويش حيث أصبحت أسماء الراوية كأنها تتحدث عن دور لها، فتقول الرواية: "...قالت أسماء: فلما كان بعد حول ولد الحسين عليه السلام، وجاء النبي صلى الله عليه وآله، فقال: يا أسماء هلمي ابني...".

(٥) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٦٦.

(٦) فضائل الخمسة: ٣/١٦٩.

(٧) الأدب المفرد: ٢١٢.

الرواية في المصادر السنية:

لقد اختار منها اثني عشر مصدراً، ومنها: سيرة ابن إسحاق[(١)]، ومسند أبي داود الطيالسي[(٢)] وغيرهما، وقد لاحظ أنها تعود إلى راوٍ واحد وينقلها عنه شخص واحد كذلك، ومع هذا تجد الاختلاف بين المصادر التي نقلتها .

وقد بلغ الاختلاف إلى درجة تنزع الاطمئنان بها؛ فقد ينفرد أحدها عن الآخر بذكر ولادة المحسن .

الرواية في المصادر الإسماعيلية:

لقد وردت الرواية في عيون الأخبار وفنون الآثار[(٣)]، مما يدل على تسربها إلى كثير من التراث الإسلامي.

المناقشة في السند:

لقد وقف عند أسانيدها فحاكمها، فلم يجد فيها إلا رواية مرسلة أو ضعيفة السند لوجود من لا يحتج به.

فإن الروايات جميعاً تنتهي إلى أبي إسحاق عن هانئ بن هانئ وهما من لا يحتج بروايتهما[(٤)].

ملحوظات مهمة:

١ـ لماذا كان كل هذا الحب من أمير المؤمنين عليه السلام لهذا الاسم ؟ ألأنه اسم لحرب الذي طالما وقف أبناؤه بوجه الإسلام؟ أم لأنه يذكره بالدم المسفوح فكان لحبه للقتل قد أحب هذا الاسم ؟

---

(١) سيرة ابن إسحاق : ٢٣١/٥.

(٢) مسند أبي داود الطيالسي : ١٩/١.

(٣) عيون الأخبار وفنون الآثار : ٦/٤.

(٤) لقد ذكر صاحب كتاب (المحسن السبط) كلمات الرجاليين فيهما.

إن كلا الأمرين لا يمكن تصورهما فإن بين علي عليه السلام وبين الأمرين بعد المشرقين.

٢. أترى علياً عليه السلام لم يكن على دراية بكراهية التسمية بهذا الاسم فراح يكرر التجربة مرة بعد أخرى؟ ألم يصل إليه قوله: "وأقبحها حرب ومرة"[١]؟

أم لم يبلغه عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قد غير من كان اسمه حرباً إلى (سلم)[٢]، وهو اسم ينسجم مع الإسلام وطموحاته في نشر السلام[٣].

خاتمة المطاف:

لقد رأيت ـ عزيزي القارئ ـ ما تهدف له هذه الروايات وما يطلب واضعوها، وقد بدا جلياً لذي عينين أن حروب أمير المؤمنين عليه السلام لم تنته يوم افترق الجيشان في صفين، فهذه كنانة القوم تزج سهامها، فترتد محملة بالخزي، وتلك رماحهم تتكسر في كل ساعة على صفاة الحق، وأهازيج أهله تعلن بأن المجد الذي شادته يد السماء سيظل شاهقاً، يقهر هوج الأكاذيب.

---

(١) مسند أحمد: ٣٤٥/٤.

(٢) سنن أبي داود: ٢٨٩/٤.

(٣) المحسن السبط مولود أم سقط: ١٨ ـ ٨٣، وقد اعتمدت أغلب المصادر المذكورة كما ذكرها في كتابه، وأرقام المجلدات والصفحات وفق ما ذكر المؤلف دام ظله واعتمد من طبعات.

الباب الثالث

ملاذ الملائكة

إليـــكَ شــؤونٌ قُدْسُـــها لَـــمْ يُـــدَنَّسِ

وفيـــكَ معـــانٍ حَيَّـــرَتْ كـــلَّ كَـــيِّسِ

متـــى كـــان مهـــدٌ بالمفـــاخرِ يَكْتَـــسِي

لِمَهْـــدِكَ آيـــاتٌ ظَهَـــرْنَ لِفُطَّـــرُسِ

وآيـــةُ عيـــسى أن تَكَلَّـــمَ فـــي المهـــدِ

وكنـــتَ إمامـــاً قبـــلَ إيجـــادِ آدمِ

ولَـــمْ يَـــكُ ذِكْـــرٌ للمـــسيحِ بعَـــالَمِ

وقـــد فُقْتَـــهُ عنـــدَ انتهـــاءِ العـــوالِمِ

فـــإنْ ســـادَ فـــي أُمٍّ فأنـــتَ ابـــنُ فـــاطمٍ

وإنْ ســادَ فــي مهــدٍ فأنــتَ أبــو المهــدي

العلامة الشيخ علي الجشي رحمه الله

الديوان/١١٥

ملاذ الملائكة...

عنوان قد يلمحه بعض القراء فيبادر إلى طي صفحات هذا الفصل؛ ظناً منه أن الحديث سيكون عما سمعه وألفه، وقد يتمتم بقوله: أليس المعني بهذا الفصل فطرس وحده ؟ وهل هناك غيره لنتتبع قضاياهم؟

عزيزي القارئ لو مددت يدك لبعض المصادر الروائية لوجدت أن الروايات تخالف هذا الظن، وستجدها تتحدث عن ثلاثة من الملائكة، قد استقل كل واحد منهم بقضية من القضايا الثلاث، وليس ما ذكر قضية واحدة رويت بعدة روايات مختلفة.

إنهم ثلاثة أملاك قد لاذوا جميعاً بالحسين عليه السلام، ونالوا شرف التوسل به إلى الله تعالى، وحبوا بكرامة سيد الشهداء عليه السلام.

وهؤلاء الملائكة هم:

١ـ فطرس.

٢ـ دردائيل .

٣ـ صلصائيل.

وقد اختلفت قضاياهم، فدردائيل كان في السماء، وأما صلصائيل وفطرس فكانا في جزيرة من الجزر.

واختلف توسلهم، فمنهم من لاذ بمهده المبارك، ومنهم من تُوُسِّلَ له بالحسين عليه السلام.

وكم كان الشيخ الدمستاني قدس سره دقيقاً في شعره عندما قال:

كـم بـه مـن ملـك فـي المـلأ الأعلـى عتيـق
وبيمنـــاه يـــسار لـــذوي العـــسر بريـــق
وعلـى النـاس مـن الله لـه العهـد الوثيـق
إنه الحجة في الخلق ومولى المولين [1]

❖ ❖ ❖ ❖ ❖

(١) ملحمة الطف : ١٠٤.

آيات فطرس

ففطرسُ سُمِّي عتيقَ الحسينْ لِرَدِّ الجناحين بعدَ الحصورْ
أتى لزيارتِهِ قاصداً فأضحى صحيحاً لفضل المزورْ
أقامَ بحضرتِهِ دائماً بِمَرِّ السنينَ ومَرِّ الشهورْ [1]

لقد اشتهرت هذه القضية كثيراً في أوساط الموالين لأهل البيت عليهم السلام، وتناولتها الكتب بالتفصيل [2]، وتعددت روايتها عن المعصومين عليهم السلام.

فرويت عن رسول الله عليه السلام مفصلة، وعن الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام، وروتها صفية عمة الرسول عليه السلام، وكذلك رواها ابن عباس.

وأكتفي بما خرج إلى أبي القاسم بن علاء الهمداني وكيل الإمام العسكري عليه السلام، أن مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان، فصمه، وادعُ فيه بهذا الدعاء:

"وأَنْجِحْ لنا فيهِ كلَّ طَلِبَة، كما وَهَبْتَ الحسينَ لمحمدٍ جدِّه، ولاذَ فطرسُ بمهدِهِ، فنحن عائذون بقبرِهِ مِنْ بَعْدِهِ، نشهدُ تُرْبَتَه، ونَنْتَظِرُ أَوْبَتَه، آمينَ ربَّ العالمين" [3].

ويمكن لنا أن نشاهد ملامح التسالم على حدوثها في المواطن التي تذكر فيها ذكر المسلمات، ودون حاجة لاستدلال أو تذكير.

---

(١) مصباح الكفعمي : ٧١١.

(٢) وردت في (الخرائج والجرائح) : ٢٥٣/١، و(دلائل الإمامة) : ٨٠، و(مستدرك الوسائل) : ٤١١/١، و(بحار الأنوار): ٣٤١/٣٦، و(بشارة المصطفى) : ٢٢٠، و(مستطرفات السرائر): ٥٨٠، ومناقب آل أبي طالب : ٧٥/٤، وغيرها.

(٣) مفاتيح الجنان : ٢٦٦- ٢٦٧.

وأذكر نموذج ذلك مما روي عن محمد بن سنان، فقد قال:

شكوت إلى الرضا عليه السلام وجع العين، فأخذ قرطاساً، فكتب إلى أبي جعفر عليه السلام ـ وهو أقل من نيتي ـ فدفع الكتاب إلى الخادم، وأمرني أن أذهب معه، وقال: اكتم، فأتيناه، وخادم قد حمله .

قال: ففتح الخادم الكتاب بين يدي أبي جعفر، فجعل أبو جعفر عليه السلام ينظر في الكتاب، ويرفع رأسه إلى السماء فيقول: ناجٍ . ففعل ذلك مراراً، فذهب كل وجع في عيني، وأبصرت بصراً لا يبصره أحد.

قال: فقلت لأبي جعفر عليه السلام : جعلك الله شيخاً على هذه الأمة، كما جعل عيسى بن مريم شيخاً على بني إسرائيل . قال: ثم قلت له: يا شبيه صاحب فطرس[1].

لقد بدا محمد بن سنان وهو يتعامل مع قضية فطرس كقضية مسلمة، وترى أنها حاضرة في ذهنه، فقد حضرت عنده دون تريث أو تفكير، والأكثر من ذلك وضوحاً تعبيره عن سيد الشهداء عليه السلام بأنه (صاحب فطرس).

من هو فطرس؟

ورد التعريف بفطرس في الروايات بعدة ألفاظ، فقد ذكر أنه كان من الحملة [2]، وأنه كان يطوف بالعرش [3]، وكان من الملائكة الكروبيين [4]، وأن بينه وبين جبرئيل أخوة[5]، وكان صديقاً لجبرئيل [6].

---

(١) رجال الكشي : ٥٨٢- ٥٨٣ ،وبحار الأنوار : ٦٦/٥٠.

(٢) كامل الزيارات : ١٤٠.

(٣) بحار الأنوار : ٢٥١/٤٣.

(٤) فضل زيارة الحسين عليه السلام : ٣٥.

(٥) بصائر الدرجات : ٨٨.

(٦) دلائل الإمامة : ١٩٠.

ما الذي فعله فطرس عليه السلام؟

بتعدد الروايات تعددت احتمالات أسباب ما أصاب فطرس حتى أوصلته لهذا الوضع، فقد روي:

ـ أن الله عرض ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فقبلها الملائكة، وأباها ملك يقال له فطرس؛ فكسر الله جناحه.[1]

ـ وأنه: كان من الحملة بعثه الله عز وجل في شيء، فأبطأ عليه؛ فكسر جناحه وألقاه في تلك الجزيرة[2].

ـ وأنه مَلَكٌ كان يطوف بالعرش، فتلكَّأ في شيء من أمر الله، فقص جناحه، ورمى به على جزيرة[3].

وقفة تامل:

إن قضية فطرس التي تعني وجود ملك قد نال النجاة بفضل الإمام الحسين عليه السلام تقع محل قبول لدى العلماء.

وأما التفاصيل التي تذكر في الروايات فيحتاج بعضها لتأمل، من أجل معرفة المقصود منها، ولكي لا تصطدم بالعقائد الحقة التي نؤمن بها سنقف وقفتين مع الألفاظ السابقة، والتي تحدثت عن سبب العقوبة التي نالها (فطرس).

الأولى: "...وأباها ملك يقال له فطرس".

إننا نعلم أن الملأ الأعلى يحملون الحب لأمير المؤمنين عليه السلام، ولا يتصور

---

(١) بحار الأنوار: ٢٦/ ٣٤٠-٣٤١.

(٢) بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٤٤.

(٣) بحار الأنوار: ٤٣/ ٢٥٠-٢٥١.

في ملك منهم إلا أن يكون موالياً له، ومتشرفاً بولايته، ومقراً بفضله.

ولكن قبول الولاية على درجات، فبعض يقبلها بلسانه وقلبه، وفريق يقبلها بحيث يرى المولى أولى به من نفسه، فيطيعه طاعة تامة، وإن كان في القلب شيء من عدم الرضا، وأما قسم منهم .وهم أهل الفضل والسبق .فيقبل كل ما يصدر عن الإمام، سواء علم السبب أم لم يعلم، فلا يتلكأ في أمر، ولا يتساءل عن سبب.

وبما أن قبول الولاية يكون بهذه الدرجات ؛ فقد حملت الرواية على أمور في الولاية لم يدركها الملك، فلم يقبلها لا أنه رفض الولاية من أصلها لأمير المؤمنين عليه السلام.

ولعل مما يقرب

هذا المعنى ما حصل لبعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام يوم شاهدوه ملبباً بحمائل سيفه بعد شهادة الرسول عليه السلام.

ولو تمكنت أن تنظر إلى قلوب من أحاط به من أوليائه، فإنك ستجدها مختلفة من حيث القبول لما يجري على صاحب الولاية العظمى .

وفي الروايات ما يكشف لنا عن تلك القلوب وما يختلج فيها، فقد روي عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال :

"إن أردت الذي لم يشك ولم يدخله شيء فالمقداد، فأما سلمان، فإنه عرض في قلبه عارض، أن عند ذا . يعني أمير المؤمنين عليه السلام . اسم الله الأعظم، لو تكلم به لأخذتهم الأرض، وهو هكذا ؟

فلبب، ووجئت عنقه، حتى تركت كالسلعة .أي كالغدة .ومر به أمير المؤمنين عليه السلام فقال : يا أبا عبد الله، هذا من ذاك [1].

(١) راجع الاختصاص : ١٠، والبحار : ٢٢/ ٤٤٠.

وفي خبر آخر قال سلمان: أيصنع ذا بهذا؟ والله لو أقسم على الله لانطبقت ذه على ذه.

قال: وقال أبو ذر: (ليت السيوف عادت بأيدينا ثانية)[1].

وقال المقداد: والله هكذا أراد الله أن يكون.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: كان المقداد أعظم الناس إيمانا تلك الساعة"[2].

إن القارئ قد لاحظ أن سلمان لم يرتكب كبيرة، ولا صغيرة، فإن ما عرض في قلبه هو من لوازم البشرية، حيث أخذه حبه لمولاه فعرض في قلبه هذا العارض، ولكن لعلو مقامه وعظيم معرفته كان الأولى بالنسبة له عدم ذلك، ولذا حوسب عليه، وترتب عليه ما ترتب[3].

ولا يبعد حدوث مثل ذلك في ساحة الملائكة، فقد نقل القرآن الكريم عنهم ما يقارب كلام سلمان وأبي ذر »، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[4].

وترتب على قولهم ذلك أن حجبوا عن نور الله تعالى سبعة آلاف عام. بعد أن كانوا لا يحجبون ـ فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم، وتاب عليهم، وجعل لهم البيت المعمور في السماء الرابعة[5] ...

---

(١) العبارة التي قالها أبو ذر غير موجودة في الرواية، وواضح أن هناك سقطاً عند الناسخ، إذ الرواية تتحدث عن شأن المقداد، ولو كان أبو ذر مشتركاً معه في الموقف، لاشترك معه في المدح. وقد ورد في رجال الكشي: ٣٧/١ قول أبي ذر وهو: ليت السيوف عادت بأيدينا ثانية.

(٢) الاختصاص: ١١.

(٣) راجع نفس الرحمن: ٥٨٢ ـ ٥٨٣.

(٤) البقرة: ٣٠.

(٥) راجع علل الشرائع: ٤٠٦/٢ ـ ٤٠٧.

وفي رواية أخرى :" فأعرض عنها، فرأت أن ذلك من سخطه، فلاذت بعرشه..."(١).

بعد هذا العرض والإيضاح، نعرف أن ما أخذ به فطرس لم يكن ذنباً كبيراً، ولا صغيراً، بل كان مما يمكن أن يصدر من الملائكة، ولا يعد معصية ؛ فقد صدر ما يشابهه منهم، كما في الآية المباركة، وحوسب فطرس بحسب مقامه، كما حوسب سلمان المحمدي، وجرى عليه كما جرى عليه.

إن فطرس لم يتحمل بعض مقامات أمير المؤمنين عليه السلام، فأباها ؛ لأنه لم يحط بها، فكان ما صدر منه تركاً للأولى، فلا يعد ذلك معصية، فإن الملائكة لا يعصون الله عز وجل.

الثانية : "بعثه الله عز وجل في شيء، فأبطأ عليه "، "... فتلكَّأ في شيء من أمر الله".

إن التساؤل لدى القارئ يسبقني ليطرح نفسه بين يدي العبارتين، ليقف على بعد هذه التعبيرات، ومقدار ما تتلاءم مع عقيدتنا.

لا شك أن العنوان الذي يمكن أن يضعه بعض القراء لهاتين العبارتين هو (العصيان) ؛ ولهذا فقد أخذت منه الروايتان مأخذاً عجيباً وهو يرى الرواية لا تتوانى عن نسبة هذا الأمر إلى ملك من الملائكة الذين لا يعصون الله تعالى طرفة عين.

ولكن ـ أيها القارئ ـ ارفع هذا العنوان عن هاتين العبارتين ؛ لأن العصيان لا يكون إلا بعد العلم بالأمر .

إنني متى ما علمت أن هناك أمراً صادراً من قبل الله تعالى بحرمة شرب السمّ القاتل، وعلمت أن ما بين يديَّ هو سمّ فقد لزمني التقيد بالحكم، ووجب

---

(١) الكافي : ١٨٧/٤.

عليَّ الابتعاد عنه، فإذا ما أقدمت على شربه عامداً دون عذر دونت في سجل أعمالي معصية.

ولكنَّ من لا علم له بحرمة شربه، أو علم بها ولكنه لم يعلم أن ما بين يديه سمٌ قاتل، متى ما أقدم علي شرب السمّ تقطعت أمعاؤه، ولكن لن تدون في صحائف أعماله معصية؛ فهو لم يخالف أوامر الله تعالى عامداً؛ وإن كان قد ترتبت على مخالفته آثار صعبة أودت بحياته.

إن فطرس حينما (أبطأ) و(تلكأ) لم يكن عالماً بحرمة ما يقوم به، فأبطأ وتلكأ وهو لا يعرف أنه بذلك قد تجاوز حدوده، ولهذا فلن تصح عنونة تصرفاته بالمعصية، وإن كان سيترتب على سلوكه الذي صدر منه أثر وضعي لا مفر منه.

إن الذي سيناله فطرس هو ما ينال شارب السم دون علم بأنه سمّ قاتل، وسيصيبه ما يصيب من يضع قدمه على بعض الألغام دون علم بها، فإنها ستجعل أوصاله متناثرة، ولكن لن يعتبر عند الله عزوجل مذنباً، ولن يكون عاصياً، وإن ما وقع به ما هو إلا أثر لتصرفه دون علم ... ولهذا فقد كسر جناح فطرس، ورمي به على جزيرة كأثر لعمله، وإن لم يكن عاصياً ولا مذنباً[1].

رأي فيه تأمل:

نسب في بعض الكتب المترجمة للشهيد المطهري ﴿قدس سره﴾ رأي في هذه القضية، وقد قيل فيه :

بعض الملائكة من المقربين ـ من النوع المجرد ـ فعن أمير المؤمنين ﴿عليه السلام﴾ أنه قال: فيهم سجود لا يركعون، وركوع لا يسجدون، فهؤلاء الملائكة لا يلهون عن ربهم أبداً.

(١) ينسب هذا الرأي لبعضهم، ويلاحظ أنه يحد عصمة الملائكة بإطار عدم المخالفة لما يعلمون فقط.

وهناك نوع آخر من الملائكة لا يُرون، ولعلهم يشبهون الإنسان من جهة تحملهم التكاليف، وقد يتمرَّدون عن أمر ربهم، وقد ورد خبر في أحدهم تمرَّدَ عن أمر ربه، فغضب عليه الله وطرده، فلا يمكن الحكم بصورة عامة على الملائكة بأنهم لا يعصون، لما ورد من أن بعضهم مخلوق من مادة هذا العالم(١).

وأتساءل هنا . ويحق لي ذلك . هل هذا هو نص كلامه ؟ أم هذا ما فهمه المترجم من بيانه فأورده بهذه الصورة ؟

والداعي لهذا التساؤل أن هذا القول يورد عليه العلماء ملحوظة نابعة من الآيات التي نصت على عصمة الملائكة جميعاً؛ فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ ﴾(٢) و قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ ﴾(٣).

وورد في الروايات التعبير عن الملائكة بأنهم كائنات مخلوقة ركب فيها العقل، ولا وجود للشهوة عندهم(٤)، ومن كان هكذا فلن يختار موارد الهلكة،

---

(١) التوحيد : ٣٠١.

(٢) التحريم : ٦ .

(٣) الأنبياء : ٢٧ .

لقد استدل العلامة الطباطبائي ﵀ بهاتين الآيتين على عصمة الملائكة، فقال : "وأما عالم الملائكة وظرف وجودهم فإنما هو عالم الحق غير مشوب بشيء من الباطل كما يدل عليه قوله..."، ثم ذكر الآيتين السابقتين، وعقب بقوله : " فمقتضى الآيات وما في معناها أنهم في أنفسهم مخلوقات شريفة، ووجودات طاهرة نورانية، منزهة عن النقص والشين، ولا تحتمل الشر والشقاء، وليس عندها إمكان الفساد والمعصية والتقصير..." راجع تفسير الميزان : ١٢/١٠٠.

(٤) فقد روي عن عبد الله بن سنان انه قال : سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﵇، فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم ؟ فقال : قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵇: "إن الله ﷻ ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم". راجع علل الشرائع : ٤/١.

وعقله يدله على سعادته.

الرحمة الواسعة:

أي طريق سيسلكه فطرس فينتهي به إلى ما يؤمله ؟ وأي باب سيطرقه فيفتح له الخير؟

بعد هذا العناء الطويل والهبوط عن ذلك المقام الكريم لم يكن أمامه إلا هذا الباب، الذي لن يُرَدَّ من أتاه سائلاً، ولم يجد غير التعلق بسفينة النجاة سيد الشهداء عليه السلام.

لقد كان ذلك في ليلة الميلاد المبارك لسيد الشهداء عليه السلام، وأفواج الملائكة تتوافد على بيت النبوة، مهنئة رسول الله صلى الله عليه وآله بالوليد المبارك.

أخذ يلوح بريق الأمل من وراء الغيب، ويبدو شعاع من ذلك النور، فعن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

إن الحسين بن علي لما ولد أمر الله عز وجل جبرئيل أن يهبط في ألف من الملائكة، فيهنىء رسول الله صلى الله عليه وآله من الله عز وجل ومن جبرئيل.

قال: فهبط جبرئيل، فمر على جزيرة في البحر فيها ملك يقال له فطرس، كان من الحملة، بعثه الله عز وجل في شيء فأبطأ عليه، فكسر جناحه، وألقاه في تلك الجزيرة، فعبد الله تبارك وتعالى فيها سبع مئة عام، حتى ولد الحسين بن علي عليهما السلام، فقال الملك لجبرئيل: يا جبرئيل، أين تريد؟

قال: إن الله عز وجل أنعم على محمد بنعمة، فبعثت أهنئه من الله ومني.

فقال: يا جبرئيل، احملني معك ؛ لعل محمداً صلى الله عليه وآله يدعو لي. قال: فحمله.

قال: فلما دخل جبرئيل على النبي صلى الله عليه وآله هَنَّأَهُ من الله عز وجل ومنه، وأخبره بحال فطرس.

فقال النبي صلى الله عليه وآله: قل له: تمسح بهذا المولود، وعد إلى مكانك. قال:

فتمسح فطرس بالحسين بن علي عليهما السلام، وارتفع [١].

وفي رواية: فتمسح فطرس بمهد الحسين عليه السلام فأعاد الله عليه في الحال جناحه، ثم ارتفع مع جبرئيل إلى السماء [٢].

وسمي عتيق الحسين، وأمر أن يلزم أرض كربلاء، فيخبر بكل مؤمن زاره إلى يوم القيامة [٣].

شجون قبل الوداع:

فقال النبي لفطرس: أين تريد؟

فقال: إن جبرئيل أخبرني بمصرع هذا المولود، وإني سألت ربي أن يجعلني خليفة هناك .

فذلك الملك موكل بقبر الحسين عليه السلام فإذا ترحم عبد على الحسين، أو تولى أباه، أو نصره بسيفه ولسانه، انطلق ذلك الملك إلى قبر رسول الله عليه السلام، فيقول: أيها النفس الزكية، فلان بن فلان ببلاد كذا وكذا يتولى الحسين، ويتولى أباه، ونصره بلسانه وقلبه وسيفه. قال : فيجيبه ملك موكل بالصلاة على النبي : أن بلِّغه عن محمد السلام، وقل له: إن مت على هذا، فأنت رفيقه في الجنة [٤].

وفي رواية قال: يا رسول الله، أما إن أمتك ستقتله، وله عليَّ مكافأة، ألا يزوره زائر إلا أبلغته عنه، ولا يسلم عليه مُسَلِّمٌ إلا أبلغته سلامه، ولا يصلي عليه مُصَلٍّ إلا أبلغته صلاته [٥].

---

(١) بحار الأنوار : ٤٣/٢٤٣- ٢٤٤.
(٢) بحار الأنوار : ٤٤/١٨٢.
(٣) دلائل الإمامة : ٧٩.
(٤) بشارة المصطفى : ٢١٩- ٢٢٠.
(٥) مستدرك الوسائل : ١٠/٤١٠.

لقد كانت وسيلته التي ابتغاها مهد الحسين عليه السلام، فلما قضيت حاجته ارتفع شأنه فأصبح عرشه الذي تعلق به قبر سيد الشهداء عليه السلام.

إلفات نظر:

يحار الفكر وهو أمام تجليات السلطنة المحمدية على العوالم، وبحقٍ تتضح خلافة النبي عليه السلام لله عز وجل بصورة جلية، فأنت ترى رسول الله عليه السلام يخاطب الملك المبعد عن مقام القرب من الله عز وجل، فيقول له: " تمسح بهذا المولود، وعد إلى مكانك ".

أأعجب من نفاذ أمره عليه السلام على الملك إذ استجاب لقوله، وامتثل أمره فارتفع إلى مكانه ؟! أم أعجب من ولايته النافذة في العوالم فتراه يرجع الملك إلى مقره ومستقره ؟!

إنه شأن من شؤون خاتم الأنبياء والمرسلين عليه السلام، وقبس مما منحه الله عز وجل يدعو الموحدين للتأمل.

الملك صلصائيل

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: كان ملك بين المؤمنين يقال له: صلصائيل، بعثه الله في بعث فأبطأ، فسلبه ريشه، ودق جناحيه، وأسكنه في جزيرة من جزائر البحر إلى ليلة ولد الحسين عليه السلام، فنزلت الملائكة، واستأذنت الله في تهنئة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وتهنئة أميرالمؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام، فأذن الله لهم، فنزلوا أفواجاً من العرش، ومن سماء (إلى)[1] سماء، فمروا بصلصائيل، وهو ملقى بالجزيرة.

فلما نظروا إليه وقفوا، فقال لهم: يا ملائكة ربي، إلى أين تريدون ؟ وفيم هبطتم ؟

فقالت له الملائكة: ياصلصائيل، قد ولد في هذه الليلة أكرم مولود ولد في الدنيا بعد جده رسول الله صلى الله عليه وآله وأبيه علي وأمه فاطمة وأخيه الحسن (والحسين)[2]، وقد استأذنا الله في تهنئة حبيبه محمد صلى الله عليه وآله لولده، فأذن لنا.

فقال صلصائيل: يا ملائكة الله، إني أسألكم: بالله ربنا وربكم، وبحبيبه محمد صلى الله عليه وآله، وبهذا المولود، أن تحملوني معكم إلى حبيب الله، وتسألونه،

---

(١) ما بين القوسين ورد في العوالم: ١٦.

(٢) يبدو أن هذا الاسم مضاف من الراوي أو الناسخ، فقد ذكر ان الحسين عليه السلام أكرم مولود ولد في الدنيا بعد جده وأبيه وأمه وأخيه وبعد الحسين عليه السلام كذلك، أو تكون الواو زائدة، وتصبح العبارة هكذا: قد ولد في هذه الليلة أكرم مولود ولد في الدنيا - بعد جده رسول الله □ وابيه علي وأمه فاطمة وأخيه الحسن - الحسين، وفي العوالم: وهو الحسين.

وأسأله : أن يسأل الله بحق هذا المولود الذي وهبه الله له أن يغفر لي خطيئتي، ويجبر كسر جناحي، ويردني إلى مقامي مع الملائكة المقربين.

فحملوه، وجاؤوا به إلى رسول الله عليه السلام، فهنؤوه بابنه الحسين عليه السلام، وقصوا عليه قصة الملك، وسألوه مسألة الله والإقسام عليه بحق الحسين عليه السلام أن يغفر له خطيئته، ويجبر كسر جناحه، ويرده إلى مقامه مع الملائكة المقربين.

فقام رسول الله عليه السلام، فدخل على فاطمة عليها السلام، فقال لها: ناوليني ابني الحسين، فأخرجته إليه مقموطاً، يناغي جده رسول الله عليه السلام .

فخرج به إلى الملائكة، فحمله على بطن كفه، فهللوا، وكبروا، وحمدوا الله تعالى، وأثنوا عليه .

فتوجه به إلى القبلة نحو السماء فقال : اللهم، إني أسألك بحق ابني الحسين أن تغفر لصلصائيل خطيئته، وتجبر كسر جناحه، وترده إلى مقامه مع الملائكة المقربين .

فتقبل الله تعالى من النبي عليه السلام ما أقسم به عليه، وغفر لصلصائيل خطيئته، وجبر كسر جناحه، ورده إلى مقامه مع الملائكة المقربين[1].

(١) بحار الأنوار : ٢٥٩/٤٣ .

الملك دردائيل

وتُروى قصته عن ابن عباس ﷺ، وقد رواها عن رسول الله ﷺ، وتتحدث روايته عن ملكٍ يقال له (دردائيل)، وتصفه بأنه كان له ستة عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح هواء، والهواء كما بين السماء إلى الأرض.

وقفة الامتحان:

وجاءت لحظة، وكانت فيها قاصمة الظهر، حيث جعل يقول في نفسه :
أفوق ربنا جل جلاله شيء ؟

فعلم الله تبارك وتعالى ما قال، فزاده أجنحة مثلها، فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح، ثم أوحى الله ﷻ إليه : أن طر.

فطار مقدار خمسين عاماً، فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، فلما علم الله ﷻ إتعابه أوحى إليه :

أيها الملك، عد إلى مكانك، فأنا عظيم فوق كل عظيم، وليس فوقي شيء، ولا أوصف بمكان.

الجزاء المرتقب:

لقد سلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف الملائكة، وظل بهذا الحال حتى رفَّ على الدنيا نور الميلاد المقدس للإمام الحسين بن علي عليهما السلام .

وقد صاحبت الميلاد مظاهر كونية وغيبية، استشعرتها النفوس، وعرفتها الملائكة .

فقد أوحى الله ﷻ إلى مالك خازن النار : أن أخمد النيران على أهلها كرامة لمولود ولد لمحمد.

وأوحى إلى رضوان خازن الجنان : أن زخرف الجنان وطيبها كرامة لمولود ولد لمحمد في دار الدنيا.

وأوحى تبارك وتعالى إلى حور العين : تزين، وتزاورن، كرامة لمولود ولد لمحمد في دار الدنيا.

وأوحى ﷻ إلى الملائكة : أن قوموا صفوفاً بالتسبيح، والتحميد، والتمجيد، والتكبير كرامة لمولود ولد لمحمد في دار الدنيا.

وأوحى تبارك وتعالى إلى جبرئيل عليه السلام : أن اهبط إلي نبيي محمد في ألف قبيل . والقبيل ألف ألف . من الملائكة على خيول بلق مسرجة ملجمة، عليها قباب الدر والياقوت، ومعهم ملائكة يقال لهم الروحانيون، بأيديهم أطباق من نور، أن هنئوا محمداً بمولود .

وأخبره . يا جبرئيل . أني قد سميته الحسين، وهنئه، وعزه، وقل له : يا محمد، يقتله شرار أمتك على شرار الدواب، فويل للقاتل، وويل للسائق، وويل للقائد، قاتل الحسين أنا منه بريء، وهو مني بريء ؛ لأنه لا يأتي يوم القيامة أحد إلا و قاتل الحسين عليه السلام أعظم جرماً منه . قاتل الحسين يدخل النار يوم القيامة مع الذين يزعمون أن مع الله إلهاً آخر، والنار أشوق إلى قاتل الحسين ممن أطاع الله إلى الجنة.

لحظات السعادة:

وهبط جبرئيل عليه السلام امتثالاً لأمر الله ﷻ من السماء إلى الأرض، إذ مر بدردائيل.

فقال له دردائيل : يا جبرئيل، ما هذه الليلة في السماء ؟ هل قامت القيامة

على أهل الدنيا ؟

فأجابه جبرئيل عليه السلام : لا، ولكن ولد لمحمد مولود في دار الدنيا، وقد بعثني الله عز وجل إليه ؛ لأهنئه بمولوده .

فقال الملك : يا جبرئيل، بالذي خلقك وخلقني، إذا هبطت إلى محمد، فأقرئه مني السلام، وقل له : بحق هذا المولود عليك إلا ما سألت ربك أن يرضى عني ؛ فيرد علي أجنحتي ومقامي من صفوف الملائكة.

فهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله، فهنأه كما أمره الله عز وجل وعزاه.

فقال له النبي صلى الله عليه وآله : تقتله أمتي ؟

فقال له : نعم يا محمد.

فقال النبي صلى الله عليه وآله : ما هؤلاء بأمتي، أنا بريء منهم، والله عز وجل بريء منهم، قال جبرئيل : وأنا برئ منهم، يا محمد .

فدخل النبي صلى الله عليه وآله على فاطمة عليها السلام، فهنأها، وعزاها ؛ فبكت فاطمة عليها السلام، و قالت : يا ليتني لم ألده . قاتل الحسين في النار.

فقال النبي صلى الله عليه وآله : وأنا أشهد بذلك يا فاطمة، ولكنه لا يقتل حتى يكون منه إمام، يكون منه الأئمة الهادية بعده، ثم قال عليه السلام : والأئمة بعدي الهادي علي، والمهتدي الحسن، والناصر الحسين، والمنصور علي بن الحسين، والشافع محمد بن علي، والنفاع جعفر بن محمد، والأمين موسى بن جعفر، والرضا علي بن موسى، والفعال محمد بن علي، والمؤتمن علي بن محمد، والعَلاَّم الحسن بن علي، ومن يصلي خلفه عيسى بن مريم عليه السلام القائم عليه السلام، فسكتت فاطمة عليها السلام من البكاء.

بعد أن أدى جبرئيل مهمته أوصل الرسالة التي حملها من دردائيل، وأخبر النبي صلى الله عليه وآله بقصة الملك، وما أصيب به .

الوسيلة المرضية :

قال ابن عباس : فأخذ النبي عليه السلام الحسين عليه السلام، وهو ملفوف في خرق من صوف، فأشار به إلى السماء، ثم قال :

اللهم، بحق هذا المولود عليك، لا بل بحقك عليه، وعلى جده محمد وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب، إن كان للحسين بن علي بن فاطمة عندك قدر، فارض عن دردائيل، ورد عليه أجنحته، ومقامه من صفوف الملائكة.

فاستجاب الله دعاءه، وغفر للملك، ورد عليه أجنحته، ورده إلى صفوف الملائكة.

فالملك لا يعرف في الجنة إلا بأن يقال : هذا مولى الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله عليه السلام [1].

---

(١) كمال الدين : ٢٨٢ـ٢٨٤

الباب الرابع

ريحانة المصطفى (١)

الحسين مع جده

لو كان المغمور بحنان النبوة غير الحسين عليه السلام لكان بذرة قدس يتلقط الناس من تحت شجرتها ما تلقيه لهم.

ولو كان الذي في حجر النبي صلى الله عليه وآله شخصاً من الناس لكان عظيماً.

ولو كان المشمول بالكساء اليماني فرداً لا يمتد بنسبه لبيت النبوة لطاول السماء فخاراً، وبز أقرانه فتراجعوا عن سباقه.

فكيف إذا كان ذلك كله .وغيره .في إهاب الحسين عليه السلام وبين حنايا صدره.

لقد عاش الإمام الحسين عليه السلام قرابة سبع سنين وظل جده الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يرف عليه، وتغدقه السماء بألقابها، وتتحفه بمواهبها، فكانت تلك السنوات .رغم قلتها .موطن التأسيس الاعتقادي والبناء لمناقب شخصيته عليه السلام.

لقد كانت تلك السنوات حافلة بمشاهد عظيمة في السيرة، وأخرى مهمة في المعتقد، وشهدت جوانب تربوية تستوقف القارئ، وتهم الباحث.

وسيكون لنا شرف الإطلالة على هذه المعاني، والاقتراب منها قليلاً. وفيها محاولة للملمة بعض أطراف ما تناثر في المدونات التاريخية والروائية.

الفصل الاول:

مظاهر الاختصاص في الأحاديث

لو كان الحديث عن بعيد لمر دون أدنى توقف، ولكنه مرتبط بولد رسول الله عليه السلام وريحانته سيد الشهداء عليه السلام.

لقد أسبغ عليه من النعوت ما لم ينله أحد من الخلق، فهو سيد شباب أهل الجنة، وهو مصباح الهدى، وهو سفينة النجاة... وألقاب أخرى ذكرها ولا مجال لحصرها.

فيا ترى ما الذي يحدوه لأن يقف الموقف تلو الآخر ليلقي مثل هذا الكلام؟

أترى للعاطفة دوراً في هذا المجال ؟ أم للحب الكبير مدخلية في ذلك؟ قد يتوهم متوهم ذلك، ولكن أقول له قبل أن ينفث الشيطان في نفسه ما يريد:

كلا، وألف كلا، فإن السماء قد بددت كل وهم قد يثار حول النبي عليه السلام؛ إذ قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[1].

دائرة واحدة يتحرك فيها رسول الله عليه السلام ولا يخرج منها أبدا ألا وهي دائرة الامتثال لأمر الله عز وجل أينما تكلم وأينما صمت وأينما حل أو ارتحل.

إن كل كلمة قالها في حق سيد الشهداء عليه السلام . وبلا ريب . كانت بأمر إلهي،

---

(١) النجم : ٣، ٤.

وأنت ترى أن تلك الكلمات لم تكن مدحاً عابراً، وإنما كانت أحاديث ثناء وإجلال وإكبار تهبه المنصب تلو المنصب وتكشف عن مقام تلو مقام.

ولعل القارئ سبقني بفكره إلى أن المزايا التي كانت تضفى على الإمام الحسين عليه السلام لم تكن من سنخ ما يتفوه به أهل الدنيا أوالمرتبطون بها، بل كانت حديثاً عن مناصب إلهية ومقامات ربانية كان يحتلها الإمام الحسين عليه السلام، فكانت بياناً لقربه من الله سبحانه وتعالى، وكشفاً عما يوليه الله عز وجل من عناية وما يحبوه من لطائف المواهب.

"الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا" (١)

الحسين إمام الأمة:

ستجد خلال مرورك بالأحاديث التي تفوه بها رسول الله صلى الله عليه وآله هذه الكلمات: الإمام، سفينة النجاة، سيد الشهداء، سيد شباب أهل الجنة ... وكلها كلمات يستجلي منها السامع المكانة التي قد تبوأها الإمام الحسين عليه السلام، ولم تكن عبارات كاشفة عن مواقع غير موجودة ويريد أن يبنيها لولده وحبيبه.

لقد أسبغ عليه لقب (الإمام)، والكل يعلم بأن الإمام لا يكون إلا ومعه من يأتم به، ويهتدي بهديه، ويسير وفق كلامه وطوع إرادته.

إنه حديث عن قيادة إلهية قد تبوأ عرشها سيد الشهداء عليه السلام، وقد نصبه الله عز وجل قائداً للمسلمين، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وآله ضماناً مستقبلياً كاشفاً عن عصمة متجلية فيه؛ فقد عبر عنه بـ (سيد شباب أهل الجنة).

---

(١) روضة الواعظين: ١٥٦.

كم تحمل هذه العبارة في طياتها من تصريح، وتكشف عن أمر عظيم وهو أن الإمام الحسين عليه السلام لا يهبط عن القمة التي شرفها، ولا يتراجع عن مقام قربه من الله عز وجل منذ أن كان في بدايات حياته وحتى ختمها بأعظم ما تختم به الحياة.

فطوبى لمن يكون الحسين عليه السلام إمامه؛ فإنه سيكون تحت إمرة أمير الجنة وسيد شبابها المطاع فيما يأمر.

لقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله الكثير في حق سبطه المنتجب، ومنها ما رواه حذيفة بن اليمان، فقد قال:

سألتني أمي: متى عهدك بالنبي صلى الله عليه وآله؟

قال: فقلت لها: منذ كذا وكذا.

قال: فنالت مني وسبتني.

قال: فقلت لها: دعيني، فإني آتي النبي فأصلي معه المغرب ثم لا أدعه حتى يستغفر لي ولك.

قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فصليت معه المغرب، فصلى النبي العشاء ثم انفتل فتبعته فعرض له عارض فناجاه، ثم ذهب فاتبعته فسمع صوتي فقال: من هذا؟

فقلت: حذيفة، قال: ما لك؟ فحدثته بالأمر، فقال: غفر الله لك ولأمك.

ثم قال: أما رأيت العارض الذي عرض لي قبيل؟

قال: قلت: بلى، قال: هو ملك من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة، استأذن ربه عز وجل أن يسلم عليَّ ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب الجنة وأن فاطمة سيدة نساء العالمين)) [1].

---

(١) البحار: ٣٧/٧٩-٨٠، ومسند أحمد: ٥/٣٩١، وفضائل الصحابة للنسائي: ٥٨.

وقفة تامل:

لقد عبر رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين عليهما السلام تعبيراً عظيماً يوم قال: "الحسن والحسين إماما قاما أو قعدا "[١].

وأحسب أن القارئ عندما يمر بأمثال هذه الكلمات فيرى أنها تسبغ على أمير المؤمنين عليه السلام لا يستولي عليه الاستغراب، فإن الأمة لو أنصفته لما حادت عن الإقرار له بذلك، حيث كان الركن الذي يأوي له الدين في زحام المواقف، وكان في الرخاء مسيِّر ركبه وهاديه.

ولكن الموقف سيكون مختلفاً حينما يقرأ كلام الرسول ﷺ فيراه يسلط الضوء على شخصين صغيرين لم يتجاوزا العاشرة من عمرهما بل لم يبلغاها.

لقد أطلق عليهما وهما في هذا العمر تسمية خاصة، وتحدث عن منحة منحها الله لهما، واختيار إلهي انتخبهما لمقام لم ينله أحد قط ممن كان يعيش في زمانهما سوى أمير المؤمنين عليه السلام ألا وهي الإمامة .

لقد سمع المسلمون ما كان يقوله الرسول ﷺ عن سبطيه العزيزين، فهما إمامان بهذا العمر المبكر، لم يخوضا حرباً، ولم يديرا قضية سياسية أو قيادية.

ولعل التأمل في هذا الأمر يجلو الغشاوة عن عيون فريق من الناس حيث ظنوا أن الإمامة لا تعطى لهما إلا حينما يرى الله عز وجل منهما العمل الكبير، أو تصدر منهما التضحيات الجليلة، وغاب عنهم أن ذلك خلاف التخطيط السليم والحكمة الصائبة.

إن الحكمة تقتضي الاختيار والاصطفاء قبل أن توجد الخلائق التي ستحتاج لهداة وأئمة يسيرون وفق هديهم وتحت إرشاداتهم، ولا تتسامح

---

(١) روضة الواعظين : ١٥٦.

السماء في لحظة تمر على البشرية وليس فيها خليفة لله ﷻ يسد أي خلل عندهم.

وصريح القرآن الكريم كافٍ في الوقوف على جلية الأمر حيث نقرأ الآيات القرآنية فنراها تتحدث عن خلافة لآدم عليه السلام في الأرض قبل أن توجد الخليقة، فقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾[1]، ولم يكن من البشر أحد يتنفس على وجه الأرض.

والكل يعلم بأن آدم عليه السلام لم يمر بمواقف بطولية رشحته للخلافة الإلهية ولم يقم بدور قيادي حاز من خلاله على إعجاب السماء فانتجبته.

إن مجتمعاً صغيراً مكوناً من أب وأم وابنين كان بحاجة لخليفة في الأرض، معدٍ من قبل الله ﷻ، ومختار قبل أن يطأ الأرض بقدميه، فما بالك إذا كانت الأرض قد تقاسمتها قوميات وأجناس، وتوزعت خيراتها فيما بينها، وختام الأنبياء عليه السلام يقضي سنيه الأخيرة.

إن حصيف الرأي لا يعدو عن القول بأن حكمة بالغة كانت تقف وراء ما يتجلى أمام نواظر المسلمين من اختيار إلهي وانتجاب سماوي لسبطين زكيين نقيين، يولدان والعصمة ترف عليهما، ويشبان والسماء تغذوهما، يخلفان الله ﷻ في أرضه، ويقومان بدورهما متى ما أنيط بهما؛ ليرحل خاتم الأنبياء عليه السلام وبين يديه خلفاء يرعون دعوته.

ومن الواضح أن الذهنية العامة للمسلمين كانت أوضح دليل على

---

(١) البقرة: ٣٠.

اختصاص أهل البيت عليهم السلام بالإمامة الإلهية ؛ فإنك تجدهم يعبرون عن أمير المؤمنين عليه السلام دون التفات بـ : (الإمام علي عليه السلام)، ولم نسمع أنهم عبروا عن أحد من الصحابة مثل هذا التعبير، ولم ترد تسمية لأحدهم مسبوقة بلقب الإمام سوى أمير المؤمنين عليه السلام وولديه عليهما السلام.

ولا شك أن الفهم العام عند المسلمين لا يوجد فيه أي توجيه من سياسة قائمة كانت تريد أن تحرك العقول والعواطف نحوهم، فقد كانوا يمثلون خطاً لا يلتقي مع المستولين على الحكم.

ويحق لي أن أسأل -كما يحق لك- عن الأمر الذي حدا بالمسلمين أن يمارسوا هذا السلوك تجاه هؤلاء الصفوة فقط ؟

إنه أمر قد غرسه رسول الله صلى الله عليه وآله في نفوس من حوله من المسلمين وساروا عليه فلم تستطع السلطات المتتالية أن تنتزع منهم هذا اللقب.

"حسين مني وأنا من حسين" (١)

ما أكثر ما تلي هذا الحديث على منابر المسلمين، وما أكثر ما دونته أقلام الكتاب، مذيلاً بشروح تتعدد بتعدد المشارب والأذواق، ويظل الحديث منبعاً لإثارات متعددة، ويبقى قابلاً لرفد القارئ له بمعانٍ أخرى.

وليست هذه العبارة من مختصات الإمام الحسين عليه السلام كما يُظن، ولكنها أشهر على الألسن، وأكثر انتشاراً فيه منها في غيره، فقد ورد هذا المضمون في الإمام علي عليه السلام بعدة روايات، ومنها:

- " أنت مني وأنا منك "(٢).

---

(١) كامل الزيارات : ١١٦، مسند أحمد : ٤/ ١٧٢، وسنن ابن ماجة : ٥١/١، وسنن الترمذي : ٣٢٤/٥، والمستدرك : ١٧٧/٣.

(٢) البخاري : ١٦٨/٣.

- "يا علي أنت مني وأنا منك روحك من روحي وطينتك من طينتي وشيعتك خلقوا من فضل طينتنا" (١).

- لما قال: يا رسول الله، أو لست منك؟ فقال: "بلى، يا علي، أنت مني وأنا منك كيميني من شمالي، لا أستغني عنك في الدنيا والآخرة" (٢).

لقد عقب على مثل هذه التعبيرات مجموعة من العلماء، ويمكن أن تفتح باباً لفهم ما ورد في الإمام الحسين عليه السلام (٣).

وورد مثل هذا المضمون في السيدة فاطمة عليها السلام، وفي ولدها الإمام الحسن

---

(١) أمالي الصدوق : ٦٦.

(٢) الخصال : ٥٧٣.

(٣) قال ابن حجر في فتح الباري ج٧ ص٣٩٠ : "وقال لعلي : أنت مني وأنا منك، أي في النسب والصهر والمسابقة وغير ذلك من المزايا ، ولم يرد محض القرابة وإلا فجعفر شريكه فيها".

وقال صاحب عمدة القاري ج١٦ص٢١٤: هذه تسمى بـ : من الاتصالية ، ومعناه أنت متصل بي، وليس المراد به اتصاله من جهة النبوة، بل من جهة العلم والقرب والنسب، وكان أبو النبي صلى الله عليه وآله شقيق أبي علي ...

أنت متصل بي، ونازل مني منزلة هارون من موسى، وفيه تشبيه، ووجه التشبيه مبهم، وبيّنه بقوله: إلا أنه لا نبي بعدي، يعني أن اتصاله ليس من جهة النبوة فبقي الاتصال من جهة الخلافة؛ لأنها تلي النبوة في المرتبة.

ثم يقر الكاتب بأن هذه المنزلة كانت له في حياته بلا شك، ولكنه ينكرها بعد الوفاة، ويجعلها محصورة في غزوة تبوك .

قال صاحب مطالب السؤول ص١١٦-١١٧: (من) حقيقتها الجزئية ، كقوله :﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ الروم : ٢١ ، وقوله: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ﴾ الرحمن: ١٤-١٥، وكقوله صلى الله عليه وآله: فاطمة بضعة مني، فحقيقتها في مثل هذا التركيب من القول الجزئية، ولهذه الجزئية لوازم، فإن كون الشيء جزءاً من الإنسان كالولد والرأس والعين وسائر الأعضاء والأجزاء يلازمه أن ذلك الإنسان بجهده، يدفع عن جزئه الأذى، ويحميه من تطرق المكاره إليه، ويجتهد في حراسته، وفي إيصال كل ما فيه نفعه إليه وفي حفظ صحته، هذا من لوازم حقيقة الجزئية، وقد صرح النبي بهذه اللوازم لما قال : فاطمة بضعة مني يريبني ما يريبها ويؤذيني ما يؤذيها ... فلما لم يمكن إثبات الحقيقة تعين حمل اللفظ على لوازمها على ما علم من استعمال اللفظ في لوازم الحقيقة وهاهنا الحقيقة غير مرادة لانتفائها لأن عليا عليه السلام ليس جزءاً من ذات النبي صلى الله عليه وآله ولا النبي جزء من ذات علي، فيكون المراد بهذا القول إثبات لوازم الحقيقة من إرادة حراسته عن المكاره، ومدافعة الأذى عنه، والسعي في إيصال المنافع اليه، والإشفاق التام عليه .

عليه السلام، فقد روي أن الرسول عليه السلام قال: فاطمة مني[1]، وقال لابنه الإمام الحسن عليه السلام: هذا مني وأنا منه[2].

وسنستعين بما ذكر حول هذه الأحاديث، فيما يرتبط بأي من الأئمة الثلاثة عليهم السلام في كلمات العلماء ليبدو المعنى بصورة أوضح، لنتعرف على عمق هذا الحديث والأبعاد التي يشير إليها.

كيف قرئ الحديث ؟

ستجد أن هذا الحديث قد قرئ بقراءتين، وهما:

١. قراءة الحديث كجملتين مترابطتين.

٢. قراءة الحديث كجملتين منفصلتين.

القراءة الأولى:

وتنظر للحديث كوحدة مترابطة، ولا تتعامل معه على أنه متكون من عبارتين منفصلتين، وقد استخلصت من الحديث عدداً من المعاني، وهي:

١. وحدة المصالح والمصير.

٢. أنهم نور واحد.

٣. صورة الكمال المتكررة.

٤. الحب الأبوي المتبادل.



١: وحدة المصالح والمصير:

إن أسلوب الحديث في التعبير عن العلاقة بين النبي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام يمكن أن نجده في الخطابات العرفية: إذ يقول الصديق لصديقه

---

(١) وسائل الشيعة: ٢٠/ ٢٣٢.

(٢) كشف الخفاء: ١/ ٢٠٥.

القريب منه: "أنا منك وأنت مني"، وهي عبارة تدل على تمام الامتزاج ما بين الشخصيتين، وتشير إلى اتحاد المصالح، ووحدة الهموم التي يعيشها الطرفان، وارتباط المصير المرتقب لهما[١].

٢: أنهم نور واحد:

إن هذا التعبير يشير إلى أن النبي ﷺ وعلياً وفاطمة والحسنين عليهم السلام بينهم وحدة ليست مقصورة على ما تعارف عليه الناس، من وحدة المصالح، وكونهم يعيشون هماً مشتركاً، بل هذه الوحدة ناظرة إلى ما يرتبط بالروح وبما يتصل بالنورية، وتكون (مِنْ) في الحديث (من النشوية)، والتي تعني أن المنشأ واحد.

إن الحديث "إشارة إلى بيان كونهم عليهم السلام نوراً واحداً وحقيقة واحدة، وهي الحقيقة النورية، التي هي علة الإيجاد، والصادر الأول من المبدأ الفياض، فإنه بملاحظة ذلك يصح أن يقول كل واحد منهم عليهم السلام للآخر: أنت مني وأنا منك[٢]".

ويمكن أن نجد ما يدل على ذلك في بعض الروايات، ومنها:

١ـ قول الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة: وأن أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت، وطهرت، بعضها من بعض[٣].

٢. العبارة التي قالها جبريل عليه السلام لما نظر إلى المواساة التي كان يقدمها أمير المؤمنين عليه السلام لرسول الله ﷺ فأبدى إعجابه منه قائلاً: إن هذه لهي المواساة، يا محمد.

---

(١) راجع التبيان ٢٠٥/٥، فقد قال: "المعنى إن أمرنا واحد لا ينفصل، أو إشارة إلى أن منزلتهم متساوية"، وقد ذكر ذلك في فهم قول القائل لغيره: أنت مني وأنا منك.

(٢) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية: ٩٦/٢.

(٣) قال صاحب الأزهار الأرجية: ويؤيد هذا الوجه بل يدل عليه قول...

فقال رسول الله عليه السلام: إنه مني وأنا منه . فقال جبريل عليه السلام: وأنا منكما، يا محمد[١].

وفي هذا الكلام ما يدل على أن الوحدة من سنخ الملك الغيبي العلوي اللطيف.

.ومنها الروايات التي تحدثت عن امتياز خلقتهما، فقد روي عن رسول الله عليه السلام أنه قال: خلقت أنا وعلي من نور واحد[٢]وقال : أنا وعلي من شجرة واحدة[٣]، وهناك عدة روايات بهذا المضمون[٤].

٣: صورة الكمال المتكررة:

إن من يبحث عن صورة يرى من خلالها رسول الله عليه السلام فعليه أن ينظر إلى شخص الحسين عليه السلام؛ فإنه سيرى المرآة العاكسة لجميع كمالات الرسول عليه السلام، سواء منها الكمالات العلمية أوالعملية، وسيشاهد فضائله الذاتية والكسبية [٥].

وسيقرأ الحديث وفق هذا التصور بأن وجودي لا يحد بحياتي بينكم، وإنما يمتد ما بقي بين ظهرانيكم ولدي الحسين عليه السلام، ولن تفتقدوا مشاعري تجاه المحسن منكم، وستعرفون غضب السماء من قسمات وجه الحسين عليه السلام.

وقد تمدون عيناً باحثين عما كنت أتحفكم به من تفسير للقرآن الكريم أو حديث طريف ... إنكم لن تعدموا البيان المرتقب للدين فصوتي ستسمعونه من فم آخر، وهو فم الحسين عليه السلام.

---

(١) الكافي : ٨/ ١١٠.

(٢) أمالي الصدوق : ٣٠٧.

(٣) مناقب أمير المؤمنين : ١/ ٤٧٦.

(٤) الإمامة الإلهية : ٣٩٧.

(٥) خلاصة عبقات الأنوار : ٤/ ٢٠٣.

٤: الحب الأبوي المتبادل:

لقد جادل الآخرون في الإمامة وأهلها، فأطالوا الجدال حتى طال السرى، وملَّ المجادل لهم لما يشاهد من تعصبهم، ولكنهم مهما تعصبوا لترهاتهم فلن يجدوا بداً من الإقرار بما كان يختلج في حنايا صدر النبي عليه السلام من الحب لريحانته والشفقة عليه، وهو حب لا يقاس بغيره، وشفقة لا تعادل بغيرها، وإن التاريخ قد شهد برهان الحب الكبير والشفقة العظيمة يوم فداه بابنه الوحيد إبراهيم[1].

ولو نظرنا من زاوية أخرى لما يحمله صدر الحسين عليه السلام من الحب لجده عليه السلام والشفقة عليه لرأينا أمراً عظيماً تتقاصر دونهما الكلمات.

"إن شفقة النبي عليه السلام على الحسين ومحبته له وإن شفقة الحسين عليه السلام على النبي عليه السلام ومحبته له قد بلغت شفقة الوالد على الولد؛ فكأن كل واحد منهما ولد، وكأن كلاً منهما ولد، فصح أن يقول: حسين مني، وأنا من حسين[2]".

(١) مدينة المعاجز : ٤٨/٤.

(٢) الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية : ٢/٩٦-٩٧.

القراءة الثانية:

وهي مبنية على أن الحديث الشريف مكون من عبارتين، وهما : (حسين مني)، والثانية: (وأنا من حسين).

ووفق هذا التفريق بين العبارتين فإن عبارة :" حسين مني " لا تقل عن العبارة الثانية في العمق، وإن كانت بعض الأقلام قد درجت على فهم العبارة بناءً على كونها إحدى التعبيرات الأبوية، فبالرغم من أني جده إلا أنه يقع مني موقع الابن من الأب، وهو كلام صحيح المعنى إلا أنه يجرد الكلام عن قائله، فلا يعطي الحديث بعداً نبوياً، ولا ينظر إلى خصوصية القائل، ولن تدرك الهدف الذي من أجله قيلت هذه الكلمات، فقد بدت وكأنها كلمات عاطفية محضة.

وقد تجد من يبعد النظر فيعتبر الحديث بياناً لما خص به الإمام الحسين عليه السلام من الرضاعة الإعجازية، والتي كان يقوم بها الرسول عليه السلام واضعاً إبهامه المطهر في فم ريحانته يغذوه، ويسد جوعته.

وستجد خلال مطالعاتك كثيراً من الأقلام تركز على عمق العبارة الثانية، وهي : " وأنا من حسين "، لما فيها من الغرابة، حيث نصت على أن الرسول عليه السلام ـ وهو الجد ـ من الحسين عليه السلام وهو سبطه.

المعاني المذكورة لـ "حسين مني":

هناك مجموعة من الاحتمالات والاستفادات قد ترشحت من عبارة: "حسين مني "، وهي مبثوثة في الكتب، وسمعت من أفواه العلماء هنا وهناك، وأحاول في هذه الوقفة أن ألملم أطراف هذه المعاني لتصبح بين يديك بقدر ما يتاح لي من المجال، وقد جمعت خمسة منها، وهي:

١. الاختصاص بالبنوة من الجد.
٢. الاختصاص بالمشابهة التامة لجدهم عليه السلام.
٣. البنوة الرسالية.
٤. الشراكة في التبليغ مع جدهم عليه السلام.
٥. الاشتقاق من الجوهرة الفريدة.

◆◆◆◆◆

١: الاختصاص بالبنوة من الجد:

إن العبارة الشريفة جاءت لتؤكد أمراً اختص به الحسنان من دون سائر البشر، وهو أنهما أبنان لجدهما رسول الله عليه السلام.

وهذا المعنى الذي نص عليه رسول الله عليه السلام: "كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فأنا عصبتهم، وأنا أبوهم"[١].

ولهذا المعنى دلالة سياسية عميقة، ولها ثقل كبير جداً إذا ما علمنا بأن المرتكز الذي ترتكز عليه مدرسة السقيفة هو القرابة من رسول الله عليه السلام، وهو مقياس أتت به للحاجة، فقد كممت أفواه الأنصار بدعوى القرابة التي تزعمها، ودعوى أن القرابة هي المسوغ لهم ليشغلوا هذا المنصب، ولو كانت صادقة في دعواها لكانت جاثية عند باب الحسنين عليهما السلام، منتظرة لهما، ملتزمة بنهجهما، فهما أقرب من على الأرض إلى رسول الله عليه السلام.

لقد أدارت هذه المدرسة ظهرها لهما دون أن تعيرهما أدنى التفاتة، فكان هذا الحديث هاتفاً بهم، مكذباً لكل دعاواهم.

---

(١) فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥/ ٢٣.

٢: الاختصاص بالمشابهة التامة لجدهم عليه السلام:

إن كون علي والحسن والحسين عليهم السلام من رسول الله عليه السلام تحمل دلالة واضحة على إمامتهم عليهم السلام.

ولتقريب هذه النتيجة نقترب من المقدمات المذكورة للبلوغ لهذه النتيجة، وخصوصاً أن كلمة (من) تأتي في اللغة على عدة معانٍ، ومنها ما لايتفق مع الحديث الوارد، ومنها:

. أن تكون بمعنى التبعيض: وسيكون المعنى غير صحيح؛ لأن الرسول عليه السلام سيكون بعضاً من علي وابنيه وهم بعض منه، وهذا يقتضي أن يكون كل واحد منهم جزءاً من الآخر.

. أن تكون لابتداء الغاية: ولا يمكن قبول أن كل واحد منهم مبدأ للآخر.

ولهذا فإن المعنى المقبول لكلمة (من) الجنسية، وقد جاء الحديث ليثبت المجانسة بينهم أي المشابهة.

ولم يرد هذا التعبير في أحد من الأمة إلا في هؤلاء وهو دليل أفضليتهم من غيرهم، ومن كانوا بهذه المرتبة فهم أجدر الناس بأن يقتدى بهم[(١)].

٣: البنوة الرسالية:

قد تكون هناك قرابة جسدية بين طرفين وعلاقة نسبية، فهذا ابن لذاك العظيم ولكن بعداً فكرياً بينهما وتبايناً واضحاً بحيث يقال عنه: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖ﴾[(٢)].

---

(١) الصراط المستقيم: ٢/٥٧-٥٨.

(٢) سورة هود: ٤٦.

وعلى العكس من ذلك قد تجد شخصاً لا تربطه مع صاحب الدعوة أي وشائج تقربه منه قرابة مادية، ولكنه يتبنى ذلك الفكر، وينصهر فيه بحيث يقال عنه : (سلمان منا أهل البيت ...) ما أبعد النسب، ولكن ما أعظم الفكر الذي حوله إلى محمدي بعد أن كان فارسياً، إن هذا المعنى قرآني أشارت له الآية الشريفة: ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾[1].

لقد جاء الحديث الشريف ليوضح للناس أن الحسين عليه السلام يحمل هذه البنوة الرسالية، وستحتاجون لمعرفة من يحمل معتقداتي ويسير على منهاجي في زمان سينقلب الناس على أعقابهم.

إنها ضمانة على اقتفاء الإمام الحسين عليه السلام آثار جده صلى الله عليه وآله، وهي شهادة لا يحملها أحد في زمانه إلا هو.

٤: الشراكة في التبليغ مع جدهم صلى الله عليه وآله :

إن هذا التعبير قد ورد في تبليغ سورة براءة، ونحتاج لأن نقترب من الحادثة قليلاً لنعرف السياق الذي وردت فيه هذه العبارة، وقد ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام عند محادثته لليهودي، فقال :

وأما السابعة يا أخا اليهود، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لما توجه لفتح مكة أحب أن يعذر إليهم، ويدعوهم إلى الله عز وجل آخراً، كما دعاهم أولاً، فكتب إليهم كتاباً يحذرهم فيه، وينذرهم عذاب الله، و يعدهم الصفح ويمنيهم مغفرة ربهم، ونسخ لهم في آخره سورة براءة لتقرأ عليهم، ثم عرض على جميع أصحابه المضي به، فكلهم يرى التثاقل فيه.

فلما رأى ذلك ندب منهم رجلاً فوجهه به، فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال: يا

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٦.

محمد، لا يؤدي عنك إلا أنت أو رجل منك، فأنبأني رسول الله ﷺ بذلك، ووجهني بكتابه ورسالته إلى أهل مكة، فأتيت مكة وأهلها من قد عرفتم، ليس منهم أحد إلا ولو قدر أن يضع على كل جبل مني إرباً لفعل، ولو أن يبذل في ذلك نفسه وأهله وولده وماله.

فبلغتهم رسالة النبي ﷺ، وقرأت عليهم كتابه، فكلهم يلقاني بالتهدد والوعيد، ويبدي لي البغضاء، ويظهر الشحناء، من رجالهم ونسائهم، فكان مني في ذلك ما قد رأيتم .

ثم التفت عليه السلام إلى أصحابه فقال: أليس كذلك ؟. قالوا: بلى، يا أمير المؤمنين[1] .

إن الأمور التي يبلغها الرسول ﷺ للناس على نوعين، وهما:

الأول:

أن يكون الحكم مما قد أمر بإبلاغه للناس فبلغه لقسم منهم، ثم خاطب الناس قائلاً: (ليبلغ الشاهد الغائب)، فيحمل الحاضرون كلامه إلى الآخرين ويبلغون عشائرهم تلك الأحكام.

وقد يرى النبي ﷺ بعد تبليغه للحكم أن هناك قوماً لا يضمن بلوغ الحكم إليهم، أو لا يكون مجرد البلوغ محل اعتناء عندهم، فيكلف الرسول ﷺ بعض صحابته بحمل تلك الرسالة إليهم.

إن هذا الشخص الحامل للرسالة لن تشترط فيه أي مواصفات، فقد بلغ الرسول ﷺ الرسالة عن الله عز وجل، وما هؤلاء إلا حملة لكلامه ومبلغون للتأكيد.

لقد دعا الرسول ﷺ الناس إلى الإسلام وبلغ الرسالة عن الله عز وجل للخلق

(١) الخصال : ٢٩٦.

ثم حمل بعض الصحابة مسؤولية إبلاغ الرسالة المكتوبة إلى الملوك داعياً لهم إلى الإسلام.

إن الرسول عليه السلام قد فرغ من دعوة الخلق إلى الله عز وجل ولكن هؤلاء يحتاجون إلى أن يخصصوا بالدعوة.

الثاني:

وهي أحكام أمر النبي عليه السلام بإبلاغها، ولم يبلغها عليه السلام بعد، ولم يوصلها إلى من يجب أن تبلغه، كالنهي عن الطواف بالبيت عرياناً، والنهي عن حج المشركين بعد العام، فإنها أحكام لا بد أن تصل إلى المشركين بمكة والحجاج منهم.

إن مثل هذه الأحكام لا يمكن أن يبلغها إلا هو أو شخص منه فقط، ولهذا خاطبته السماء بقولها: (لا يؤد عنك إلا أنت أو رجل منك).

أي أن الأمور الرسالية التي يجب عليك نفسك أن تقوم بها لا يقوم بها غيرك عوضاً منك إلا رجل منك أي لا يخلفك فيما عليك كالتأدية الابتدائية إلا رجل منك[1].

إننا بعد هذا البيان ندرك عمق القول النبوي (حسين مني) فإنها تشير إلى موقعية رسالية خاصة تؤهله أن يبلغ ما لم يبلغه الرسول عليه السلام، وهو منصب يشترك فيه أمير المؤمنين والسيدة فاطمة والحسنان عليهم السلام.

٥: الاشتقاق من الجوهرة الفريدة:

إن كمال العالم بأمور وهي: العقل، العلم، العبادة، الإطاعة بالاختيار، الذي خلق من أجله الإنسان، الذي امتاز في خلقته بالعقل والاختيار.

---

(١) تفسير الميزان: ٩/١٦٩-١٧٠.

وكمال الإنسان بلوغه إلى مرتبة الاتصال بعالم الغيب واستنارة عقله بنور الوحي، وهي مرتبة النبوة.

وكمال هذه المرتبة ببعثه سفيراً من الخالق إلى خلقه؛ لإضاءة عقولهم بضياء الحكمة الإلهية، وهي مرتبة الرسالة.

وكمال هذه المرتبة بلوغها إلى مرتبة العزم على العهد المعهود والميثاق المأخوذ، الذي هو مرتبة أولي العزم من الرسل المبعوثين بالشريعة.

وكمال هذه المرتبة الوصول إلى مرتبة الخاتمية، التي هي مرتبة المبعوث بالشريعة الأبدية التي هي نهاية الحد، وصاحبها أول العدد وآخر الأبد والخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل، وهو الاسم الأعظم والمثل الأعلى.

وقد وصل علي عليه السلام إلى مرتبة قال الذي قال الله في شأنه: وما ينطق عن الهوى: (علي مني)، الكاشف عن اشتقاق علي من الجوهرة الفريدة في عالم الإمكان، وهي النفس القدسية، التي هي العلة الغائية من خلق العالم واستخلاف آدم، ولم يقتصر على هذا، بل قال: (وأنا منه) لأن غاية وجوده والهدف من بعثه وما به قوام إنيته وهو الهداية إلى الدين القويم والصراط المستقيم لم تتحقق حدوثاً وبقاءً إلا بعلي وأبنائه المعصومين عليهم السلام، فكيف يمكن الفصل في الخلافة بين من هو من علي وعلي منه ؟! [(١)].

ولا يتوهم أن ذلك يعني ادعاء النبوة وتنزل الوحي، فذلك مما ينبغي أن لا يخطر بالبال، فقد ختم الأمر بخاتم الأنبياء والمرسلين عليه السلام.

(١) منهاج الصالحين لآية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني حفظه الله : ١/ ١٧٧، ١٧٨.

الفصل الثاني:

مظاهر الاختصاص في المواقف

إن هؤلاء المخلصين .ومنهم الإمام الحسين عليه السلام .ومنذ لحظة الولادة تتجلى فيهم مظاهر الاصطفاء والانتجاب، وكلما مرت الأيام كشفت عن خفايا أودعها الله عز وجل فيهم، واتضحت مواهب السماء إليهم.

وستجد شواهد ذلك خلال الحياة التي رسم ملامحها الإمام الحسين عليه السلام منذ لحظاته الأولى، فقد عامله رسول الله صلى الله عليه وآله وتعامل معه تعاملاً عجيباً لا يكون إلا مع كبار السن، ومن عاشوا ردحاً من الزمن، وقطعوا شوطاً في الحياة.

ويمكن أن نشاهد هذا الأمر في مواقف عدة، ومنها أربعة سنتأمل فيها ملياً، وهي:

١. قبول البيعة منه.

٢. المو آخاة.

٣. المباهلة به.

٤. الحسين شاهد عند جده.

◆◆◆◆◆

أولاً: قبول البيعة منه:

يوم أقبل المسلمون نحو كف رسول الله صلى الله عليه وآله لتمسح أكفُّهم عليها معلنة تحملها لمجموعة من الأمور تفرضها عليهم البيعة.

لقد مدت أكف رجال فكان من بينها كفان صغيران قد صفقا على كف

رسول الله عليه السلام، فقبل البيعة من الحسنين عليهما السلام كما قبلها من الرجال[(١)].

وفي هذا الأسلوب من التعامل إشارة واضحة لتميزهما عن غيرهما من الناس، فأنت تعلم أن البيعة ليست أمراً تشريفياً بمقدار ما هو أمر يتحمل من خلاله المبايع مجموعة من الأشياء تلزمه بها البيعة كالفداء والتضحية.

فإذا ما رأينا كف الحسين عليه السلام تمتد لتمسح على كف جده عليه السلام علمنا أن هذا الصغير في الجسد قد حمل وعياً بالدعوة المحمدية، ولديه القدرة على تحمل المسؤولية تجاه من يبايعه.

لقد اشتهر هذا الأمر بين الخاص والعام، وبه يتضح ما يميز العترة الطاهرة عن غيرهم فيقر لهم بالفضل كل سامع، فقد احتج بذلك المأمون يوم اعترض عليه العباسيون لتزويجه ابنته أم الفضل بالإمام الجواد عليه السلام فقال: ويحكم أما علمتم أن أهل هذا البيت ليسوا خلقاً من هذا الخلق؟! أما علمتم أن رسول الله عليه السلام بايع الحسن والحسين عليهما السلام وهما صبيان ولم يبايع غيرهما طفلين؟![(٢)].

وكما قيل: " وهما الكاملان في الصبى، وتفسير ذلك أن النبي عليه السلام لم يبايع صبياً في ظاهر الحال، فبيعة رسول الله لهما من برهان كمالهما في الصغر، وحجة اختصاص الله لهما "[(٣)].

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام : ١/ ٩٢.

(٢) تحف العقول : ٤٥٢، الاختصاص : ١٠١، والغريب أن المأمون يقر هنا بأن ذلك من خصوصيات الحسنين عليهما السلام، ومع ذلك تجد في مجمع الزوائد للهيثمي : ٤٠/٦، والمعجم الكبير للطبراني : ١١٥/٣، أن هناك من يشاركهما في ذلك، ويذكر منهم ابن عباس، ولعمر الحق لو كان الأمر كذلك لما وسع العباسيين الصمت، وهم يعلمون أن ابن عباس كان شريكاً للسبطين في هذه المنقبة . وما يزيدك غرابة أن تكون مروية عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام، والذين تجنبوا الرواية عنهما ما وجدوا لذلك سبيلاً.

قال الطبراني بعد ذكره السند : عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبي عليه السلام بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم وهم صغار لم يبلغوا، قال : ولم يبايع صغيراً إلا منا.

(٣) ألقاب الرسول وعترته :٤٨-٤٩، الإرشاد : ٢٩/٢.

ثانياً: المؤاخاة:

لقد مارس رسول الله ﷺ عملاً كان مثيراً للانتباه عند مطلع الدولة الإسلامية في المدينة، وكان ذلك يوم آخى بين الأشباه من الأصحاب، وجمع بين المتشابهين منهم.

وكان الأمر الذي يستحق التأمل كثيراً هو أن يعقد أخوة بين أخوين من أم وأب، فلقد آخى بين الحسنين عليهما السلام.

إن المتأمل في هذا الموقف لا يستطيع أن يتعرف على أبعاد هذا التعامل، وربما كان أقصى ما يمكن استفادته أن هذا التصرف لم يفسح المجال لأحد من الصحابة بأن يدعي لنفسه الفضل عليهما بالمؤاخاة؛ إذ كانا موجودين ولم يُعاملا كما عومل الآخرون من الصحابة.

وإن مؤاخاتهما مع بعضهما البعض مع كونهما أخوين دليل على عدم وجود من يصلح لمؤاخاة أحدهما ممن عاصر الرسول ﷺ. ومن غيرهما سيدا شباب أهل الجنة ؟

بل وزادا على غيرهما حيث عاملهما بتلك المعاملة مع صغر سنهما، وما ذاك إلا لوجود أهلية عندهما لم تكن عند غيرهما؛ ولهذا اعتبرت المؤاخاة بينهما من خصائصهما التي تفردا بها، ودلت على أن لأهل البيت عليهم السلام امتيازاً لا يشاركهم فيه أحد.

فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام يوم احتجاجه: " وهل تعلمون أن رسول الله ﷺ كان آخى بين الحسن والحسين، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا حسن، مرتين، فقالت فاطمة: يا رسول الله، إن الحسين لأصغر منه وأضعف ركناً منه،

فقال لها رسول الله ﷺ: ألا ترضين أن أقول أنا: هَيٍّ يا حسن، ويقول جبريل: هَيٍّ يا حسين؟ فهل لخلق مثل هذه المنزلة؟".[١]

ثالثاً: المباهلة به:

لم يكن أمراً عادياً ـ كما يريدون تصويره ـ، ولا حدثاً يمكن تجاهله وعدم التريث أمامه حتى يستوفى حقه، بل هو موقف قد خلده القرآن الكريم بآياته، وحفظه التأريخ بدلالاته.

إننا نعلم بدون شك أن بين يدي رسول الله ﷺ خيارات متعددة فرفضها، فقد كان أمامه أصحاب قد تجاوزت أعمارهم الستين وأكثر، وآخرون قد أعطوا بسطة في الجسم وكثرة في المال، فما اختارت السماء من هؤلاء أحداً، إذ لم تجد منهم مؤهلاً لحمل هذه المسؤولية، ووجدت السماء في ريحانتي رسول الله ﷺ خير من ينهض بهذا الأمر.

لقد أخرج الرسول ﷺ الحسنين عليهما السلام معه للمباهلة[٢]، وقد غدا محتضناً الحسين، آخذاً بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفها وهو يقول: إذا أنا دعوت فأمنوا[٣]، وفي ذلك تمثيل للإسلام بأروع صوره، وتعبير عن عظمة من أخرجهم للمباهلة.

ولنقترب من مظاهر العظمة قليلاً ندنو لنقرأ ما خطته أنامل العلماء حول هذا الحدث، فتتضح لنا الأبعاد التي يمكن أن نقف عليها من خلال خروج الإمام الحسين عليه السلام في المباهلة:

---

(١) كنز العمال: ٥/٧٢٤.

(٢) مصادر ذلك لا تكاد تحصى.

(٣) الطرائف: ٤٢.

١ ـ الشيخ المفيد رحمه الله:

" وأن الله جل ذكره جعله ـ أي علياً ـ وزوجته وولديه ـ مع تقارب سنهما ـ حجة لنبيه عليه وآله السلام، وبرهاناً على دينه، ونص على الحكم بأن الحسن والحسين أبناؤه، وأن فاطمة عليها السلام نساؤه المتوجه إليهن الذكر والخطاب في الدعاء إلى المباهلة والاحتجاج، وهذا فضل لم يشركهم فيه أحد من الأمة، ولا قاربهم فيه، ولا ماثلهم في معناه [1].

وقال: "وكانا عليهما السلام حجة الله تعالى لنبيه عليه وآله السلام في المباهلة، وحجة الله من بعد أبيهما أمير المؤمنين عليه وعليهما السلام على الأمة في الدين والإسلام والملة "[2].

وقال: " ... مع أن الله قد أمر النبي عليه السلام بالاستعانة بدعائهما يوم المباهلة فقال: (أبناءنا وأبناءكم)" [3].

٢ ـ السيد ابن طاووس رحمه الله :

" ومن آياته : أنه يوم كشف الله جل جلاله لعباده أن الحسن والحسين عليهما أفضل السلام مع ما كانا عليه من صغر السن أحق بالمباهلة من صحابة رسول الله صلوات الله عليه والمجاهدين في رسالاته.

... ومن آياته: أنه يوم وسم كل من تأخر عن مقام المباهلة بوسم يقتضي أنه دون من قدم عليه في الاحتجاج لله عز وجل ونشر علاماته.

... ومن آياته: أن يوم المباهلة أبلغ في تصديق صاحب النبوة والرسالة من التحدي بالقرآن وأظهر في الدلالة.

---

(١) الإرشاد : ١/١٧٠.

(٢) الإرشاد : ٢/٢٩.

(٣) حديث نحن معاشر الأنبياء : ٢٨.

الذين تحداهم ـ صلوات الله عليه ـ بالقرآن قالوا: (لو نشاء لقلنا مثل هذا)، وإن كان قولهم في مقام البهتان، ويوم المباهلة فما أقدموا على دعوى الجحود للعجز عن مباهلته لظهور حجته وعلاماته [(١)].

٣ ـ ابن شهر آشوب رحمه الله:

" قال ابن علان المعتزلي: هذا يدل على أنهما كانا مكلفين في تلك الحال؛ لأن المباهلة لا تجوز إلا مع البالغين.

وقال أصحابنا: إن صغر السن عن حد البلوغ لا ينافي كمال العقل وبلوغ الحلم حداً لتعلق الأحكام الشرعية، فكان ذلك لخرق العادة فثبت بذلك أنهما كانا حجة الله لنبيه في المباهلة مع طفوليتهما، ولو لم يكونا إمامين لم يحتج الله بهما مع صغر سنهما على أعدائه، ولم يبين في الآية ذكر قبول دعائهما، ولو أن رسول الله عليه السلام وجد من يقوم مقامهم غيرهم لباهل بهم أو جمعهم معهم، فاقتصاره عليهم يبين فضلهم ونقص غيرهم.

وقد قدمهم في الذكر على الأنفس ليبين عن لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه أنهم أفضل خلق الله " [(٢)].

٤ ـ يحيى بن الحسن: وكلامه قد ذكره ابن بطريق في كتابه (العمدة)، وينطوي على حقائق مترتبة، وهي:

أولاً: إن القرآن هو أساس الإيمان بالكتب والرسل:

" اعلم أن القرآن العزيز هو مصدق لما تقدم من الكتب ولولاه لما كان يلزمنا التصديق بشيء من ذلك، والدليل على أنه هو المصدق للكتب المتقدمه قوله

---

(١) إقبال الأعمال : ٢/٣٥١ـ٣٥٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٣/١٤٢.

سبحانه وتعالى: "مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل"، قوله تعالى: "مصدقاً لما معكم"، ومثله في لفظ الكتاب العزيز كثير، وبصدق الكتب صحت دعوى الأنبياء عليهم السلام فثبتت نبوتهم، وطريق ذلك كله أنباء الكتاب العزيز".

ثانياً: صدق القرآن متوقف على القسم بأهل البيت عليهم السلام:

" وإذا كان الكتاب العزيز المصدق لما تقدم من الرسل والكتب موقوفاً تصديقه على القسم على الله تعالى بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام بدليل قوله سبحانه وتعالى: (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)...المباهلة بهم تصدق دعوى النبي عليه السلام فقد صار إبطال حجاج أهل نجران في القرآن الكريم بالقسم على الله بهم.

ثالثاً : العترة عديلة الأنبياء والكتب السماوية :

"وإذا كان الله تعالى قد جعلهم دليلاً على تصديق النبي عليه السلام في دعواه وعلامة على صدق القرآن العزيز والقرآن المجيد هو المصدق لسائر الكتب والأنبياء عليهم السلام فقد صار القسم بهم عليهم السلام عديلاً لكل نبي وكتاب.

ولو علم الله سبحانه وتعالى أن إحدى المعجزات الباقية للرسول عليه السلام يقوم مقامهم في تصديقه وتصديق كتاب الله تعالى عندهم لكان قد أتى به، وترك أهل البيت عليهم السلام؛ لأن النبي عليه السلام ما يلقى الجاحدين إلا بأبلغ الإعجاز لهم وأرهب الآيات في قلوبهم" [(١)].

٥ـ الزمخشري :

" وخص الأبناء والنساء لأنهم أعز الأهل وألصقهم بالقلوب، وربما فداهم الرجل بنفسه، وحارب دونهم حتى يقتل، ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم

---

(١) العمدة : ١٩١ـ١٩٢.

الظعائن في الحروب؛ لتمنعهم من الهرب، ويسمون الذادة عنهم بأرواحهم حماة الحقائق، وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم، وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدون بها، وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أصحاب الكساء عليهم السلام"(١).

٦ ـ السيد الطباطبائي رحمه الله :

"وهذا يعطي أن يكون الحاضرون للمباهلة شركاء في الدعوى، فإن الكذب لا يكون إلا في دعوى.

فلمن حضر مع رسول الله صلى الله عليه وآله ـ وهم علي وفاطمة والحسنان عليهم السلام ـ شركة في الدعوى والدعوة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا من أفضل المناقب التي خص الله به أهل بيت نبيه عليهم السلام، كما خصهم باسم الأنفس والنساء والأبناء لرسوله صلى الله عليه وآله من بين رجال الأمة ونسائهم وأبنائهم" (٢).

٧ ـ الشيخ الوحيد ـ حفظه الله ـ:

" إن الله سبحانه جعل دعاء الرسول علة تامة للإجابة، ولكنه في هذه القضية ـ بمقتضى أمر الله سبحانه ـ بانضمام هؤلاء الأربعة بالرسول عند المباهلة، ومقتضى الجملة الشرطية في كلام الرسول (فإذا دعوت فأمنوا) الدالة على التلازم بين الشرط ـ الذي هو دعاؤه ـ والجزاء ـ الذي هو آمين هؤلاء ـ أن الله سبحانه وتعالى جعل آمين هؤلاء الأربعة جزء العلة للإجابة ليظهر للناس منزلة علي وفاطمة والحسن والحسين، وأن لهم الدعوة المستجابة عند الله، ويظهر لهم أن الوجاهة عند الله والتي تستجاب بها الدعوة ولا ترد بها طلبته منحصرة على وجه الأرض بهؤلاء الخمسة "(٣).

---

(١) الكشاف : ١/٤٣٤.

(٢) تفسير الميزان : ٣/٢٢٤- ٢٢٥.

(٣) منهاج الصالحين : ١/١٩١ـ١٩٢، لآية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني حفظ الله مهجته.

٨. بعض قدماء المحدثين :

"وكانا حجة لنبيه في المباهلة في الصغر وحجة الله على الأمة بعد أبيهما"[١].

٩. الشيخ السبحاني (حفظه الله):

"وإن إتيانه سبحانه بلفظ الأبناء بصيغة الجمع يعرب عن أن طرف الدعوى لم يكن النبي عليه السلام وحده بل أبناؤه ونساؤه؛ ولذلك عدتهم الآية: نفس النبي، ونساء النبي، وأبناءه من بين رجال الأمة ونسائهم وأبنائهم "[٢].

وذكر عند حديثه على الشاهد عن استجابة دعائهم أمرين:

أ: قول النبي عليه السلام: إذا أنا دعوت فأمنوا، فكان دعاء النبي يصعد بتأمينهم، وأي مقام أعلى و أنبل من أن يكون دعاء النبي عليه السلام صاعداً بفضل دعائهم.

ب: قول أسقف نجران: " إني لأرى وجوهاً لو شاء الله أن يزيل جبلاً من مكانه لأزاله بها "، والضمير يرجع إلى الوجوه، أي لأزاله بدعائهم أو لأزاله بالقسم على الله بهم.

و قد أيد القول الثاني ابن البطريق في«العمدة»[٣] حيث قال: "المباهلة بهم تصدق دعوى النبي عليه السلام، فقد صار إبطال محاجة أهل نجران في القرآن الكريم بالقسم على الله بهم" [٤].

رابعاً: الحسين شاهد عند جده:

لقد قُتل عروة بن مسعود يوم دعا عشيرته إلى الإسلام، وأقام قومه بعده أشهراً فرأوا أن الإسلام بدأ يمتد سيله حتى بلغ من حولهم، فأصبحوا بين

(١) القاب الرسول وعترته : ٤٨.
(٢) مفاهيم القرآن : ١٠/٢٢٥.
(٣) العمدة : ١٩١.
(٤) مفاهيم القرآن : ١٠/٢٢٦.

أنياب يصعب الإفلات منها.

وقرر من لم يسلم من هؤلاء أن يسلم، فأرسلوا عدة منهم إلى رسول الله ﷺ، وكانت عاقبة رحلتهم أن أسلم المبعوثون بعدما رأوا مظاهر الإسلام، وسمعوا آيات القرآن الكريم.

وقبل أن يعودوا لقومهم أخذوا كتابين من رسول الله ﷺ، أثبت فيهما مجموعة من الحقوق لهم، وكُتب في آخر أحد الكتابين:

وكتب خالد بن سعيد بأمر من محمد بن عبد الله رسول الله، فلا يتعداه أحد فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله لثقيف.

وشهد على نسخة هذه الصحيفة، صحيفة رسول الله التي كتب لثقيف: علي بن أبي طالب وحسن بن علي وحسين بن علي، وكتب نسختها لمكان الشهادة[١].

دلالة الحدث:

أيها السبط المفدى، قُل لي، فقد جف اليراع بين أنامل المبدعين، ويا ابن الخامسة من عمره أفصح فقد حار الفكر بين أمواج قدسك، و راح يتبع قطرات ترشحت من فيض بحرك... فأغرقته.

أين من ركبوا بحار العلوم فشقوا موجها؟ وأين من وطؤوا صحراء الفكر فأعشبت الأرض تحت أقدامهم؟ هلموا، فَقدْ فَقَدَ الدليل طريقه يوم حارت النجوم في هديه، وأُسقط في يدي اللبيب وهو يرى شواهق المقامات الإلهية... أخبروني ما الذي يريد الرسول ﷺ أن يبلغه لكل ذرات الوجود؟ أم ترونها عرفت ذلك، وأبى الإنسان أن يقر بها...؟

---

(١) راجع الصحيح من سيرة الرسول الأعظم ﷺ: ٢٨/٩٨-١١٢.

إنها لم تكن شهادة على تملك دار أو شاة، بل كان الأمر أجل وأعظم من ذلك بكثير، فقد ارتبط بمصير جماعة كبيرة من الناس.

ومما يعطي الأمر أهمية أكبر أنها شهادة قد أثبتت بجانب شهادة أبيهما في أمر يرتبط بسياسة العباد، وبالتعهدات الملزمة فيما بين إمام المسلمين وبين جماعة من الناس أصرت على مناوأة الإسلام وأهله حقبة من الزمن.

لقد قالوا...: إن دلالة عظيمة يحملها إثبات اسم علي وابنيه عليهم السلام دون غيرهم من المسلمين، كبيرهم وصغيرهم، مع أن الجميع كانوا موجودين أو غير بعيدين.

وتلك الدلالة العظيمة هي الإلماح إلى أن من يفي بهذا العهد ويكون المسؤول عنه هو القائم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو علي ثم الحسن ثم الحسين عليهم السلام.

وقد قالوا...: أراد الرسول صلى الله عليه وآله بعمله أن يظهر للخلق فضلهما، فلا ينكرهما بعد ذلك أحد، ورام بفعله أن يعظم شأنهما.

وقالوا...: أراد أن يقول للناس: إن الحسنين عليهما السلام قادران على حفظ حقوق الناس، وإن كانا في هذه السن؛ لأنهما يملكان من الوعي والإدراك والعقل وسداد الرأي والاتزان وقوة الالتزام ما يكفي لذلك، وهذه ميزة لم تكن لغيرهما ممن هو أكبر منهما سناً[1].

هكذا تعامل الرسول صلى الله عليه وآله مع الحسنين عليهما السلام، يطلب منهما الشهادة دون غيرهما، وآخرون يردونهما شهوداً على دعوى سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام، وترفض دعوى أمهما.

(١) راجع الصحيح من سيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: ١١٤/٢٨، ١١٥.

الباب الخامس

ريحانة المصطفى (٢)

الحسين في الصغر

إن المرحلة الأولى من عمر الحسين عليه السلام مع ما تحمل من مظاهر العظمة والإجلال كانت تتخللها بعض السلوكيات التي تتناسب مع العمر المبكر له، وهي بحاجة إلى نوع من التأمل من أجل أن نتعامل معها تعاملاً سليماً، وبعيداً عن السذاجة.

وإليك بعضاً من الروايات التي تصب في هذا المضمار:

ـ عن أبي سعيد الخدري قال: "جاء حسين يشتدُّ والنبي صلى الله عليه وآله يصلي فالتزم عنقه، فقام النبي وأخذ بيده فلم يزل يمسكه حتى ركع"[1].

ـ عن شداد بن الهاد قال: سجد رسول الله صلى الله عليه وآله سجدة أطال فيها، فقال الناس عند انقضاء الصلاة: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها، حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه أتاك الوحي.

فقال صلى الله عليه وآله: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني هذا ارتحلني، فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته، فكان الحسن أو الحسين عليهما السلام قد جاء والنبي صلى الله عليه وآله في سجدته فامتطى ظهره[2].

ـ رأى النبي صلى الله عليه وآله الحسين يلعب مع الصبيان في السكة، فاستقبل النبي صلى الله عليه وآله أمام القوم فبسط إحدى يديه، فطفق الصبي يفر مرة من هاهنا ومرة من هاهنا، ورسول الله يضاحكه، ثم أخذه، فجعل إحدى يديه تحت ذقنه والأخرى على

---

(١) قادتنا كيف نعرفهم : ١٤/٦، ذكرها عن ترجمة الإمام الحسين من تاريخ مدينة دمشق : ١٠٩، رقم /١٤٧.

(٢) مستدرك الوسائل : ٤٣٢/٥ وذكر مثلها عن أسد الغابة لابن الأثير.

فاس رأسه، وأقنعه فقبله، وقال: "أنا من حسين وحسين مني، أحبَّ الله من أحبَّ حسيناً، حسين سبط من الأسباط"[(١)].

ـ عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يصطرعان فاطلع عليهما النبي صلى الله عليه وآله، وهو يقول: "إيهاً الحسن، فقال علي عليه السلام: يا رسول الله، على الحسين؟

فقال: إن جبرئيل يقول: إيها الحسين"[(٢)].

ـ عن علي عليه السلام قال: "بينما الحسن والحسين يصطرعان عند النبي صلى الله عليه وآله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هي يا حسن.

فقالت فاطمة عليها السلام: يا رسول الله، تعين الكبير على الصغير؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: جبرئيل يقول: هي يا حسين، وأنا أقول: هي يا حسن"[(٣)].

ـ عن جابر بن عبد الله قال: "دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وهو يمشي على أربع والحسن والحسين عليهما السلام على ظهره، ويقول: نعم الجمل جملكما، ونعم الحملان أنتما"[(٤)].

وقفة تأمل:

لقد مررنا بالروايات التي تصور لنا سلوكيات كانت تصدر من الحسنين عليهما السلام لا تتناسب إلا مع صغار السن.

مع أننا نعتقد بأن الإمام لا يختلف في صغره عن كبره، فهو صاحب عصمة من لدن ولادته وحتى شهادته، يعرف الغاية التي من أجلها خلق الله ابن آدم،

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩٦/٤٣، وقال: استقبل أي تقدَّم، وأقنعه أي رفعه.
(٢) بحار الأنوار: ٧٥/٣٧.
(٣) بحار الأنوار: ٢٦٢/٤٣.
(٤) بحار الأنوار: ٣٠٤/٤٣.

ويعلم أنه هو المحقق للغاية الإلهية من خلق الإنسان صغيراً وكبيراً.

وقد ذكرت لنا الروايات أحداثاً جرت مع الإمام العسكري عليه السلام وهو لا يزال في بدايات عمره الشريف، ولكنها تختلف في عرضها لشخصية الإمام عن تلك الروايات السابقة، والواصفة لسلوكيات قد صدرت من الحسين عليه السلام مع جده عليه السلام.

ودونك الرواية لتلاحظ الفرق الواضح، فقد روي أن شخصاً مر بالإمام العسكري عليه السلام، وهو واقف مع أترابه من الصبيان يبكي، فظن ذلك الشخص أن هذا الصغير يبكي متحسراً على ما في أيدي أترابه ولذا فهو لا يشاركهم لعبهم، فقال له: أشتري لك ما تلعب به؟

فرد عليه: لا، ما للعب خلقنا، وبهر الرجل فقال له: لماذا خلقنا؟ فأجابه قائلاً: للعلم والعبادة.

وتساءل الرجل متعجباً من كلامه قائلاً: من أين لك هذا؟

فأجابه الإمام عليه السلام: من قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[١].

وبهت الرجل، ووقف حائراً، وانطلق يقول له: ما نزل بك، وأنت صغير لا ذنب لك؟

فقال له : إليك عني، إني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار، فلا تتَّقد إلا بالصغار، وإني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم [٢].

وقفة تحليلية :

إن أمثال هذه الروايات وقف منها الباحثون موقفين متباينين، وهما:

---

(١) سورة المؤمنون : ١١٥.

(٢) حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام:٢٢- ٢٣.

الموقف الأول : الرفض لروايات اللعب:

لقد رفض أصحاب هذا الموقف الروايات المرتبطة بلعب الحسنين عليهما السلام، ولم يكن رفضهم اعتباطياً، بل كان لأمور، ومنها:

أولاً: أن الروايات السابقة روايات عامية، وليست من مرويات الإمامية.

ثانياً: أن هذه الروايات من الموضوعات، لأن الله أعطى الإمام العلم، وأوقفه على أسرار التكوين منذ كان حملاً في بطن أمه.

فقد ورد في أحاديث كثيرة رواها الصفار في (بصائر الدرجات)، والكليني في (أصول الكافي) عن أهل البيت عليهم السلام: " إذا ولد المولود منا رفع له عمود نور يرى به أعمال العباد وما يحدث في البلدان "، إشارة إلى القوة القدسية المودعة في نفوس الأئمة عليهم السلام، فالإمام يعرف ماهية الصلاة، ومن الذي يسجد له نبي الإسلام عليه السلام، ولم يفته أن هذا الحال هو أقرب أحوال النبي عليه السلام مع مولاه عز شأنه؛ فكيف يشغله الإمامان على الأمة إن قاما وإن قعدا بنص الرسول عليه السلام عن مخاطبة حبيبه سبحانه ؟ والإمام لا يلهو ولا يلعب كما في الحديث.

ثالثاً : أن رواة هذه القصة لا يعتمد على نقلهم، كآل الزبير فإنهم أكثروا فيما يحط بكرامة أهل البيت عليهم السلام، وقد أخرجهم علماء الرجال عن صف من يوثق به من الرواة، وكذلك بقية الرواة[1].

رابعاً: أن مقام الإمامة لا يلتئم مع شيء من مقتضيات الطفولة؛ لأن أوقاته أثمن من أن يصرفها فيما لا يعنيه، وإن فعل ذلك اقتدت به الأمة لخضوعها

---

(١) راجع حاشية الحدائق الناضرة : ٥ / ٢٢٨، والمحشي هو الشيخ محمد تقي الإيرواني، وقد عدد الرواة وأوضح عدم وثاقتهم فمن شاء التوسع فليراجع.

لإمامته، واتخاذه ناموساً لا يتخطى عنه، فتختل حينئذٍ شؤونها، وتفسد أخلاقها، ويسقط محله عندها[1]...

خامساً: هناك دراسة مستوعبة لروايات هذا الباب عند الفريقين[2]، وكان ناتجها ما يلي:

١. إن الروايات التي تحدثت عن لعب الحسنين عليهما السلام من طريق العامة ثمان طوائف، وجميعها مخدوشة السند.

٢. الروايات الواردة من طريقنا عددها خمس عشرة رواية، صحت منها روايتان فقط، إحداهما من الصحيح الأعلائي؛ لأن جميع رواتها من أعاظم الثقات، الذين لا يمكن الخدشة فيهم بأدنى كلمة.

وقد رواها الشيخ ابن قولويه في كامل الزيارات، عن أبيه، عن سعد ابن عبد الله بن أبي خلف، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبي، عن هارون ابن خارجة، عن أبي بصير، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين عليه السلام يلعب بين يديه، فأخبره أن أمته ستقتله.

قال: فجزع رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ألا أريك التربة التي يقتل فيها؟

قال: فخسف ما بين مجلس رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المكان الذي قتل فيه

---

(١) وفاة الإمام الجواد عليه السلام: ٧٣.

(٢) صاحب الدراسة سماحة السيد ضياء الخباز القطيفي (حفظه الله تعالى) في كتابه (روايات لعب الإمامين الحسنين عليهما السلام في الميزان) وقد أشار إلى بعض من يتبنى هذا الرأي من العلماء، وسنقتطف كلماته في تعريفهم:

- أستاذه الفقيه المحقق السيد محمد صادق الروحاني(دامت بركات وجوده) ص:١٥.

- المحقق البارع صاحب المؤلفات الثمينة السيد عبد الرزاق المقرم ص: ١٦.

- العلامة الحجة الشيخ محمد تقي الإيرواني، ص: ١٧.

الحسين عليه السلام حتى التقت القطعتان، فأخذ منها، ودحيت في أسرع من طرفة عين، فخرج وهو يقول: طوبى لك من تربة، وطوبى لمن يقتل حولك[١]...

٣) هناك روايات صحيحة تعارض روايات اللعب، وتدل على أن الإمام لا يلهو ولا يلعب، ومنها:

ما رواه الكليني رحمه الله عن محمد بن يحيى، عن محمد بن إسماعيل، عن علي بن الحكم، عن معاوية بن وهب، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: ما علامة الإمام الذي بعد الإمام؟

فقال: طهارة الولادة، وحسن المنشأ، ولا يلهو ولا يلعب[٢].

٤. لقد وقف الكاتب على أمرين مهمين، وهما:

أ) تعريف اللعب، وهو: العمل العاري عن الثمرة والهدف.

ب) تحديد بواعث اللعب.

وكلاهما لا يتفقان مع الخصوصيات التي تعطى للإمام منذ لحظة الولادة، وهي:

أ) قبض المعارف والعلوم.

ب) الانفتاح على عالم الملكوت.

ج) التزين بثوبي الوقار والهيبة.

٥) هناك مؤيدات من سيرة الحسنين عليهما السلام تمنع قبول روايات اللعب، فقد كانت سيرتهما تحمل الوقار العظيم رغم صغر سنيهما.



(١) كامل الزيارات: ١٢٦-١٢٧.

(٢) الكافي: ١/٢٨٤-٢٨٥.

الموقف الثاني: القبول للروايات بفهم يحل التعارض[1]:

ويحاول أصحابه التوفيق بين روايات العقيدة، والمتحدثة عن عظمتهم منذ الولادة، وبين ما ورد من تصرفات الحسنين عليهما السلام في صغرهما.

وخصوصا أن هناك من المرويات ما هو وارد عن أهل البيت عليهم السلام، ومنها ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: "وأنه عليه السلام كان يصلي بأصحابه فأطال سجدة من سجداته، فلما سلم قيل له: يا رسول الله، لقد أطلت هذه السجدة فقال عليه السلام: إن ابني ارتحلني فكرهت أن أعاجله حتى ينزل وإنما أراد بذلك عليه السلام رفعهم وتشريفهم"[2].

فهم يرون أن هذه التصرفات منهم كانت مناسبة للزمان الذي عاشوا فيه، فالناس حديثو عهد بالإسلام، ولما يدركوا عظمة الإمامة؛ فلو أبدى الحسنان عليهما السلام المواهب الإلهية منذ الصغر فتصرفوا تصرف الكبار، وأخبروا بما يعلمون، وبدت منهم المعاجز وما لم يؤلف من غيرهم، لفتن الناس بهم، ولتجاوزوا بهم حد العبودية، وادعوا فيهم الألوهية، أو ادعوا فيهم النبوة، وهو ما يحول دون قيامهم بدور الهداية.

ولهذا فقد ناسب منهم أن يتصرفوا في بعض المواطن مثل هذه التصرفات، والتي تعتبر مبددة لكل مغالاة قد تتصور فيهما من قبل الناس.

ونستطيع أن نقول ـ وفقاً لهذا الرأي ـ: إن هذه التصرفات لم تكن طفولية غير واعية، بل كانت مدفوعة بوعي، وتحمل هدفاً عظيماً، وهو الوقوف أمام شطحات العقل الذي لا يستطيع فهم الإمامة فيغلو فيها ويعتقد في أهلها أنهم آلهة.

---

(١) ويتبنى هذا الموقف: الشيخ المجلسي قدس سره في مرآة العقول ٣: ٣٣٩، والشيخ لطف الله الصافي (حفظه الله) في مجموع الرسائل: ١٦٥/٢، ويمكنك أن تراجع كتاب: روايات لعب الإمامين الحسنين عليهما السلام في الميزان: ١٥٤،١٥٥؛ لتقف على توجيههما والمناقشة التي طرحها.

(٢) علل الشرائع: ١٧٤/١.

وستجد أن الإسلام حينما استقر وثبتت دعوة التوحيد زال هذا المحذور، وأصبح المسلمون يعيشون حاجة في نفوسهم، وهي إثبات تميز الأئمة عليهم السلام عن غيرهم بالمواهب الإلهية، وأن يبينوا أنهم قد خصوا دون سواهم بما لم ينله أحد، وأن الإمامة التي ينادون بها إمامة إلهية تعطى للصفوة من الخلق، ودليل اصطفائهم ما يتجلى من البراهين وهم لا يزالون صغاراً.

ويختصر الموقف بأن هداية الخلق هي المحرك للإمامين الحسنين عليهما السلام في الصغر كي لا تفتن الناس بهما، وهي المحرك للإمامين الجواد والعسكري عليهما السلام كي يثبتوا أن الإمامة تنصيب من الله عز وجل.

ويضاف شيء آخر مستمد من الرواية الصادقية، ومفاده أن ما كان يقوم به الحسنان عليهما السلام من صعود على ظهر النبي صلى الله عليه وآله، وما يقوم به النبي صلى الله عليه وآله من إطالة السجود، يهدفان لغاية مهمة وهي إظهار المكانة العالية للإمامين عليهما السلام.

بحيث أن رسول الله صلى الله عليه وآله ـ الذي جعلت الصلاة قرة عينه ـ وهو في حال السجود ـ والذي يكون فيه العبد قريباً من الله تعالى ـ يطيل السجود احتراماً لمن صعد على ظهره، ويمثل هذا الانتظار أفضل عمل للرسول صلى الله عليه وآله في تلك الحال.

إننا نعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا ينقلب من حال إلى آخر ولا يتحول من عمل إلى غيره إلا وهو محافظ على قربه إلى الله عز وجل بحيث يمكننا أن نقول:

إن رسول الله صلى الله عليه وآله يعيش حال القرب إلى الله عز وجل، ولا ينفصل عنه، ولا يكون في عمل إلا وهو أفضل الأعمال عند الله عز وجل وأحبها إليه، سواء كان في صلاته أم في وعظه وإرشاده، أم كان في أكله وشربه[١].

---

(١) يقول آية الله العظمى السيد الكلبيكاني قدس سره: ..وثلة من الناس لا يعصون الله تعالى أبداً، ولا يخرجون عن زي العبودية ومنهاج الطاعة حتى ولو في آن من الآنات وحين من الأحيان، ومن كان كذلك فهو المعصوم". نتائج الأفكار: ٢٠٣.

حديثي حديث أبي

تتوقف رواية الحديث عند الرواة من عامة الناس على السماع من الرسول عليه السلام، أو الرواية عمن سمع من رسول الله عليه السلام.

ولعلك ـ أيها القارئ ـ تجد من الوضوح بمكان أن الدين الإسلامي لو اقتصر على هذا الطريق لمحيت آثاره، ولم يبق منه إلا ثمالة لا تكفي البشرية لقطع طريق الحياة الطويل.

وإذا كان السامع محدود الحفظ، والملقي محدود العمر، فقد ضاق الأمر، وصعب استيعاب الأطروحة السماوية على البشرية.

ولن تجد طريقاً للخلاص من هذه المشكلة إلا بوجود طرق اتصال بالرسول عليه السلام لفئة خاصة يفتح لها ما لم يفتح لغيرها، وترفد بروافد لا تتاح لسواهم، وبهذا يضمن وصول الأطروحة الإلهية كاملة للبشرية.

إن الأمة الإسلامية في أمس الحاجة لهذا العطاء الذي لا ينقطع؛ بحيث تقف في أمورها الحياتية على هدي سماوي.

إن هذه الأزمة التي ستواجه الأمة قد أعدت السماء حلها وهيأت سبل الخلاص من عواقبها بأن جعلت أئمة يحملون أعباء المسؤولية الكبرى، وخصت ثلة من الخلق أريد لهم أن يكونوا ذبالة المصباح ولسان السماء المعبر.

لقد أنيط بالأئمة عليهم السلام دور كبير يستدعي العطاء الإلهي الخاص بمقدار ما حملوا؛ إذ تتوقف عليهم سلامة الأطروحة الإسلامية، بل يتوقف عليهم النجاح لمسيرة الأنبياء عليهم السلام، والذين كانوا يحركون البشرية خطوة بعد أخرى حتى سلموها لخاتم الأنبياء عليه السلام، وتسلمها منه الأئمة واحداً بعد آخر، وأعينهم ممدودة نحو الأفق الذي تشرق منه شمس الظهور لخاتم الحجج عجل الله فرجه.

لو كان الأئمة عليهم السلام رواة حديث ـ كغيرهم ـ لضاع الدين، وذهبت أطروحات الأنبياء أدراج الرياح، وما بقي من الإسلام إلا طلل باهت، يدل

على وجود بناء شامخ فيما مضى من الأزمان.

فإن الرواية إذا توقفت على السماع ممن سمع من رسول الله ﷺ فهو أمر لم يكن متاحاً لكل واحد منهم، وما هو متاح من الاستماع لا يكفي لتحمل هذا الدور، ومن أتيح له الاستماع قد تشتتوا في البلاد فلا ينضبط ما عندهم .

وإن من شأن التلقي والنقل المتعارفين عدم بقاء المنقول على حاله، بل يزاد فيه وينقص، خصوصاً إذا مرَّ عبر قنوات متعددة ووسائط كثيرة.

نماذج واضحة :

لقد كانت حياة الإمام الحسين عليه السلام طويلة في صحبة جده وأبيه وأخيه عليهم السلام، وأما حياة الإمام الجواد عليه السلام مع أبيه فقد كانت قصيرة المدة، مختصرة السنين، يمكنك أن تعدها على أصابع يدك؛ فقد عاش مع أبيه الإمام الرضا عليه السلام عدداً قليلاً من السنين، لا يبلغ العشر منها، وكانت الأيام التي شهدت حضور أبيه عليه السلام فيها لا تحتل مساحة واسعة من تلك السنين القليلة.

وقد تكرر الأمر في حياة الإمام الهادي عليه السلام؛ إذ كانت أيامه مع أبيه الإمام الجواد عليه السلام قليلة جداً، وأما الإمام المهدي عليه السلام فكان أقل الجميع؛ إذا ما لاحظنا ظروفه الخاصة التي عاشها في الأيام القليلة التي صحب فيها والده الإمام العسكري عليه السلام.

إن خمس سنين في عمر الإنسان أو سبع سنين لا يمكن أن تعطيه فرصة الحفظ لكل ما قاله الرسول ﷺ طوال حياته.

ولن أتجافى عن الحقيقة إذا ما قلت بأن العقلية العادية لا يمكنها استيعاب كل المستجدات التي تحصل أمام ناظريها وفي عصرها؛ فيكون لها حكم في كل قضية وتكون لها إجابة على كل سؤال معتمدة على ما تفوه به النبي ﷺ.

وإننا نعلم فوق ذلك بأن الخمس سنين أو السبع لم تكن سنين استقرار

وتفرد من الإمام بأبيه ؛ ليقال بأن قوة الاستيعاب كانت كفيلة بأن يكتفي بهذا المقدار من السنين وبما سمع فيها.

لقد كانوا مبعدين قد فرق بينهم، فالإمام الجواد عليه السلام في المدينة يعيش وأبوه الإمام الرضا عليه السلام مبعد عنها، وبينهما من المسافة ما تعلم . والإمام المهدي عليه السلام قد اقتضت الظروف أن يكون مغيباً عن الناس قد تولت السماء حفظه ورعايته، ولا يعلم مقدار ما يلتقي بأبيه.

إن الأطروحة التي تعبر عن الأئمة بأنهم رواة حديث كغيرهم أطروحة هزيلة وسطحية إلى أبعد الحدود، لا تعالج الأمر كما هو، ولا تنظر للواقع بعين صحيحة، ولا تتسم بالتكامل في النظرة لأدوار الأئمة ما بين المتطلبات في الواقع المعاش والمستقبلي وبين الاستعدادات والمواهب الإلهية المعطاة لهم .

إن الدور المناط بهم يستدعي عطاءً إلهياً غير عادي يمتازون به، ويستجيب لكل المتطلبات، ويتجاوب مع كل المستجدات .

فهم يسمعون من آبائهم، وسماعهم موصول بجدهم رسول الله عليه السلام، ولهم قنواتهم الخاصة التي يستمدون منها عطاءهم، ويظلون من خلالها على صلة به عليه السلام.

ودونك الأنموذج الواضح لذلك من حياة سيد الشهداء عليه السلام فقد سمع من جده مباشرة، ونقل للناس بعض ما سمع، ولما لحق جده عليه السلام بالرفيق الأعلى لم تنقطع الصلة بينهما كما نص التاريخ على ذلك.

الطريق الأول: طريق عام:

لقد سمع الناس كلام الإمام الحسين عليه السلام وهو يحدث بما سمع من جده عليه السلام أيام حياتهما المباركة .

وإذا ما ذكرنا منه شيئاً فإننا نذكره للتاريخ، وليعلم ما حدث به الحسين

عليه السلام، وليكون دليلاً على تميز الحسين عليه السلام، إذ كان في تلك السن المبكرة يسمع ويعي ما يقال، ويحفظ ما طرق سمعه.

ولا تتوقع ـ أيها القارئ ـ من المحدثين أن يملؤوا لك الصفحات بمروياته عن جده صلى الله عليه وآله فإن دون ذلك ألف حاجز.

خصوصياته في النقل:

يمكن للمسلمين فيما سبق من الزمان أن يسمعوا الأحاديث من الصحابة الذين عاشوا مع الرسول صلى الله عليه وآله، كما يمكنهم أن يستمعوا لها وهي تنحدر من بين أكرم شفتين، ومن سبطه وأقرب الناس إليه.

ولا تحسب أن نقل الإمام الحسين عليه السلام لهذه الروايات يتساوى مع نقل غيره ممن سمع من الرسول صلى الله عليه وآله، فإن الصحابي الذي ينقل للسامعين الرواية فيثقون بما نقل لهم قد لزمتهم الحجة، بما بلغهم عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من أمر بفعل شيء ما أو نهي عن فعل معين.

ولو تكلم هذا الصحابي دون أن يسند الحديث إلى الرسول صلى الله عليه وآله لتساوى كلامه مع كلام سائر خلق الله تعالى؛ فهو لا يمتلك موقعية بين الخلق وخالقهم.

وأما الإمام الحسين عليه السلام فإنه متى تكلم بأمر فقد قامت الحجة على المسلمين بذلك؛ فإنه حجة الله تعالى على الخلق.

وحينما يوشح كلامه بحديث نبوي قد تفوه به جده صلى الله عليه وآله فإنما يبتغي بذلك غاية معينة، ويريد أن يقصد هدفاً من الأهداف، ولن يكون موقفه كموقف سائر الناس الذين لن يكتسب كلامهم صفة الإلزام للمسلمين إلا بإسناد الأمر إلى الرسول صلى الله عليه وآله.

وتتعدد الغايات التي يهدف لها المعصوم عند ذكره لحديث جده رسول الله ﷺ، ومنها أمران، وهما:

أولاً: إقامة الحجة على من يستمع إليه:

حينما يتكلم الإمام الحسين عليه السلام قد لا يكون السامع ممن يعتبره حجة لله عز وجل على الخلق، ويعتقد أن كلامه لا يختلف عن كلام غيره ممن لا يحمل موقعية تجعل كلامه واجب الاتباع.

إن هذا الموقف يستدعي أن يسند الإمام الحسين عليه السلام كلامه إلى جده ﷺ، ليعرف الناس واجبهم الذي فرضه الله عز وجل عليهم.

ثانياً: إتحاف الناس بجوامع الكلم:

إن الرسول ﷺ قد أعطي من قبل الله عز وجل جوامع الكلم[1]، ولألفاظه مميزات خص بها، قد تستدعي من الإمام أن يذكرها بحروفها لا بمعناها ومؤداها[2].

شواهد مما روى:

- قال الحسين عليه السلام: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة. وإن قدم عهدها. فيحدث لها استرجاعاً إلا أحدث الله له عند ذلك، وأعطاه ثواب ما وعد عليها يوم أصيب بها"[3].

إن من حسن المناسبة أن يكون هذا أول حديث يذكره ابن عساكر عن الإمام الحسين عليه السلام، وهو يحدث بحديث جده ﷺ، فيكون محور الحديث حول المصائب التي تحل بالمسلم أو المسلمة، وأنت تعرف العلاقة بين

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/١٢٤.

(٢) راجع المفيد في شرح أصول الفقه: ٢/٦١.

(٣) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام لابن عساكر: ٨.

المصائب وبين سيد الشهداء عليه السلام.

وفي ثنايا هذا الحديث أبواب تتفتح منها الرحمات الإلهية على من حلت به مصيبة ؛ إذ يبقى الباب مفتوحاً أمامه ينتظر منه أن يقول :(إنا لله وإنا إليه راجعون)، ولو بعد أن مضت المصيبة وجرت عليه أذيالها، فما إن يتذكرها ويقر بعدها بأنه مملوك لله عز وجل، وأنه هالك لامحالة؛ بقوله : (إنا لله وإنا إليه راجعون) حتى تسجل له حسنات كن بانتظاره.

. وحدث عليه السلام عن جده صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال:

"المغبون لا مأجور ولا محمود" [1].

وكم في هذا الحديث من الهدي النبوي، والذي ينأى بالمسلم أن يكون ألعوبة بيد غيره، يأخذ منه ماله دون حق.

فقد يتصور متصور أن التساهل وعدم التدقيق في الأخذ والعطاء مع الآخرين أمر يتطلبه الإيمان والزهد في الحياة.

ودونك الموقف العملي لتلاحظ التطبيق لهذا المبدأ:

حدث عن أبي هاشم القناد، قال : كنت أحمل المتاع من البصرة إلى الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فكان يماكسني[2]، فلعلي لا أقوم من عنده حتى يهب عامته .

فقلت : يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أجيئك بالمتاع من البصرة تماكسني فيه، فلعلي لا أقوم من عندك حتى تهب عامته ؟

فقال : إن أبي حدثني . يرفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ أنه قال: "المغبون لا محمود ولا مأجور "[3].

---

(١) ميزان الاعتدال : ٥٨٢/٤.

(٢) المماكسة انتقاص الثمن واستحطاطه ، مجمع البحرين : ٢٢/٤.

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٨٥٨، وتاريخ بغداد : ٤ /٤٠٢، وتاريخ مدينة دمشق: ١١٢/١٤.

وقد رؤي الإمام الصادق عليه السلام واقفاً على قطيع غنم وهو يساوم ويماكس مكاساً شديداً فلما فرغ أقبل على من كان ينظر إليه فقال: أظنكم قد تعجبتم من مكاسي، فقالوا: نعم.

قال: إن المغبون لا محمود ولا مأجور...[1].

إن هذا السلوك كان لافتاً للنظر، فقد جاءه أبو حنيفة فقال له: عجب الناس منك أمس وأنت بعرفة تماكس ببدنك أشد مكاس يكون.

فقال أبو عبدالله عليه السلام: فما لله من الرضا أن أغبن في مالي؟

فقال أبو حنيفة: لا والله، ومالله في هذا من الرضا قليل ولا كثير، وما نجيئك بشيء إلا جئتنا بما لا مخرج لنا منه[2].

ولقد رؤي عبدالله بن جعفر وهو يماكس في درهم. أي يطلب حط الثمن والتنازل عن درهم. فقيل له: تماكس في درهم، وأنت تجود بما تجود به؟

فقال: ذاك مالي جدت به، وهذا عقلي بخلت به[3].

وشتان بين هذه الدعوة وتلك التي تدعو الناس لأن يكونوا تحت أهواء الباعة، يصنعون بهم ما شاؤوا؛ كما قال محمد بن زياد وقد أعطى رجلاً ديناراً، فقال له: اشتر لي به زيتاً، ولا تماكس، فإني أدركت القوم وهم إذ اشترى أحدهم البضاعة لم يماكس في شيء مما يشتريه[4].

وقد أشار الفقهاء إلى استحباب المماكسة إلا في مواضع معينة، كما ورد في وصية النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ياعلي، لا تماكس في أربعة أشياء: في شراء

---

(١) الكافي: ٤ /٤٩٦.
(٢) وسائل الشيعة: ١٠ /١١٨.
(٣) امالي المرتضى: ١ /٢١٧.
(٤) مسند الشاميين: ٢ /٥.

الأضحية والكفن والنسمة والكراء إلى مكة.

ويخصص بعض العلماء هذه الأخبار ببعض المواضع، كما إذا كان البائع مؤمناً.

ولهذا يحملون ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حيث ماكس البائع في الأضحية على كون البائع مخالفاً[١].

الطريق الآخر: طريق خاص:

وهو طريق يصل من خلاله إلى الاتصال بالرسول صلى الله عليه وآله، ولا يحول بينهما موت أحد منهما، بل تبقى العلاقة قائمة حتى بعد ذلك .

إن ما يبلغه الأئمة لا ينحصر فيما بلغه النبي صلى الله عليه وآله للناس، بل يشمل تلك الموارد التي لم يبلغها للأمة.

وإن روايتهم عنه ليست رواية حسية سمعية كما هو المتعارف عند رواة الحديث، بل هي عنعنة نورية، فهم يأخذون من مقامه النوري، ولا يحجبهم عنه الموت [٢].

إنك ستجد الإمام الحسين عليه السلام قد خاطب رسل أهل الكوفة بهذه العبارة: إني رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، وقد أمرني بأمر، وأنا ماضٍ لأمره [٣].

وفي حديثه مع محمد بن الحنفية لما عزم على الخروج، وقد توجه له قائلاً: فما حداك على الخروج عاجلاً ؟

قال: أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله .بعد ما فارقتك .فقال: يا حسين، اخرج ؛ فإن

(١) راجع كتاب الحدائق : ١٨ /٤٨.
(٢) راجع كتاب الإمامة الإلهية : ٣٨٨.
(٣) كتاب الفتوح : ٥ /٢٠.

الله قد شاء أن يراك قتيلاً، فقال محمد بن الحنفية : إنا لله وإنا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النساء معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال ؟

قال : فقال لي عليه السلام: إن الله قد شاء أن يراهن سبايا، فسلم عليه ومضى [1].

إن الملاحظ أن ابن الحنفية كان مستوعباً ومدركاً لما يعنيه كلام الحسين عليه السلام، و يبدو الأمر واضحاً بالنسبة له، ولو لم يكن الأمر هكذا لكان التفاعل مختلفاً، ولو كان هذا الكلام من غير الحسين عليه السلام لكان جوابهم أن هذه رؤيا لا يمكن حملها على وجوب الخروج .

ولا أظن أن النبيه تفوته نقطة مهمة وهي أننا لو ربطنا الخروج العظيم لسيد الشهداء عليه السلام برؤيا لا تحمل بعداً خاصاً فإننا قد حرَّفنا هذه الحركة المعظمة، وحوَّلناها إلى حركة لا تحمل في بواعثها إلا البعد المنبثق عن الرؤيا.

وسنحفظ قدسية الخروج حينما نضع هذه الرؤيا ضمن إطارها الصحيح، والذي يشير إلى وجود علاقة خاصة بين الحسين عليه السلام وجده عليه السلام، وأنها لم تنقطع برحيل رسول الله عليه السلام، وبقيت مستمرة، وما هذه الرؤيا إلا واحدة من القنوات التي تصل من خلالها تعاليم الرسول عليه السلام لسبطه المنتجب، ولهذا فإن الرؤيا ـ بالنسبة للإمام ـ تحمل من القدسية ما يحمله أي أمر كان يصدره رسول الله عليه السلام للمسلمين حال حياته.

ولا يغيب عنك أن مقام الإمام ومهامه وقنوات علمه موارد منسجمة مع كمالاته اللائقة بحضرته.

ودونك هذه الإفادة الموضحة لهذا الأمر أكثر، وهي :

إن الأنبياء والأوصياء والشهداء والأولياء والصلحاء بعد مفارقتهم الدنيا

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤ /٣٦٤ .

بأبدانهم أحياء عند ربهم مرزوقون فاعلون للأعمال الصالحة. وإنما المانع من رؤيتهم ـ عادة ـ حجاب قرره الله تعالى لحكمة لا يعلمها إلا هو، وأهل البصائر من عباده، وربما يظهر صورتهم لمن يشاء الله تعالى [١].

(١) شرح أصول الكافي: ٧ / ١٩٤.

الباب السادس

بين يدي المرتضى (١)

ولما رحل الرسول عليه السلام

وأشاح التاريخ بوجهه عن أهل البيت عليهم السلام بعد أن كانت عينه تراقبهم، وترصد ما قالوه وما قيل فيهم، وراح يتسقط أخباراً لا تزيد القارئ لها إلا سخطاً، فقد حرمته من كنوز علم كان يود أن تفتح خزائنها.

لقد حج الحسنان عليهما السلام خمساً وعشرين حجة، فلم يحفظ التاريخ منها إلا العدد، ولم يصور إلا النجائب وهي تقاد بين أيديهم أو من خلفهم، وهم يمشون على أقدامهم، ولم يذكر إلا شيئاً قليلاً من كلامهم، مع أن التاريخ لو دوَّن تفاصيل تلك الرحلات لكانت زاداً في فقه الحج لا ينضب.

أتراهما عليهما السلام قد سُئلا فما حفظ المدونون قولهما؟! أم أنهما لم يُسألا فقد رغبت الناس عنهما، وما أحبوا أن يسمعوا صوتيهما؟! أم ترى الناس قد أرعبهم الدنو منهما فقنعوا بما عندهم؟!

إن المؤرخين لم يذكروا إلا مواقف قليلة للحسين عليه السلام بعد رحيل جده عليه السلام، وسنختار منها رغم قلتها مواقف تمثل نماذج لحياته المباركة، وتعطي تصوراً واضحاً لما يدور من أحداث في تلك الفترة.

الفصل الأول:

محاولة الاغتيال

ليس مستغرباً لقارئ التاريخ أن تكون هناك محاولات لاغتيال الحسنين عليهما السلام، بل ستعتبر تلك المحاولات حلقة من سلسلة بدأت بمحاولة اغتيال النبي صلى الله عليه وآله، التي لم تقتصر على ما عرفه التاريخ من المحاولات التي كان يتوقعها أبو طالب عليه السلام أيام الحصار في شعبه، وليست محصورة في أيامه المكية، بل كانت ممتدة إلى أيامه المدنية.

وهذه حقيقة تزور منها وجوه قوم من المسلمين، ويتحاشون الحديث عنها، مع أن كتب التاريخ قد امتلأت بذكرها، ويمكنك أن ترجع لما كتبه زيني دحلان في السيرة النبوية[1]، أو تقرأ ما دوّن في السيرة الحلبية[2] وغيرهما من المصادر.

إن تلك اليد التي تربصت بالرسول صلى الله عليه وآله لتنهي أيامه، لم تقطعها سيوف المسلمين، بل بقيت تكيد للإسلام، وتبغي هدمه لبنة لبنة، ولن يكون عجباً لو امتدت لولديه الحسنين عليهما السلام وهما لا يزالان فتيين، تريد أن تفتك بهما[3].

لقد ترشحت هذه الحقيقة التاريخية في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام وهو

---

(١) السيرة النبوية : ٢/٣٣٣.

(٢) السيرة الحلبية :٣/١٢٠.

(٣) راجع موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ١٣٣ ،تحت عنوان: إرادة قتل الحسنين عليهما السلام وعفوهما.

يناجي الله عز وجل، فدفعته لقوله: "اللهم إني أستعديك على قريش؛ فإنهم أضمروا لرسولك عليه السلام ضروباً من الشر والغدر، فعجزوا عنها، وحلت بينهم وبينها، فكانت الوجبة بي، والدائرة علي، اللهم احفظ حسناً وحسيناً، ولا تُمكن فجرة قريش منهما ما دمت حياً، فإذا توفيتني فأنت الرقيب عليهم، وأنت على كل شيء شهيد"[1].

لقد خاف الحباب بن المنذر أن تلي قريش الأمر فتفتك بأبناء الأنصار؛ لأنهم قتلوا رجالاً من قريش على الإسلام، فليت شعري إذا كان هذا حالهم والسيف لم ينل إلا القليل من قريش، فكيف سيكون الأمر مع من قتل سادتها وأفنى أبطالها؟، أليس الموقف أشد خطورة على أمير المؤمنين عليه السلام والجراح أكثر، وغورها أوسع ؟

يقول أبو جعفر يحيى العلوي نقيب البصرة معقباً على هذا الخبر: ومن هذا خاف أيضاً رسول الله عليه السلام على ذريته وأهله، فإنه كان عليه السلام قد وتر الناس، وعلم أنه إن مات وترك ابنته وولدها سوقة ورعية تحت أيدي الولاة كانوا بعرض خطر عظيم، فما زال[2] يقرر لابن عمه قاعدة الأمر بعده؛ حفظاً لدمه ودماء أهل بيته، فإنهم إذا كانوا ولاة الأمر كانت دماؤهم أقرب إلى الصيانة والعصمة مما إذا كانوا سوقة تحت يد والٍ من غيرهم، فلم يساعده القضاء والقدر، وكان من الأمر ما كان، ثم أفضى أمر ذريته فيما بعد إلى ما قد علمت[3].

(١) شرح نهج البلاغة : ٢٠/ ٢٩٨.
(٢) بل كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينص على أمير المؤمنين عليه السلام بأمرٍ من السماء، وإن كان من ثمار تسليم الأمر إليه حفظ دمه ودماء أهل بيته .
(٣) شرح نهج البلاغة : ٢/ ٥٣.

الفصل الثاني:

من شهود فدك

بعدما دارت رحى الإسلام، ودر حلب الأيام، تنكر الزمان، فأصبحت فدك بيد قوم آخرين، بعد أن كانت بيد فاطمة عليها السلام تصنع بها ما تشاء.

وجاءت تطالب بنحلتها التي أعطاها أبوها يوم أوحى الله إليه أن ادفع فدك إلى فاطمة عليها السلام فدعاها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لها: يا فاطمة، إن الله تعالى أمرني أن أدفع إليك فدك.

لقد طالبوها بشاهد يشهد لها بذلك، ولا ينقضي العجب منهم، فكيف طالبوها وفدك تحت يدها؟! ولكن فاطمة عليها السلام سارت معهم لآخر الطريق؛ كي تشهد الأمة تفاصيل الحادثة، فأحضرت الحسن والحسين عليهما السلام وأم أيمن فشهدوا لها بذلك[1].

وشهد أمير المؤمنين عليه السلام وأسماء... ولك من العلم ما يغنيك عن سرد بقية التفاصيل التي آلت بذهابها من يدها.

وقفة تأمل:

بأي مقياس سيقيس القارئ الكريم هذه الشهادة، والتي تفوه بها الحسنان عليهما السلام؟ أتراه سيضع قواعده الفقهية بعيداً عن معتقده ثم يبدي رأيه ؟ أم

---

(١) التهذيب : ٤/ ١٤٨ـ١٤٩.

تراه يبحث عن دلالة المعتقد قبل الخوض في تفاصيل أدلة قبول شهادة الأبناء؟

لقد شهد القرآن الكريم للحسين عليه السلام بالطهارة في آية التطهير، وكل شك في قوله ما هو إلا رد لشهادة الله تعالى في حقه[١].

لقد أوضح القرآن الكريم في آياته الطريقة التي ينبغي أن تسلك في التعامل مع رجال السماء المخلصين، فإن سورة مريم تفصح بأن مريم عليها السلام يوم جاءت بشاهد براءتها كان شاهدها طفلاً صغيراً تحمله على يديها.

وقد قُبلت شهادته لأنها حفت بالقرائن المفيدة للعلم بصحتها وصدقها، وهي قرائن العصمة، إذ نطق بنبوته في صغره.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ ﴾[٢].

وفي موطن آخر تحدث القرآن عن صبي صغير، قد كانت شهادته مثبتةً لنزاهة نبي صديق عند الله، وهو من المخلصين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ ﴾[٣].

لقد قال ابن عباس وسعيد بن جبير عن الشاهد: إنه صبي في المهد، قيل: هو ابن أخت زليخا وهو ابن ثلاثة أشهر، فجعل الله تعالى شهادة الصبي دليلاً على

---

(١) راجع علل الشرائع : ١٩١، فقد احتج أمير المؤمنين عليه السلام بهذه الطريقة في حق السيدة فاطمة عليها السلام.

(٢) سورة مريم : ٢٩-٣٢.

(٣) سورة يوسف : ٢٦.

براءة نبيه يوسف عليه السلام وصدق دعواه في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي...﴾[1].

فقبول شهادة الطفل الصغير على عصمة يوسف وشهادة عيسى بن مريم عليه السلام على عصمة أمه مريم ـ وهما في المهد ـ ثابتٌ بالقرآن الكريم.

وأي معصوم أفضل من العترة الطاهرة عليهم السلام، وقد قال رسول الله: "الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما"[2]، وهذه شهادة بعصمتهما بعد شهادة القرآن الكريم في آية التطهير.

ولقد قبل النبي شهادتهما، بل طلبها منهما في كتابه لثقيف ـ كما تقدم ـ وفي عمل النبي خير دليل وكفاية[3].

---

(١) سورة يوسف : ٢٦.

(٢) مسند الرضا عليه السلام: ٦٣.

(٣) راجع كتاب (فدك) للسيد محمد باقر الجلالي : ٢١١ـ٢١٣.

الفصل الثالث:

الحسين ومنبر جده

لم تكن صورة المنبر النبوي لتتكامل دون أن تصبح الملامح النبوية جزءاً منه، فقد ألفت العين هذا المنظر، ولن تقبل عين الحق دون ذلك إلا بأن يكون قد تسنم ذروته من منزلته منه منزلة الضوء من الضوء.

ولا أظن الأمر غريباً من الإمام الحسين عليه السلام عندما كان يأتي إلى منبر النبوة والإمامة فيعلن أن هذا منبر أبي.

لقد كان هذا المشهد أيام تولي أبي بكر وعمر، وقد روتها كتب المسلمين عامة، ومنهم الخطيب البغدادي وابن عساكر وابن حجر وصاحب كنز العمال، وقد عقب على بعضها الذهبي بقوله: إسناده صحيح[(١)].

الحادثة الأولى:

كان ذلك اليوم يوم الجمعة، حيث يكون أكبر عدد من الحضور متواجداً، وقد تهيأ الحسنان عليهما السلام للجمعة، وسبق الحسين عليه السلام، فانتهى إلى أبي بكر وهو على المنبر، فقال: هذا منبر أبي، لا منبر أبيك. فبكى أبو بكر، وقال: صدقت، هذا منبر أبيك لا منبر أبي.

ودخل علي بن أبي طالب عليه السلام في تلك الحال فقال: ما يبكيك يا أبا بكر؟

---

(١) سير أعلام النبلاء : ٣/ ٢٨٥.

فقال له القوم: قال له الحسين عليه السلام كذا وكذا.

فقال علي عليه السلام: يا أبا بكر، إن الغلام إنما يثغر في سبع سنين، ويحتلم في أربع عشرة سنة، ويستكمل طوله في أربع وعشرين، ويستكمل عقله في ثمان وعشرين سنة، فما كان بعد ذلك فإنما هو بالتجارب[1].

الحادثة الثانية:

لقد جاء الحسين عليه السلام مرة أخرى وعلى المنبر عمر يخطب في الناس، فصعد بقدميه الطاهرتين، وقال له: انزل عن منبر أبي، واذهب إلى منبر أبيك.

قال: من علمك هذا؟!، فقال له الحسين عليه السلام: ما علمني أحد.

قال: منبر أبيك والله، منبر أبيك والله، وهل أنبت الشعر في رؤوسنا إلا أنتم!! لو جعلت تغشانا...

لقد ورد هذا الخبر بهذه المضامين في الإكمال في أسماء الرجال[2]، وفي معرفة الثقات[3]وعلل الدار قطني[4]، وتاريخ بغداد[5] وتاريخ مدينة دمشق[6].

وقد فصل الخبر ابن شبة النميري في تاريخ المدينة فأخبر بأن الحدث كان في يوم جمعة، وعمر على المنبر يخطب، فقام إليه الحسين عليه السلام فقال: انزل عن منبر جدي، فقال له: تأخر يا ابن أخي، وأخذ الحسين بردائه فلم يزل يجبذه[7] ويقول: انزل عن منبر جدي، وتردد عليه حتى قطع خطبته، ونزل عن المنبر،

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٥/١٦٥.

(٢) الإكمال في أسماء الرجال: ٤٤.

(٣) معرفة الثقات: ١/٣٠٢.

(٤) علل الدار قطني: ٢/ ١٢٥.

(٥) تاريخ بغداد: ١/١٥١-١٥٢.

(٦) تاريخ مدينة دمشق: ١٤/١٧٥.

(٧) يجبذه: يجذبه.

وأقام الصلاة، فلما صلى أرسل إلى الحسين عليه السلام، فلما جاءه طرح عليه التساؤل قائلاً: من أمرك بالذي صنعت؟ فأجابه: ما أمرني به أحد.

وكرر عليه السؤال ثلاث مرات، والحسين عليه السلام يجيبه بقوله: ما أمرني به أحد...[(١)].

وفي أمالي الطوسي أن الحسين بن علي عليهما السلام أتى عمر بن الخطاب وهو على المنبر يوم الجمعة فقال له : انزل عن منبر أبي، فبكى عمر، ثم قال: صدقت يا بني، منبر أبيك لا منبر أبي.

فقال علي عليه السلام: ما هو والله عن رأيي، قال: صدقت، والله ما اتهمتك يا أبا الحسن.

ثم نزل عن المنبر فأخذه فأجلسه إلى جانبه على المنبر، فخطب الناس وهو جالس معه على المنبر، ثم قال: أيها الناس، سمعت نبيكم يقول: احفظوني في عترتي وذريتي، فمن حفظني فيهم حفظه الله، ألا لعنة الله على من آذاني فيهم، ثلاثاً[(٢)].

---

(١) تاريخ المدينة : ٣/٧٩٨-٧٩٩، وقد رويت في الاحتجاج بشكل مفصل ومختلف، فمن أراد فليراجعه: ١/ ٢٩٢.

(٢) أمالي الطوسي : ٢/٣١٢.

الفصل الرابع:

عند وداع أبي ذر

وتصرمت أيام كان فيها أبو ذر محفوفاً بالتجلّة والإجلال، قريباً من الوحي والموحى إليه، وجاءته أيام أصبح فيها وقد تحاشت الناس أن تكلمه، وتحامت أن تقول له كلمة وداع تسكن بها خاطره المكلوم من مصير أمة قد عايش همَّ نهضتها منذ البداية، فلما أثمرت رآها تتخبط بغير هدى.

لقد شد أبو ذر محزم السفر إلى الربذة، تحفه تحذيرات تبعد عنه الناس كي لا تودعه، وتابع تنفيذها مروان بن الحكم.

وسار الأمر كما أريد له، إلا من ثلة قليلة هم علي وولداه عليهم السلام وعقيل وعبد الله بن جعفر وعمار، فإنهم خرجوا معه يشيعونه، والأخذ والرد يتبادلهما المودعون ومروان.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ودعوا أخاكم، فإنه لا بد للشاخص من أن يمضي وللمشيع من أن يرجع.

فتكلم الحاضرون حتى نطق الحسين عليه السلام فقال:

يا عماه، إن الله تعالى قادر على أن يغير ما قد ترى والله "كل يوم في شأن" وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك، فما أغناك عما منعوك!! وأحوجهم إلى ما منعتهم!! فاسأل الله الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإن الصبر من الدين والكرم، وإن الجشع لا يقدم رزقاً، والجزع لا يؤخر أجلاً.

فقال أبو ذر: رحمكم الله من أهل بيت، فمالي في الدنيا من شجن غيركم، إني إذا ذكرتكم ذكرت رسول الله عليه السلام [1].

(١) بحار الأنوار : ٤١٢/٢٢، ومحاسن البرقي : ٣٥٤/٢، على اختلاف بين الروايتين في التفاصيل.

الباب السابع

بين يدي المرتضى (٢)

الحسين في لهوات الحرب

ما لا بد من قوله:

لم تكن حياة أمير المؤمنين عليه السلام تسير وفق نمط واحد، بل كانت تمر تارة بمنعطفات صعبة جداً، وأخرى تقل فيها وعورة الطريق.

وكان إلى جانبه في تلك الأحوال كلها ولداه الحسنان عليهما السلام، لا يفارقانه في السلم، ولا يتركانه في الحرب.

ولم تكن صحبتهما له رمزية، بل كانت صحبة قد ألقي فيها حمل ثقيل على عاتقيهما، فنهضا به خير نهوض.

ولعل بعض القراء سبقني فرسم الصورة التي يكثر ذكرها للحسنين عليهما السلام، فتصورهما وهما يحاولان الإقدام على الموت بين يديه وهو يمانعهما، بل يلح في إبعادهما عن مواطن السوء والبلاء، حفظاً لولدي رسول الله صلى الله عليه وآله.

لا يملك أحد القدرة على تكذيب هذا الخبر، ولا يحق له تخطئة القائل به، فقد امتلأت الكتب بتدوينه، وتعددت مصادره[1].

ولكنَّ عتباً خفيفاً أبثه لمن ديدنه الترنم بهذه العبارات، متغافلاً عما لهما من مواقف، فما هذه الرواية التاريخية إلا صورة لمقطع من مقاطع حياتهما، ولا يمكن أن تعمم على كل جزئياتها.

وقد تسألني عن السبب الذي يدعوني لاعتبارها صورة يتيمة في تاريخ

(١) نهج البلاغة : ١٨٦/٢، عمدة الطالب : ٦٦، وغيرهما.

حروب أمير المؤمنين عليه السلام، فأجيبك بأن المصادر التاريخية غنية بالمواقف التي كان فيها الحسنان عليهما السلام قطب رحى المواقف القتالية، وستقف على تلك المشاهد في ثنايا العرض التالي.

إن للحسين عليه السلام حديثاً عند معترك الرماح، وحيث يتهاوى العزم تحت صيحات الأبطال، وتبلغ القلوب الحناجر من هول ما ترى.

ولن تجده في هذه المشاهد قد وقف موقف المتفرج على ما يجري، ولا كان ضنيناً بنفسه على الموت، ولا مانعه أبوه في الخروج للجهاد.

وليسأل القارئ نفسه: أفيكون أبوه ممانعاً له وهو من أمَّره على بعض الجيش؟! أم تراه سيحبسه وهو من دفعه للحرب؟!

لا شك أنك سترى حقيقة مغايرة لما درج عليه الناقلون، وستعرف ذلك بوضوح خلال الوريقات التالية، والتي ستصحبنا إلى حيث صهيل الخيول وتكسر النصول ووقع السلاح على السلاح.

الفصل الأول:

واقعة الجمل

واقعة الجمل بعيدة الأثر في التاريخ الإسلامي، وعميقة الجراح، رغم أنها لم تدم أكثر من يوم واحد، وفق ما يذكره بعض المؤرخين[1]، وقد حددها آخرون بدقة أكثر فقالوا: لم تدم إلا أربع ساعات[2]، وقد حددت هذه الساعات بأنها كانت بين الظهر والمغرب[3].

لقد شهدت البصرة تفاصيلها عام ٣٦ من الهجرة، وكان الإمام الحسين عليه السلام لم يتجاوز عمره الثانية والثلاثين، وقد حشد كل فريق جنداً كثيفاً.

فهناك جمل قد اجتمع حوله ثلاثون ألف مقاتل، وهنا وصي رسول الله عليه السلام قد حف به عشرون ألف مجاهد[4]، وفيهم من وجوه الصحابة ألف وخمس مائة، منهم ثمانون من أهل بدر[5].

ولا شك أن عينيك بدأتا تبحثان عن ريحانة الرسول عليه السلام، وراحت تقلب الصفوف لترى الموقع الذي يحتله بين هؤلاء الأفذاذ ممن مارسوا الحرب سنيناً طويلة، فكان لهم تأريخ في الجهاد.

إنني سأريح جفنيك، وسأدلك بإيماءة نحو الميسرة من الجيش؛ فقد كان الحسين عليه السلام أميرها، وأخوه الحسن المجتبى عليه السلام أمير الميمنة، وقد وقف أمير

---

(١) تاريخ الطبري : ٥٢٢/٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي : ١٨٣/٢.

(٣) أنساب الأشراف : ٣٨/٣.

(٤) تاريخ الطبري : ٥٠٥/٤.

(٥) أمالي الشيخ الطوسي : ٧٢٦.

المؤمنين عليه السلام على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

ودارت رحى الحرب، وزحف علي عليه السلام نحو الجمل بنفسه الشريفة في كتيبته الخضراء من المهاجرين والأنصار، وحوله بنوه حسن وحسين ومحمد عليهم السلام، ودفع الراية إلى محمد، وقال: أقدم بها حتى تركزها في عين الجمل[2].

لقد تساقطت الرجال على تلك الأرض لتكتب تاريخ يومها الأسود؛ إذ وقفت بوجه وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، و على نقيض ذلك فقد تهاوت نجوم من الأبطال لتخط أروع صور الفداء والوقوف بوجه الباطل.

حتى إذا ما آذنت الشمس بالمغيب بدأت تهدأ رحى الحرب، وما وقفت الحرب إلا عند رحيل آخر أشعتها، فكان مع غروبها قد غربت أرواح خمسة وعشرين ألف قتيل[3]، منهم حول الجمل عشرون ألفاً[4].

وأرخى الليل سدوله ليغفو الكون على طي أول محاولة لهدم السلطنة العلوية، وقد رد الله أمير المؤمنين عليه السلام وحوله أصحابه وراية النصر تخفق على رؤوسهم.

يقول الإمام الحسين عليه السلام: ما قدمت راية قوتل تحتها أمير المؤمنين عليه السلام إلا نكسَّها الله تبارك وتعالى، وغلب أصحابها، وانقلبوا صاغرين.

وما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام بسيف ذي الفقار أحداً فنجا.

وكان إذا قاتل قاتل جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وملك الموت بين يديه[5].

(١) دعائم الإسلام: ٣٩٣/١، تاريخ مدينة دمشق: ١٨٧/١٤.
(٢) شرح نهج البلاغة: ٢٥٧/١.
(٣) الجمل: ٤١٩.
(٤) العقد الفريد: ٣٢٤/٢.
(٥) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٧٠٩، وفي أمالي الصدوق: ٤١٤ عن الحسن بن علي.

الفصل الثاني:

يوم صفين

لم يكد جرح يوم الجمل يندمل حتى عاد ينز دماً عبيطاً، وطبول الحرب تقرع، معلنة عودة الشقاق.

ولم تكد السيوف تجف عن علق الدماء حتى عادت تسل ثانية؛ لتصاحب الجيش الزاحف نحو الشام في الخامس من شهر شوال سنة ٣٦ من الهجرة[1].

التعبئة الجماهيرية:

إن الموت مر المذاق، وطعمه لا يستساغ، ولن تقدم عليه النفس مختارة، بل ستساق له سوقاً، إلا من ثلة قلما يجود الزمان بهم.

وستختلف الصورة التي ألفتها البشرية من حب الحياة إذا ما أشرقت أنوار حجج الله فإنها ستكسب تلك النفوس لوناً آخر، وستصاغ صياغة مختلفة إذا ما سمعت صوتاً ممن أنس بالموت، وستلبس ثياب الشجاعة والإقدام إذا رأت مشمراً أمامها من يعتبر ألف ضربة بالسيف أهون من موتة على فراش.

إن من أدرك الحقائق كما هي فراح يرشد الناس نحو سبل الفوز بالجنة يختلف حديثه عن آخر لا يملك إلا زخرفاً من القول، وإن ملوك الحقائق، هم سلاطين القلوب ما لم يحجبها الشيطان عن النور، وما لم يسلم أهلها القياد له، فيعبث بها كيفما يشاء؛ حتى يبيض فيها ويفرخ.

---

(١) مروج الذهب : ٣٨٤/٢.

وإن للكلمة التي تخرج من أفواه العترة الطاهرة أثراً لا يقاس بسواه، فإنك تعلم أن أهل الدنيا يُمنون أصحابهم بدرهم ودينار حاضرين، وأولئك يعدونهم بجنة غائبة عن الأبصار، ومع ذلك ترى الآذان مصغية لهم قد ملَّكت سمعها المتكلم، فراح يبعث فيها الحمية، ويبث فيها النشاط، فعادوا وكأنهم أموات أماطوا عنهم جنادل التراب ؛ ليقوموا أحياءً بعد طول السبات.

إن هذا المشهد هو ما رسمته ريشة التاريخ عندما بدأ فم أمير المؤمنين عليه السلام يفيض بالكلام على الجماهير، وقام ليقتفي أثره ولده الحسن عليه السلام، ثم كان ثالثهم سيد الشهداء عليه السلام.

لقد قام الإمام الحسين عليه السلام بعدهما، فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، وقال:

يا أهل الكوفة، أنتم الأحبة الكرماء، والشعار دون الدثار، فجدوا في إحياء ما دثر بينكم، وتسهيل ما توعر عليكم.

ألا إن الحرب شرها ذريع، وطعمها فظيع، وهي جرع مُستحساة، فمن أخذ لها أهبتها، واستعد لها عدتها، ولم يألم كلومها عند حلولها، فذاك صاحبها، ومن عاجلها قبل أوان فرصتها، واستبصار سعيه فيها، فذاك قمن[1] أن لا ينفع قومه، وأن يهلك نفسه. نسأل الله بقوته أن يدعمكم بالفئة، ثم نزل.

لقد توالت خطب ثلاثة من أهل العصمة، فانظر لمن تلقَّى هذه الكلمات وما صنعت بهم.

يقول نصر مصوراً حالة الناس بعد سماعهم الخطاب: فأجاب علياً عليه السلام إلى المسير جل الناس[2].

(١) أي جدير، راجع الصحاح : ٦/٢١٨٤.
(٢) بحار الأنوار : ٣٢/٤٠٤- ٤٠٦.

وقفة تأمل:

لا شك أن القارئ قد استوقفته العبارات التي استعملها الإمام الحسين عليه السلام في خطابه، ويمكن أن أشير إلى ثلاث منها:

١. المدح والثناء للجمهور:

إن القارئ الكريم قد رأى كلمات الثناء واضحة في خطاب الحسين عليه السلام، فقد خاطب أهل الكوفة بكلمات الود مثل: الأحبة، الكرماء، الشعار...

وهي كلمات تشح بها ألسنة شريحة من الخطباء والمتكلمين، بل ستجد قواميسهم خالية منها، بينما تفيض من ألسنتهم كلمات الملامة والعتاب وقد تصل إلى التقريع.

إنهم يعتبرون ذلك الطريق الوحيد نحو تحريك الساكن من الجماهير، وقد غاب عنهم أنهم قد أضلوا الطريق يوم سلكوا هذا المسلك الوعر، وخاضوا بجماهيرهم لججاً لا تأنس بها النفوس.

فما أجمل أن يقف المتكلم .ويقف معه جمهوره .على ما تحلّى به الجمهور من فضائل، فيعززها في أنفسهم، ويثبت أركانها!! ثم ينطلق بهم من قاعدة المدح نحو ما يريد.

وبين يديك العبارات الحسينية فانظر إليها بعد المدح والثناء وقد راحت تحدو بهم نحو الغاية التي يرمي الوصول إليها، فقال: فجدوا في إحياء ما دثر بينكم...

لقد أمَّنَ الجمهور على كلامه الأول، واستحسنوا المدح لهم، وكأني بهم وقد انحنت رؤوسهم معلنة التصديق لما يقول... ثم انعطف بهم نحو ما يريده منهم، فدفعهم نحو الجهاد دفعاً ليناً، تستهويه النفس ولا تمجه الروح.

٢ـ الكشف عن سنن الحرب:

هناك مجموعة من السنن تحكم الحياة التي نعايشها، والحكيم من أبصرها، وعرف مواطن استغلالها، فوثب راكباً لُجّتها، رابحاً هبوب ريحها، مستريحاً من عناء تسيير أمورها؛ ليخرج غانماً.

وأما المغرور فإنه يأتي الأمور وعيناه لا تبصران الطريق، ولا تدلان المداخل الحسنة، فتراه خاسراً بعيداً عن الغنم والربح.

وإن الحروب لا تشذُّ عن سنن تحكمها كذلك .إلا أن يكون في الأمر إعجاز .وإن صاحب الحرب هو " من أخذ لها أهبتها... "، وأعد لها العدة اللازمة... وعرف أن الجراح أمر لا بد منه فاستسهلها، ولن يفلح من تعجل في أمره، يوم سعى للحرب قبل أخذ الأهبة، وسيكون وبالها عليه وعلى قومه.

٣ـ ربط الجمهور بالله عز وجل:

لقد قال الحسين عليه السلام: نسأل الله بقوته أن يدعمكم بالفئة... إنها عبارة قصيرة ختم بها كلامه؛ ليدع القلوب تترامى في رياض التوسل؛ فتصحر بحاجاتها لله عز وجل، وتظل مرتبطة به، عارفة أن النصر من عنده.

وتأمل في الكلمة الأخيرة، ودقق في الدعم الذي يترقبه الإمام الحسين عليه السلام أتراهُ يُمني هؤلاء ويفتح آفاقهم ليرغبوا في نصر الله عز وجل بفئة من الملائكة؛ فتكون العبارة هكذا: (نسأل الله بعونه أن يدعمكم بالفئة)[1]، وبتحققها تعود الآيات السماوية التي صاحبت يوم بدر، فأنزل الملائكة أعواناً للمسلمين.

أم أن العبارة وردت هكذا: (أن يدعمكم بألفته)[2]؛ فتكون ناظرة للقرآن

---

(١) بحار الأنوار: ٣٢/٤٠٤ـ٤٠٦.

(٢) وقعة صفين: ١١٥.

الكريم إذ أوصى المسلمين في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦ ﴾[1].

أم (بالفيئة)[2] وهو أمر لم تحدد جهته، فهل هو الرجوع للصواب؟ أم للعقل؟ أم للإمام؟ أم غير ذلك؟، إنها أمور لا يمكن القطع بها.

ومروا بكربلاء:

لقد كانت لأمير المؤمنين عليه السلام وقفتان بأرض كربلاء:

أولاهما: عند ذهابه إلى صفين.

والأخرى: بعد رجوعه منها.

وكان له في الوقفتين حديث عن مجريات تنتظرها الأيام، وقد أفصح عنها بالتفصيل.

أ) في الطريق إلى صفين:

إن من حسن التوفيق أن يكون ابن عباس حاضراً تلك اللحظات، والتي كان الحسين عليه السلام حاضراً فيها إلى جوار والده عليه السلام؛ لينقل لنا ما شاهد بالتفصيل، ويعرفنا بما سمع من كلام.

فقد ذكر الحادثة غيره فكان حديثه مقتضباً، يقف عند الخطوط العامة للحادثة ولا يمر بتفاصيلها.

يقول ابن عباس: كنت مع عليّ بن أبي طالب في خروجه إلى صفين، فلمّا نزل بنينوى .وهو شط الفرات .قال بأعلى صوته: يا بن عباس، أتعرف هذا

---

(١) سورة الأنفال : ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) وقعة صفين : ١١٥(الحاشية).

الموضع؟ قلت: نعم. قال: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتّى تبكي كبكائي.

قال: فبكى طويلاً حتّى اخضلّت لحيته، وسالت الدموع على صدره، وبكينا معه، وهو يقول: أوه أوه! مالي ولآل أبي سفيان؟ مالي ولآل حرب! حزب الشيطان، وأولياء الكفر، صبراً أبا عبداللّه، فقد لقي أبوك مثل الّذي تلقى منهم.

ثمّ دعا بماء، فتوضأ وضوء الصلاة، فصلّى ما شاء اللّه أن يصلّي. ثمّ ذكر نحو كلامه الأوّل، إلا أنّه نعس عند انقضاء صلاته ساعة، ثمّ انتبه فقال: يا ابن عباس، فقلت: ها أنا ذا.

قال: ألا أُحدّثك بما رأيت في منامي آنفاً عند رقدتي؟، قلت: نامت عيناك ورأيت خيراً، قال: رأيت كأنّي برجال بيض قد نزلوا من السماء، معهم أعلام بيض، قد تقلّدوا سيوفهم وهي بيض تلمع، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطّة.

ثمّ رأيت كأنّ هذه النخيل وقد ضربت بأغصانها الأرض، وهي تضطرب بدم عبيط، وكأنّي بالحسين سخلي وفرخي وبضعتي، قد غرق فيه، يستغيث فلا يغاث، وكأنّ الرجال البيض الّذين نزلوا من السماء ينادونه، ويقولون: صبراً آل الرسول فإنّكم تُقتلون على أيدي شرار الناس، وهذه الجنّة يا أبا عبداللّه، إليك مشتاقة. ثمّ يعزّونني ويقولون: يا أبا الحسن، أبشر فقد أقرّ اللّه به عينك يوم القيامة، يوم يقوم الناس لربّ العالمين. ثمّ انتبهت هكذا.

والّذي نفسي بيده، لقد حدّثني الصادق المصدّق أبوالقاسم عليه السلام أنّي سأراها في خروجي إلى أهل البغي علينا.

وهذه أرض كربٍ وبلاء يدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً كلّهم من ولدي وولد فاطمة، وإنّها لفي السماوات معروفة، تذكر أرض كرب و بلاء كما تذكر بقعة الحرمين، وبقعة بيت المقدس.

ثمّ قال: يا ابن عباس، اطلب لي حولنا بعر الظباء، فواللّه ما كَذبت ولا كُذبت ولا كذبني قط، وهي مصفرّة، لونها لون الزعفران.

قال ابن عباس: فطلبتها فوجدتها مجتمعة، فناديته: يا أمير المؤمنين، قد أصبتها على الصفة الّتي ، صفتها.

فقال عليّ: صدق اللّه. وصدق رسوله. ثمّ قام يهرول إلينا فحملها وشمّها، فقال: هي، هي، بعينها، أتعلم يا ابن عبّاس ما هذه الأباعر؟

هذه قد شمّها عيسى بن مريم، وقال: هذا الطيب لمكان حشيشها، وتكلّم بكلّ ما قدمناه إلى أن قال: اللهمّ فأبقها أبداً حتّى يشمّها أبوه فتكون له عزاء.

قال: فبقيت إلى يوم الناس هذا، ثمّ قال عليّ: اللهمّ يا ربّ عيسى بن مريم، لا تبارك في قتلته، والحامل عليه، والمعين عليه، والخاذل له. ثمّ بكى طويلاً، فبكينا معه حتّى سقط لوجهه مغشيّاً عليه. ثمّ أفاق وأخذ البعر وصرّه في ردائه، وأمرني أن أصرّها كذلك. ثمّ قال: إذا رأيتها تنفجر دماً عبيطاً فاعلم أنّ أبا عبداللّه قد قُتل بها ودفن.

قال ابن عباس: لقد كنت أحفظها، ولا أحلّها من طرف كمّي، فبينا أنا في البيت نائم وقد خلا عشر المحرم إذ انتبهت فإذا تسيل دماً، فجلست وأنا باكٍ، فقلت: قُتل الحسين، وذلك عند الفجر، فرأيت المدينة كأنّها ضباب، ثمّ طلعت الشمس وكأنّها منكسفة، وكأنّ على الجدران دماً، فسمعت صوتاً يقول وأنا باك:

اصبروا آل الرسول قُتل الفرخ البجول
نزل الروح الأمين ببكاءٍ وعويل

ثمّ بكى وبكيت، ثمّ حدّثت الّذين كانوا مع الحسين، فقالوا: لقد سمعنا ما

سمعت ونحن في المعركة. فكنّا نرى أنّه الخضر عليه السلام[١].

ولم يقتصر بيان أمير المؤمنين عليه السلام لهذه الفاجعة على هذا المقدار، بل تعددت المواقف وتنوعت الكلمات، ودونك شيئاً منها:

* لما انتهى أمير المؤمنين عليه السلام في سيره إلى كربلاء نزل إلى شجرة فصلّى إليها فأخذ تربة من الأرض فشمها ثم قال:

واهاً لك تربة ليقتلن بك قوم يدخلون الجنة بغير حساب[٢].

* لقد كان مسير جيش الحق على ضفاف شاطئ الفرات، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام عدل عن الطريق، ووقف، ووقف حوله الرجال، فقال بيده: هذا موضع رواحلهم ومناخ ركابهم ومهراق دمائهم، بأبي من لا ناصر له في الأرض ولا في السماء إلا الله[٣].

* عن أبي جحيفة قال: جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب، فسأله وأنا أسمع، فقال: حديث حدثتنيه عن علي بن أبي طالب، قال : نعم، بعثني مخنف بن سليم إلى علي فأتيته بكربلاء، فوجدته يشير بيده ويقول: "هاهنا، هاهنا"، فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال:" ثقل لآل محمد ينزل هاهنا، فويل لهم منكم، وويل لكم منهم". فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام، يا أمير المؤمنين؟ قال: "ويل لهم منكم تقتلونهم، وويل لكم منهم: يدخلكم الله بقتلهم النار".

* عن جويرية بن مسهر العبدي: لما رحل علي عليه السلام إلى صفين وقف بطفوف كربلاء ونظر يميناً وشمالاً واستعبر، ثم قال: والله ينزلون هاهنا،

(١) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام : ٢٠٨ـ٢١١.
(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٤/ ٢٢٢، الملاحم والفتن : ٣٣٥.
(٣) أسد الغابة : ٣٢٢/٤.

ويقتلون هاهنا، فلم يعرفوا تأويله إلا وقت قتل الحسين عليه السلام.

* ذكر في الشافي في الأنساب: قال بعض أصحابه: فطلبت ما أعلم به الموضع فما وجدت غير عظم جمل. قال: فوتدته في الموضع فلما قتل الحسين عليه السلام وجدت العظم في مصارع أصحابه[1].

ب) عند العودة من صفين:

١. على مشارف كربلاء:

لقد تحدث نجي الكندي عن رحلته فأخبر بأنه كان مع علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما رجعوا من صفين، وحاذى نينوى نادى علي عليه السلام فقال: اصبر أبا عبد الله بشط الفرات، فالتفت إليه الحسين عليه السلام، فقال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟

قال علي عليه السلام: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وعيناه تدمعان، فقلت: ما بال عينيك تدمعان بأبي وأمي؟ فقال صلى الله عليه وآله: قام من عندي جبرئيل قبيل ساعة، فحدثني: أن الحسين يقتل بشط الفرات، ثم قال: هل لك أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب ثم ناولنيها، فلم أملك عيني أن فاضتا[2].

٢. وهم في كربلاء:

لقد تحدث عن تفاصيل الأمر هرثمة بن أبي مسلم، والذي ظل يتذكرها، ويحدث بها تارة زوجته جرداء بنت سمين[3]، وأخرى يذكرها لغلامه نشيط[4]، ولم ينسَ ذكرها لزائريه.

---

(١) مدينة المعاجز: ١٧١/٢.

(٢) الملاحم والفتن: ٢٣٧.

(٣) أمالي الصدوق: ١٩٩.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٦٥/١، عنه إحقاق الحق: ٢٨٦/٢٧.

لقد كان موقفاً لا ينسى يوم أقبل أمير المؤمنين عليه السلام من صفين فنزل كربلاء، وصلى الفجر بأصحابه بين شجرات ودوحات حرمل، ثم أخذ كفاً من بعر الغزال ففتها في يده، ثم شمها، فالتفت إليهم وقال: يقتل في هذا المكان قوم يدخلون الجنة بغير حساب.

لقد كان تجاوب زوجته جرداء يتناسب مع عمق إيمانها بأمير المؤمنين عليه السلام لما سمعته يقول: وما علمه بالغيب!! فقالت: دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقاً.

وأجابته مرة أخرى لما سمعته يحدث بذلك قومه فقالت ـ وهي في جوف البيت ـ: ما تنكر من هذا؟ هو أعلم بما قال منك.

وبقي هرثمة بعد هذه الحادثة، وتوالت عليه الأيام حتى أدرك شهادة أمير المؤمنين عليه السلام، وجرفته الحياة في منعطفاتها حتى نسي ما تحدث به أمير المؤمنين عليه السلام.

فلما بعث عبيد الله بن زياد بالجيش إلى كربلاء كان هرثمة في الخيل التي بعثها، فلما انتهى إلى كربلاء لمحت عينه شجرة هناك فبدأت ذاكرته تسترجع الذكرى التي شهدها يوم رجع من صفين، وعرف المنزل الذي نزل بهم أمير المؤمنين عليه السلام فيه، والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قاله، فكره مسيره، وأقبل على فرسه حتى وقف على الحسين عليه السلام، فسلم عليه، وحدثه بالذي سمع من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين عليه السلام: معنا أنت أو علينا؟

فقال: يا ابن رسول الله، لا معك ولا عليك. تركت أهلي وولدي وعيالي أخاف عليهم من ابن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: فولِّ هرباً حتى لا ترى لنا مقتلاً، فوالذي نفس محمد بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ـ ولا يغيثنا ـ إلا أدخله الله النار.

قال: فأقبلت في الأرض هارباً حتى خفي علي مقتلهم[١]، وهربت منه السعادة.

شجاعة وفتح:

لقد اقترب الجيش من صفين، وبدأ يستعد لحط الرحال، فدارت غبرة حرب لم تكن بالكثيفة، إذ كانت محاولة للسيطرة على شريعة الفرات.

لقد سبق جيش معاوية إلى المواقع المهمة فاختارها، وكان من بينها شريعة الماء التي أصبحت تحت سيطرتهم وفي قبضتهم، وقد اصطفت عليها الخيل والرجال، وجعلوا الرماة أمامهم، وصفوا صفاً معهم من الرماح والدرق، وكان أميرهم أبا الأعور السلمي، وقد أجمعوا على أن يمنعوا أمير المؤمنين عليه السلام وجيشه الماء.

إنه وضع يستفز الحليم، ويبعث ذا الأناة على تعجل الأمر، وتجشم الصعاب، والأخذ بالرقاب حتى تذعن له، فيسقى الماء، أو يشب بينهم أوار الحرب ... ولكنه ابن أبي طالب الذي ما سبق قوماً بحرب قط، وما طمع يوماً من الدهر في إهراق دم.

لقد أرسل صعصعة بن صوحان صاحب الكلمة والبيان إلى معاوية؛ ليفاوضه في إباحة الماء للجميع، أو أخذ الماء بالقوة.

وأدار معاوية طرفه إلى من حوله متسائلاً، فوجدهم مختلفين فيما بينهم، وإن كانت كفة المصرين على منع الماء قد رجحت، وتعالت أصواتهم[٢].

وبدأ معاوية في تبني الموقف المعادي، فبدأ في تسريب الخيل إلى أبي

---

(١) الخبر متفرق، وقد ذكره في عدة مواطن، وقد جمعته من عدة روايات، ويمكن الرجوع إلى: أمالي الصدوق: ١٩٩، وقعة صفين: ١٤١، شرح الأخبار: ١٣٦/٢، تاريخ مدينة دمشق: ١٩٩/١٤، تهذيب الكمال ٤١٠/٦، وغيرها.

(٢) تاريخ الطبري: ٥٧١/٤.

الأعور السلمي؛ ليكون في موقف قوة عسكرية[١].

واستمر منع الماء يوماً وليلة، وأهل العراق لا يجدون الماء إلا بأن يسير الغلمان مقدار فرسخين، فيحصلوا عليه من طرف الغيطة، حتى غمَّ الموقف أمير المؤمنين عليه السلام، وبدأت الأصوات ترتفع بطلب القتال، وهذه نذر انفلات الصبر منهم.

لم يكن من إرسال الفوارس بد، ولا عنه محيص، وليس هناك باب يطرق إلا باب أخذ الحق بالقوة... فلنقرأ ما يقوله أحد من حضر الواقعة؛ لنرى تفاصيل الأمر.

روي عن عبد الله بن قيس أنه قال:

كنت مع من غزا مع أمير المؤمنين عليه السلام في صفين، وقد أخذ أبو الأعور السلمي[٢] الماء وحرزه عن الناس.

فشكا المسلمون العطش، فأرسل فوارس لكشفه عن الماء، وإبعاده عنه، لكنهم انحرفوا خائبين، فضاق صدره.

فقال له ولده الحسين عليه السلام: أمضي إليه يا أبتاه؟ فقال: امضِ يا ولدي.

فمضى مع فوارس، فهزم أبا أيوب عن الماء، وبنى خيمته، وحطَّ فوارسه، وأتى إلى أبيه وأخبره.

فبكى علي عليه السلام فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين، وهذا أول فتح ببركة الحسين عليه السلام؟

فقال: ذكرت أنه سيقتل عطشاناً بطف كربلاء، حتى ينفر فرسه، ويحمحم،

(١) الكامل في التاريخ: ٢/٣٦٤.

(٢) ورد في حاشية مدينة المعاجز: ١٣٩/٣ التعريف والتعليق التالي: هو عمر بن سفيان ابن عبد شمس، المعروف بأبي الأعور، ولم نرَ في أصحاب التراجم من كناه بأبي أيوب، وكان مع معاوية، وكان من أشد من عنده على أمير المؤمنين عليه السلام، وكان عليه السلام يذكره في قنوت صلاة الغداة، ويدعو عليه.

ويقول: الظليمة، الظليمة، لأمة قتلت ابن بنت نبيها[١].

وهل يخدع ابن أمير المؤمنين عليه السلام؟

لقد جاء رسول إلى الحسين عليه السلام محملاً بدعوة من عبيدالله بن عمر إلى لقائه، لحاجة في نفسه يريد إبلاغها إليه.

فخرج الحسين عليه السلام إليه حتى واقفه، وظن أنه يريد حربه، فقال له عبيدالله ابن عمر: إني لم أدعك إلى الحرب، ولكن اسمع مني، فإنها نصيحة لك، فقال الحسين عليه السلام: قل ما تشاء.

فقال: اعلم أن أباك قد وتر قريشاً، وقد أبغضه الناس، وذكروا أنه هو الذي قتل عثمان، فهل لك أن تخلعه، وتخالف عليه ؟ حتى نوليك هذا الأمر.

فقال الحسين عليه السلام: كلا، والله، لا أكفر بالله وبرسوله وبوصي رسول الله...

وكشف الحسين عليه السلام عن أوراق مستورة لا مجال لذكرها، وصارحه بالحقائق المرة، فعاد ابن عمر خائباً إلى معاوية، يجر وراءه ذيل الخذلان.

فقال لمعاوية: إني أردت خديعة الحسين، وقلت له كذا وكذا، فلم أطمع في خديعته.

فقال معاوية: إن الحسين لا يخدع، وهو ابن أبيه[٢].

ودارت رحى الحرب ...

لقد بدأت الحرب على شكل جماعات تلتقي من الفريقين[٣]، وما وقفت إلا بإطلالة شهر المحرم حيث وقعت الهدنة.

---

(١) بحار الأنوار : ٢٦٦/٤٤.

(٢) الفتوح : ٣/٣٩-٤٠.

(٣) الطبري : ٤/٥٧٤.

وعاد القتال في أول يوم من شهر صفر[١]، واستدام سبعة أيام، ثم كان بعدها القتال الجماعي، وكان أوجها يوم تقدم أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه الشريفة في الحرب، وقد باشرها حاسر الرأس[٢].

ومر علي عليه السلام ومعه بنوه نحو الميسرة وما معه من القبائل إلا ربيعة وحدها، وكان النبل يمر بين عاتقه ومنكبه، وأولاده يتسابقون لفدائه، وإذا ما تقدم أحدهم عليه؛ ليحولوا بين أهل الشام وبينه، أخذ بيده فألقاه بين يديه أو من ورائه.

فبصر به أحمر مولى بني أمية وكان شجاعاً، فقال عليٌّ عليه السلام: ورب الكعبة، قتلني الله إن لم أقتلك، فأقبل نحوه، فخرج إليه كيسان مولى علي عليه السلام فاختلفا ضربتين فقتله أحمر.

وخالط علياً ليضربه بالسيف، فانتهزه علي عليه السلام فوقعت يده في جيب درعه فجذبه عن فرسه، فحمله على عاتقه، فوالله لكأني أنظر إلى رجلي أحمر تختلفان على عنق علي عليه السلام، ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه وعضديه.

وشد ابنا علي : حسين ومحمد، فضرباه بأسيافهما حتى برد، فكأني أنظر إلى علي قائماً، وشبلاه يضربان الرجل حتى إذا أتيا عليه أقبلا على أبيهما، والحسن قائم معه، فقال له علي: يا بني، ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك ؟ فقال: كفياني يا أمير المؤمنين[٣].

---

(١) مروج الذهب : ٢/ ٣٨٧.

(٢) ذخائر العقبى : ١٧٦.

(٣) راجع شرح نهج البلاغة : ١٩٨/٥، وتاريخ الطبري : ١٨/٥.

الفصل الثالث:

يوم النهروان

لم تقع عيناي خلال البحث على دور قام به الإمام الحسين عليه السلام في واقعة النهروان، مع أن غيابه عن مثل هذه الواقعة لا يتوقع حصوله، ولو كان لما أغفله التاريخ، وخصوصاً أنه كان يشغل مناصب كبيرة في الحروب السابقة.

ولو تتبعنا آثار الحسنين عليهما السلام في النهروان لوجدنا ذكرهما صريحاً في الواقعة، ولهذا تعجب من عدم ذكر دورهما في ساحة الحرب.

لقد روي عن أبي جعفر الفراء مولى علي عليه السلام قال: شهدت مع علي النهر، فلما فرغ من قتلهم قال : اطلبوا المخدج، فطلبوه فلم يجدوه، وأمر أن يوضع على كل قتيل قصبة فوجدوه في وهدة في منتقع ماء، رجل أسود منتن الريح، في موضع يده كهيئة الثدي عليه شعرات، فلما نظر إليه قال: صدق الله ورسوله، فسمع أحد ابنيه (أما الحسن أو الحسين) يقول: الحمد لله الذي أراح أمة محمد صلى الله عليه وآله من هذه العصابة.

فقال علي عليه السلام: لو لم يبقَ من أمة محمد إلا ثلاثة لكان أحدهم على رأي هؤلاء، إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء[1].

لقد رأيت ـ عزيزي القارئ ـ راوي الخبر وهو يردد القائل بين واحد من الحسنين عليهما السلام، والذي يشعر بأنهما كانا حاضرين، ولكن لم يعرف الراوي من

(١) شرح إحقاق الحق : ٨/٥٠٧.

المتكلم، ولهذا فقد تحير بينهما.

وسأكتفي فيما يرتبط بهذه الواقعة بما ذكره التاريخ من أحاديث كان للحسين عليه السلام حضور فيها.

* لقد روي عن الإمام الحسين عن الإمام علي عليهما السلام: أنه سئل عن أهل النهروان، أمشركين كانوا؟

قال: من الشرك فروا، فقيل: يا أمير المؤمنين، منافقين كانوا؟

قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، فقيل له: فما هم؟

قال: قوم بغوا علينا فنصرنا الله عليهم[١].

* وقدم أمير المؤمنين عليه السلام من سفره، واستقبله الناس يهنئونه بظفره بالخوارج، ودخل إلى المسجد الأعظم، فصلى فيه ركعتين، ثم صعد المنبر، فخطب خطبة حسنا[٢]، ثم التفت إلى ابنه الحسين عليه السلام فقال:

يا أبا عبد الله، كم بقي من شهرنا هذا ـ يعني شهر رمضان الذي هم فيه ـ؟، فقال سبع عشرة، يا أمير المؤمنين.

قال: فضرب بيده إلى لحيته، وهي يومئذ بيضاء، وقال: والله ليخضبنها بالدم إذ انبعث أشقاها.

قال: ثم جعل يقول:

أريد حياته ويريد قتلي　　　خليلي من عذيري من مراد[٣]

---

(١) موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: ٦/ ٣٠٢.

(٢) وردت الكلمة في المصادر هكذا، مع أن الذي يبدو أنها حسناء أو حسنة.

(٣) كتاب الفتوح: ٤/٢٧٦.

أسئلة في ذيل الوقائع

سأل معاوية الإمام الحسين عليه السلام عن تصرفات لم يستطع فهمها في ممارسات أمير المؤمنين عليه السلام السلوكية، ولا تتفق مع ما تعوده الملوك والسلاطين من فرض الحماية على أنفسهم، فقال له يوماً وقد دخل عليه: ما حمل أباك على أن قتل أهل البصرة ثم دار عشياً في طرقهم في ثوبين؟

فقال عليه السلام: حمله على ذلك علمه أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

قال: صدقت.

قال: وقيل لأمير المؤمنين عليه السلام لما أراد قتال الخوارج: لو احترزت يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام:

أي يومي من الموت أفر يوم ما قدّر أم يوم قُدِر
يوم ما قدّر لا أخشى الرّدى وإذا قدّر لم يغنِ الحذر[1]

---

(١) التوحيد: ٣٧٤ـ٣٧٥.

الباب الثامن

بين يدي المرتضى (٣)

متفرقات تاريخية

النداء الموقر:

لقد كان الحسنان عليهما السلام أمام طودين شامخين، تدرك العين مبتداهما ثم لا تقف على ساحل ترسو عنده لهما، فهذا سيد الأنبياء، وذاك سيد الأوصياء، ولا يمكن أن يتحد النداء لهما بالأبوة، وهما يعرفان أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان بمنزلة الأب لأبيهم علي عليه السلام.

لقد خص الحسنان عليهما السلام جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله بالنداء بالأبوة، فكانا ينادیانه ويقولان : يا أبتا، وإذا ما التفتا إلى علي عليه السلام اختلفا في النداء، وكان لكل واحد منهما شأن خاص.

لقد كان الحسن عليه السلام ينادي علياً عليه السلام فيقول: يا أبا الحسين، وأما الحسين عليه السلام فيقول: يا أبا الحسن.

لقد كان هذا الأدب يمارسانه ما دام الأبوان موجودين، فلما اختار الله تعالى لنبيه دار أنبيائه، وقبضه إليه، راحا يناديان أمير المؤمنين عليه السلام ويقولان: يا أبانا[1].

المؤازرة في الخلافة:

لقد آبت الأمة إلى رشدها بعد طول سباتها، وكان ذلك يوم عرفت طريق خلاصها ومنجاها بعد أن كابدت الويلات، ورأت أقواماً يخضمون مال الله

---

(١) شرح نهج البلاغة : ١/ ١١.

خضمة الإبل نبتة الربيع، ووجدت أكفها خالية إلا من فتات تساقط عليها من بقايا موائد أتخم أصحابها.

لقد أدركوا أن سبيل النجاة لا يكون إلا بأن تمد أكفهم إلى كف أمير المؤمنين عليه السلام فتبايعه، ليأخذ بها إلى جنة العدل التي عاشوها أيام كان رسول الله صلى الله عليه وآله بينهم.

لقد أدركوا ذلك، وعادوا أدراجهم طالبينه، فكان لهم ما تمنوا، وعاد صوت الحق يقرع أسماعهم بعد طول الهجود، فهذا أمير المؤمنين عليه السلام قد خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله، لابساً بردته، منتعلاً نعله، متقلداً سيفه...

إنه تراث رسول الله صلى الله عليه وآله قد أفرغ على وصيه، وقد جاء ليجلس على المنبر الذي حنَّ لسماع صوته، وتعشق هدير بيانه... فجلس عليه متمكناً، ثم شبك بين أصابعه، فوضعها أسفل بطنه قائلاً قولته الشهيرة: يا معشر الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله هذا ما زقنيه رسول الله زقاً زقاً... وأدلى علي عليه السلام بما أراد إبلاغه، ودار بينه وبين الخضر عليه السلام حديث رشحت من جوانبه جواهر العلم، وما أوقف سيله إلا غياب الشخص عن الناس، وأعاد علي عليه السلام الكرة في الكلام، فقال: سلوني قبل أن تفقدوني، فلم يقم إليه أحد، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على نبيه صلى الله عليه وآله، ثم قال للحسن عليه السلام: يا حسن، قم، فاصعد المنبر، فتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسن بن علي لا يحسن شيئاً.

قال الحسن: يا أبت، كيف أصعد، وأتكلم وأنت في الناس تسمع وترى؟! قال له: بأبي وأمي أواري نفسي عنك، وأسمع، وأرى، وأنت لا تراني، فصعد الحسن عليه السلام المنبر، فحمد اللّه بمحامد بليغة شريفة، وصلى على النبيّ صلى الله عليه وآله صلاة موجزة، ثم قال: أيها الناس، سمعت جدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: أنا مدينة العلم وعلي بابها، وهل تدخل المدينة إلا من بابها؟ ثم نزل، فوثب إليه

علي عليه السلام فحمله وضمه إلى صدره.

ثم قال للحسين عليه السلام: يا بنيَّ، قم، فاصعد المنبر، وتكلم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي، فيقولون: إن الحسين بن علي عليه السلام لا يبصر شيئاً، وليكن كلامُك تبعاً لكلام أخيك.

فصعد الحسين عليه السلام، فحمد اللّه، وأثنى عليه، وصلَّى على نبيه صلى الله عليه وآله صلاة موجزة، ثم قال: معاشر الناس، سمعت جدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وهو يقول: إن علياً هو مدينة هدى، فمَن دخلها نجا، ومن تخلف عنها هلك.

فوثب إليه عليٌّ فضمه إلى صدره وقبله، ثم قال: معاشر الناس اشهدوا أنهما فرخا رسول اللّه صلى الله عليه وآله، ووديعته التي استودعنيها، وأنا أستودعكموها، معاشر الناس، ورسول الله صلى الله عليه وآله سائلكم عنهما[١].

الدعاء المستجاب:

تحدثت الروايات عن جدب أصاب قوماً ففزعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام شاكين له ما منعت السماء عنهم من غيثها، طالبين منه أن يرفع كفيه نحو السماء؛ لعلها تجود بما عندها.

لقد استدعى ولديه الحسنين عليهما السلام، ثم التفت إلى ولده الحسن عليه السلام طالباً منه أن يناجي الله عز وجل في حاجتهم، فأجاب طلبه، وأقبل قائلاً:

اللهم هيج لنا السحاب، بفتح الأبواب بماء عباب[٢]، ورباب[٣] بانصباب وانسكاب، يا وهاب، اسقنا مغدقة[٤] مطبقة[٥]، بروقة.

---

(١) التوحيد : ٣٠٧.
(٢) ماء عباب : يسيل سيلاً لكثرته. مجمع البحرين : ٣/١٠٥.
(٣) الرباب : السحاب الأبيض. مجمع البحرين : ٢/ ١٢٩.
(٤) المغدقة : الكثيرة الغزيرة. مجمع البحرين : ٢٨/٢.
(٥) المطبقة : السحابة بعضها على بعض. مجمع البحرين : ٢٨/٢.

فتِّح أغلاقها، ويسِّر أطباقها، وسهِّل إطلاقها، وعجِّل سياقها بالأندية في بطون الأودية بصوب الماء، يا فعال، اسقنا مطراً قطراً، طلاً مطلاً، مطبقاً طبقاً، عاماً معماً، دهماً بهماً رحيماً، رشاً مرشاً، واسعاً كافياً عاجلاً طيباً مريئاً مباركاً، سلاطحاً[١] بلاطحاً[٢]، يناطح الأباطح[٣]، مغدودقاً مطبوبقاً مغرورقاً، واسقِ سهلنا وجبلنا، وبدونا وحضرنا، حتى ترخص به أسعارنا، وتبارك لنا في صاعنا ومدنا، أرنا الرزق موجوداً، والغلاء مفقوداً، آمين رب العالمين.

ثم قال للحسين: ادع.

فقال الحسين: اللهم يا معطي الخيرات من مناهلها، ومنزل الرحمات من معادنها، ومجري البركات على أهلها، منك الغيث المغيث، وأنت الغياث المستغاث، ونحن الخاطئون وأهل الذنوب، وأنت المستغفر الغفار، لا إله إلا أنت، اللهم أرسل السماء علينا لحينها مدراراً، واسقنا الغيث واكفاً مغزاراً، غيثاً مغيثاً، واسعاً متسعاً مهطلاً مريئاً ممرعاً، غدقاً مغدقاً عباباً مجلجلاً، سحاً سحساحاً[٤]، ثجاً ثجاجاً[٥]، سائلاً مسيلاً عاماً ودقاً[٦] مطفاحاً[٧]، يدفع الودق بالودق دفاعاً، ويتلو القطر منه قطراً غير خلب برقه، ولا مكذب وعده، تنعش به الضعيف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك، وتونق به ذرى الآكام من بلادك وتسخو به علينا من مننك، آمين رب العالمين.

فما فرغا من دعائهما حتى صبَّ الله تبارك وتعالى عليهم السماء صباً.

---

(١) السلطح : الضخم. مجمع البحرين : ٢/ ٤٠٠.

(٢) البلطح : الذي يضرب بنفسه الأرض. مجمع البحرين : ٢/ ٤٠٠.

(٣) سلاطحاً بلاطحاً يناطح الأباطح : يريد كثرة الماء وقوته وفيضانه. ن.م.

(٤) مطر سحساح : يسح شديداً. الصحاح : ١/ ٣٧٣.

(٥) مطر ثجاج : إذا انصب جداً. الصحاح : ١/ ٣٠٢.

(٦) الودق : المطر. الصحاح : ٤/ ١٥٦٣.

(٧) طفح : امتلأ وارتفع حتى يفيض. لسان العرب : ٢/ ٥٣٠.

فقيل لسلمان: يا أبا عبد الله، أعلما هذا الدعاء ؟

فقال: ويحكم ! أين أنتم عن حديث رسول الله حيث يقول: إن الله قد أجرى على ألسن أهل بيتي مصابيح الحكمة(١).

وتحدثت رواية أخرى عن مشهد لا يمكن القطع بأنه المشهد السابق، ففيها تفاصيل مختلفة، وهي:

جاء أهل الكوفة إلى علي عليه السلام فشكوا إليه إمساك المطر، وقالوا له: استسق لنا، فقال للحسين عليه السلام: قم، واستسق. فقام، وحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على النبي، وقال : اللهم معطي الخيرات، ومنزل البركات، أرسل السماء علينا مدراراً، واسقنا غيثاً مغزاراً، واسعاً، غدقاً، مجللاً سحاً، سفوحاً ثجاجاً، تنفس به الضعف من عبادك، وتحيي به الميت من بلادك آمين رب العالمين.

فما فرغ عليه السلام من دعائه حتى غاث الله تعالى غيثاً بغتةً، وأقبل أعرابي من بعض نواحي الكوفة فقال: تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض(٢).

في ترصد العدو:

لم يغب عن الحسنين عليهما السلام أن عيون العدو لن تغمض وأبوهما يطأ بقدميه على وجه الأرض، فقد نقل التاريخ أنهما رأيا ابن ملجم يتتبع أمير المؤمنين عليه السلام، فارتفع صوتهما معه، وكان علي عليه السلام قد دخل الحمام فسمع صوتهما قد علا، فقال لهما: ما لكما فداكما أبي وأمي ؟

فقالا: اتبعك هذا الفاجر، فظننا أنه يريد أن يضرك. قال: دعاه، والله ما أطلق إلا له(٣).

---

(١) قرب الإسناد : ١٥٦ـ١٥٨.

(٢) عيون المعجزات : ٥٦.

(٣) بصائر الدرجات : ١٤٠.

ولنا درس من علي عليه السلام:

يحدث الحسين عليه السلام عن حدث شاهده من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام يمثل درساً عميقاً في العلاقات الاجتماعية بين المسلمين.

لقد أصابت العلة الإمام الحسين عليه السلام، فعاده عمرو بن حريث، فدخل عليه علي عليه السلام، فقال له: يا عمرو، تعود الحسين وفي النفس ما فيها؟

وإن ذلك ليس بمانعي من أن أؤدي إليك نصيحة، سمعت رسول الله عليه السلام يقول: ما من عبد مسلم يعود مريضاً إلا صلى عليه سبعون ألف ملك من ساعته التي يعود فيها، إن كان نهاراً حتى تغرب الشمس، أو ليلاً حتى تطلع[1].

طعام ابني الخليفة:

إذا كان البذخ سمة موائد أئمة الجور، فإن الزهد والكفاف سمة لموائد أئمة العدل وأهليهم...

لقد سنحت فرصة لرجل من خثعم بأن يرى الحسن والحسين عليهما السلام وهما يأكلان طعامهما؛ فهاله المنظر، وتعجب مما يرى، لقد أبصر المائدة التي تمتد لولدي من تجبى له الأموال، فكانت خبزاً وبقلاً وخلاً!!

ولم يدع الرجل التعجب يتلجلج في صدره، بل راح يفرغ ما دار في خلده، فقال: أتأكلان من هذا، وفي الرحبة ما فيها ؟ فقالا: ما أغفلك عن أمير المؤمنين عليه السلام[2].

ما أعظمها من إجابة!! خرجت من فم الحسنين عليهما السلام؛ لتكشف عن غاية الأدب والتواضع في الابتعاد عن مدح النفس أو الحديث عن زهدها...

---

(١) دعائم الإسلام : ٢١٨/١.

(٢) بحار الأنوار : ١١٣/٤١.

لقد كان الحسنان عليهما السلام منسجمين مع منهاج أبيهما عليه السلام، ولكنهما لم يشيرا إلى ما حملاه من الزهد في الدنيا، ولم يفصحا عن موقفهما منها، بل تحدثوا عما يجب على الأمة معرفته ونشره، ألا وهو العدل الذي طبقه أمير المؤمنين عليه السلام على نفسه وسائر المرتبطين به.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام معتكفاً في مسجد الكوفة وجاء أعرابي وقت إفطاره، فأخرج علي من الجراب سويق شعير فأعطاه منه شيئاً فلم يأكله الأعرابي، فعقده في طرف عمامته فجاء إلى دار الحسنين عليهما السلام فأكل معهما فقال لهما: رأيت شيخاً غريباً في المسجد لا يجد غير هذا السويق فترحمت عليه فأحمل من هذا الطعام إليه ليأكله فبكيا وقالا: إنه أبونا أمير المؤمنين علي يجاهد نفسه بهذه الرياضة[1].

وبخطه كان دعاء الجوشن:

لقد حظي هذا الدعاء باهتمام بالغ لدى شيعة أهل البيت عليهم السلام بعدما دلوهم على فضله، وعرفوهم عظمته، فتراهم يتلونه في خلواتهم وجلواتهم، ويناجون الله عز وجل بألفاظه الشريفة.

فإذا ما أعدوا عدة الرحيل نحو عالم الآخرة كان دعاء الجوشن في صحبتهم مكتوباً على أكفانهم؛ ليقابلوا الله عز وجل بهذا الدعاء العظيم، يستمطرون رحمته، ويرجون فضله وفيضه، بعدما عرفوا ما تفوه به جبرئيل عليه السلام بوحي من الله لرسوله صلى الله عليه وآله قال فيه: ومن كتبه على كفنه استحى الله أن يعذبه بالنار[2].

ولا تحسب الأمر وقف عند الحث بالقول على ذلك، بل اسمع ما روي عن

(١) ينابيع المودة : ١٧٤.
(٢) مستدرك الوسائل : ٢/٢٣٢.

الحسين عليه السلام أنه قال: أوصاني أبي عليه السلام بحفظ هذا الدعاء، وتعظيمه، وأن أكتبه على كفنه، وأن أعلمه أهلي وأحثهم عليه، وهو ألف اسم واسم[١]، فعمل الحسين عليه السلام كما أوصاه أبوه، فقد قال: فعملت كما أمرني أبي[٢].

لقد كان هذا الدعاء مما حبا به أمير المؤمنين عليه السلام ولده، فقد قال الحسين عليه السلام: قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: يا بني، ألا أعلمك سراً من أسرار الله عز وجل، علمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان من أسراره لم يطلع عليه أحد؟ قلت: بلى، يا أباه، جعلت فداك.

قال: نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله الروح الأمين جبرئيل عليه السلام في يوم الأحد يوم أُحد، وكان يوم مهول شديد الحر، وكان على النبي صلى الله عليه وآله جوشن لا يقدر حمله لشدة الحر وحرارة الجوشن.

قال النبي صلى الله عليه وآله: فرفعت رأسي نحو السماء فدعوت الله تعالى، فرأيت أبواب السماء قد فتحت، ونزل الطواف بالنور جبرئيل عليه السلام، وقال لي: السلام عليك يا رسول الله، فقلت: عليك السلام يا أخي جبرئيل.

فقال: العلي الأعلى يقرؤك السلام، ويخصك بالتحية والإكرام، ويقول لك: اخلع هذا الجوشن، واقرأ هذا الدعاء، فإذا قرأته وحملته، فهو مثل الجوشن الذي على جسدك[٣]... ثم ذكر فضل الدعاء.

البكاء المستمر:

قال الحسين عليه السلام: ما دخلت على أبي قط إلا وجدته باكياً[٤].

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣١/٧٨.

(٢) مستدرك الوسائل: ٢٣٤/٢.

(٣) مهج الدعوات: ٢٢٧.

(٤) مستدرك الوسائل: ٢٤٥/١١.

مع أبيه في أيامه الأخيرة

وعقدت الراية للحسين عليه السلام:

تحدث نوف البكالي عن مشهد تتخشع النفس وهي تمر بتفاصيله، فترتسم صورة لو رامت الزهادة أن ترسم ملامح الزهد لكانت دونها، وزاد في الأمر إشراقة ما أفاضه أمير المؤمنين عليه السلام من فمه المبارك. فلعمر الهدى ما برق لعيوننا كلمع هذه الكلمات، ولا طرق أسماعنا مثل هذا البيان...

قال نوف: خطبنا هذه الخطبة بالكوفة أمير المؤمنين علي عليه السلام بالكوفة، وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي، وعليه مدرعة من صوف، وحمائل سيفه ليف، وفي رجليه نعلان من ليف، وكأن جبينه ثفنة بعير ... ثم انحدر في بيانه بما لم يسمع الدهر مثله، ولا جرى من لسان متفوه ككلماته، ولست أوفيها حقاً، ولو أطلت عندها الوقوف، فعند مثلها تحير الكلمات، إذ ربها بالباب قد هدرت شقشقته.

لقد أبدى فيها تحسره، فقال:

أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟

أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟

قال:

ثم ضرب بيده على لحيته الشريفة الكريمة، فأطال البكاء، ثم قال عليه السلام: أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه، ثم نادى بأعلى صوته: الجهاد، الجهاد، عباد الله، ألا وإني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج.

قال نوف: وعقد للحسين عليه السلام في عشرة آلاف، ولقيس بن سعد في عشرة آلاف، ولأبي أيوب الأنصاري في عشرة آلاف، ولغيرهم على أعداد أخر. وهو يريد الرجعة إلى صفين، فما دارت الجمعة حتى ضربه الملعون ابن ملجم، لعنه الله، فتراجعت العساكر، فكنا كأغنام فقدت راعيها، تختطفها الذئاب من كل مكان[١].

ويفطر ليلة عند الحسين عليه السلام:

لقد كانت عادة أمير المؤمنين عليه السلام في شهر رمضان أن يتعشى ليلة من كل ثلاث ليال عند الحسين عليه السلام، وفي الليلتين الأخريين يتعشى عند الحسن عليه السلام وعبد الله بن جعفر[٢].

حديث ليلة الجرح:

روي عن الإمام الحسين عليه السلام أنه قال: قال لي علي عليه السلام:

سنح لي الليلة رسول الله صلى الله عليه وآله في منامي، فقلت: يا رسول الله، ما لقيت من أمتك من الأود واللدد؟، قال: ادعُ عليهم.

قلت: اللهم أبدلني بهم من هو خير لي منهم، وأبدلهم بي من هو شر مني، فخرج فضربه الرجل[٣].

وأوصى علي الحسنين عليهما السلام:

لقد حدث بهذا الخبر الإمام الحسين عليه السلام، ونقله إلى أسماع الناس، فقد قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أوصيكما وصية فلا تظهرا على أمري أحداً،

---

(١) نهج البلاغة : ١٠٣- ١١٠.

(٢) الإرشاد : ١٤/١.

(٣) أسد الغابة : ٣٦/٤، وفي آخرها كذا في هذه الرواية الحسين بن علي، وإنما هو الحسن.

فأمرهما أن يستخرجا من الزاوية اليمنى لوحاً، وأن يكفناه فيما يجدان، فإذا غسلاه وضعاه على ذلك اللوح، وإذا وجدا السرير يشال مقدمه يشيلان مؤخره، وأن يصلي الحسن مرة والحسين مرة صلاة إمام[1]...

وأوصى علي عليه السلام بالحسين:

لقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام ولده الحسن عليه السلام، فقال له ضمن وصاياه: وأوصيك بأخيك محمد خيراً، فإنه شقيقك، وابن أبيك، وقد تعلم حبي له.

وأما أخوك الحسين، فهو ابن أمك، ولا أزيد الوصاة بذلك، والله الخليفة عليكم[2]...

الغسل والكفن:

لقد خاطب الحسين عليه السلام أخاه الحسن عليه السلام وقت الغسل فقال:

أما ترى إلى خفة أمير المؤمنين؟

فقال الحسن عليه السلام: يا أبا عبد الله، إن معنا قوماً يعينوننا.

وأصابا الكفن في دهليز الدار موضوعاً فيه حنوط قد أضاء نوره على نور النهار[3].

ودفنوا علياً عليه السلام:

لقد ارتفعت ضجة من الكوفة لفقد أمير المؤمنين عليه السلام، وخرجت النساء لاطمات فمنعهن الحسن عليه السلام، ونهاهن عن البكاء والعويل، وردهن إلى أماكنهن، والحسين عليه السلام يقول:

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٢/٣٤٨.

(٢) أمالي الشيخ المفيد : ٢٢٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٢/٣٤٨.

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون، يا أباه، وانقطاع ظهراه، من أجلك تعلمت البكاء، إلى الله المشتكى[(١)].

ويفصل الإمام الحسين عليه السلام الأمر فيقول:

فلما قضينا صلاة العشاء الآخرة إذا قد شيل مقدم السرير، ولم يزل نتبعه إلى أن وردنا إلى الغري، فأتينا إلى قبر على ما وصف أمير المؤمنين عليه السلام، ونحن نسمع خفق أجنحة كثيرة وضجة وجلبة، فوضعنا السرير، وصلينا على أمير المؤمنين عليه السلام كما وصف لنا، ونزلنا قبره، فأضجعناه في لحده، ونضدنا عليه اللبن[(٢)].

لقد سُئل الحسين عليه السلام عن مدفن أبيه، فقيل له: أين دفنتم أمير المؤمنين عليه السلام؟

قال: خرجنا به ليلاً على مسجد الأشعث، حتى خرجنا به إلى الظهر بجنب الغري، فدفناه هناك[(٣)].

وقفة تامل:

هناك سؤال تصنعه الروايات باختلافها عند حديثها عن الحسين عليه السلام في مجريات أحداث شهادة أبيه. وليس التساؤل عن حضوره في الوصية أو الدفن، وإنما يدور الاختلاف حول وجوده ليلة التاسع عشر إلى جوار والده.

وستجد في الإجابة على التساؤل رأيين، وهما:

الرأي الأول:

ويتبنى أصحابه القول بأن الحسين عليه السلام لم يكن حاضراً ليلة التاسع عشر بجوار أبيه، فقد نقل المؤرخون أن أمير المؤمنين عليه السلام قد عقد له على رأس

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩٥/٤٢.
(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣٤٨/٢.
(٣) الإرشاد: ٢٥/١.

عشرة آلاف. كما تقدم. وتحدد الروايات مكانه بأنه كان في المدائن.

فقد نصت رواية الكافي[1] على ذلك، إذ روي: لما أصيب أمير المؤمنين عليه السلام نعى الحسن إلى الحسين عليهما السلام وهو بالمدائن، فلما قرأ الكتاب قال: يا لها من مصيبة ما أعظمها مع أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي فإنه لن يصاب بمصيبة أعظم منها، وصدق صلى الله عليه وآله.

الرأي الثاني:

وهو يتبنى حضوره. ولعله هو الرأي الذي ألفته الذاكرة الشعبية لكثرة ما يتلى على المنابر.

ويستندون في ذلك إلى عدة روايات، ومنها:

١. ما يذكر أن علياً عليه السلام قد قص رؤياه رسول الله والشكاية إليه على ولده الحسين عليه السلام نهار يوم الثامن عشر كما تقدم، وهذا يعني حضور الحسين عليه السلام بجوار والده ليلة التاسع عشر.

ولكن لو تأملنا في المصادر فإننا سنجدها تذكر أن الذي قص عليه أمير المؤمنين عليه السلام رؤياه إنما هو الإمام الحسن عليه السلام.

٢. روي في بحار الأنوار[2]: أن أم كلثوم جاءت لأخويها فأيقظتهما، ولفظ الرواية هكذا: ثم أقبلت إلى أخويها الحسن والحسين عليهما السلام فأيقظتهما، وقالت لهما: لقد قتل أبوكما، فقاما يبكيان...

ولا أرى فائدة كبيرة في تحديد الأمر، فإن مجال الاختلاف بسيط، ولا يترتب عليه أثر ذو بال.

---

(١) الكافي: ٣/٢٢٠.

(٢) بحار الأنوار: ٤٢/٢٨٢.

كرامات وآيات

الأولى :

عند نخل العجوة في المدينة المنورة كانت آية من آيات ريحانتي رسول الله ﷺ، فقد أتيا ليقضي كل منهما حاجته فضرب الله عز وجل بينهما جداراً استترا به، وقد أنبع لهما عين ماء وحباهما إجانتين للوضوء.

ولما أقبلا نحو منزلهما قال الحسين للحسن عليهما السلام: سمعت جدي يقول: إنما مثلكما مثل يونس إذ أخرجه الله من بطن الحوت، وألقاه بظهر الأرض، وأنبت عليه شجرة من يقطين، وأخرج له عيناً من تحتها، فكان يأكل من اليقطين، ويشرب من ماء العين.

وسمعت جدي يقول : أما العين فلكم، وأما اليقطين فأنتم عنه أغنياء، وقد قال الله في يونس: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾[1].

ولسنا نحتاج إلى اليقطين، ولكن علم الله حاجتنا إلى العين فأخرجها لنا، وسنرسل إلى أكثر من ذلك، فيكفرون ويمتعون إلى حين.

قال الحسن عليه السلام: قد سمعت هذا[2].

الثانية:

لقد تحدث بهذه الكرامة مولى أمير المؤمنين عليه السلام واسمه نجاد، وهي

---

(١) سورة الصافات : ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) الخرائج والجرائح : ٨٤٥/٢ ـ ٨٤٧، بحار الأنوار : ٢٧٣/٤٣ـ٢٧٥.

كرامة كان شاهدها وقد رواها للإمام الباقر عليه السلام، فقال: رأيت أمير المؤمنين صلوات الله عليه يرمي نصالاً، ورأيت الملائكة يردون عليه أسهمه، فعميت، فذهبت إلى مولاي الحسين بن علي صلوات الله عليهما، فشكوت ذلك إليه.

فقال: لعلك رأيت الملائكة ترد على أمير المؤمنين أسهمه؟

فقلت: أجل. فمسح بيده على عيني فرجعت بصيراً بقوة الله تعالى[1].

الثالثة:

لقد جرت هذه الكرامة لأمير المؤمنين عليه السلام بمحضر ولده الحسين عليه السلام، فقد قال:

كنت مع أبي على شاطئ الفرات، فنزع قميصه، وغاص في الماء، فجاء موج فأخذ القميص، فخرج أمير المؤمنين عليه السلام وإذا بهاتف يهتف: يا أمير المؤمنين، خذ ما عن يمينك، فإذا منديل فيه قميص ملفوف، فأخذ القميص ولبسه، فسقطت من جيبه رقعة مكتوب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هدية من الله العزيز الحكيم إلى علي ابن أبي طالب، هذا قميص هارون بن عمران ﴿ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ [2] ﴾[3].

الرابعة:

قال الحسين عليه السلام: كنا قعوداً ذات يوم عند أمير المؤمنين عليه السلام، وهناك شجرة رمان يابسة، إذ دخل عليه نفر من مبغضيه، وعنده قوم من محبيه،

(١) الثاقب في المناقب : ٣٤٤.
(٢) سورة الدخان : ٢٨.
(٣) الثاقب في المناقب : ٢٧٣.

فسلموا فأمرهم بالجلوس.

فقال علي عليه السلام: إني أريكم هذا اليوم آية تكون فيكم كمثل المائدة في بني إسرائيل، إذ يقول الله: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾[1].

ثم قال: انظروا إلى الشجرة .وكانت يابسة .وإذا هي قد جرى الماء في عودها، ثم اخضرت وأورقت وعقدت وتدلى حملها على رؤوسنا، ثم التفت إلينا فقال للقوم الذين هم محبوه: مدُّوا أيديكم، وتناولوا، وكلوا.

فقلنا: بسم الله الرحمن الرحيم، وتناولنا وأكلنا رماناً لم نأكل قط شيئاً أعذب منه وأطيب.

ثم قال للنفر الذين هم مبغضوه: مدُّوا أيديكم، وتناولوا، فمدوا أيديهم، فارتفعت، وكلما مد رجل منهم يده إلى رمانة ارتفعت، فلم يتناولوا شيئاً.

فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما بال إخواننا مدوا أيديهم وتناولوا وأكلوا، ومددنا أيدينا فلم ننل؟

فقال عليه السلام: وكذلك الجنة لا ينالها إلا أولياؤنا ومحبونا، ولا يبعد منها إلا أعداؤنا ومبغضونا.

فلما خرجوا قالوا: هذا من سحر علي بن أبي طالب قليل.

قال سلمان: ماذا تقولون: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾﴾[2][3].

---

(١) سورة المائدة : ١١٥.

(٢) سورة الطور : ١٥.

(٣) الخرائج والجرائح : ٢١٩/١.

الباب التاسع

عبق الرياحين

الفصل الأول:

العلاقة بين الحسنين عليهما السلام

لقد رسمت الروايات صورة العلاقة بين الحسنين عليهما السلام بدقة متناهية، وأوقفتنا على تفاصيلها.

لقد كانت علاقتهما مبنية على منتهى الإجلال لصاحب شرف الإمامة، ولا يمكن أن توفي كلماتي بإيضاح هذه الحقيقة كما رسمتها كلمة الإمام الباقر عليه السلام: ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له[1].

وفي رواية أخرى قال أبو جعفر عليه السلام: وإن الحسين كان إذا حضر الحسن لم ينطق في ذلك المجلس حتى يقوم[2].

ويمكن أن نقرأ هذا الإعظام في الأحداث التي مرت بهما، فقد روي أن امرأة جميلة دخلت على الإمام الحسن عليه السلام، وهو في صلاته، فأوجز في صلاته، ثم قال لها: ألك حاجة؟ قالت: نعم.

قال: وما هي؟ قالت: قم، فأصب مني، فإني وفدت ولا بعل لي .

قال: إليك عني، لا تحرقيني بالنار ونفسك! فجعلت تراوده عن نفسه، وهو يبكي ويقول: ويحك! إليك عني.

واشتد بكاؤه، فلما رأت ذلك بكت لبكائه! فدخل الحسين ورآهما يبكيان،

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ١٦٩/٣.

(٢) الكافي : ٢٩١/١.

فجلس يبكي، وجعل أصحابه يأتون ويجلسون ويبكون حتى كثر البكاء وعلت الأصوات، فخرجت الأعرابية، وقام القوم وترحلوا.

ولبث الحسين بعد ذلك دهراً لا يسأل أخاه عن ذلك إجلالاً، فبينما الحسن ذات ليلة نائماً إذ استيقظ وهو يبكي، فقال له الحسين: ما شأنك؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة، قال: وما هي؟ قال: لا تخبر أحداً ما دمت حياً ؟ قال: نعم .

قال: رأيت يوسف، فجئت أنظر إليه فيمن نظر، فلما رأيت حسنه بكيت، فنظر إلي في الناس فقال: ما يبكيك يا أخي، بأبي أنت وأمي؟!

فقلت: ذكرت يوسف وامرأة العزيز، وما ابتليت به من أمرها، وما لقيت من السجن، وحرقة الشيخ يعقوب، فبكيت من ذلك، وكنت أتعجب منه. فقال يوسف: فهلا تعجبت مما فيه المرأة البدوية بالأبواء[1].

منهجهما في الحلم

لقد تحدث التاريخ عن الحلم الذي حمله الإمام الحسين عليه السلام فأبان عن عدم تقاصره عن حلم أخيه عليه السلام.

وإذا ما وُجد اختلاف في نظر المتتبع لقصص الحلم عندهما، فهو راجع لكثرة المواقف التي استدعت الحلم في زمان الحسن عليه السلام، بينما كان نصيبها أقل في عهد الحسين عليه السلام.

إن اعتقادنا يسوقنا إلى القول بأن الكمال كان في الشخصيتين متوفراً، ولكن الظروف هي التي تستدعي بروز صفة كمالية في عهد إمام دون غيره.

لقد كان الحسن عليه السلام شجاعاً، رأيناه في لهوات الحروب يخوض غمارها غير مستنكف ولا خائف.

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣/١٨٠ـ١٨١.

فلما استدعت الظروف أن يسود الحلم أجواءه كان الحلم سيد المواقف فبرزت الصفة بشكلها الملحوظ.

إن هذا الاعتقاد من شأنه أن يستدعي من القارئ أن لا يسمح لترهات التاريخ أن تمر دون أن يحاكمها، فإن المؤرخين قد رسموا الحسين عليه السلام شخصاً بعيداً كل البعد عن الحلم، وقد بلغت به الشجاعة إلى درجة التهور.

بينما راحوا يرسمون الإمام الحسن عليه السلام في صورة الحليم الذي بلغ به الأمر إلى درجة الخنوع أمام الولاة، ولك أن تقرأ ما كتبه المؤرخون عنه، فهو رجل سكيت[1] ويخاطبه الحسين عليه السلام " تسمع هذا يسب أباك فلا تقول له شيئاً"[2].

ولعمري لئن حمل الحسين عليه السلام من الجرأة ما تتصاغر عندها الشاهقات، فإن الحسن عليه السلام قد حمل من قوة البيان ما أفصح عن عظيم المقدرة عنده، وقد سجلت كتب التاريخ محاوراته التي ما لان فيها أمام بقية أهل النفاق.

ولك أن تتأمل في هذه العبارة التي تُقيم الفضائل فيهما، والتي تتهاوى بعدها كل المخاريق التي جاؤوا بها، فلقد قال الحسين عليه السلام يوماً لأخيه الحسن عليه السلام: يا حسن، وددت أن لسانك لي وقلبي لك[3].

وهي عبارة تصف ما حمله الإمام الحسن عليه السلام من عظيم البيان حتى قال له الحسين عليه السلام: خذ قلبي وهو أعز ما عندي، وأعطني هذه النعمة العظيمة.

وإنني سأجنبك الوقوف على تلك الروايات التي ظن فريق من الناس أنها معبرة عن الغيرة الحسينية، وما التفتوا إلى أنها تخدش في مقام الحسن عليه السلام، ولا تتناسب مع ما نقله التاريخ عنه، وما صرحت به هذه الرواية.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١١٣/١٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ١٩/٤.

(٣) كشف الغمة : ٣١/٢.

اختلاف السلوك لاختلاف الموقف

حينما يأتي الإمام بكل المستحبات فلا يستثني منها شيئاً، ويتكرر منه ذلك المشهد رغم تعدد المواقف، يظن الرائي أنها من الواجبات التي لا مجال لتركها، ولهذا ستجد من الأئمة من يترك مستحباً فتعجب من ذلك، ولكنك لو عرفت الغاية لزال تعجبك، فإنه يريد أن يعرف شيعته أنه أمر ليس بالواجب، ويمكن لمن أراد التخلي عنه أن يتخلى.

إن المعصوم يعيش أعلى درجات القرب من الله تبارك وتعالى بتركه لذلك المستحب، فإنه كان يقوم بدور شرعي كبير جداً، وهو كشفه لحكم شرعي سيلتبس فهمه على أجيال من المسلمين.

وكذلك قد يستدعي تبيان الأحكام للناس أن يسلك الحسنان عليهما السلام مسلكين مختلفين في موقف متشابه.

لقد جاء رجل اسمه مسروق يوم عرفة فدخل على الإمام الحسين عليه السلام فرأى أقداح السويق بين يديه وبين يدي أصحابه، والمصاحف في حجورهم، وهم ينتظرون الإفطار، فقد كان القوم صائمين، فسأله عن مسألة فأجابه.

وخرج مسروق فدخل على الحسن عليه السلام فوجد الناس يدخلون على موائد موضوعة عليها طعام عتيد، فيأكلون ويحملون.

لقد أخذ هذا المشهد منه مأخذه، وتغير الرجل مما رأى، حتى رأى الإمام الحسن تغيره، فقال: يا مسروق، لم لا تأكل؟ فقال: يا سيدي، أنا صائم، وأنا أذكر شيئاً، فقال: اذكر ما بدا لك ؟ فقال: أعوذ بالله أن تكونوا مختلفين، دخلت على الحسين، فرأيته ينتظر الإفطار، ودخلت عليك وأنت على هذه الصفة والحال!!

فضمه إلى صدره، وقال: يا ابن الأشرس، أما علمت أن الله تعالى ندبنا

لسياسة الأمة، ولو اجتمعنا على شيء ما وسعكم غيره، إني أفطرت لمفطركم، وصام أخي لصوامكم[١].

لم يكن هذا المشهد فريداً فيما نقله الراوون، فقد جاء رجل كذلك من أهل مصر إلى الحسن والحسين عليهما السلام يوم عرفة، فسألهما عن صيام يوم عرفة، فوجد الحسين صائماً، ووجد الحسن مفطراً، وقد عقبا على هذا الموقف بقولهما: كل ذلك حسن[٢].

ولاشك أن الموقعية هي التي استدعت من الإمام الحسن عليه السلام أن يفطر في يوم عرفة، ولو كان الإمام الحسين عليه السلام في موقعيته لأفطر كما أفطر أخوه.

إنهما حاملان لصفات مشتركة، وإنما تستدعي المواقف بروز صفة دون أخرى، وهذا أمر نكرره دائماً في كل مواقفهما التي يرى فيها الاختلاف.

ولا تحسب أنه قول نظري لا يستمد أسسه من الواقع الذي عاشه الحسنان عليهما السلام، ودونك الشاهد على ما ذكرناه، فإنك قد رأيت موقف الحسين عليه السلام يوم عرفة، وعرفت أنه كان صائماً يوم كان أخوه إماماً له ولكل الخلائق.

ولكن ما إن تسلم زمام الأمر حتى اختلف التعامل مع الموقف ذاته، فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام وحده، وأوصى علي عليه السلام إلى الحسن والحسين عليهما السلام جميعاً، وكان الحسن عليه السلام إمامه، فدخل رجل يوم عرفة على الحسن عليه السلام وهو يتغدى والحسين عليه السلام صائم، ثم جاء بعد ما قبض الحسن عليه السلام فدخل على الحسين عليه السلام يوم عرفة وهو يتغدى وعلي بن الحسين عليهما السلام صائم، فقال له

---

(١) مستدرك الوسائل : ٥٢٨/٧.

(٢) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد : ٣٨.

الرجل: إني دخلت على الحسن عليه السلام وهو يتغدى وأنت صائم، ثم دخلت عليك وأنت مفطر!

فقال: إن الحسن عليه السلام كان إماماً فأفطر؛ لئلا يتخذ صومه سنة، وليتأسى به الناس، فلما أن قبض كنت أنا الإمام، فأردت أن لا يتخذ صومي سنة؛ فيتأسى الناس بي[1].

الحسين في ركب الحسن

إمامان...سبطان...ريحانتان ...شهيدان وغير هذه الصفات قد اشتركا فيها، وحسبك الروايات التي تحدث فيها رسول الله صلى الله عليه وآله عنهما فكان يقول: "الحسن والحسين" ثم يذكر فضلهما وجليل شأنهما.

لقد رآهما التاريخ بعد ذلك يسيران في طريق واحد، وإن اختلفت الظروف وتقلبت بهما الأحوال.

لقد كانا يوم بيعة أبيهما حاضرين وناصرين، ولما زحمته الأيام بحروبها وقتالها كانا قائدي حرب.

وهاهما يواصلان الطريق على المنوال ذاته، لا يحيدان عن اتفاق الرأي ووحدة الرؤية طرفة عين.

إن من لم يعانق روحه الاعتقاد بالإمامة لا يعرف هذه القاعدة، ولا ينصاع لها، فهو يظن أن هذين السبطين سيحكمهما مزاجهما الخاص في تحديد الموقف تجاه الأحداث التي تلم بهما.

لقد عُرف الإمام الحسن عليه السلام بالمهادنة التي أمضاها مع معاوية، وتناست ذاكرة العامة من الناس مواقفه الجهادية وما كان يقوم به أيام استعار الحروب،

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٨٧/٢.

ولم يُلتفت إلى قوله عليه السلام: إني أرى الناس يقولون: إن الحسن بن علي بايع معاوية طائعاً غير مكره، وأيم الله ما فعلت حتى خذلني أهل العراق، ولولا ذلك ما بايعته ولا نعمة عين[1].

وعُرف الإمام الحسين عليه السلام بالشهادة في كربلاء، وتناست الذاكرة أنه كان أيام معاوية حاضراً فما كانت العواطف لتحرك سيفه من غمده.

إن التكليف الشرعي الذي حتم على الحسن عليه السلام أن يجاهد ثم يصمت هو الذي حتم على الحسين عليه السلام أن يصمت بعد جهاد ثم يجاهد.

وقد أزاح الريب عن القلوب سيد الشهداء عليه السلام يوم دخل على أخيه الحسن عليه السلام فأدار الحديث حول مهادنته، ولعمر الهدى إنه لخبير بما سيقوله، ولكن قلوب الآخرين لا تفقه حتى يبان القول تصريحاً.

روى ابن شهرآشوب فقال: دخل الحسين عليه السلام على أخيه باكياً، ثم خرج ضاحكاً، فقال له مواليه: ما هذا؟!

قال: أتعجب من دخولي على إمام أريد أن أعلمه، فقلت: ماذا دعاك إلى تسليم الخلافة؟ فقال: الذي دعا أباك فيما تقدم[2].

لقد عقب على الخبر السيد علي الأبطحي بكلمة جميلة قال فيها:

ولعل مراد الحسين عليه السلام من احتجاجه مع أخيه الحسن عليه السلام تبيينه الصلح للناس وتفهيم ذلك، وإلا كان الحسين عليه السلام مطيعاً لأخيه الحسن عليه السلام في جميع أموره، لأنه كان إماماً عليه وعلى سائر المسلمين كما أشار بنفسه حينما امتنع قيس بن عبادة عن بيعة معاوية[3].

---

(١) الملاحم والفتن: ٢٢٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣٤/٤.

(٣) الإمام الحسين في أحاديث الفريقين: ٢٠٦/٢.

فقد قال له لما دعي للبيعة فالتفت إلى الإمام الحسين عليه السلام والإمام الحسن حاضر: يا قيس إنه إمامي، يعني الحسن عليه السلام[١].

هما سيدا شباب أهل الجنة

تحدث الإمام الحسن عليه السلام حديثاً معرفياً، يكشف عن حال الرسل والأئمة عندما يكلفون بأوامر مختلفة.

وهو حديث يزيد القارئ معرفة بطريقة التعامل مع مواقف الأئمة عليهم السلام المختلفة، والذين اختلفت تكاليفهم، ومع ذلك فلم تكن الهدنة لتنال من قدرهم، ولا الغيبة تقلل من شأنهم، بل هم عباد يمتثلون أوامر الله تعالى، ويعيشون قربه ورضاه أينما كانوا.

لقد أشار الإمام الحسن عليه السلام في حديثه إلى أمرين، وهما:

١. أن الرسل والأئمة كانوا يطبقون أوامر الله تعالى كما أريد منهم.

٢ـ أنهم مدحوا بمدح واحد رغم اختلاف التكليف، فقد ذكر نبيين عظيمين مدحهما القرآن الكريم بهذه الكلمات: ﴿ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ رغم أن تكليفهما مختلف تمام الاختلاف.

لقد كان النبي سليمان عليه السلام في ملكه قد سخرت له الجن والإنس والطير، وكان مجاهداً مكابداً في أمر الله وطاعته، فلما تحدث عنه القرآن الكريم قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢].

وكان النبي أيوب عليه السلام مبتلى سقيم البدن مُجهداً، وقال عنه الله تعالى: ﴿ إِنَّا

---

(١) بحار الأنوار: ٦١/٤٤.

(٢) سورة ص: ٣٠.

وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ ﴾[١].

وختم الإمام الحسن عليه السلام كلامه بهذه العبارة: "وهكذا ينبغي لأهل الحقائق أن يكونوا لسيدهم في السراء والضراء والشدة والرخاء على الحال الذي يرضاه منهم"[٢].

أحداث متقاربة

في الطريق إلى معاوية:

يحدث محمد بن يعلى فيقول: لقيت الحسين على ظهر الكوفة، وهو راحل مع الحسن يريد معاوية، فقلت: يا أبا عبد الله أرضيت؟

فقال: "شقشقة هدرت، وفورة ثارت، وعربي منحى، وسم ذعاف[٣]، وقيعان بالكوفة وكربلاء، إني والله لصاحبها وصاحب ضحيتها، والعصفور في سنابلها، إذا تضعضع نواحي الجبل بالعراق، وهجهج كوفان الوهل، ومنع البر جانبه، وعطل بيت الله الحرام، وأرجف الوقيذ، وقدح الهبيذ، فيالها من زمر أنا صاحبها، إيه إيه، أنى؟ وكيف؟ ولو شئت لقلت: أين أنزل، وأين أقيم.

فقلت: يا بن رسول، ما تقول؟.

قال: مقامي بين أرض وسماء، ونزولي حيث حلت الشيعة الأصلاب والأكباد الصلاب، لا يتضعضعون للضيم، ولا يأنفون من الآخرة معضلاً يحتافهم، أهل ميراث علي وورثة بيته[٤].

---

(١) سورة ص : ٤٤.

(٢) مستدرك الوسائل : ٧/٥٢٨-٥٢٩.

(٣) اي يقتل من ساعته.

(٤) دلائل الإمامة : ٧٥.

مع طالبي الثورة:

لقد روى التاريخ صوراً متعددة لمن لم يهتدِ للهدف والغاية من تلك المهادنة، فراح يطلب إعادة أيام صفين والنهروان، وقد أخذ الحماس منه مأخذه فبدت كلماته حماسية الأسلوب، قليلة التدبر في العواقب، بعيدة عن الدقة السياسية.

أفيدخل رجل خاض الحروب ومارس أيامها فيقول للحسين عليه السلام... اجمع شيعتك، ثم ادع قيس بن سعد بن عبادة، وابعثه في الرجال، وأخرج أنا في الخيل، فلا يشعر ابن هند إلا ونحن معه في عسكره، فنضاربه حتى يحكم الله بيننا وبينه، وهو خير الحاكمين، فإنهم الآن غارون.

فقال له: إنا قد بايعنا وليس إلى ما ذكرت سبيل[1].

لا أستطيع أن أصف هذه الصورة إلا بأنها عملية انتحارية، يحاول فيها الخلاص من واقعه الذي أزعجه حتى استعذب الموت على البقاء.

ولا يمكن أن يقبلها من ينظر إلى صلاح الأمة، ويرقب مصيرها المتوقف على مواقفه.

وجاءه من يعرض عليه الرجوع عما كان مع معاوية، فقال: هذا ما لا يكون ولا يصلح[2].

ودخل آخران فقال لهما: ليكن كل امرئ منكم حلساً من أحلاس بيته ما دام هذا الرجل حياً، فإن يهلك وأنتم أحياء رجونا أن يخير الله لنا، ويؤتينا رشدنا، ولا يكلنا إلى أنفسنا، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴾[3][4].

---

(١) انساب الأشراف : ١٥١/٣.

(٢) انساب الأشراف : ١٤٨/٣.

(٣) سورة النحل : ١٢٨.

(٤) انساب الأشراف : ١٥١/٣.

وغادر الحسين الكوفة...

لقد دخل سليمان بن صرد الخزاعي وسعيد الحنفي على الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو قائم في قصر الكوفة، يأمر غلمته بحمل المتاع، ويستحثهم، فسلموا عليه، فلما رأى ما بهم من الكآبة وسوء الهيئة تكلم فقال: إن أمر الله كان قدراً مقدوراً، إن أمر الله كان مفعولاً،... وقد قال الله تعالى: ﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩ ﴾[1] .

وقال: ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ ﴾[2] .

ودار كلام بينهم سئل في ختامه فقيل: فمتى أنت سائر؟ قال: غداً إن شاء الله.

فلما سار خرجوا معه، فلما جاوزوا دير هند نظر الحسين (عليه السلام) إلى الكوفة فتمثل قول زميل بن أبير الفزاري وهو ابن أم دينار:

فما عن قلى فارقت دار معاشر
هم المانعون باحتي وذماري
ولكنه ما حمَّ لا بدَّ واقع
نظارِ ترقب ما يحمُّ نظارِ[3]

أبايع الإمام الحسين (عليه السلام) معاوية؟

هناك اختلاف في النصوص الواردة حول بيعة الإمام الحسين (عليه السلام) لمعاوية، فمنها ما ينص على تحققها ومنها ما ينفيها.

---

(١) سورة النساء : ١٩.
(٢) سورة البقرة : ٢١٦.
(٣) أنساب الأشراف : ١٤٨/٣.

أما الرواية التي تثبت ذلك فقد نصت على أن معاوية طلب الحسنين عليهما السلام وأصحاب علي عليه السلام أن يقدموا للشام فقدموا، ثم طلب من الحسن والحسين أن يبايعا فبايعاه، ثم طلب من قيس بن عبادة، وقال له: يا قيس، قم، فبايع. فالتفت إلى الحسين عليه السلام ينظر ما يأمره، فقال: يا قيس، إنه إمامي يعني الحسن عليه السلام[1].

وستظل هذه الرواية أمام سؤالين، هما:

ـ هل يقر التاريخ بذهاب الحسنين عليهما السلام إلى الشام أم لا؟.

ـ ألم يطلب معاوية البيعة منهم في الكوفة؟

ويمكن أن يضيء لنا هذا النص الموقف قليلاً، فقد قال ابن كثير وهو يتحدث عن قيس بن سعد: فلما بايع الحسن معاوية ساء قيساً ذلك وما أحبه، وامتنع من طاعته معاوية، ثم ارتحل إلى المدينة، ثم قدم على معاوية في وفد من الأنصار فبايع معاوية بعد معاتبة شديدة وقعت بينهما، وكلام فيه غلظة[2].

وهناك رواية أخرى تنكر وقوع البيعة، وتقول: فطلب معاوية البيعة من الحسين، فقال الحسن: يا معاوية، لا تكرهه، فإنه لن يبايع أبداً أو يقتل، ولن يقتل حتى يقتل أهل بيته، ولن يقتل أهل بيته حتى يقتل أهل الشام[3]، ويميل إلى هذا القول بعض المهتمين بالتاريخ، ويرونه جزءاً من التنسيق في المواقف بين الحسنين عليهما السلام، فأحدهما يتبنى الموقف والثاني يهيئ له سبل إنجاحه.

---

(١) بحار الأنوار : ٦١/٤٤.

(٢) البداية والنهاية : ١٠٩/٨.

(٣) مناقب آل أبي طالب : ٢٤/٤.

الفصل الثاني:

ذبول الريحانة

لقد كانت نهاية الإمام الحسن عليه السلام متوقعة، فإن الخصم معروف العداء، وأساليبه معهودة.

ولست هنا لأعرض كل مواقف الحسين عليه السلام مع أخيه الحسن عليه السلام في لحظاته الأخيرة، فإنها أحداث معروفة لدى القارئ، وأجد في ذكرها تكراراً لمشاهد مألوفة، والتوسع فيها ما هو إلا نقل لما تخصصت فيه الكتب التي ألفت حول الإمام الحسن عليه السلام، وإنما سأختار منها صوراً عرضها التاريخ عرضاً سريعاً، مع أنها تشكل أهمية في فهم أحداث الشهادة.

قال ابن عباس:

دخل الحسين بن علي عليهما السلام على أخيه الحسن بن علي عليهما السلام في مرضه الذي توفي فيه فقال له: كيف تجدك يا أخي؟

قال: أجدني في أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا، وأعلم أني لا أسبق أجلي، وأني وارد على أبي وجدي عليهما السلام، على كره مني لفراقك وفراق إخوتك وفراق الأحبة، وأستغفر الله من مقالتي هذه وأتوب إليه، بل على محبة مني للقاء رسول الله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ولقاء فاطمة وحمزة وجعفر عليهم السلام، وفي الله عز وجل خلف من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، ودرك من كل ما فات.

رأيت ـ يا أخي ـ كبدي آنفاً في الطشت، ولقد عرفت من دهاني ومن أين أتيت[١]...

وفي الأخبار أنه سأله عن الفاعل به ذلك، وقد قال الطبيب: هذا رجل قطع السم أمعاءه، فقال: يا أبا محمد، أخبرني من سقاك؟

قال: ولم يا أخي؟

قال: أقتله والله قبل أن أدفنك، ولا أقدر عليه، أو يكون بأرض أتكلف الشخوص إليه.

فقال: يا أخي، إنما هذه الدنيا ليال فانية، دعه حتى ألتقي أنا وهو عند الله، وأبى أن يسميه[٢].

ودخل الحسين عليه السلام على أخيه الحسن عليه السلام يوماً، فلما نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يصنع بك، فقال له الحسن عليه السلام: إن الذي يؤتى إلي سم يدس إلي فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك، يا أبا عبدالله، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجلٍ يدعون أنهم من أمة جدنا محمد صلى الله عليه وآله، وينتحلون دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك وانتهاك حرمتك وسبي ذراريك ونسائك وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، تمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كل شيء حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار[٣].

وروي: أن الحسن عليه السلام لما دنت وفاته ونفدت أيامه، وجرى السم في بدنه، تغير لونه واخضر، فقال له الحسين عليه السلام: ما لي أرى لونك مائلاً إلى الخضرة ؟ فبكى الحسن عليه السلام وقال: يا أخي! لقد صح حديث جدي فيَّ

---

(١) أمالي الطوسي : ١٥٩.
(٢) البداية والنهاية : ٨/٤٧.
(٣) بحار الأنوار : ٤٥/٢١٨.

وفيك، ثم اعتنقه طويلاً، وبكيا كثيراً.

فسئل عليه السلام عن ذلك، فقال: أخبرني جدي قال: لما دخلت ليلة المعراج روضات الجنان، ومررت على منازل أهل الإيمان، رأيت قصرين عاليين متجاورين على صفة واحدة، إلا أن أحدهما من الزبرجد الأخضر، والآخر من الياقوت الأحمر، فقلت: يا جبرئيل، لمن هذان القصران؟ فقال: أحدهما للحسن، والآخر للحسين عليهما السلام.

فقلت: يا جبرئيل، فلم لم يكونا على لون واحد؟ فسكت، ولم يرد جواباً، فقلت: لم لا تتكلم ؟ قال: حياءً منك! فقلت له: سألتك بالله إلا ما أخبرتني. فقال: أما خضرة قصرالحسن فإنه يموت بالسم، ويخضر لونه عند موته، وأما حمرة قصر الحسين فإنه يقتل ويحمر وجهه بالدم. فعند ذلك بكيا، وضج الحاضرون بالبكاء والنحيب[1].

وقال ابن شهرآشوب: لما أشرف الحسن عليه السلام على الموت، قال له الحسين عليه السلام: أريد أن أعلم حالك يا أخي، فقال له الحسن: سمعت النبى صلى الله عليه وآله يقول: لا يفارق العقل منا أهل البيت ما دام الروح فينا، فضع يدك في يدي حتى إذا عاينت ملك الموت أغمز يدك، فوضع يده في يده، فلما كان بعد ساعة غمز يده غمزاً خفيفاً، فقرب الحسين أذنه إلى فمه فقال: قال لي ملك الموت: أبشر، فإن الله عنك راض، وجدك شافع[2].

وحدث الحسين عليه السلام فقال: لما حضرت الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام الوفاة بكى، فقيل له: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله، أتبكي ومكانك من رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أنت به؟! قد قال فيك رسول الله صلى الله عليه وآله ما قال، وقد حججت

---

(١) بحار الأنوار : ١٤٥/٤٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٢٠٤/٣.

عشرين حجة ماشياً، وقد قاسمت ربك مالك ثلاث مرات، حتى النعل والنعل، فقال عليه السلام: إنما أبكي لخصلتين: هول المطلع وفراق الأحبة[١].

الوصية:

عن أبي جعفر قال: لما احتضر الحسن بن علي عليهما السلام قال للحسين: يا أخي، أوصيك بوصية فاحفظها، فإذا أنا مت فهيئني، ثم وجهني إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى أمي فاطمة عليها السلام، ثم ردني فادفني في البقيع[٢]...

وسلم إليه الاسم الأعظم ومواريث الأنبياء التي كان أمير المؤمنين عليه السلام سلمها إليه، ثم أوصاه بوصاياه[٣].

تنفيذ الوصية:

١. حضر في تجهيزه الإمام الحسين عليه السلام ودعا معه عبد الله بن جعفر وعلي ابن عبد الله بن العباس[٤].

٢ـ وضع على السرير وانطلقوا به إلى مصلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يصلي فيه على الجنائز فصلّى عليه الحسين عليه السلام[٥].

٣ـ حُملت الجنازة، وأُدخلت المسجد، وأوقف على قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٦] وأمر أن يفتح البيت[٧]، وعند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: احفروا ها هنا[٨].

---

(١) وسائل الشيعة: ٨/٩٣.
(٢) الكافي: ١/٣٠٢.
(٣) عيون المعجزات: ٥٨.
(٤) أمالي الطوسي: ١/١٦١.
(٥) الكافي: ١/٣٠٠.
(٦) ن.م
(٧) أمالي الطوسي: ١/١٦١.
(٨) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٩٢.

٤ـ ثارت الفتنة التي عرفها القاصي والداني، وحيل بين الدفن.

٥ـ نادى الحسين عليه السلام بحلف الفضول، فاجتمعت قبائل عدة وقد لبسوا السلاح، وعقد الحسين عليه السلام لواءً، وعقد مروان لواءً، حتى كانت بينهم مراماة بالنبل[1].

واجتمع مع الحسين بن علي جماعة من الناس، فقالوا له: دعنا وآل مروان، فوالله ما هم عندنا إلا كأكلة رأس[2].

٦ـ أرادت بنو هاشم الكلام وحملت السلاح فمنعهم الحسين عليه السلام وقال: الله الله أن تفعلوا وتضيعوا وصية أخي.

وقال لعائشة: والله لولا أن أبا محمد أوصى إلي أن لا أهريق محجمة دم لدفنته هاهنا ولو رغم أنفك[3].

٧ـ مضى الحسين عليه السلام إلى قبر أمه الزهراء عليها السلام[4] ولا بد أن يكون بالجنازة فقد كانت الوصية بذلك.

٨ـ حملوا الجنازة إلى البقيع، ودفن الحسن عليه السلام هناك.

تأبين الحسين عليه السلام لأخيه:

لقد خرجت زفرات الأخوة شعراً ونثراً، ولنعرف الجمرة التي ألهبها الفراق فلنقرأ ما ذكر في مناقب آل أبي طالب[5]، فقد قال: لما وضع الحسين عليه السلام

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٣/ ٢٩٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٢٥، في المصدر: ما هم كأكلة رأس، ولكن الذي يتناسب مع السياق ما هم إلا كأكلة رأس، ويؤيد ذلك ما ورد في بعض المصادر التي نقلت عن تاريخ اليعقوبي، فقد كانت كما ذكرنا، راجع كتاب صلح الحسن عليه السلام: ٣٤.

(٣) دلائل الإمامة: ٦١.

(٤) الكافي: ١/٣٠٢.

(٥) مناقب آل أبي طالب: ٤/٤٥.

أخاه الحسن عليه السلام في لحده قال:

أأدهن رأسي أم تطيب محاسني و خدك معفور وأنت تريب
وأشرب ماء المزن أم غير مائه وقد ضمن الأحشاء منك لهيب
وأستمتع الدنيا لشيء أحبه ألا كل ما أدنى إليك حبيب
فلا زلت أبكي ما تغنت حمامة عليك و ما هبت صباً وجنوب
وما هملت عين من الماء قطرة وما اخضر في دوح الرياض
بكائي طويل والدموع غزيرة وأنت بعيد و المزار قريب
غريب وأطراف البيوت تحوطه ألا كل من تحت التراب غريب
أروح بغم ثم أغدو بمثله كئيباً و دمع المقلتين صبيب
فللعين مني عبرة بعد عبرة وللقلب مني رنة و نحيب
ولا يفرح الباقي ببعد الذي مضى فكل فتى للموت فيه نصيب
و ليس حريباً من أصيب بماله ولكن من وارى أخاه حريب
نسيبك من أمسى يناجيك طيفه وليس لمن تحت التراب نسيب

وقال الحسين عليه السلام على قبر أخيه:

رحمك الله يا أبا محمد، إن كنت لتباصر الحق مظانه، وتؤثر إليه عند التداحض في مواطن التقية بحسن الروية، وتستشف جليل معاظم الدنيا بعين لها حاقرة، وتفيض عليها يداً طاهرة الأطراف، نقية الأسرة، وتردع بادرة غرب أعدائك بأيسر المؤونة عليك، ولا غرو فأنت ابن سلالة النبوة، ورضيع لبان

الحكمة، فإلى روح وريحان، وجنة ونعيم، أعظم الله لنا ولكم الأجر عليه، ووهب لنا ولكم حسن الأسى عنه[١].

زيارته:

روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: إن الحسين بن علي عليهما السلام كان يزور قبر أخيه الحسن عليه السلام في كل عشية جمعة[٢].

---

(١) عيون الأخبار: ٢/٣١٤.

(٢) قرب الإسناد: ١٣٩.

القسم الثاني

الحسين وعائلته الشريفة

- ❖ الباب الأول: الزوجات
- ❖ الباب الثاني: الأبناء والبنات
- ❖ الباب الثالث: دروس تربوية

الباب الأول

الزوجات

هكذا سيكون بحثنا ...

سنقف وقفة نطوف خلالها بجنبات تاريخية ترتبط بالعائلة الحسينية، وهدفنا هو التعرف عن قرب على زوجاته الفاضلات، وبناته الطيبات، وذريته المباركة.

وأجد أن هناك أساسيات في منهج البحث مهمة تذكر قبل الخوض في هذا الباب؛ لتتضح طريقة البحث التي سننهجها، ويعرف ما نقصده من الجهد المبذول في محاولة التقصي للحقائق التاريخية.

فإن تلك الحقائق يفصل بيننا وبينها أكثر من ألف عام، وقد انتقلت فيها المعلومات التاريخية من يدٍ لأخرى، حتى وصلت إلينا وقد علاها من غبار التحريف ما جعل قسماً منها يبدو بشكل يصعب التصديق به.

إن هذا الأمر سيضطرنا ـ بقدر الإمكان ـ إلى تفحص الأخبار، واختيار أقربها للواقع، وطرح ما لا ينهض دليله، ولا تساعده الشواهد التاريخية.

وإليك الأساسيات الثلاث:

أولاً:

سنسلك من أجل الوصول للحقائق المرتبطة بالأسرة الحسينية عدة سبل، وهي:

أ ـ كتب الأنساب، وهي المقدمة على الكتب الأخرى؛ لأنها كتب قد دونت من قبل أهل الاختصاص، وهم علماء الأنساب.

ولكن لن يصل بنا التعامل معها إلى درجة التقديس، والتسليم بكل ما يرد

فيها، فإنها كتبت من قبل أشخاص يمكن أن يقعوا في الخطأ، أو يغلب عليهم الوهم.

وستجد بينهم من التضارب في النقل ما تعجب منه، وما لا يمكنك الجمع بين متناقضاته، وسأشير إلى بعض من تلك الهفوات التي تعجب من وقوع متخصص فيها.

ب ـ المصادر التاريخية التي عددت الأزواج والبنات والأبناء، وصرحت بالأسماء.

ج ـ المصادر التاريخية وغيرها، والتي ذكرت من القضايا ما يتعلق بالأسرة الحسينية، فوجدنا فيها إشارة لبعض من الذرية الطاهرة.

د ـ الآثار والمشاهد الشريفة التي حملت تأريخاً لا يمكن التغافل عنه.

ثانياً:

هناك ملحوظة لبعض الرجاليين، وتشير إلى وجود نوع من الصعوبة لدى المؤرخين إذا ما أرادوا تعداد النساء العلويات، أو تحديد اسم امرأة منهن قامت بدور من الأدوار.

ويرجع ذلك إلى كونهن نساءً مصونات، فلا يُعْرفْنَ أو يشخصن من قبل الآخرين.

ولذلك تجد من المؤرخين من يتحدث عن خروج امرأة يوم الطف، فيسميها كل راوٍ باسم قد ظنه، ولم يكن ذلك عن دليل يستضيء به، وإنما هو احتمال رجحه، أو اسم انقدح في ذهنه فذكره.

ثالثاً:

لقد استهدفت العائلة الحسينية من قبل التأريخ استهدافاً غريباً، وكأنهم يحاولون أن يعوضوا هزيمتهم في ساحة الحرب يوم كربلاء، بأن يمزقوا بأقلامهم ما لم تستطع السيوف أن تصنعه بمجد الإمام الحسين عليه السلام.

ستجد في ثنايا التاريخ وقفات يحاكم فيها التاريخ على سوء افترائه كلما تحدث عن المتعلقات بالإمام الحسين عليه السلام من النساء الفاضلات.

ولا أحسب أن هذا الأمر من السقطات التي قد يقع فيها التأريخ مع كل من أرَّخ له، وأن ذلك كان دون قصد، بل من الواضح أن عنصر التعمد يبدو جلياً في ثنايا ما يقدمه من قصص وروايات.

وخصوصاً أنها تركز على محاولة تكثير عدد الأزواج .بأي صورة .لكل امرأة منهن، وتلاحظ التعمد واضحاً من خلال التخبط في سردهم وأخبارهم وذكرهم لأسماء الرجال، حتى بلغ بهم الأمر أن يختلقوا شخصيات وهمية لا وجود لها في التاريخ، ثم تُزوَّج بإحدى بنات الإمام الحسين عليه السلام؛ ليُدَّعى بعد ذلك أنها كثيرة الأزواج.

وستعذرني إذا ما توقفت في قبول قسم من الروايات التي يذكرها المؤرخون، وستجد أن شكي كان في مكانه، بعد أن وجدت الأكذوبة تتكرر كلما جئت لمصونة مرتبطة بالبيت العلوي.

وكشاهد على ما أقول ارجع لما ذكره ابن الأثير في أسد الغابة حول أزواج أسماء بنت عميس رضي الله عنها، فقد قال: وقيل إن أسماء تزوجها حمزة بن عبد المطلب فولدت له بنتاً، ثم تزوجها بعده شداد بن الهاد، ثم جعفر، وهذا ليس بشيء، إنما التي تزوجها حمزة سلمى بنت عميس أخت أسماء[1].

وحسبك أن تعرف أن الذي يعتمد عليه في أنساب القرشيين هو الزبير بن بكار[2]، وهو من هو في عداوته وبغضه لأهل البيت عليهم السلام.

---

(١) أسد الغابة : ٥/٣٩٥.

(٢) الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزبير بن العوام ولد سنة ١٧٢، وتوفي سنة ٢٥٦ من الهجرة .راجع كتاب الأعلام : ٣/٤٢.

ذكره الشيخ عباس القمي قدس سره في (الكنى والألقاب) فقال:

"روى الشيخ الصدوق أنه استحلف الزبير بن بكار رجل من الطالبيين على شيء بين القبر والمنبر، فحلف، وبرص.

وأبوه بكار قد ظلم الرضا عليه السلام في شيء، فدعا عليه، فسقط في وقت دعائه عليه من قصره، فاندقت عنقه.

وأبوه عبد الله بن مصعب هو الذي مزق عهد يحيى بن عبد الله بن الحسن بين يدي الرشيد، وقال: اقتله يا أميرالمؤمنين، فإنه لا أمان له، وهو الذي استحلفه يحيى بالبراءة وتعجيل العقوبة، فحم من وقته، ومات بعد ثلاث، فانخسف قبره مرات كثيرة.

قال الشيخ المفيد قدس سره في كلام له: إن الزبير بن بكار لم يكن موثوقاً به في النقل، وكان متهماً فيما يذكره من بغضه لأمير المؤمنين عليه السلام، وغير مأمون.

وروى ابن الأثير في الكامل .عند ذكر سيرة المعتصم .عن أحمد ابن سليمان ابن أبي شيخ: أنه قدم الزبير بن بكار العراق هارباً من العلويين؛ لأنه كان ينال فيهم، فتهددوه، فهرب منهم، وقدم على عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير[1]، وشكا إليه حاله، وخوفه من العلويين، وسأله إنهاء حاله إلى المعتصم، فلم يجد عنده ما أراد، وأنكر عليه حاله، ولامه.

قال أحمد: فشكا ذلك إلي، وسألني مخاطبة عمه في أمره، فقلت له في ذلك، وأنكرت عليه إعراضه عنه، فقال لي: إن الزبير فيه جهل وتسرع، فأشر عليه أن يستعطف العلويين، ويزيل ما في نفوسهم منه، أما رأيت المأمون ورفقه بهم وعفوه عنهم وميله إليهم ؟ قلت: بلى.

---

(١) هو مصعب بن عبد الله بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، ولد سنة ١٥٦، وتوفي سنة ٢٣٦ من الهجرة. راجع كتاب الأعلام : ٢٤٨/٧.

قال: فهذا أمير المؤمنين ـ والله ـ على مثل ذلك وفوقه، ولا أقدر أذكرهم عنده بقبيح، فقل له ذلك حتى يرجع عن الذي هو عليه من ذمهم[1].

زوجات الإمام الحسين عليه السلام

ذكر المؤرخون أن للإمام الحسين عليه السلام ست زوجات، وهن:

١- شهربانويه.

٢- ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفية.

٣- قضاعية، و تسمى السلافة[2]، وقد سكتت أكثر الكتب عن اسمها، ولم تبين من أمرها شيئاً، إلا ما قيل من أنها من قبيلة (بلي) المتفرعة عن قضاعة[3]، ولم يذكر إلا أنها ولدت جعفراً، وقد مات في حياة أبيه عليه السلام، ولا عقب له .

٤- الرباب بنت امرئ القيس.

٥- أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله[4].

٦. أم ولد ولدت له علياً الأصغر عليه السلام[5].

وستكون لنا وقفات مختلفات مع الطاهرات، فمنها ما يطول ومنها ما يقصر، بحسب ما تدعو له الحاجة.

---

(١) الكنى والألقاب : ٢/ ٢٩١ـ٢٩٢.

(٢) تذكرة الخواص : ٢٧٧.

(٣) نسب قريش : ٥٩.

(٤) إعلام الورى بأعلام الهدى : ٢٥٠- ٢٥١.

(٥) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله : ٥٠، وتاريخ أهل البيت : ١٠٢، ذكر علياً الأصغر.

(١) شهربانويه

الفصل الأول:

إثارات حول زواجها المقدس

لقد كان الزواج المقدس من شهربانويه مسرحاً للأخذ والرد، ومناخاً مناسباً لتكوين الدراسات المليئة بالسفسطة.

فقد تجاذبته أقلام الكتاب تناولاً غريباً، حتى شطت بهم كتاباتهم إلى وادي التخبط، وستلاحظ ذلك وأنت تمر على ما يزعمون أنه دراسات، أو يسمونها أبحاثاً، وهي أقرب إلى حديث المجالس المرتجلة.

ويمكن أن نكتفي بموقفين من مواقفهم، وهما:

١ـ موقف الإقرار بالزواج وتحريف أبعاده:

وهي كتابات تقر بالزواج، وتؤمن بحدوثه، ولكنها تعتبره السبب الرئيس لتشيع الفارسيين.

وسترى وأنت تقرأ لهؤلاء وكأنهم ظفروا بكنز ثمين، يوم عرفوا أن للفرس بنتاً قد تزوجها أحد أئمة الشيعة؛ إذ وجدوا نبزاً قومياً يمكن من خلاله أن يملؤوا الدنيا به ضجيجاً.

ولا أعلم، هل عميت أبصار هؤلاء؟ أم تعاموا عن بقية الأخوات اللاتي يذكر مؤرخوهم أنهن قد تزوجن ببعض أبناء الصحابة؟

إنهم لم يرتبوا أثراً على زواج ابن عمر وابن أبي بكر من ابنتي يزدجرد الفارسيتين، كما في رواية الزمخشري في ربيع الأبرار[1].

فقد ذكر أن سالم بن عبد الله بن عمر، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، والإمام زين العابدين عليه السلام أولاد خالة، وأمهاتهم بنات يزدجرد.

وهذه الرواية تعتبر عند الكتاب من العامة و المستشرقين ذات قيمة؛ فراويها لا يحسب على الشيعة بحال، وهو فوق ذلك من الكتاب المعروفين.

والتساؤل يطل علينا دون أن نستدعيه ليقول: لماذا لا يرتب على هذه الزيجات المذكورة في الرواية الأثر الذي يرتب على علاقة المصاهرة بين الإمام الحسين عليه السلام وأهل شهربانويه[2]؟

لكنها الأقلام التي فقدت الموضوعية فأخذت . عوضاً عن النقاش في عقائد الشيعة . ترمي المذهب بأنه فارسي المنشأ.

ويمكننا أن نلاحظ على هذه الدعوى أربع نقاط، وهي:

أولاً: ولدت هذه الدعوى في عهد متأخر، ولا وجود لها في المصادر الإسلامية القديمة، ولو رجعت إلى كتب صدر الإسلام وما بعده وحتى غالبية الدولة العباسية فلن تجد لها ذكراً.

ثانياً: إن هذه دعوى قد ارتبطت بالنعرة الطائفية، وولدتها الحساسية المفرطة من تحول البلاد الفارسية إلى مذهب الإمامية، وذلك يوم تشيع السلطان المغولي (الجايتو محمد خدابنده) سنة ٧٠٣ من الهجرة، بعد أن كانوا

(١) ربيع الأبرار : ١٩/٣.

(٢) راجع للتوسع هوية التشيع : ٧٦.

بعيدين عنه ثمانية أعوام فقط، يوم أن اعتنق الإسلام غازان خان بن هولاكو سنة ٦٩٤ من الهجرة.

ثالثاً: يكاد تقي الدين المقريزي المولود سنة ٧٦٦ هـ والمتوفى سنة ٨٤٥ هـ أن يكون أول الذاكرين لهذا الأمر؛ نتيجة تحول المغول لمذهب الإمامية، وقد مرت ثلاث وستون سنة من ولادته، وهم لا يزالون متمسكين بمذهبهم الجديد.

رابعاً: إن التشيع في فارس حتى ما بعد سنة ٧٠٣ هـ لم يكن قد أصبح بعد مذهباً رسمياً للدولة، وقد أشار إلى ذلك المستشرق نولدكه بقوله: " ظلت بلاد فارس في أجزاء كبيرة منها تدين بالمذهب السني، واستمر ذلك حتى سنة ١٥٠٠ ميلادية أي سنة ٩٠٥ من الهجرة عندما أعلن التشيع رسمياً فيها بقيام الدولة الصفوية" [١].

وعلى هذا القول الكاتب عرفان عبد الحميد[٢]، وعالم الاجتماع العراقي علي الوردي[٣].

وأشار لهذا الموضوع (ادم متز) في كتابه الحضارة الإسلامية بقوله: " فكانت أصفهان مركزاً كبيراً لأهل السنة والجماعة"[٤]، وقوله الآخر: " إن أهالي أصفهان كانوا يغالون في حب معاوية في القرن الرابع الهجري "[٥]، فضلاً عن حقيقة لا ينكرها منكر وهي أن الفرس أنفسهم كانوا يحملون راية التسنن في الإسلام حتى ظهور الصفويين[٦].

ونستخلص من هذا كله أن إيران كلها باستثناء بعض المناطق المحدودة

---

(١) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية : ٢٢٦.

(٢) ن م

(٣) وعاظ السلاطين : ٢٤٩.

(٤) الحضارة الإسلامية : ١/١٠٠.

(٥) ن م : ١٠١.

(٦) وعاظ السلاطين : ٢٤٩.

كانت سنية المعتقد والولاء، منذ دخولها الإسلام وحتى القرن العاشر الهجري، وأن ولاءها للمذهب الشيعي قد حصل بعد هذا التاريخ[(١)].

وجاء المستشرقون فألبسوا القضية بعداً آخر، "فقد عزا المؤرخ (ارنولد) إقبال الفرس على اعتناق الإسلام إلى زواج الحسين بن علي من إحدى بنات يزدجرد الثالث، آخر الأكاسرة الفرس الساسانيين.

وقد رأى الفرس في أولاد الحسين منها وارثين لملوكهم الأقدمين، كما رأوا فيهم ورثة لتقاليدهم القومية، وهذا الشعور الوطني يفسر لنا تعلق الفرس الشديد بعلي عليه السلام"[(٢)].

إن هذا الكلام إنشائي لا يعتمد على دليل ولا برهان، ويمكن أن يوجه لكل طائفة، وهو لا يعدو كلام المنتديات الذي يلقي فيه الكاتب ما يشاء دون دراسة أو رقابة.

إنه يصوغ التاريخ كما يريد، وكما يشاء ويتمنى، ثم يرتب عليه نتائج لا تتصل بالواقع بأي طريق.

ولا شك أن القارئ لاحظ أن أهل السنة قد أبدوا أسفهم لذهاب التسنن من إيران؛ فتعاملوا مع الموضوع بطريقة خاصة جانبت الموضوعية واصطبغت بأسفهم لما حدث فيها، وأما المستشرقون فقد أسفوا لمجيء الإسلام وذهاب الكفر؛ فتعاملوا بطريقتهم الخاصة وصبغوه بمشاعرهم.

٢ـ موقف إنكار الزواج:

وتتبناه أقلام تنفي حصول هذا الزواج، وتعتبره وليد الشعوبية، وأنه مما قد نسجه القلم الشعوبي؛ ليضفي على العنصر الفارسي أبهة، ويحافظ على بقاء

---

(١) مقتبس من مقال منشور للكاتب صالح الطائي في موقع صوت العراق.

(٢) عشر ثورات في الإسلام :٨٣ . نقله عنه صاحب المقال السابق.

الأسرة الساسانية المالكة من خلال وصلها بسلالة الإمامة الشيعية، لتبقى القومية الفارسية مختبئة في الإسلام[١].

وأقدم من شكك في هذا الزواج صاحب عمدة الطالب، ولكنه لم يلبس الخبر أكثر مما يتحمل، وإنما كان كلامه حول فخر السادة الحسينيين على السادة الحسنيين؛ بأنهم جمعوا بين شرف البنوة للرسول ﷺ، وكونهم من نسل الملوك الفارسيين، فتجده لم يقم وزناً للعلاقة بملك فارس.

وقفة مع كتاب:

صدر كتيب صغير سنة ١٩٨٧م يحمل هذا الاسم (كذبة فارسية يفضحها الحق العربي)، لمؤلف اسمه عبد الحميد العلوجي، يرفض فيه أن تكون أم الإمام السجاد عليه السلام فارسية الأصل.

وملخص كلامه ما يلي:

ـ إن أم الإمام السجاد عليه السلام هي أم فاطمة بنت الحسين عليه السلام، اعتماداً على ما ذكر في عمدة الطالب.

ـ إن أم فاطمة بنت الحسين هي أم إسحاق بنت طلحة.

وعلى هذا تكون أم إسحاق العربية هي أم الإمام السجاد عليه السلام[٢].

وقد ناقشه الكاتب نبيل الكرخي ، ونشر مقالته في موقعه الإلكتروني، وملخص جوابه ما يلي:

١ـ إن صاحب عمدة الطالب يقر بأن أم الإمام السجاد عليه السلام إحدى بنات كسرى، حيث قال:

---

(١) من مقال منشور في الإنترنت باسم أساطير الشعوبية في موروث المدرسة الصفوية بتاريخ ٢٥ أغسطس ٢٠٠٧

(٢) لم يتوفر الكتاب بين يدي، ولهذا اعتمدت على ما نقله الكاتب نبيل الكرخي في موقعه الإلكتروني، والكتاب مطبوع في بغداد عام ١٩٨٧م عن دار الشؤون الثقافية العامة.

" إذا كان للحسينيين فخر بولادة جدهم علي زين العابدين (عليه السلام) من إحدى بنات كسرى، فالفخر متحقق أيضاً للحسنيين؛ لأن فاطمة بنت الحسين قد تزوجت من الحسن المثنى ابن الإمام الحسن الزكي (عليه السلام)، وولدت له أولاده: الحسن المثلث، وعبدالله المحض، وإبراهيم، وهي فيما يقال من أم علي زين العابدين (عليه السلام)[1] ".

٢. إن افتراضه أن أم إسحاق هي أم الإمام السجاد (عليه السلام) لا يقبل لأمرين:

الأول: أن عبارة المؤرخين أن الإمام الحسين (عليه السلام) خلف على أم إسحاق بعد الإمام الحسن (عليه السلام)، وكلمة (خلف) استعمالها الأكثر عند العرب بعد الموت، فتحمل العبارة على أن الزواج تم بعد شهادة الإمام الحسن (عليه السلام)، وخصوصاً أن التاريخ لم ينقل طلاقه لأم إسحاق ليصح الاحتمال.

وبناءً على هذا تكون ولادة الإمام السجاد (عليه السلام) بعد شهادة عمه الإمام الحسن (عليه السلام)، وهذا غير صحيح، فإن ولادته كانت في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام).

الثاني : إن هذه الفرضية تواجه إشكالاً كبيراً حيث يلزم منه زواج الإمام السجاد (عليه السلام) من أخته من أمه فاطمة بنت الإمام الحسن (عليه السلام)؛ لأن أمها هي أم إسحاق.

تعقيب :

إن المناقشة توضح عدم التفات (العلوجي) للمعلومتين الأخيرتين، فإن كلاً منها تسقط بناءه الذي شيده.

كما لا يخلو كلام (الكرخي) من تأمل، وسأنقل نص عبارته لنتأمل فيها معاً، وهي:

---

(١) عمدة الطالب : ١٩٤، وقد نقله الكاتب بالمعنى، متصرفاً في عباراته.

"أي أن رأيه ـ يعني صاحب عمدة الطالب ـ هو النسب الفارسي الساساني للحسينيين".

وأجد في هذه العبارة تسامحاً؛ لأننا لو رجعنا لكتاب (عمدة الطالب) لوجدنا أنه يذكر رأيين في القضية، وهما:

١. الرأي القائل بأن أم الإمام السجاد عليه السلام فارسية، ويعبر عنه بالمشهور.

٢. الرأي الرافض لذلك الرأي، وينسبه لكثير من النسابين والمؤرخين.

ويبدو من عباراته عدم الاطمئنان بالنسب الفارسي، وسأذكر إليك عباراته لتقف على حقيقة الأمر بنفسك، فقد قال:

"وقد منع من هذا كثير من النسابين والمؤرخين، وقالوا: إن ابنتي يزدجرد كانتا معه حين ذهب إلى خراسان، وقيل: إن أم زين العابدين عليه السلام من غير ولده، وقد أغنى الله تعالى علي بن الحسين عليه السلام؛ بما حصل له من ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله عن ولادة يزدجرد بن شهريار المجوسي...".

وقال: "وقد لهج بعض العوام وكثير من بني الحسين عليه السلام بذكر هذه النسبة، وقالوا: جمع علي بن الحسين عليه السلام بين النبوة والملك، وليس ذلك بشيء ولو ثبت على ما عرفته"[1].

ولا شك أيها القارئ الكريم أنك قد لمست روح التفاخر التي أبعدت الكلام عن الموضوعية؛ فلم تكن اللغة لغة دليل أوبرهان.

إنك تراه يقول: بأن كثيراً من المؤرخين والنسابة على القول بأن أم الإمام السجاد عليه السلام ليست فارسية.

مع أن ما بين أيدينا من المصادر على العكس من ذلك !!، فلا نجد إلا القليل من المصادر التي تؤيد دعواه، فليته ذيَّل كلامه بأسماء هؤلاء المؤرخين

---

(١) عمدة الطالب: ١٩٣.

والنسابين لنعرفهم، وليبقوا شاهداً على ما ادعاه.

ولعله كانت بين يديه مجموعة منهم، إلا أن الأيام دثرت كلامهم، وعفت عباراتهم، فلم يبق لها أثر، وأصبح كلامه لا يحمل وزناً علمياً، فلا يمكن لنا التنازل عما بين أيدينا من كلمات المؤرخين والرواة لمجرد دعوى.

والذي أحتمله أنه يشير بذلك لمن ذكر أنها لم تكن فارسية، بل كانت من كابل أو السند، وهم قلة بين المؤرخين، كما ستلاحظ ذلك فيما يأتي.

على ضفاف المقالتين:

أولاً:

لا شك أن هاتين المقالتين ـ على اختلافهما ـ نموذجان لما ينتشر في الآونة الأخيرة مما يعبر عنه بالدراسات.

وهي كتابات تحاول أن تسير وفق الدراسات الاجتماعية، والتي تبتني على إحصاءات ميدانية تكسب الدراسة أهمية؛ إذ أنها لا تعتمد على ذوق الكاتب، ولا على ميوله، بل يسير الكاتب وفق ما ترشده النتائج والتحليلات.

ولكن هؤلاء نسوا الأدوات، وراحوا يقفزون نحو النتائج التي يريدونها، فأفقدوا الدراسات الاجتماعية قيمتها.

لقد حفظوا النظرية، وأضاعوا مكان تطبيقها، والطريقة التي يمكن أن يعرفوا بها ذلك.

وأعتقد أن الكتابات الجديدة مليئة بالتناقضات التي جعلت القارئ العربي يستسمجها، ويعتبرها كتابات من لا يملك موضوعية.

والسبب في ذلك هم الواردون في هذا المجال، ممن لا نصيب لهم منه إلا المصطلحات التي حفظوها؛ فظنوا أنفسهم علماء اجتماع حقيقيين.

لقد شاهدت التناقض فيما كتبوا حول هذا الزواج، فبينا نرى فريقاً ينسب

الوضع للفرس، وأنهم يريدون استمرار المجد الفارسي عبر قنوات الإمامة الإسلامية، والمنحدرة في ابن ابنة كسرى، إذ وافانا كاتب ينسب الوضع إلى الشيعة، فيدعي أنهم من يسعون للمجد من خلال العرق الفارسي الممتد لكسرى.

يقول المستشرق آلماني اشبولر: أعتقد أن زواج الحسين بن علي بن أبي طالب من أميرة ساسانية قصة مختلقة، وأن الشيعة سعوا إلى ربط الأئمة بآخر سلسلة ملكية إيرانية (الساسانية)، وقد أبدوا أهمية كبيرة لهذا الموضوع[1].

وأعتقد .بلا ريب .أن هذا المستشرق غارق في الجهالة بمذهب أهل البيت عليهم السلام حتى شحمة أذنه؛ لأنه لو عرف عقيدة الشيعة في أئمتهم عليهم السلام لامتنع عليه قلمه عن الكتابة.

أما علم أن من عقيدة الشيعة أن شرف أهل البيت لا يعود لملك ظاهري، وإنما هو شرف العبودية لله عز وجل وشُرف الخلق يوم جعلوا عليهم حكاماً كانوا أئمةً.

وأننا نعتقد أنهم متى ما مدوا يداً لأحد ليخطبوا منه كريمة، ولو كان والدها ملك الدنيا وسكانها، فقد تدلى على بابه فرع من شجرة المجد الأثيل، وقد وقف الشرف على بابه.

أما علم أننا نعتقد أن جبرئيل .وهو الملك المعظم .قد نال الشرف يوم أصبح سادساً في الكساء.

فهم المشرفون لكل أحد، ولا يشرفهم إلا ربهم وخالقهم بما يهبهم من العطايا والمنح الربانية.

---

(١) isilamischerseif.wiesbaden ١٩٥ : ١٧٨ مترجم إلى الفارسية، عنه مقال أساطير الشعوبية في موروث المدرسة الصفوية منشور في الإنترنت.

ولو رجعنا لأسس البحث العلمي فإننا نطالب بالاستبانات والدراسات الميدانية التي قام بها حتى خرج بهذه النتائج التي ألقاها دون دليل أو برهان.

والذي أعلمه أن دراسة تحمل هذه المواصفات تستدعي جهداً خاصاً، وتتطلب عناء بحث، وهؤلاء من خلف الجدران يريدون أن يكتبوا فيصيبوا كبد الحقيقة، فأنى يكون ذلك؟

إن القارئ لهؤلاء يحسب أنهم لم يمروا بمقاعد الدراسات الأكاديمية، ولم يتعرفوا على كل ذلك، وتزداد حيرةً إذا ما صدر اسمه بألقاب أكاديمية.

وليست هذه هي الساحة الوحيدة التي تشاهد فيها هذا الاختلاف، والذي لا يمكن أن تنتجه دراسات موضوعية، تتبع في نهجها المعايير العلمية.

لقد كتب أمثال هؤلاء عن تأثر الشيعة بواقعة كربلاء، فكان لهم قولان متناقضان أشد التناقض.

فأحدهم يقول: إن هذا التفاعل ولَّد لدى الشيعة حالة من الهيجان، فأصبحوا لا يؤمنون بعدها بالتغيير السلمي، ولا يسعون إلى الإصلاح الدبلوماسي، لقد حصروا أنفسهم في زاوية واحدة وهي الجهاد المسلح، فكانوا ضحايا لهذه القناعات.

وكاتب آخر يعبر عن أثر الارتباط بكربلاء، فيصوره حدثاً قد خدَّر المشاعر، فأصبح الشيعة يجلدون أنفسهم بالعزاء، وغابوا عن الساحة، وفقدوا الدرس الأكبر المستفاد من كربلاء، وهو الفداء والتضحية.

فليت شعري أي الكاتبين أصدق ؟ وأي الدراستين أعتمد؟، أهذا الذي جعل كربلاء مصدر التفاعل الجماهيري للشيعة مع قضاياهم، أم ذاك الذي جعلها مخدرة للمشاعر؟

ثانياً:

إن أمهات الأئمة منهن: الرومية، والمغربية، والقبطية، وغير ذلك.

ولن يرفع من قدر أم أحد الأئمة أن تكون ابنة كسرى الفرس أو قيصر الروم، وحسبها من الفخر أن الله سبحانه وتعالى قد اختارها لأن تكون رحماً لنوره في الأرض وحجته على الخلق.

ولهذا لو أن الحقيقة التاريخية نفت نسبة أمهات الأئمة لكسرى أو لقيصر، فإننا سنصير إلى النفي دون أدنى تحرج أو توقف.

ثالثاً:

إن خبر زواج الإمام الحسين عليه السلام بامرأة فارسية لم يقتصر ذكره على كتب الإمامية؛ ليتهم كتابها بأن دوافع كانت تختبئ وراء رواية هذا الخبر، بل إننا كما نجده في روايات أهل البيت عليهم السلام نجده في كتب المسلمين عامة، دون فرق بين عربي وغيره.

لقد روي هذا الخبر في وفيات الأعيان[١] وتاريخ الإسلام[٢] والوافي بالوفيات[٣] والبداية والنهاية[٤]، وهذا مما يجعل رمي الفرس بوضعها أمراً غير مقبول، وإنما تقف وراءه نعرات قومية لا مبرر لها، ولا يقرها الإسلام بحال من الأحوال.

وستجد من مقولات الكتاب القدماء والرواة ما تطمئن بأنه أمر حق، وكمثال على ذلك (المبرد) حيث يقول:

وكان يقال لعلي بن الحسين: (ذو الخيرتين)؛ لأن أمه كانت ابنة يزدجرد، وتأويل ذلك، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن لله عز وجل من خلقه خيرتين: من العرب

---

(١) وفيات الأعيان : ٣/٢٦٧.

(٢) تاريخ الإسلام : ٦/٤٣٩.

(٣) الوافي بالوفيات : ٢٠/٢٣٠.

(٤) البداية والنهاية : ٩/١٢٢.

قريش، ومن العجم فارس[(١)].

وتجد الشاعر العربي ـ وهو أبو الأسود الدؤلي ـ يقول:

وإن غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم[(٢)]

إن إيراد الخبر بهذا الأسلوب من قبل المبرد وأبي الأسود مما يشعر بتسالم الناقلين للخبر على صحته، فإنك لا تجد توهيناً للقول ولا تضعيفاً له.

(١) كتاب الفاضل : ١٠٦، عنه شرح إحقاق الحق : ٣/١٢.

(٢) الكافي : ١/٤٦٧.

الفصل الثاني:

حقائق حول شهربانويه

لك الشرف، يا ابنة كسرى، فقد أشرق نجم سعدك...

وهنيئاً، فقد أطل صبح الخلود، يوم يممت شطر وجه الحسين، تاركة قصور الأكاسرة.

لقد طوى سجل الأيام أميرات القصور، وسيدات فارس، وأصبحن نسياً منسياً...

وذكرك خالد مع الأيام، تردده حناجر الأولياء، ويتشرف به أهل القداسة... فأنت زوجة من؟ وأم من؟... يا ابنة الخلود.

بلادها :

تعددت كلمات أرباب التاريخ عند حديثهم عن البلاد التي احتضنت شهربانويه صغيرة، ونشأت تطأ ترابها بقدميها حتى أصبحت من أميرات بلاد فارس، فقيل إنها من:

. كابل :

وقد أرسل اليعقوبي هذا الخبر في تاريخه[1]، من دون أن يلتفت إلى خطئه؛ لأن فتح كابل كان سنة ثلاث وأربعين، وقد ولد الإمام السجاد عليه السلام سنة ثمان وثلاثين، فتكون ولادته قبل الغزو لكابل، وقبل أن تسبى نساؤها[2]، كما

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢/٣٠٣.

(٢) حياة الإمام زين العابدين للسيد المقرم : ٣٠.

أنه قول فيه خلاف لما هو مشهور ومعروف.

ويغلب الظن أن هذا القول ناظر للفترة التي كانت فيها بنات أو بنت كسرى ـ كما يروى ـ في كابل، ثم جاءت لأرض فارس[١]، والذي يبدو أن بعض عائلة يزدجرد قد فرت إلى كابل.

ـ أرض فارس: وعلى هذا القول كثير من المؤرخين.

اسمها المبارك :

لقد اختلف المؤرخون في اسمها اختلافاً كبيراً، فذكروا أن اسمها هو:

ـ سلافة: وحسب عبارة الشبلنجي في نور الأبصار "سلافة ولقبها شاه زنان"[٢].

ـ سلامة [٣].

ـ حرار [٤].

ـ غزالة: ويذكر اليعقوبي في تاريخه أن الإمام الحسين عليه السلام قد سماها بهذا الاسم[٥].

ـ خلوه، وقيل حلوة، وقيل حلولاء، وهي أسماء متقاربة[٦].

ـ برة [٧].

ـ خولة[٨].

---

(١) الأخبار الطوال : ١٥٤.

(٢) نور الأبصار: ١٨٨.

(٣) الكافي : ١/٤٦٦.

(٤) تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٤٧.

(٥) تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٤٧.

(٦) تاريخ أهل البيت : ١٢١/١٢٢.

(٧) تاريخ أهل البيت : ١٢١/١٢٢.

(٨) مجلة تراثنا : ٥٨/٢٠٩.

ـ مريم: وهو اسم جديد سميت به من قبل أمير المؤمنين عليه السلام[١].

وهناك أسماء أخرى تذكر لها، ولا أرى فائدة بذكرها؛ لانعدام المرجحات التي يمكن من خلالها الركون لبعضها واستبعاد الأخرى.

والذي تذكره الروايات هو أن اسمها شاه زنان أي سيدة النساء وقد أبدله أمير المؤمنين عليه السلام، فسماها (شهربانويه) أي: ملكة المدينة.

"ولعل السبب في تغييره اللقب هو التعريف بأن الملوكية على النساء الملازمة للسيادة عليهن مختصة بالصديقة الزهراء عليها السلام؛ لقول النبي صلى الله عليه وآله في الحديث المستفيض: فاطمة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين"[٢].

تعقيب:

أولاً:

لقد شاهدت اختلاف المؤرخين في تسميتها، والذي يبدو أن قسماً منها كانت ألقاباً تطلق عليها، وقد تتعدد بتعدد المرتبطين بها، وخصوصاً أن اسمها أعجمي؛ فلهذا سيلقبها كل بحسب نظرته إليها بلسان عربي.

وقسم آخر ما هو إلا اسم كان لمربية الإمام السجاد عليه السلام، التي تعامل معها المؤرخون كأم له.

ومن شواهد ذلك اسم (غزالة)، والتي يقال بأنها تزوجت بعد الإمام الحسين عليه السلام، وأنجبت ولداً اسمه عبد الله[٣].

وكانت هذه المربية أم ولد ـ أي جارية ـ والجواري يطلق أصحابهن عليهن أسماءً يرتضونها؛ فتتعدد أسماؤهن بتعدد مُلاّكهن.

---

(١) مجلة تراثنا : ٥٨/٢٠٩.

(٢) حياة الإمام زين العابدين للسيد المقرم : ٢٨.

(٣) حياة الإمام زين العابدين للسيد المقرم : ٢٨.

ثانياً:

لقد اختلف في اسمها الفارسي، فقيل: إن اسمها الذي كانت تسمى به هو جهان شاه[1]، وقيل إن اسمها هو: شهربان، أو شهربانو[2]، أو شه زنان[3].

ووردت الرواية في الكافي بأن اسمها هو شهربانويه[4]؛ ولذلك اخترناه من بين غيره ليكون فاتحة هذا الفصل.

أبوها:

اختلف المؤرخون في اسم أبيها اختلافاً كبيراً، كما ستلاحظ ذلك، فقيل:

- يزدجرد:

وهو أشهر اسم عرف لأبيها على الألسن، وفي أقلام الكتاب، والذي تستسيغه أذهان عامة الناس لشدة ما ألفته، وتعودت على سماعه.

- وقيل: شيرويه:

وهو ابن كسرى أبرويز، وقد ذكرذلك في المقنعة[5]والدروس[6] وتهذيب الأحكام[7]وروضة الواعظين[8].

- وقيل النوشجان:

ذكره من المؤرخين ابن الخشاب في تاريخ مواليد الأئمة[9]، وأشير له في

---

(١) قاموس الرجال: ٢٨٦/١٢.

(٢) تاج المواليد: ٣٦.

(٣) تاريخ مواليد الأئمة: ٢٣.

(٤) الكافي: ٤٦٧/١.

(٥) المقنعة: ٤٧٢.

(٦) الدروس: ١٢/٢، وقال: "وقيل ابنة يزدجرد".

(٧) تهذيب الأحكام: ٧٧/٦.

(٨) روضة الواعظين: ٢٠١.

(٩) تاريخ مواليد الأئمة: ٢٣.

مناقب آل أبي طالب [١] وفي كشف الغمة [٢]، ولكنك لن تجد ذلك في رواية عن أهل البيت عليهم السلام. بحسب ما وقعت عيني عليه من المصادر؛ ولهذا لا تجد بهذا القول احتفاءً لدى المؤرخين، بل تجد إعراضاً عنه، وهو مما يوهنه.

ومن أجل الإضاءة التاريخية نقترب من هذا الرجل، والذي لا يبعد عن رجالات الدولة بحال، بل قد يكون أحد أبناء الأكاسرة كما سترى.

إننا نجد التاريخ يتحدث عن أشخاص يطلق عليهم اسم النوشجان، وهم:

. أحد أبناء الأكاسرة:

وهو قائد من قواد الفرس، وقد كان حاضراً في أول مواجهة بين الفرس والمسلمين [٣]، ثم شارك في حرب المذار، وقد قتل فيها، وسبيت عيالات المقاتلة ومن أعانهم، وكان ذلك سنة اثنتي عشرة للهجرة [٤].

. النوشجان بن باذان:

وهو مرزبان من مرازبة الفرس، قتل في فتح نهاوند [٥]، وهذا يعني أنه رئيس من رؤسائهم [٦]، و يعبرون عن المرتبة التي يحتلهافي نظامهم أنها دون الملك [٧].

. النوشجان الذي قتله المغيرة بن شعبة لما سار إلى نهر تيري [٨] بأمر عمر بن الخطاب، وكان ذلك سنة خمس عشرة من الهجرة [٩].

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣/ ٢١١.
(٢) كشف الغمة : ٢/ ٣١٧.
(٣) معجم البلدان : ٥/ ٢٧٣.
(٤) البداية والنهاية : ٦/ ٣٧٩.
(٥) الفتوح : ٢/ ٣٠٥.
(٦) مجمع البحرين : ٤/ ١٩١.
(٧) تاج العروس : ٢ /٢١.
(٨) تاريخ مدينة دمشق : ٦٠ /٣٥.
(٩) تاريخ خليفة بن خياط : ٨٩.

ـ النوشجان الذي صالح خالد بن الوليد لما أتى نهر المرأة[1]، ولعله أحد الثلاثة السابقين؛ لأن التاريخ لم يذكر أنه قتل.

وقفة تامل:

أولاً: إن الأقوال الثلاثة تدور في فلك واحد، فكلها تشير إلى أن المرأة التي جيء بها من فارس ابنة كسرى مباشرة أو من ذريته.

وليس ذكر النوشجان ـ كأب لها ـ يبعدها عن الأسرة المالكة من الأكاسرة كما لاحظت.

والذي يدعم هذا الكلام أن الإمام الرضا عليه السلام وهو يتحدث مع النوشجاني عن بنتي كسرى وزواج الحسنين عليهما السلام منهما تجده يقول له: "إن بيننا وبينكم نسباً"[2].

فاعتبر الزواج من ابنة كسرى رابطة نسب مع النوشجاني، وما ذاك إلا لأنهم من عائلة واحدة.

ثانياً: إن الترديد الذي يذكر بين يزدجرد وشيرويه جعل بعض الكتاب يشك في أصل الحدث؛ لأن الترديد بينهما يعني نسبتها لشخصين بينهما أجيال متعددة؛ وإنك إذا ما رجعت للتاريخ تجد أن هناك عدداً من الملوك جاؤوا بعد شيرويه، ثم ملك بعدهم يزدجرد.

وقد غفل هؤلاء عن حقيقة مهمة وهي أن الملك أصبح قصير المدة، ابتداءً من شيرويه وحتى وصل ليزدجرد.

ولحاجة القارئ للتاريخ الإسلامي على وجه العموم، والقارئ لهذا

---

(١) معجم البلدان: ٥/ ٣٢٣.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١/ ١٣٥.

الموضوع بالذات، لبعض المعلومات عن الأكاسرة أذكر هذا التسلسل التاريخي:

ـ ملك أنوشروان (٤٧) سنة، أو (٤٩) سنة، ـ وهو الأرجح ـ وسبعة أشهر وأياماً.

وقد ولد النبي عليه السلام بعد مضي اثنتين وأربعين سنة من سلطانه.

ـ ملك بعده ابنه هرمز اثني عشر عاماً.

ـ ملك بعده كسرى أبرويز ٣٨سنة، وعلى رأس عشرين سنة من ملكه بعث النبي عليه السلام، وهاجر في سنة ثلاث وثلاثين من ملكه.

ـ ملك شيرويه ـ وهو ابن بنت قيصر ـ بعد أن قتل أباه سنة خمس من الهجرة، ومدة ملكه ثمانية أو سبعة أشهر، ومات بالطاعون.

ـ ملك أردشير، وكان معاصراً لشهادة النبي عليه السلام[1]، وقد قتل، بعد أن ملك سنة وستة أشهر[2].

ـ ملك شهر براز، وهو قاتل أردشير (٣٨) يوماً فقط .

ـ ملك كسرى بن قباذ عشرة أشهر.

ـ ملك فيروز من ولد أردشير (٥٠) يوماً فقط.

ـ ملكت بوران بنت كسرى سنة وأربعة أشهر.

ـ ملكت آذر ميدخت أربعة أشهر.

ـ ملك ابن صغير لكسرى أشهراً وأياماً.

ـ ملك يزدجرد عشرين عاماً، وقتل بمرو في حكم عثمان.

لقد كان جميع من ملك بعد كسرى أبرويز إلى أن ملك يزدجرد ثمانية

(١) مجمع البيان : ٢/٢١٤، وتفسير الثعلبي : ٢/٢٩.

(٢) تاريخ الطبري : ١/٦٢٩.

نفر، وقد ملكوا خمس سنين تقريباً[1].

ومحصلة الكلام أن بين ملك شيرويه ويزدجرد أقل من أربع سنين؛ ولهذا فإن الترديد بين أن تكون المرأة ابنة أحدهما لا يشكل به على صحة هذه الأخبار أو تهافتها.

الأصل الطيب:

من هذه الوافدة من بلاد الغربة لتستقر في بيت العصمة ؟ ومن هذه التي قطعت الفيافي .وعين السماء ترعاها .لتستظل تحت سدرة المنتهى، وتتقلب في رحاب تترك أملاك السماء فيها زغبها؟!

وليت شعري أي نفس قد حملتها بين جوانحها حتى أشرقت عليها شمس الجلال؛ لتختارها كريمة في بيت النبوة، وضجيعة لسيد شباب أهل الجنة ؟!

وحق لي أن لا أعجب عندما قرأت ما ذكره البيهقي في لباب الأنساب؛ حيث قال:

" وينتمون بوسائط أخر إلى منوشهر بن يهودا بن يعقوب بن إسحاق"[2].

أصل طيب، وفرع زاكٍ، قد فاح شذاه، واشرأبت له أعناق المكارم، فكانت محط الاختيار الإلهي.

---

(١) المحبر: ٣٦٢ ـ٣٦٣، وقد اخترته كمصدر أساس، واضفت بعضاً من تاريخ اليعقوبي: ١/١٦٤ـ ١٧٤، وتاريخ الطبري، ويوجد هناك ترتيب آخر يذكره المؤرخون، ولست بحاجة للتركيز على الاختلافات؛ لأن القصد معرفة مجمل التاريخ.

(٢) ١/٢٥١، نقله عنه الرحم الطيب: ١٣١.

الفصل الثالث:

الاختيار الإلهي

لقد جرى مع هذه المصونة ما عودتنا السماء عليه من اختيارها لأمهات الأنبياء والأوصياء، فهذه السماء تحنو عليها، لتأخذ بيدها، حتى تسير في ركب أهل الإيمان.

وكانت فاتحة الخير لها أن يأتيها رسول الله عليه السلام في منامها، وقد اصطحب معه عزيزه الإمام الحسين عليه السلام، فيدخلان بيتها ليقعدا هناك.

وتقدم النبي عليه السلام لخطبتها من أبيها، فزوجها أبوها من الإمام الحسين عليه السلام.

لقد أفاقت من نومها، وقد تعلق قلبها بمن تهوي القلوب بين يديه خاشعة لجلاله.

وغفت في الليلة الأخرى، فشاهدت السيدة فاطمة عليها السلام، وقد دخلت عليها، وعرضت عليها الإسلام، فأسلمت في المنام على اليد المباركة لسيدة النساء عليها السلام.

وحملت لها هذا الخبر العظيم الذي حققته الليالي:

"إن الغلبة تكون للمسلمين، وإنك تصلين عن قريب إلى ابني الحسين عليه السلام سالمة، لا يصيبك بسوء أحد".

وكانت الأمور تسير كما وعدتها، وقد لخصت الأمر بقولها:

وكان الحال أني خرجت إلى المدينة ما مس يدي إنسان [1].

---

(١) منتهى الآمال : ٢/ ٨ ـ ٩.

الرحلة الميمونة :

لقد حلت هذه المرأة أرض المسلمين، وارتبطت بالعترة الطاهرة محفوفة بالبشائر على لسان أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد روي أن الحسين عليه السلام أخذها من جملة الفيء، وقال له أمير المؤمنين: خذها؛ فستلد لك سيداً في العرب، سيداً في العجم، سيداً في الدنيا والآخرة[1].

إن الأمر الذي يتيقن منه أن هناك امرأة من بنات الأكاسرة قد زوجت بالإمام الحسين عليه السلام وأنجب منها ابنه زين العابدين عليه السلام.

وحينما تسأل عن الطريق الذي سلكته، و الزمان الذي صادف مجيئها، فستجد عند المؤرخين اختلافاً كبيراً.

لقد تعددت الروايات المتحدثة عن زمان وصولها من أرض فارس إلى بيت الطهارة والعصمة، وسأذكر تلك الروايات التي ذكرها المؤرخون، مع بيان ما نجده من تعليق حولها:

الطائفة الأولى :

وتذكر أنها قد وصلت المدينة أيام عمر بن الخطاب، وهذا القول لا يخلو عن ملاحظات عند المؤرخين تتعلق بأمرين:

الأول: إن الحسنين عليهما السلام حينما جيء بالسبي كانا في الثانية عشرة من عمرهما، يزيدان سنة أو سنتين ـ كما يبدو ـ وهو عمر مبكر، قد لا يناسب زواجهما من ابنتي يزدجرد.

ولكي نضع هذه الملحوظة في إطارها؛ لنعرف وزنها، فإننا نبحث عن عمر ابنتي كسرى يوم السبي لنقارنه بعمر الحسنين عليهما السلام.

---

(١) شرح إحقاق الحق : ٦/١٢.

وإننا متى ما رجعنا للتاريخ فلن نجد عنده أي حديث عن عُمْر أيٍّ منهما، ولكنَّ معرفة عُمْر أبيهما ستقرب لنا الأمر كثيراً.

لقد ملك يزدجرد وهو في الخامسة عشرة من عمره، وظل في الملك قرابة العشرين سنة، يزيد سنة أو ينقص أكثر منها[1].

فإذا كان عمره عند موته قريباً من الخامسة والثلاثين فإن بناته كن صغيرات عند السبي، وهذا ما يقلل من الفجوة التي تحدثها حداثة سن الحسنين عليهما السلام؛ لأن أعمارهن ستكون متقاربة مع عمر الحسنين عليهما السلام.

وخصوصاً إذا ما وضعنا في الحسبان ظروف الحرب التي لم تحسب لدى الناقدين، ونهاية أذيالها لم تلاحظ، فبين نهاية الحرب ووقوعهن في الأسر حتى الوصول للمدينة مقدار من الزمن قد يطول وقد يقصر، ولا يمكن التكهن به، ولكن لا بد أن يعطى قيمة في الحساب.

وهناك افتراض آخر، وهو أنهن ربما بقين في بيت الإمامة إلى أن تهيأن للزواج، ثم زوجن بعد ذلك.

الثاني: بقاء المرأة دون حمل أو ولادة مدة طويلة، تقرب من اثنتين وعشرين سنة؛ لأن ولادة الإمام السجاد عليه السلام كانت سنة ٣٨ من الهجرة.

ولا أحسب هذا الأمر كفيلاً برد رواية؛ فإننا في حياتنا اليومية شاهدنا أمثال هذه النماذج، ممن تبقى مدة طويلة دون حمل، ثم تحمل بعد ذلك، وتلد.

عرض الروايات :

ومنها ما يروى عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال:

لمّا أقدمت بنت يزدجرد على عمر أشرف لها عذارى المدينة، وأشرق

(١) إمتاع الأسماع : ١٢/١٣٢.

المسجد بضوئها لمّا دخلته، فلمّا نظر إليها عمر غطّت وجهها، وقالت: (اَف بيروج بادا روى هرمز).

فقال عمر: أتشتمني هذه، وهمّ بها.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ليس ذلك لك، خيّرها رجلاً من المسلمين، واحسبها بفيئه.

فخيّرها، فجاءت حتى وضعت يدها على رأس الإمام الحسين عليه السلام.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: ما اسمك؟

فقالت: جهان شاه.

فقال لها أمير المؤمنين عليه السلام: بل شهربانويه.

ثم قال للإمام الحسين عليه السلام: يا أبا عبد الله، لتلدنّ لك منها خير أهل الأرض، فولدت الإمام علي بن الحسين عليه السلام، وكان يقال للإمام علي ابن الحسين عليه السلام: ابن الخيرتين، فخيرة الله من العرب هاشم، ومن العجم فارس[1].

ويفصِّل هذا الخبر أبو جعفر الطبري الإمامي، فيقول:

لمّا ورد سبي الفرس إلى المدينة أراد عمر بن الخطاب بيع النساء، وأن يجعل الرجال عبيداً للعرب، وأن يرسم عليهم أن يحملوا العليل والضعيف والشيخ الكبير في الطواف على ظهورهم حول الكعبة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: أكرموا كريم كل قوم.

فقال عمر: قد سمعته يقول: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، وإن خالفكم.

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: فمن أين لك أن تفعل بقوم كرماء ما ذكرت، إن هؤلاء قوم قد ألقوا إليكم السلم، ورغبوا في الإسلام والسلام، ولا بدّ من

(١) الكافي: ١/ ٤٦٧.

أن يكون لي منهم ذرية، وأنا أُشهد الله، وأُشهدكم، أنّي قد أعتقت نصيبي منهم لوجه الله.

فقال جميع بني هاشم: قد وهبنا حقّنا ـ أيضاً ـ لك.

فقال: اللهم اشهد أنّي قد أعتقت جميع ما وهبونيه من نصيبهم لوجه الله.

فقال المهاجرون والأنصار: قد وهبنا حقّنا لك، يا أخا رسول الله.

فقال: اللهمّ اشهد أنّهم قد وهبوا حقّهم، وقبلته، واشهد لي بأنّي قد أعتقتهم لوجهك.

فقال عمر: لِمَ نقضت عليّ عزمي في الأعاجم ؟ وما الذي رغّبك عن رأيي فيهم؟

فأعاد عليه ما قال رسول الله عليه السلام في إكرام الكرماء، وما هم عليه من الرغبة في الإسلام .

فقال عمر: قد وهبت لله ولك ـ يا أبا الحسن ـ ما يخصّني، وسائر ما لم يوهب لك.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : اللهم اشهد على ما قالوه، وعلى عتقي إيّاهم.

فرغبت جماعة من قريش في أن يستنكحوا النساء، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : هؤلاء لا يكرهن على ذلك، ولكن يخيّرن، فا اخترنه عمل به.

فأشار جماعة الناس إلى شهربانويه بنت كسرى، فخيّرت، وخوطبت من وراء حجاب، والجمع حضور، فقيل لها: من تختارين من خطّابك، وهل أنت ممّن تريدين بعلاً؟ فسكتت.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : قد أرادت وبقي الاختيار.

فقال عمر: وما علمك بإرادتها البعل؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ رسول الله عليه السلام كان إذا أتته كريمة قوم لا

ولي لها وقد خطبت، أمر أن يقال لها: أنت راضية بالبعل؟، فإن استحيت، وسكتت، جعل إذنها صماتها، وأمر بتزويجها، وإن قالت: لا، لم تكره على ما لا تختاره.

وإنّ شهربانويه أريت الخطّاب، وأومأت بيدها وأشارت إلى الحسين ابن علي عليه السلام، فأُعيد القول عليها في التخيير، فأشارت بيدها، وقالت بلغتها: هذا إن كنت مخيّرة.

وجعلت أمير المؤمنين عليه السلام وليّها، وتكلّم حذيفة بالخطبة.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ما اسمك؟

فقالت: شاه زنان.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: نه شاه زنان نيست مگر دختر محمد صلى الله عليه وآله [1]، وهي سيدة النساء. أنت شهربانويه، وأُختك مرواريد بنت كسرى؟ قالت: آريه[2].

وروي أن شهربانويه وأختها مرواريد خيرتا، فاختارت شهربانويه الحسين عليه السلام ومرواريد الحسن عليه السلام[3].

روايات العامة لهذا الخبر:

ويروي هذا الخبر مجموعة من كتاب العامة، ويمكن مراجعة شرح إحقاق الحق في أوائل المجلد الثاني عشر لملاحظة العدد الذي رواها.

وهم يرون أن بنات كسرى كن ثلاثاً، مع أن الروايات رغم اختلافها لم

(١) ترجمة العبارة: لا، لا توجد سيدة النساء إلا بنت محمد صلى الله عليه وآله، وهي سيدة النساء. أنت سيدة نساء المدينة.

(٢) اي: نعم.

(٣) دلائل الإمامة: ١٩٤-١٩٦.

تشر إلا إلى ابنتين كانتا لكسرى، وقد أسرتا.

وستلاحظ أنهم قد أبعدوا الإمام الحسن عليه السلام من القسمة، وأصبح مكانه ابن عمر وابن أبي بكر.

وسينفتح النقد على الروايات بذكر محمد بن أبي بكر فيمن زوج؛ لأن الإمام الحسين .وإن كان صغيراً ـ إلا أنه كان فوق العاشرة من عمره، وقد تخصص له امرأة حتى يكبر كما سبق.

إلا أن محمد بن أبي بكر كان صغير السن جداً، فقد كان عمره ست سنين فقط، فإن سنة فتح المدائن عام ١٦ من الهجرة، وهذا ما لا يجعله في عداد من يرشح للزواج من امرأة يطلب لها زوج [١].

وسأكتفي بمصدر واحد كنموذج لهؤلاء المؤرخين وهو" إنسان العيون " الشهير بالسيرة الحلبية [٢]، وسأشير لأهم ما ورد عنده.

لقد ذكر في كتابه أن بنات الملك كن ثلاثاً قد جيء بهن، فوقفن بين يدي عمر بن الخطاب، فأمر المنادي أن ينادي عليهن، وأن يزيل نقابهن عن وجوههن ؛ ليزيد المسلمون في ثمنهن، فامتنعن من كشف نقابهن، ووكزن المنادي في صدره، فغضب عمر، وأراد أن يعلوهن بالدرة، وهن يبكين .

وبدأ تدخل أمير المؤمنين عليه السلام حيث ذكر له حديث رسول الله صلى الله عليه وآله "ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر"، وقال له: إن بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة .

فقال له عمر : كيف الطريق إلى العمل معهن؟

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يقومن، ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن،

---

(١) الرحم الطيب : ٢٩.

(٢) السيرة الحلبية : ٢/ ٢٢١.

فقومن، وأخذهن أمير المؤمنين عليه السلام.

فدفع واحدة لعبد الله بن عمر، فجاء منها بولده سالم، وأخرى لمحمد بن أبي بكر، فجاء منها بولده القاسم، والثالثة لولده الحسين، فجاء منها بولده علي الملقب بزين العابدين [١].

الطائفة الثانية:

وتذكر هذه الروايات أن مجيء السبي كان في زمان عثمان بن عفان، وقد احتمل الشيخ المجلسي في البحار [٢] أن ما ذكر في الروايات السابقة كان فيه تصحيف، فقد ذكرت اسم عمر بن الخطاب مكان عثمان.

مميزات هذا الروايات:

١ـ أن هذه الروايات لدى المؤرخين لا تواجه النقد المطروح سابقاً، ومن أهم النقد كون الحسنين عليهما السلام صغيرين، وستتجاوز مشكلة بقاء المرأة دون حمل أو ولادة مدة طويلة، وإن كنت لا أقيم لهما وزناً كما سبق ذكره؛ لعدم مانعيتهما من قبول الرواية.

٢ـ أن السبك التاريخي يتناسب فيما بينه مع هذه الرواية، فقد قتل يزدجرد في زمان عثمان، وانتهت حياته، وينص المؤرخون عند ذكر الأحداث المرتبطة بفتح مدينة "أبرشهر" على أن ابنتي كسرى قد سبيتا، كما ستلاحظ.

ثم تأتينا روايات منفصلة لتتحدث عن زواجهما بالحسنين عليهما السلام في تلك الفترة، بعد أن جيء بهما سبيتين.

---

(١) شرح إحقاق الحق: ١٢/٤.

(٢) بحار الأنوار: ٤٦/١٠.

عرض الروايات:

يروي سهل بن القاسم النوشجاني، قال: قال لي الرضا عليه السلام بخراسان: إن بيننا وبينكم نسباً. قلتُ: وما هو أيها الأمير؟

قال: إن عبدالله بن عامر بن كريز لما افتتح خراسان أصاب ابنتين ليزدجرد ابن شهريار ملك الأعاجم، فبعث بهما إلى عثمان بن عفان، فوهب إحداهما للحسن والأخرى للحسين، فماتتا عندهما نفساوين، وكانت صاحبة الحسين عليه السلام نفست بعلي بن الحسين عليهما السلام، فكفل علياً عليه السلام بعض أُمهات ولد أبيه، فنشأ وهو لا يعرف أُمّاً غيرها، ثم علم أنّها مولاته، فكان الناس يسمّونها أُمّه، وزعموا أنّه زوّج أُمه، ومعاذ الله، إنّما زوج هذه على ما ذكرناه [1].

وسأذكر من التاريخ ما يلقي بعض الإضاءة على الحدث، وما قد يستقرب القارئ من خلاله شيئاً مما يذكر.

. ذكر الطبري في تاريخه: أن عبد الله بن عامر صالح أهل أبرشهر صلحاً، فأعطوه جاريتين من آل كسرى: "بابونج" و"طهميج" أو "طمهيج"، فأقبل بهما معه [2].

. وقال في موطن آخر: وأصاب ابن عامر جاريتين من آل كسرى، فأعطى إحداهما النوشجان وماتت بابونج [3].

ونحن نعلم أن عبد الله بن عامر هو الذي افتتح خراسان، وفي ولايته قتل يزدجرد [4].

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١/١٢٥ـ ١٣٦.

(٢) تاريخ الطبري: ٣/٣٥٠.

(٣) ن.م.

(٤) تاريخ مدينة دمشق: ٢٩/٢٤٩.

. وفصَّل ابن عساكر الخبر فقال : وقتل يزدجرد بمرو وكل من كان معه، إلا رجل واحد أخذ آنية من آنية الملك، ثم أتى جرجان فكان بها، ومضى عبد الله بن عامر حتى نزل بأبر شهر، وبها ابنتا كسرى، فحاصر أهلها، فصالحوه على أنفسهم أنهم آمنون، وعلى ابنتي كسرى على أنهما آمنتان، وفتحوها له (١).

الطائفة الثالثة:

وتتحدث عن القضية بأنها كانت في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، وهي تحمل ذات الميزات السابقة التي ذكرناها للرواية الثانية.

ويضاف إلى ذلك أنها تحظى بتأييد المتخصصين ممن يركن إلى قولهم، ويحسب لقولهم حساب في تأريخ الأئمة.

فقد عبر السيد المقرم رحمه الله: بأن الرواية التي تقول بأن السبي كان في عهد عثمان أو في عهدأمير المؤمنين عليه السلام أقرب للواقع.

ومع ذلك يرى أن القول بأنها في زمان أمير المؤمنين عليه السلام أصوب، وأن هذا هو الذي عليه الشيخ المفيد، والفتال النيسابوري، والفضل بن الحسن الطبرسي رحمهم الله جميعاً (٢).

إن بعض الروايات تحدد زمان القضية وهو بعد واقعة الجمل أي أنه كان بعد سنة ٣٦ من الهجرة، والذي عليه كثير من المؤرخين أن ولادة الإمام السجاد عليه السلام سنة ٣٨من الهجرة، ولا يوجد بينهما اختلاف .

ولكن ستجد الاختلاف وعدم إمكانية القبول لدى المؤرخين الذين يرون أن ميلاد الإمام السجاد عليه السلام كان سنة ٣٦ من الهجرة(٣).

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٢٥٨/٢٩.

(٢) حياة الإمام زين العابدين للسيد المقرم : ٢٥ و٢٩.

(٣) راجع المجلد السادس والأربعين من بحار الأنوار؛ لتتعرف على تفاصيل الأقوال.

وستجد اختلافاً في تفاصيل الروايات المتحدثة عن وصول شهربانويه، وهو أمر لا يضر بأصل القضية، وأما الروايات فمنها:

أ. ما ينص على اسم الباعث بهن:

وقد ورد في الروايات تصريح باسم من ظفر بابنتي كسرى، ومن تلك الأسماء:

١. حريث الحنفي:

فقد روي أن أمير المؤمنين عليه السلام ولى حريث بن جابر الحنفي جانباً من المشرق، فبعث إليه بنتي يزدجرد بن شهريار بن كسرى، فنحل ابنه الحسين عليه السلام شاه زنان منهما، فأولدها زين العابدين عليه السلام، ونحل الأخرى محمد بن أبي بكر، فولدت له القاسم بن محمد بن أبي بكر، فهما ابنا خالة [1].

٢. خليد:

لقد اختلفوا في نسبه، فقيل: إن أصل اسمه خالد ويسمى خليداً، وهو ابن كأس [2]، والذي يبدو أنها نسبة إلى أمه التي عرف بها [3]، وقيل: اسمه قرة اليربوعي، وقيل: طريف.

والاختلاف في الأب يمكن أن يكون راجعاً للنسبة للأب تارة وتارة للجد؛ ولهذا ذكروا أن اسمه خالد بن طريف بن قرة [4].

لقد استعمله أمير المؤمنين عليه السلام على خراسان بعد واقعة الجمل، وذلك عندما فرق العمال في البلاد، ولما علم خليد بذلك، سار حتى إذا دنا من نيسابور، بلغه أن أهل خراسان قد كفروا، ونزعوا يدهم من الطاعة، وقد قدم

---

(١) روضة الواعظين: ٢٠١.
(٢) الأخبار الطوال: ١٥٤.
(٣) ذكر في وقعة صفين: ١٢، ربعي بن كاس، فقال: "وكاس امه يعرف بها".
(٤) أعيان الشيعة: ٣٣٥/٦. (بتصرف)

عليهم عمال كسرى من كابل، فقاتل أهل نيسابور، فهزمهم، وحصر أهلها، وبعث إلى علي عليه السلام بالفتح والسبي.

ثم صمد لبنات كسرى فنزلن على أمان، فبعث بهن إلى علي عليه السلام، فلما قدمن عليه، قال : أزوجكن ؟ قلن: لا، إلا أن تزوجنا ابنيك، فإنا لا نرى لنا كفواً غيرهما.

فقال علي عليه السلام: اذهبا حيث شئتما. فقام نرسى[1]، فقال: مر لي بهن، فإنها منك كرامة، فبيني وبينهن قرابة، ففعل، فأنزلهن نرسا معه، وجعل يطعمهن، ويسقيهن في الذهب والفضة، ويكسوهن كسوة الملوك، ويبسط لهن الديباج[2].

ويتفق الدينوري مع هذه الرواية، إلا أنه يذكر أن ابنة كسرى واحدة، وقد جاءت من كابل، فمال أهل نيسابور معها، فقاتلهم خليد فهزمهم، وأخذ ابنة كسرى بأمان، وبعث بها إلى علي عليه السلام.

فلما أدخلت عليه قال لها : أتحبين أن أزوجك من ابني هذا ؟ يعني ـ الحسن ـ .

قالت : لا أتزوج أحداً على رأسه أحد، فإن أنت أحببت رضيت بك.

قال : إني شيخ، وابني هذا من فضله كذا وكذا.

قالت : قد أعطيتك الجملة.

فقام رجل من عظماء دهاقين العراق يسمى نرسى، فقال : يا أمير المؤمنين، قد بلغك أني من سنخ المملكة، وأنا قرابتها فزوجنيها.

فقال : هي أملك بنفسها، ثم قال لها : انطلقي حيث شئت، وانكحي من

---

(١) وهو كبير أهل السواد من العجم، وكانوا يوكلون له أمر مخاطبة أمير المؤمنين عليه السلام، كما في وقعة صفين : ١٤.

(٢) وقعة صفين : ١٢ .

أحببت، لا بأس عليك [١].

ب. ومن الروايات ما لا يذكر اسم الباعث بهن:

. فقد روى الشيخ المفيد تدّسّ في الاختصاص الخبر هكذا: وبعث إليه من خراسان بنات كسرى، فقال لهن: أزوجكن؟

فقلن له: لا حاجة لنا في التزويج، فإنه لا أكفاء لنا إلا بنوك، فإن زوجتنا منهم رضينا، فكره أن يؤثر ولده بما لا يعم به المسلمين [٢].

ـ وروى الأصمعي: أن ابنة يزدجرد جاءت علي بن أبي طالب في مئة وصيفة، فقال علي عليه السلام: أكرموها، فإنها حديثة عهد بنعمة.

فقال لها: تزوجي بالحسين ابني. فقالت: بل أتزوج أنت.

فقال لها: الحسين شاب، وهو أحق بالتزويج مني.

فقالت: مثلي لا يملكه من يُملَك [٣].

---

(١) الأخبار الطوال: ١٥٤.

(٢) الاختصاص: ١٥١.

(٣) شرح إحقاق الحق: ١٢/ ٣.

الفصل الرابع:

نوادر من شؤونها

-١-

روي في الإرشاد أن أمير المؤمنين عليه السلام سأل شاه زنان بنت كسرى حين أسرت: ما حفظت عن أبيك بعد وقعة الفيل؟

قالت: حفظنا عنه أنه كان يقول: إذا غلب الله على أمر ذلت المطامع دونه، وإذا انقضت المدة كان الحتف في الحيلة.

فقال عليه السلام: ما أحسن ما قال أبوك، تذل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير[١].

-٢-

لقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أن أم علي بن الحسين ماتت في نفاسها به، فكفله بعض أمهات ولد أبيه فسمّاها الناس أمه، وإنما هي مولاته[٢].

وهذه المولاة اسمها وشيكة، وهي أم يحيى بن أم الطويل، وكان الإمام السجاد عليه السلام يدعوها أماً، وهي التي زوَّجها فعابه عبد الملك بن مروان بأنه زوَّج أمه، توهماً أنها أمه[٣].

---

(١) الإرشاد : ١ /٣٠٢.

(٢) فاطمة بنت الحسين : ١٦.

(٣) قاموس الرجال : ٣١/١١.

وأجد احتمالاً آخر في اسمها، وهو (غزالة)؛ ولهذا ظن بعض النسابة والمؤرخين أنها أم الإمام السجاد عليه السلام، ولما رأوها تزوجت بزبيد وأنجبت له عبدالله بن زبيد أسسوا على هذا الظن أنه أخ للإمام السجاد عليه السلام وهو اشتباه واضح كما ترى.

.٣.

هناك احتمال يذكر، وهو أن أخت شاهزنان .وهي شهربانويه .كانت زوجة لمحمد بن أبي بكر، فلما قتل في مصر بقيت زوجته، فتزوجها الإمام الحسين عليه السلام.

وهذا الاحتمال منشؤه ما ورد في التاريخ من خبر ينص على وجود شهربانويه في كربلاء، فقد قالوا:

وخرج غلام، وبيده عمود من تلك الأبنية، وفي أذنيه درتان، وهو مذعور، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً، وقرطاه يتذبذبان، فحمل عليه هانئ بن ثبيت فقتله، فصارت شهربانو تنظر إليه، ولا تتكلم كالمدهوشة[1].

وقد علق على هذه الرواية السيد محمد علي القاضي رحمه الله، فقال:

والذي يظهر بعد البحث وإمعان النظر في كتب السير والتواريخ أن في أسراء الفرس الذين جاؤوا إلى المدينة من بنات يزدجرد ثلاث فتيات.

تزوج واحدة منهن عبد الله بن عمر، فأولدها سالماً، والأخرى محمد بن أبي بكر، فأولدها القاسم، والثالثة الحسين عليه السلام، فأولدها السجاد عليه السلام، وهي شاهزنان، ماتت عند ولادة السجاد عليه السلام، ولم تحضر واقعة الطف.

والمظنون قوياً أن شهربانويه التي كانت في كربلاء هي زوجة محمد بن

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥/٤٥ـ٤٦، والخبر رواه الطبري : ٣٤٣/٤ بالفاظ مختلفة، ولم يورد ذكر شهربانوية.

أبي بكر، وقد تزوجها الحسين عليه السلام بعد وفاته، وهي التي رمت نفسها في الفرات بعد قتل سيد الشهداء عليه السلام، ولعلها فعلت ذلك - إن صحت القضية - خوفاً من الإسارة وطمع يزيد - لعنه الله - في تزويجها عناداً وعداوة للحسين عليه السلام..."[1].

وذكر صاحب مناقب آل أبي طالب ما يرتبط بهذا الأمر، فقال: "وعلي الإمام - وهو علي الأوسط - وعلي الأصغر، وهما من شهربانويه"[2].

ولا يخلو هذا القول من ملحوظتين، وهما:

١. إن قتل النفس حرام في نفسه، فلا يقوم به من هو متصل بالإمام الحسين عليه السلام.

ولا يغيب عن القارئ أن الإمام الحسين عليه السلام أعطى العائلة ضماناً بعدم التعرض لهم بما يشين، فقال عند الوداع: والله حافظكم وحاميكم، وسينجيكم من شر الأعداء ... فلا يصيبهم ما يصيب السبي.

٢ـ إن هناك قولاً لا يمكن تغافله، وهو أن ابنتي كسرى تزوجتا بالحسنين عليهما السلام - كما تقدم - وقد ورد في الرواية أنهما ماتتا نفساوين، وبذلك تكون صفحات ابنتي كسرى قد انتهت منذ عهد الإمام الحسين عليه السلام[3]، إلا بناءً على قول صاحب مناقب آل أبي طالب .

من هي زبيدة ؟

إن الزائر للقبر الموجود شمال قرية (أمين آباد)، والذي يبعد ٤كيلو عن مدينة الري، يجد هناك قبراً لامرأة يزعم أنها زوجة الإمام الحسين عليه السلام وداخل مدينة الري قبر ابنتها زبيدة.

---

(١) الأنوار النعمانية : ٨٨/٣،تعليق السيد محمدعلي القاضي

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٢٣١/٣.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١٣٦/١.

حيث يدعى أنهما هربتا من جيش ابن سعد بعد الواقعة، وفرتا نحو الري(١).

وهذا الادعاء لا يؤيد من جهتين :

الأولى : أن التاريخ قد سجل وفاة والدة الإمام السجاد عليه السلام، إلا أن يقال بأنها من ذكرت في التاريخ، وسجل حضورها في مشهد من مشاهد كربلاء، والتي يحتمل أنها كانت أختاً لها كما تقدم.

الثانية : أنه لا يوجد ذكر لبنت من بنات الإمام الحسين عليه السلام تسمى زبيدة ؛ ليصبح لها مقام تزار فيه.

وقد عبَّر عن قصتها صاحب الذريعة رحمه الله بأنها من الحكايات الخيالية(٢).

ولعلنا نجد رابطة بين هذه الدعوى وما ذكره صاحب الجوهرة في نسب الإمام علي وآله ـ وهو كتاب متخصص في الأنساب ـ من أن أم الإمام السجاد عليه السلام قد تزوجها بعد كربلاء زبيد، فولدت له عبدالله ابن زبيد، ثم قال : فهو أخو علي بن الحسين لأمه(٣).

وكرر هذا الكلام ابن ماكولا في إكمال الكمال، فقال: مولى علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان أخا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب لأمه، وهي غزالة(٤).

وما عبد الله بن زبيد إلا مولىً لآل علي عليه السلام، وهو من أصحاب علي ابن الحسين عليهما السلام، ويسمى بعبد الله بن زبيد الهاشمي(٥)، ومن المناسب أن يزوج أبوه بمولاة من مواليهم.

---

(١) للتوسع يراجع كتاب الرحم الطيب : ١٠١ـ ١٢٢.

(٢) الذريعة : ٤٦/٢٣.

(٣) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله : ٥٠.

(٤) ١٧١/٤، وفي المعارف لابن قتيبة : ٢١٤، والمنتخب من ذيل المذيل : ١١٩، والبداية والنهاية : ١٢٢/٩.

(٥) نقد الرجال : ١٠٥/٣، طرائف المقال : ٦٠/٢، معجم رجال الحديث : ١٩٨/١١.

ولاشك أنهم قد خلطوا بين والدة الإمام السجاد عليه السلام وبين المربية التي تولت أمره بعد وفاة أمه، فإنها قد تزوجت وأنجبت، فإن كانت أرضعته فهو أخوه من الرضاعة، وإلا فهو اشتباه بظنهم أنها كانت أماً له [1].

---

(١) لقد ورد في مروياتنا تعريف رجل بأنه كان أخاً لعلي بن الحسين لأمه، ويسمى (عبد الله بن زيد) كما في بحار الأنوار: ٢٧٢/٣٦، وبصائر الدرجات: ٣٤، والكافي: ٢٧/١، وكتاب الغيبة: ٧٢، وقد ضبطت كتب الرجال والأنساب اسم والده بـ(زبيد).

وهناك شخص آخر يشاركه في هذه التسمية بالأخوة وهو (علي بن راشد) كما في الكافي: ٥٣١/١.

وقد عقب على الروايتين الشيخ المازندراني رحمه الله بقوله: "قيل: كان أخا علي بن الحسين لأمه رضاعاً، وقيل: كانت أمه جارية الحسين عليه السلام، وكانت مربية لعلي ابن الحسين عليه السلام، وهو زوّجها بعد مراجعته من كربلاء، فولدت ابناً فكان بمنزلة أخيه من أمه مجازاً". شرح أصول الكافي: ٦٧/٦.

(٢) الرباب بنت امرئ القيس

أيتها الرباب...

يا ابنة الملوك، ويا ابنة الحضارات بين دجلة والفرات، لقدفاح عطرك، فما أدركت أنوف أرباب العطارة سره.

يا ابنة الأكرمين، أنيري لنا الدروب؛ لنعرف أي يد صاغتك فكنت من نوادر الدهور...

أم هو نور الحسين لمحت سناه، فنفضت عنك جلابيب أهل الدنيا، ولبست ثياب الأولياء لتلحقي بالركب...

فهنيئاً لك في البيت العلوي زوجة، وفي الطف بطلةً، وفي المدينة بعدها ناعيةً...

إيه يا أم الرضيع...

الفصل الأول:

النسب والعائلة

وهي ابنة امرئ القيس الكلبية [1]، ويذكر المؤرخون نسبها فيقولون: هي الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب [2]، ويتصل النسب حتى يصل إلى قضاعة، وهم من بني حمير [3]، فهي قحطانية الأصل.

وقلة من المؤرخين من ذكر أنها ابنة أنيف، مخالفاً ما عليه غالبية أهل التاريخ.

ولا شك أن هذا اشتباه قد وقعوا فيه، وربما سألت عن سبب الاشتباه التاريخي، فأقول: إن البلاذري قد ذكر بيتين نسبهما للإمام الحسين عليه السلام وزعم أنه قالهما في زوجته الرباب، ومنها:

أحب لحبها زيداً جميعاً ... وتلة كلها وبني الرباب [4]

---

(١) إكمال الكمال: ١٣٦/٢، وتاريخ مدينة دمشق: ١١٩/٦٩، وسير أعلام النبلاء: ٢٠٣/٢، والمعارف: ٢١٣، والجوهرة في نسب الإمام علي وآله: ٤٦ ـ ٤٧، وتاريخ الطبري: ٢٦٠/٤، والكامل: ٨٠/٤، وإعلام الورى: ٤٧٨/١، والدر النظيم: ٥٧٥، وكشف الغمة: ٢٤٩/٢، وغيرها من المصادر.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٢٠٥/٦٩، وذكره الطبري في المنتخب من ذيل المذيل: ٢٥، مع اختلاف في ضبط بعض الأسماء، فرفيدة أسماه رفدة، ولم يذكر عبد الله بين هبل وكنانة، وذكر ثوراً في آخر السلسلة، وذكره الطبري في تاريخه: ٢٥٩/٤، إلا أنه وقف عند عليم، ثم قال: "من كلب" دون أن يذكر ما بينهما من آباء.

(٣) أمالي المرتضى: ١٧٣/١.

(٤) أنساب الأشراف: ١٩٦.

فقال: " والرباب هذه هي بنت أنيف بن حارثة بن لام الطائي "[١]، وواضح أنه يتحدث عن امرأة تنسب إليها قبيلة (بني الرباب)، فظن الظان أن البلاذري يذكر نسب زوجة الإمام الحسين عليه السلام، وهو اشتباه منه واضح.

وقد تفرد ابن حبان ـ حسبما أعلم ـ فسماها في كتابه (الثقات) بالرباب بنت القاسم بن أوس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب[٢].

وهو قول لا يقره عليه المؤرخون، وحسبك بقيمة هذا النقل التاريخي أنه متفرد به .

وكان والد السيدة الرباب امرؤ القيس يسكن السماوة، والتي كانت أرض كلب، ولكي نقترب من المنطقة أكثر نقرأ تعريفها الذي يقولون فيه : "هي بادية بين الكوفة والشام"[٣].

وهذا التحديد سيريحنا من عناء التوجيه لما ورد عند بعض المؤرخين من كونه أميراً على قضاعة الشام.

مع أن الثقفي في الغارات ذكر هذه العبارة، ولكن دون أن يذكر الشام، فقال : " فعقد له على من أسلم من قضاعة "[٤].

إن هذه الموقعية لامرئ القيس هيأت له الفرصة ليكون دليلاً لحجر ابن عدي لما مر في أربعة آلاف قاصداً الضحاك يوم أغار على العراق، أيام حكم أمير المؤمنين عليه السلام[٥].

---

(١) ن.م

(٢) الثقات : ٢/٢١١.

(٣) حاشية الغارات : ٢/٤٢٦.

(٤) الغارات : ٢/٨١٦، وذكرها كذلك ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق : ٦٩/١١٩، وأما في الإصابة : ١/٣٥٥ فقد قال : " على من أسلم بالشام من قضاعة"، وكذلك تجدها في الوافي بالوفيات : ٩/٢١٩، وفي انساب الأشراف : ١٩٤ :" وعقد له على جنود قضاعة ".

(٥) الغارات : ٢/٤٢٦، وشرح نهج البلاغة : ٢/١١٨.

وأما أمها فهي هند الهنود بنت الربيع، وتلتقي مع زوجها في كعب ابن عليم، فهي كلبية [(١)].

الزواج المبارك :

لم أجد إلا رواية واحدة في المصادر التاريخية تتحدث عن الطريقة التي وصلت بها الرباب للبيت العلوي، وقد رووها عن أمالي ثعلب وهو يوصل سندها إلى عوف بن خارجة.

وفيها يقول عوف : إني والله لعند عمر في خلافته إذ أقبل رجل أمعر يتخطى رقاب الناس، حتى قام بين يدي عمر فحياه بتحية الخلافة، فقال: من أنت؟ قال: امرؤ نصراني، وأنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي. فلم يعرفه عمر، فقال له رجل: هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية، قال: فما تريد؟ قال: أريد الإسلام. فعرضه عليه، فقبله، ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم من قضاعة، فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه.

قال عوف: ما رأيت رجلاً لم يصلِّ صلاة أُمِّر على جماعة من المسلمين قبله.

قال: ونهض علي وابناه حتى أدركه، فقال له: أنا علي بن أبي طالب ابن عم النبي عليه السلام، وهذان ابناي من ابنته، وقد رغبنا في صهرك، فأنكحنا.

قال: قد أنكحتك - يا علي - المحياة ابنة امرئ القيس، وأنكحتك - يا حسن - سلمى بنت امرئ القيس، وأنكحتك - يا حسين - الرباب بنت امرئ القيس [(٢)].

لقد رفض هذه الرواية السيد المقرم رحمه الله لعدة أسباب، وهي:

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٥٩، أعيان الشيعة : ٤٤٩/٦.

(٢) الغارات : ٨١٦/٢.

١ـ إن الأسلوب الذي اتخذه أمير المؤمنين عليه السلام في طلبه للزواج من بنات امرئ القيس لا يتناسب مع الأخلاق النبوية التي يتحلى بها صاحبالخلافة الكبرى.

٢. إن الأسلوب كذلك لا يتفق مع الأعراف التي ألفها المسلمون في طريقة تقدمهم لطلب الزواج.

٣ـ إن القصة تحمل تسرعاً من أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة بنات رجل نصراني حديث عهد بالإسلام.

٤ـ تحمل هذه الرواية مغمزاً في شخصية أمير المؤمنين عليه السلام، فقد رسمته رجلاً خاضعاً لشهواته، تحفزه غريزته الجنسية.

٥ـ لقد تجاهلت الرواية رأي البنات المخطوبات، وجعلت الرأي للأب فقط، ولم تذكر المهر فيها، وما يذكر من مخارج فقهية لا تصح مع هذه الحالة التي لا يخاف فيها من فوات الزوجة.

٦ـ إن الرواية تفترض بقاء الرباب دون حمل أو ولادة أكثر من عشرين عاماً، والعادة تستبعد حدوث مثل ذلك[١].

ولا نملك أمام هذه المؤاخذات إلا أن نقول إن الزواج قد تم في ظروف لم يكشفها التاريخ الصحيح.

وقد كانت ثمرة هذا الارتباط المقدس أن أنجبت السيدة سكينة وعبد الله الرضيع عليهما السلام[٢]، وينسب صاحب مناقب آل أبي طالب لها ولداً اسمه محمد[٣]، ويسميها بأم الرباب.

---

(١) السيدة سكينة : ١٢٣ـ ١٣٥.
(٢) الإرشاد : ١٣٥/٢.
(٣) مناقب آل أبي طالب : ٢٣١/٣.

الفصل الثاني:

مع الرباب في شعرها

وباح القلب بما يجنه، وصدح اللسان بما يكنه، فتجاوز كلامها حديث المرأة عن زوجها، ووقفت مع أفواج المرتلين لكلمات الثناء من أهل المعرفة.

هذا ما ستراه مبثوثاً في شعرها، وستسمعه من رثائها، وستشعر أنك أمام ترتيل لا تشدو به إلا أفواه من عشقوا إمامهم فنسوا أنفسهم.

لقد كانت الرباب ضمن السبايا الذين تحملوا أذيال واقعة كربلاء، وعلاها منها غبار ألزمها الحزن حتى رمقها الأخير.

ويروى لها من الشعر ما قالته حين وُضع الرأس الشريف بين يدي عبيد الله ابن زياد، وجعل ينكت بالقضيب بين ثناياه، فأخذت الرأس، ووضعته في حجرها، وقبّلته، وقالت:

واحسيناً فلا نَسيتُ حسيناً ... أقْصَدَتْهُ أسِنَّةُ الأعداء
غَادَرُوهُ بكربلاءَ صريعاً ... لا سَقَى اللهُ جَانِبَي كربلاءِ [1]

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٣٣، الأعيان: ٦٢٢/١، وقد نسبها الحموي في معجم البلدان: ٤/ ٤٤٥، إلى غيرها، فقال: ورثته ـ يعني الحسين عليه السلام ـ زوجته عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل، فقالت: واحسينا...
وليس زواجها بالإمام الحسين عليه السلام صحيحاً، حيث لم يذكر عند المؤرخين وأهل النسب، ولو قبلنا زواجها من الإمام الحسين عليه السلام فإنها لم تبق إلى يوم كربلاء، بل ماتت قبل ذلك.
لقد ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب: ١٨٨/٤ما يلي: "وتزوجها الحسن بن علي فتوفي عنها وهو ↵

وحدث التأريخ عن أبيات أخرى قالتها، نفثت فيها آهات الحزن مصحوبة بفتات كبدها المقروحة:

إنَّ الذي كانَ نوراً يُسْتَضاءُ بِه ... بكربلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفونِ
سبطَ النبيِّ جزاكَ اللهُ صالحةً ... عنا وجُنِّبتَ خسرانَ الموازينِ
قد كنتَ لي جبلاً صَعْباً ألوذُ بهِ ... وكنتَ تَصْحَبُنا بالرحمِ والدينِ
مَنْ لليتامى ومَنْ للسائلينَ ومَنْ ... يُغْنِي ويأوي إليهِ كلُّ مسكينِ
واللهِ لا أبتغي صِهْراً بصِهْرِكُمُ ... حتى أُغَيَّبَ بين الرملِ والطينِ [(١)]

وقفة مع أبياتها :

لقد رسمت سيدتنا الرباب بأشعارها ثم بسلوكياتها أروع صور الارتباط بأهل البيت عليهم السلام.

فلم تكن هذه المرأة ممن تعود العيش في الصحارى والقفار، بل كانت ابنة ملك من ملوك العرب وسيد من ساداتها.

وانتقلت إلى بيت الشرف والإمامة، فعاشت في كنف البيت العلوي ردحاً من الزمن، حتى جارت الدنيا بكيدها، وأصبحت هذه المرأة تحت سطوة

آخر من ذكر من أزواجها "، وتجد العبارة نفسها عند الصفدي في الوافي بالوفيات : ٣١٩/١٦، وهو اشتباه واضح كما ستلاحظ .

وأما ابن حجر في الإصابة : ٢٢٨/٨ ، فذكر الزبير في تعداد أزواجها ، ولم يذكر أنها تزوجت بعده . وفي البداية والنهاية : ٢٨٩/٦، بعد ذكره موت الزبير قال : "وامتنعت عن التزوج حتى ماتت" . وفي الأعلام للزركلي : ٢٤٢/٣ أنها بقيت أيماً بعد الزبير إلى أن توفيت، وفي كتاب المحبر : ٤٣٧ ذكر آخر أزواجها محمد بن أبي بكر ثم عمرو بن العاص . وهو اشتباه واضح . ولم يكن للحسنين عنده ذكر.

والذي يوضح الموقف من الأقوال السابقة أنها قد توفيت سنة ٤١ من الهجرة، وحسب عبارة ابن كثير في البداية والنهاية : ٢٦/٨ : "فإنها لم تزل حتى ماتت في أول خلافة معاوية في هذه السنة "، ثم انتقل لتاريخ سنة ثنتين وأربعين .

(١) موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام : ٤٣٩/٢.

السياط، تقاسي مرارة السبي والشماتة وقد تجلّى معدنها الطاهر وأصلها الطيب الزكي أكثر وأكثر.

لقد كانت الزوجة الوحيدة التي تحدث عنها المؤرخون بعد يوم كربلاء الدامي، فكانت كل الأخبار تشير إلى إكبارها المستمر لعلاقتها بالبيت العلوي، واعتزازها بذلك.

ولم تكن عباراتها إلا نفحات، قد بعثتها المعرفة العميقة بعظمة العائلة التي تشرفت بها .

وسأشير إلى بعض مظاهر تلك المعرفة :

أولاً : إن القارئ ليعجب من امرأة كانت في بيوت العز والجاه، ثم لم تلبث إلا مدة بعد زواجها وإذا بها ترى نفسها بين يدي عدو ظالم، لا يرق قلبه لعبرة أرملة، ولا يتعاطف مع أنة لفاقدة ومع ذلك تخاطب سيد الشهداء عليه السلام قائلة :

سبط النبي، جزاك الله صالحة عنا ...

إن أهل المروءات يقفون إجلالاً أمام هذه الصورة الفريدة لامرأة تمر بتلك الظروف، فلا تبدي تذمراً ولا عتاباً، بل تجد منها هذا الدعاء الذي يفيض من قلب عارف بما حصل عليه من قرب إلى الله تعالى .

وأحسب أنها لو قالت جزاك الله صالحة وسكتت لظن الظان أنه دعاء بالخير لفقيدها، ولكنها أضافت هذه الكلمة (عنا)، والتي أعطت الصورة ملامحها الحقيقية.

إن دعاءها نابع من الخير الذي قد تهدلت عليها فروعه، وقطفت من ثماره الجنية، فقالت ما قالت عرفاناً بالفضل الذي نالته ببركات ما قام به.

ثانياً :

استعمالها للألفاظ القرآنية المرتبطة بالإمامة، فتجدها تعبر عن الإمام بالنور، وتشير إلى دوره الذي كان يقوم به ؛ فقد كان هادياً لمن أراد الهداية.

ثالثاً:

لما تحدثت عن علاقتها معه جعلت عنصر إكبارها أنه كان يصحبهم بالرحم والدين، ولم يكن نظرها مقصوراً على المعاملة الظاهرية، وإنما كان نظرها نحو الإطار الذي يؤطر سلوكياته وتعاملاته، وهو الدين.

رابعاً:

تقييمها للعلاقة النسبية التي ربطتها بخاتم الأنبياء ﷺ، فلم ترغب بأي رابطة ولو كانت مع أهل الشرف والغنى.

وحسبك أن تراها تخاطب زوجها بالقرابة النسبية بالرسول ﷺ فتقول " سبط النبي "، وفيها من الاعتزاز ما لا يدرك بعده، ولا يسبر غوره إلا لمن عاش تلك العلاقة النسبية الخاصة.

الفصل الثالث:

وفاؤها ووفاتها

روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: لما قتل الحسين عليه السلام أقامت امرأته الكلبية عليه مأتماً، وبكت، وبكين النساء والخدم حتى جفت دموعهن وذهبت، فبينا هي كذلك إذ رأت جارية من جواريها تبكي ودموعها تسيل، فدعتها فقالت لها: مالك أنت من بيننا تسيل دموعك؟! قالت: إني لما أصابني الجهد شربت شربة سويق، فأمرت بالطعام والأسوقة، فأكلت، وشربت، وأطعمت، وسقت، وقالت: إنما نريد بذلك أن نتقوى على البكاء على الحسين عليه السلام.

وأهدي لها جؤناً[1] ـ وفي رواية جزر[2] ـ لتستعين بها على المأتم الذي عقد للإمام الحسين عليه السلام، فلما رأت الجؤن قالت: ما هذه؟ قالوا: هدية أهداها فلان؛ لتستعيني على مأتم الحسين عليه السلام.

فقالت: لسنا في عرس!! فما نصنع بهن؟ ثم أمرت بهن فأخرجن من الدار، فلما أخرجن لم يحس لهن حس، كأنما طرن بين السماء والأرض، ولم يرَ لهن بها بعد خروجهن من الدار أثر[3].

---

(١) قال عنه في الصحاح: ٢٠٩٦/٥: "والجوني: ضرب من القطا سود البطون والأجنحة، وهو أكبر من الكدري تعدل جونية بكدريتين". وهذا التفسير هو ما ارتضاه السيد بدر الدين الحسيني في الحاشية على أصول الكافي: ٢٧١، والشيخ المازندراني في شرح أصول الكافي: ٢٣٥/٧ والشيخ الشعراني في حاشيته. وقد ضبطت الكلمة بالنصب في الكافي مع أنها نائب فاعل.

(٢) الثاقب في المناقب: ٣٣٤، والجزر ما يصلح لأن يذبح من الشاء.

(٣) الكافي: ٤٦٦/١.

وبعد واقعة الطف خطبها الأشراف، فقالت: ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ، وبقيت مدة سنة، لم يظلها سقف، وماتت كمداً، وقيل : إنها أقامت على قبره سنة [1] ثم قالت :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر[2]

وعبارة البداية والنهاية فيها إضافة على ما سبق وهي :" وقد خطبها بعده خلق كثير من أشراف قريش، فقالت : ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ، ووالله لا يؤويني ورجلاً بعد الحسين سقف أبداً . ولم تزل عليه كمدة حتى ماتت، ويقال : إنها إنما عاشت بعده أياماً يسيرة فالله أعلم [3]، وقد ذكر في أحداث سنة (٦٢) من الهجرة وفاتها [4].

وقفة تأمل :

إن القارئ لهذه الرواية لا يرى إلا أنه أمام نموذج منصهر في الولاء للإمام الحسين عليه السلام، إنها لم تكن لتأكل الطعام تلذذاً أو تشهياً، بل أعرضت عن هذه الملذات، فكان أكلها للسويق مربوطاً بالتقوي على البكاء.

وتجدد رفضها لكل مظاهر التشهي، فترفض الطيور التي قد أهديت لها، وتعتبرها مما لا ينبغي أن يؤكل بعد أن فقدت سيدها.

من أخبارها المتناثرة

يحدث التاريخ بأن السيدة الرباب كانت تملك داراً، وقد هدمها سعيد بن العاص بعد واقعة كربلاء كما هدمت دار أمير المؤمنين عليه السلام ودار عقيل.

---

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام : ٢٩٥/٢.

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٦٩/ ١٢٠.

(٣) البداية والنهاية : ٢٢٩/٨.

(٤) ن.م : ٢٣٨/٨.

ويبدو أنها كانت لها مزرعة ؛ فقد كان لها سقي يوم السبت وليلته من عين بذي خشب[١].

ويحدث التاريخ بأن الحسين عليه السلام مرَّ بمساكين يأكلون في الصفّة، فقالوا: الغداء، فنزل وقال: إنّ الله لا يحبّ المتكبّرين، فتغدى معهم، ثمّ قال لهم: قد أجبتكم فأجيبوني، قالوا: نعم، فمضى بهم إلى منزله فقال للرباب: أخرجي ما كنت تدّخرين[٢].

تساؤلان تاريخيان

سؤالان يطرحان أمام ما يرويه التاريخ عن السيدة الرباب، ولو كان الراوي له من كُتابنا فقط لأسرعت أقلام فئة من الكتاب لنفيه، وبادرت ألسن فئة أخرى لرميه بالكذب والوضع، ولتشدق المتسرعون بتسفيه القائل به؛ بدعوى ضرورة التحقيق في الموروث الشيعي.

ولكن الوضع سيختلف بما أن الرواية قد وردت في مصادر المسلمين عامة، ولن تجد تلك الضراوة في معالجتهم لما روي.

وستجد خلال العرض التالي تسرع فريق من الكتاب وهم يعالجون هذه الرواية، فلقد قالوا:

هل يمكن أن تكون الرباب قد مكثت في كربلاء سنة كاملة على القبر الشريف باكية نادبة؟

وهل يمكن أن تتركها السيدة زينب عليها السلام دون أن ترجعها للمدينة؟

إن مما لا شك فيه أن المقام على القبر سنة كاملة ليس أمراً مستهجناً فيما

---

(١) شرح الأخبار : ٣/ ٢٦٩.

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٨١/١٤.

مضى، بل هو أمر كان معمولاً به عند نساء ذلك العصر، فقد أقامت فاطمة الكبرى على قبر الحسن المثنى سنة كاملة.

وأما تركها بالعراق فهو أمر لا يستبعده القارئ بعد أن علم أن أهلها من العراق، وإن تركها بتلك الديار يعني أنها ستكون بالقرب من ديارها، وعلى مقربة من أهلها، وليس في تركها نوع من تخلي السيدة زينب عليها السلام عن مسؤوليتها الملقاة على عاتقها، كما لو كانت الرباب من أهل المدينة أو ما جاورها، فإن الأمر سيحمل كثيراً من الغرابة؛ حيث تترك بأرض لا أهل لها فيها.

وأحسبك قد تفطنت لما لم يمر بخلد بعض الرافضين للرواية؛ حيث لم يتنبهوا للمواقع الجغرافية التي تنتمي لها السيدة الرباب، فكان قولهم واستهجانهم للرواية في غير محله.

الفصل الرابع:

مع الشعر المنسوب

لقد نسبت كتب التاريخ والأدب أبياتاً شعرية للإمام الحسين عليه السلام يتحدث فيها عن علاقته بزوجته الرباب، وهي بحاجة إلى تأمل وتدقيق للوقوف على حقيقتها.

النموذج الشعري الأول:

إنها أبيات قد اشتهرت عند الكتاب وعلى ألسنة الخطباء، وأصبحت جزءاً من ثقافة عامة الناس، فضلاً عن الطبقة المثقفة، وهي:

لعمـــركَ إنتـــي لأحـــبُّ داراً	تحـــلُّ بهـــا ســـكينةُ والربـــابُ
أحبُّهمـــا وأبـــذلُ جـــلَّ مـــالي	ولـــيس لعاتـــبٍ عنـــدي عتـــابُ
ولـــستُ لهـــم وإن عتبـــوا مطيعـــاً	حيـــاتي أو يغيِّبنـــي التـــرابُ[1]
كـــأن الليـــل موصـــول بليـــل	إذا زارت ســـكينة والربـــابُ[2]

مصادرها:

إن هذه الأبيات ليست وليدة عصور متأخرة، وقد ذكرت في المصادر

(١) الأغاني: ١٥٧/١٤.

(٢) شرح إحقاق الحق: ٤٣٦/١٩.

القديمة جداً، فقد ذكرها من كُتّاب القرن الثالث : ابن قتيبة في المعارف [١]، والبلاذري في أنساب الأشراف [٢]، ومحمد البغدادي في المحبر [٣]، وابن سعد في طبقاته [٤]، والثقفي في الغارات [٥].

ومن كُتّاب القرن الرابع ذكرها : الأصفهاني في مقاتل الطالبين [٦]، والعسكري في تصحيفات المحدثين [٧].

وإذا ما تتبعت هذه الأسماء وغيرها، فإنك لن تجد فيها مصدراً يعتمد عليه من مصادرنا الروائية الموثوقة، والتي تتبعت تفاصيل الحياة المباركة للإمام الحسين عليه السلام، وهذا ما يدعونا للتوقف أمامها.

ولو بحثنا في تلك المصادر عن الراوي لهذه الأبيات، فإننا نجدها مرسلة دون راوٍ يرويها.

ولعل أقدم من ذكرها من الكتاب (مصعب الزبيري) في نسب قريش [٨]، فولادته كانت سنة ١٥٦هـ ووفاته كانت سنة ٢٣٦هـ [٩]، وتشير أصابع الاتهام إليه لما رواه من الأكاذيب [١٠]، وما أراد به من التغطية على سكينة بنت خالد الزبيرية، صاحبة القصص مع الشعراء، أو غيرها من النساء المرتبطات بهم.

---

(١) المعارف : ٢١٣.
(٢) انساب الأشراف : ١٩٦.
(٣) المحبر : ٣٩٧.
(٤) راجع ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد : ١٨.
(٥) الغارات : ٢/٨١٦.
(٦) مقاتل الطالبيين : ٥٩.
(٧) تصحيفات المحدثين : ٢/٦٦١.
(٨) قاموس الرجال : ١٢/ ٢٥٦.
(٩) معجم المؤلفين : ١٢/٢٩١.
(١٠) العقيلة والفواطم : ١٦٧.

الاختلاف في الأبيات:

من المصادر ما اكتفى ببيت واحد، ومنها ما ذكر بيتين، وفي بعضها إضافة لبيت ثالث، والقليل منها يذكر البيت الرابع.

مناسبتها:

لقد زعموا أن هذه الأبيات قالها الإمام الحسين عليه السلام لما عاتبه الإمام الحسن عليه السلام على حبه للرباب[1].

ويروون ذلك عن السيدة سكينة عليها السلام، وأنها قالت: عاتب عمي الحسن أبي في أمي الرباب، فقال الحسين عليه السلام راداً عليه[2].

المناقشة:

تستوقفنا مجموعة من النقاط ونحن نمر بهذه الأبيات، ونقرأ مناسبتها المزعومة، ومنها:

أولاً:

إننا نقرأ في هذه الأبيات التصريح باسم الزوجة والبنت، ولو غضضنا الطرف دون ذلك، فإن ما فيها من البوح بالحب المفرط لهما يؤكد الزيف الملفق.

ثانياً:

إن البيت الرابع يكشف عن العلاقة التي تربط الشاعر ومن ورد ذكرهما في الأبيات، فهي علاقة عشق وحب وغرام، وليست علاقة حب أب لابنته أو زوجته.

---

(١) تفسير الآلوسي: ١٩/ ١٤٩.

(٢) أعيان الشيعة: ٤٤٩/٦.

فهو يعبر عنها بأنها زائرة له، والرجل المتزوج لنساء عدة يكون هو الزائر لإحداهن، وليس العكس كما صورته الأبيات.

وإن ذكره لزيارة المرأتين له ليلاً وتطاول الليل لزيارتهما علامة واضحة على أنها تحكي مغامرة غرامية قد قامتا بها.

ومن له ذوق أدبي يعرف أن الأب لا يعبر بتعبير يجمع فيه بين الزوجة والبنت بهذا الأسلوب.

ثالثاً:

إن هذه القضية تقع ضمن سلسلة من المحاولات لرسم علاقة متشنجة بين أهل البيت عليهم السلام.

وقد تعددت مسارح هذه الأكاذيب، فتارة تكون بين علي والزهراء عليهما السلام، وأخرى بين علي والحسن عليهما السلام، وثالثة بين الحسن والحسين عليهما السلام.

ومن أجل أن نعرف مقدار الكذب الذي حمله هذا الخبر، نقف على طبيعة العلاقة بين الحسنين عليهما السلام، وخير ما يرجع له في ذلك ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام، وسنجد في مستهلها ما روي عن الإمام الباقر عليه السلام، وهي رواية تختصر لنا المسافة، فقد قال:

"ما تكلم الحسين بين يدي الحسن إعظاماً له، ولا تكلم محمد ابن الحنفية بين يدي الحسين عليه السلام إعظاماً له"[1].

رابعاً:

إن العصمة التي يحملها الإمام الحسين عليه السلام تمنع من أمرين:

أحدهما: أن يميل المعصوم إلى زوجة أو ولد ميلاً عاطفياً، يخرج به عن صراط الاستقامة والكمال.

(١) بحار الأنوار: ٢١٩/٤٣.

الآخر: أن يحدث خلاف بينه وبين أخيه عليهما السلام، فهما المعصومان، وصاحبا العقل الكامل.

خامساً: إن سيرة الإمام الحسين عليه السلام وغيرته لا تتناسب مع ذكره لزوجته وابنته بشعر يرويه الناس، وربما غناه المغنون المغرمون بأمثال هذا الشعر.

سادساً: إن الذي يظهر من المناسبة المزعومة أن الإمام الحسين عليه السلام خرج عن صراط الاستقامة، وإلا لما كان لعتب الإمام الحسن عليه السلام مسوغ؛ إذ لا يلام الرجل في حبه لامرأته، وإنما يلام إذا شط به الحب عن الجادة.

النموذج الشعري الثاني:

أحب لحبها زيداً جميعاً ... ونتلة كلها وبني الرباب
وأخوالاً لها من آل لام ... أحبهم وطر بني جناب [1]

وهذان البيتان قد نسبا للإمام الحسين عليه السلام، وهما أقل اشتهاراً من الأبيات السابقة.

وأقدم من ذكرهما البلاذري في أنساب الأشراف، وهو من القرن الثالث[2]، وذكرهما السهيلي في الروض الآنف، وهو من القرن السادس[3]، وذكره الزبيدي في تاج العروس[4] من المتأخرين، وقد ذيلها هو والبلاذري بالقول: "والرباب هذه بنت أنيف بن حارثة بن لام الطائي"، وقد نسبت القبيلة لهذه الأم؛ فسموا بني الرباب.

---

(١) تاج العروس: ٢ /١٠، أنساب الأشراف: ١٩٦، مع اختلاف قليل جداً.
(٢) أنساب الأشراف: ١٩٦.
(٣) دائرة المعارف الحسينية ـ ديوان الإمام الحسين عليه السلام: ١/٢٤٤، وقد نقلها عن حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة: ٩١، وقد ذكر: أن السهيلي هو أقدم من ذكر البيتين، ولعله لم يطلع على أنساب الأشراف؛ ليعرف أن أقدم من ذكرهما هو البلاذري.
(٤) تاج العروس: ٢/١٠.

وقد ذكر البلاذري في تعليقته أن الرباب المتحدث عنها في الشعر من بني لام الطائي، وممن يقع في أنسابهم جناب وتتلة[١].

ولو سألت التاريخ عن رباب ترتبط بنسب كهذا النسب لوجدت في كتاب (نسب قريش) أن الزبير كان متزوجاً بالرباب بنت أنيف وهي أم لمصعب وأخته رملة[٢].

وإذا ما سألته عن نسبها فإنه يجيبك بأنها : بنت أنيف بن عبيد بن مصاد بن حصن بن كعب بن عليم بن جناب[٣].

إنني لا أجزم بأنها قيلت فيها، وليس بين يدي شاهد على ذلك، والشعر لا يحمل دلالة على المرأة المذكورة، ويمكن أن ينطبق على الاثنتين، وعلى غيرهما.

فإن مصاداً ـ جد أم مصعب ـ هو ابن تتلة[٤]، وجناب المذكور في الشعر جدها كذلك، وزيد ـ وهو اسم امرأة ـ هي زوجة كعب بن عليم[٥].

وللرباب بنت امرئ القيس أجداد كهؤلاء، فأمها هند الهنود، وجدها مصاد[٦]، وأم هند ميسون، وهي من بني الرباب[٧].

---

(١) انساب الأشراف : ١٩٦، وأما عبارة ابن كثير في البداية والنهاية : ٢٢٨/٨، فهي: "ومما انشد الزبير بن بكار من شعره في امرأته الرباب بنت أنيف، ويقال بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس الكلبي".
ملحوظة: تختلف كتب التاريخ في ضبط اسم تتلة أو نتلة، ولعل الاختلاف كان بسبب التصحيف، وقد التزمنا بما يرد في المصادر؛ ولهذا اختلف ضبطها في الكتاب.

(٢) وكذلك في سير أعلام النبلاء : ١٤٠/٤ـ١٤١، وفي الوافي بالوفيات : ١٢١/١٤: مصعب وحمزة ورملة أمهم أم الرباب بنت أنيف الكلبية، وفي الطبقات : ١٠٠/٣ العبارة ذاتها وقد سماها الرباب، وابن كثير سماها (كرمان) في البداية والنهاية : ٢٥٠/٨.

(٣) نسب قريش : ٢٣٦، حاشية تاريخ دمشق : ١٢٨/٦٩، جمهرة أنساب العرب :٤٥٧.

(٤) انساب الأشراف : ١٩٦.

(٥) ن.م.

(٦) مقاتل الطالبيين : ٥٩.

(٧) ن.م.

وجناب جدها من أبيها وأمها، وأما زيد فهي أم جابر بن كعب، وهي جدتها.

ملحوظات على نسبة البيتين :

أولاً : تفرد البلاذري بالنقل للبيتين، ولم يسندهما لراوٍ معين لهما، فقد ذكرهما مرسلين دون إشارة لمن حدثه بهما.

ثانياً: خلت الكتب الأخرى والمشهورة منهما.

ثالثاً: إن البيتين لهما مقدمة محذوفة، فقد تكلم عن امرأة أشار لها بالضمير الذي يعود على متقدم، ولكننا لا نجد لها وجوداً، فقد قال:

أحب لحبها ... فعلى أي امرأة يعود هذا الضمير ؟ إن النص الموجود لا يسعفنا بشيء من ذلك.

رابعاً : في إضافة كلمة (طر) إلى بني الرباب ضعف ؛ حيث أن العادة جرت على أن يأتي بعد الكلام الذي يراد توكيده لا قبله؛ حيث تقول: أحببت الناس طراً، أو جميعاً.

ولو قيل: إن الضرورة الشعرية ألجأته إلى ذلك، قلنا: كان بإمكانه استخدام كلمة (كل)، وعندها يكون أقرب إلى اللغة العربية [1].

خامساً: يحمل البيتان تعبيراً عن الحب العارم الذي يحمله الشاعر لهذه المرأة، بحيث أصبح الحب يشمل كل من يرتبط معها برابطة نسبية.

وهذه التعبيرات بعيدة عن الأجواء التي كان يعيشها الإمام الحسين عليه السلام، ولا تتلاءم مع المقام الذي يحتله عند الله عز وجل، فإن ولي الله على الخلق لا يصدر في حبه للآخرين بدافع عاطفي، يشب في قلبه أواره فيهبه لكل من

(١) الموسوعة الحسينية ـ ديوان الإمام الحسين عليه السلام : ١/ ٢٤٦.

اقترب، ولو كان عدواً لله ﷻ، أولئك قلوبهم تعيش كمال الانقطاع إلى الله ﷻ، ولا تميل إلا حيث توجد مرضاة الله ﷻ.

إن العشق لا يحل إلا بتلك القلوب الفارغة من الله ﷻ، وأما من فرغ قلبه من كل شيء، فأفرده لبارئه، فكان عرشاً لله ﷻ لا يدنو منه أمثال ما ذكر في هذين البيتين .

(٣) أم إسحاق بنت طلحة

لقد تحدث التاريخ عن هذه المرأة فأكثر من الكلام عنها، وجاء بما لا يحتمل أو يطاق من حديث غريب، وآخر لا يليق بمن ترتبط بأهل العصمة عليهم السلام.

وستجد في كلام المؤرخين تناقضاً لا يتم معه الكلام، بل تتضح المغالطات فيه، وتعجب من عدم التنبه لذلك منهم.

الفصل الأول:

الأب والأم

إن أباها هو طلحة الذي اقترن باسم الزبير؛ حيث اشتركا في الوقوف بوجه أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل، ولن أحمّل الابنة تبعات مواقف أبيها، ولن ألقي بظلال تلك المواقف على دراسة حياتها.

وإنما سنتبع الدليل، ونتقصى الحقائق التاريخية، حتى نصل للحقيقة التي يمكن أن نركن إليها، وتأنس بها عقولنا.

وأما أمها، فهي الجرباء بنت قسامة بن رومان من طيء، وإنما سميت الجرباء لحسنها ؛ فكانت لا تقف إلى جانب امرأة .وإن كانت جميلة .إلا استقبح منظرها لجمالها .

وكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جانبها ؛ فشبهت بالناقة الجرباء التي تتوقاها الإبل مخافة أن تعديها[1].

وقد قدمت الجرباء مع أخيها حنظلة على رسول الله عليه السلام، ومعه ابنته زينب، وهم نصارى، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا.

فتزوج زينب بنت حنظلة أسامة بن زيد، وتزوج طلحة الجرباء بنت قسامة، ولم ينجب طلحة منها غير أم إسحاق التي تزوجها الإمام الحسن عليه السلام[2].

---

(١) مقاتل الطالبيين : ١٢٢.

(٢) راجع تاريخ مدينة دمشق : ١٥/٧٠.

الفصل الثاني:

ذريتها

- الذرية الحسنية :

يذكر المؤرخون أن الإمام الحسن (عليه السلام) قد أنجب منها عدة أولاد، اتفق المؤرخون على واحد منهم، وهو :

طلحة :

وقد مات ولا عقب له، ويسمى طلحة الخير [1]، وكان مطعاماً [2]، وأكثر المصادر لم تذكر إلا هذا الولد [3].

وأما المختلف فيهم والذين تفرد بذكرهم بعض المؤرخين فهم :

- الحسين بن الحسن الملقب بالأثرم [4] :

والذي كان من أهل الفضل، ولكنه مات سريعاً، ولم يكن له عقب [5]،

---

(١) تاريخ دمشق: ٣٢/٢٥، وتهذيب الكمال: ٤٠١/١٣، تهذيب التهذيب : ١٦/٥، الوافي بالوفيات : ٢٧٦/١٦.

(٢) كتاب المنمق : ٣٨٣، وكتاب المحبر : ١٥٠.

(٣) شرح نهج البلاغة : ٢١/١٦، والطبقات الكبرى : ٣/ ٢١٤، والمعارف : ٢٣٣، وكتاب المحبر : ٤٤٢.

(٤) إعلام الورى : ٤١٦/١، والدر النظيم : ٥١٦، وكشف الغمة : ١٩٩/٢.

(٥) تهذيب المقال :٣٩٢/٢.

وصاحب مناقب آل أبي طالب [١] يعتبره ابن خولة الفزارية، وابن قتيبة يذكر أن أمه أم ولد[٢]، وفي العدد القوية [٣] القول نفسه، وقد سماها ابن سعد في الطبقات (ظمياء) [٤].

أبو بكر[٥] :

ويذكر أن أمه أم ولد، وهي أم القاسم الشهيد يوم كربلاء رملة، وقد سماها ابن سعد (بقيلة) [٦].

فاطمة[٧] :

والمؤرخون يذكرون أن للإمام الحسن عليه السلام ابنتين باسم فاطمة [٨] إحداهما أنجبت من أم إسحاق.

الذرية الحسينية :

يذكر بعض المؤرخين أن الإمام الحسن عليه السلام أوصى أخاه الإمام الحسين عليه السلام أن يتزوجها، فتزوجها، فولدت له فاطمة [٩].

ويفصل الخبر ابن عساكر فيقول : فلما حضرت حسناً الوفاة قال لأخيه

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣/١٩٢.

(٢) المعارف : ٢١٢.

(٣) العدد القوية : ٣٥٢.

(٤) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من طبقات ابن سعد : ٢٨.

(٥) مناقب آل أبي طالب : ٣/١٩٢.

(٦) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من طبقات ابن سعد : ٢٨.

(٧) الإرشاد : ٢/٢٠، ومناقب آل أبي طالب : ٣/١٩٢، وإعلام الورى : ١/ ٤١٦، والدر النظيم : ٥١٦، وكشف الغمة : ٢/١٩٩، والعدد القوية : ٣٥٢-٣٥٣

(٨) الإرشاد : ٢/٢٠.

(٩) المعارف لابن قتيبة : ٢٢٣، وحاشية شرح الأخبار : ٣/١٩٨.

حسين: يا أخي، لا تخرجن أم إسحاق من دوركم[١].

ونقل عنها أنها قد حدثت عما رأت منهما، فقالت:

كان الحسن بن علي يأخذ نصيبه من قيام الليل من أول الليل، وكان الحسين يأخذ نصيبه من آخر الليل[٢].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ١٧/٧٠.

(٢) المصنف لابن أبي شيبة: ١٧٤/٢.

الفصل الثالث:

وقفة تأمليّة

لا يمكن لنا أن نقبل كل مفرزات التاريخ، ونحن نعلم التلاعب الذي حصل فيه، وخصوصاً ما يبدو من وجود أهداف غريبة تقف وراء حبك القضايا التاريخية، والمتعلقة باقتران العلويين بغيرهم من النساء أو العكس.

وقد تسأل ما هي البواعث لاتخاذ هذا الموقف من المؤرخين، بحيث أصبح لا يركن إلى نقولاتهم وأخبارهم ؟ وهل هناك ما يحفز على انتهاج هذا النهج ؟

فأجيب : بأن عدة أسباب هي التي تدعو لاتخاذ هذا الموقف، ومنها:

أولاً :

محاولة المؤرخين زجَّ اسم الحسن والحسين عليهما السلام في زيجات غريبة جداً، فهذه يطلقها الإمام الحسن عليه السلام فيأخذها أخوه، وتلك سيموت عنها فيوصيه بها.

فأم إسحاق يوصي بها الإمام الحسن عليه السلام أخاه كي لا تخرج من البيت العلوي، وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر تتزوج بالإمام الحسن ثم يطلقها، ويتزوجها المنذر بن الزبير، ويأخذها بعده الإمام الحسين عليه السلام [1]، ولا يتوقف النسج الخيالي مع هاتين الحادثتين، وستجد في ثنايا الكتاب ما يلحق بهذا التشويه المتعمد.

---

(١) تاريخ دمشق : ٦٠ /٢٩١، وطبقات ابن سعد : ٨/ ٤٦٩.

ثانياً :

إن المرويات التي تدور حول أم إسحاق وعائشة أختها .وهي زوجة مصعب بن الزبير .تتشح بوشاح واحد، وتصدر عن ذهنية مبتكرة متناغمة ومتجانسة.

فهن نساء يتنافس الرجال على الزواج بهن، فأم إسحاق يخطبها معاوية لابنه يزيد من أخيها، والحسن يخطبها من أخيها الآخر، ويكون الأحق بها الأسبق دخولاً بها (١) .

وهن نساء متمنعات على أزواجهن، فما يذكر لعائشة من تمنعها على زوجها يذكر لأم إسحاق مع الإمام الحسين عليه السلام (٢).

ثالثاً :

تعداد الأزواج المثير للريب، فتراها تنتقل من زوج لآخر مع اختلاف الشخصيات من حيث الالتزام الديني .

فتارة تتزوج رجلاً في قمة القداسة والطهارة، وأخرى تتزوج رجلاً يقام عليه الحد في شربه للخمر (٣).

---

(١) راجع المصنف لعبد الرزاق الصنعاني : ٢٣٢/٦، فقد ذكر أن موسى بن طلحة أنكح بالشام يزيد بن معاوية أم إسحاق ابنة طلحة، وانكح يعقوب بن طلحة الحسن ابن علي، ثم يذكر أن معاوية علم بدخول الإمام الحسن بها فأمر بتركها . وفي الخبر ما فيه من النقاش الواضح، وفي تاريخ دمشق : ٢٣٠/٨، حديث يتضمن التسابق على الزواج بها إلا أنه مختلف عنه .

(٢) يتحدث الصفدي في الوافي بالوفيات في المجلد : ٢٤٣/١٦ عن عائشة بنت طلحة، فيقول : وكانت شرسة الأخلاق، وكذلك نساء بني تيم، وكانت عند الحسين بن علي رضي الله عنهما أم إسحاق بنت طلحة، وكان يقول : والله لربما حملت ووضعت، وهي مصارمة لي لا تكلمني، ثم اخذ يذكر قصة مقاطعة عائشة لزوجها مصعب بن الزبير .

(٣) ذكر زواجه من أم إسحاق تاريخ دمشق : ٢٤٦/٣٢، والطبقات الكبرى : ٥/ ١٩٥، وراجع تهذيب الكمال : ١٦ /٦٧ـ٦٨؛ لتعرف تفاصيل أخباره مما لا يذكر، وأكتفي بما ذكره محمد البغدادي في المنمق :٣٩٧، فقد قال : "وحدَّ مروان أيضاً ابن أبي عتيق، واسمه عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي بكر في الخمر ...".

نتيجة هذا التامل :

إننا بين موقفين صعبين للغاية، وهما :

الموقف الأول :

وهو الرفض لأصل الزواج من الحسنين عليهما السلام تبعاً لما يعتور الأخبار من الموهنات، إذا ما تتبعنا الشخصيات المحيطة بهذه المرأة.

ولا أريد أن أدخل في التفاصيل، وإنما أحيل القارئ على نقاط يصعب معها القبول بمثل هذا الزواج، والذي جعل من نتاجه فاطمة بنت الإمام الحسن عليه السلام، والتي ستكون أماً للإمام الباقر عليه السلام.

ويمكنك أن ترجع للتاريخ لتتعرف على أم طلحة، وهي الصعبة الحضرمية، وتابع موقف أبناء طلحة يوم الجمل، واستطلع ما يقوله التاريخ عن عائشة أخت أم إسحاق.

وأجد أمامي عدة احتمالات لفهم ما يذكره المؤرخون، وهي :

١ـ أن المرأة المذكورة هي أم إسحاق بن طلحة، وليست أم إسحاق بنت طلحة.

والفرق بين العبارتين أن ما يذكره المؤرخون يدعي أن أم إسحاق كانت بنتاً لطلحة، وما نحتمله أنه قد وقع تصحيف في كلمة(بن) فحولت لـ(بنت)، وإنما كانوا يعرّفون المرأة بابنها إسحاق بن طلحة فيقال أم إسحاق بن طلحة.

ولكن هذا القول لا يتوافق مع ما ينص عليه المؤرخون من أن أم إسحاق بن طلحة معروفة النسب، فهي أم أبان بنت عتبة [1]، أو خولة بنت القعقاع [2] ولم

---

(١) الطبقات الكبرى : ٥/١٦٦.

(٢) تهذيب الكمال : ٢٩/ ٨٢.

يتزوج أحد الحسنين عليهما السلام بواحدة تحمل هذا الاسم.

٢ـ إن هناك اشتباهاً قد وقع بين خولتين، وهما :

خولة بنت القعقاع التميمية، والتي هي أم إسحاق وزوجة طلحة، وخولة الفزارية أم الحسن المثنى .

فقد كانت أم خولة الفزارية مليكة بنت خارجة مطلقةً، فتزوجها طلحة[١]، وتزوج ولده محمد بابنتها خولة[٢]، وأنجب منها ولداً اسمه إبراهيم، ويكنى بأبي إسحاق[٣]، فلما قتل تزوجها الإمام الحسن عليه السلام[٤] وأنجب منها[٥].

وبناءً على هذا سيكون عندنا احد احتمالين، وهما :

١ـ أن الإمام الحسن عليه السلام قد تزوج أم أبي إسحاق، وهي خولة الفزارية، وقد جعلوها ابنة لطلحة ؛ لكونها منضمة في بيت طلحة المتزوج لأمها، وأسقطت من أم أبي إسحاق كلمة (أبي) فقيل عنها أم إسحاق.

٢ـ أنهم خلطوا بين خولة بنت القعقاع أم إسحاق بن طلحة وبين خولة الفزارية فسموها أم إسحاق.

والذي يعاضد هذا القول أمران :

أولهما : أن من المؤرخين من يقول : إن الحسين الأثرم ابن أم إسحاق،

---

(١) ذكر في الأغاني : ٥٠٤/٢٣ ما يلي: " أخطا ابن الكلبي في هذا الخبر (في خبره عن زواج امرأة منظور ابن ريان، وكانت زوجة أبيه، تزوجها محمد بن طلحة)، وإنما تزوجها طلحة بن عبيد الله، وأما محمد ابنه فإنما تزوج خولة بنت منظور...".

(٢) سر السلسلة العلوية : ٦، عمدة الطالب : ٩٨.

(٣) تقريب التهذيب : ٦٤/١، تاريخ مدينة دمشق : ١٤١/٧.

(٤) وخالف صاحب المعارف : ١١٢، هذا القول، فذكر أن الإمام الحسن هو الذي تقدم في الزواج، وتزوجها بعده محمد بن طلحة .

(٥) اشتهر منهم الحسن المثنى، ولكن ابن سعد في الطبقات ذكر انه انجب منها: "محمداً الأكبر ـ وبه كان يكنى ـ، والحسن، وامرأتين هلكتا، ولم تبرزا، وأمهم خولة بنت منظور بن زبان " . (راجع ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من طبقات ابن سعد : ٢٧).

وآخر يقول هو ابن خولة الفزارية ـ كما تقدم بيانه ـ

والآخر: أن من المؤرخين من قال بأن أم إسحاق تميمية [1]، والذي يتفق مع ما يذكر عن خولة بنت القعقاع فقد كانت تميمية، وهي أم إسحاق.

وهذه النتيجة هي ما أطمئن لها كثيراً، والتي تبعدنا عن كثير من الإشكالات.

الموقف الآخر:

القبول لأصل زواجها من الإمام الحسن عليه السلام، وذلك لكثرة من نقل هذا الخبر من علمائنا الأبرار، وحسبك بمن ذكرناهم من العلماء الذين تحدثوا عن أبنائه منها.

ويصاحب هذا القبول رفض للقصص المذكورة حول أم إسحاق مما سبق ذكره، وتبرئة ساحتها من كل شائنة.

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣/١٩٢، تهذيب المقال: ٢/٢٩٢.

الفصل الرابع:

هل تزوج الحسين عليه السلام أم إسحاق؟

إن هـذا التساؤل لا نمتلك أمامه إلا الحيرة التاريخية، ونحن نقرأ كلام المؤرخين، وهم يتحدثون عن انتقال أم إسحاق بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام إلى بيت الإمام الحسين عليه السلام، فنرى التضارب بين الروايات والتناقض في الأحداث.

وللوقوف على مواطن التضارب والخلل في النقل التاريخي نحتاج إلى تحديدات تاريخية لبعض الأحداث، ومنها :

شهادة الإمام الحسن عليه السلام :

عندما نسأل التاريخ عن السنة التي استشهد فيها الإمام الحسن عليه السلام نجد أنها محل اختلاف.

* فقيل: إنها كانت سنة ٤٤ هـ[1].

* وقيل: سنة ٤٩هـ كما ذكر في كتاب الكافي [2] والتهذيب[3]، أو سنة

---

(١) الإصابة : ٢/ ٦٦.

(٢) الكافي : ٤٦١/١.

(٣) التهذيب : ٣٩/٦.

٥٠هـ كما في كتاب الإرشاد[1] والكافي[2] وتاج المواليد[3] ومسار الشيعة[4].

* وقيل سنة إحدى وخمسين[5]، ومن المؤرخين من زاد على هذا التاريخ.

ويبدو أن الباحثين يراوحون القول بين تأريخين وهما: ٤٩هـ و٥٠ هـ.

ولا يغيب عنك أن التاريخ يذكر أن الإمام الحسن عليه السلام قد مات عن زوجته أم إسحاق، وخلف عليها من بعده أخوه الإمام الحسين عليه السلام، فأنجب منها فاطمة الكبرى.

عُمْر فاطمة الكبرى:

لم يرد تحديد لسنة ولادتها ولا تصريح بذلك، ولكن نستطيع معرفته بمعرفة مدة عمرها وسنة وفاتها.

فقد ذكر المؤرخون أن وفاتها كانت سنة ١١٠هـ وهو الأرجح، وقيل سنة ١١٧هـ

وكان عمرها عند الوفاة مختلفاً فيه، فهناك من قال: إنها قد بلغت السبعين، وآخر يقول: إنها قاربت التسعين[6].

لقد أصبح تاريخ ولادتها واضحاً، فهو على أقل التقديرات سنة ٤٠ من الهجرة، وعلى أكثرها بعد سنة العشرين بقليل.

وسيكون عمرها عند شهادة الإمام الحسن عليه السلام تسع سنين أو عشر سنوات على التقدير الأول، وعلى التقدير الآخر قد قاربت الثلاثين من عمرها.

---

(١) الإرشاد: ٢/١٥.

(٢) الكافي: ١/٤٦١-٤٦٢.

(٣) تاج المواليد: ٢٦.

(٤) مسار الشيعة: ٤٧.

(٥) الإصابة: ٢/٦٦، ذخائر العقبى: ١٤١.

(٦) تهذيب التهذيب: ١٢ / ٣٩٣.

نتيجة هذا التامل :

لقد استشهد الإمام الحسن عليه السلام سنة ٤٩ أو ٥٠ من الهجرة و زوجته أم إسحاق معه، وكان عمر فاطمة الكبرى آنذاك بين التاسعة وما يقرب من الثلاثين.

فلا يصح بذلك ما نقله المؤرخون من أن أم إسحاق قد تزوجت الإمام الحسين عليه السلام، وأنجبت منه فاطمة الكبرى [1].

ويمكن لنا أن نحتمل أن أم إسحاق تزوجت بالإمام الحسين عليه السلام وأنجبت له فاطمة و لكنها الصغرى أو العليلة.

(١) هذه الإثارة أشارت لها بنت الشاطئ في كتابها السيدة سكينة : ٤٠، وقد نصت على أن المصادر خالية من ذكر الطلاق لها، وإن كانت تميل لذلك، ولم يكن ميلانها بدليل تاريخي بل ترجيح بلا مرجح.

(٤) ليلى الثقفية

ليلى...

أيتها المنحدرة من صلب عظيم الطائف...

ويا ابنة الداعي إلى الله في قومه... والصريع في سبيله.

ويا وزجة السبط الذبيح.

ويا أم الريحانة الذابلة، يا أم الأكبر الشهيد.

أنت ابنة الشهادة، بل زوجها، بل أمها.

طوبى لك يوم حملت عطر الشهادة من...

جد كريم، وولد عظيم، وزوج هو سيد الشهداء.

الفصل الأول:

المعلومات الشخصية

اسمها:

لقد عُرفت أم علي الأكبر عليه السلام باسم ليلى، واشتهرت به، ومع ذلك ستجد في ثنايا التاريخ من يذكر لها اسماً آخر غيره.

.فقيل: اسمها آمنة [1].

.وقيل: لبنى [2]، ويبدو أنه تصحيف عن الاسم المعروف لها(ليلى).

.وقيل: برة بنت عروة [3]، وهو اشتباه وخلط بين اسمها واسم أبيها أبي مرة بن عروة بن مسعود.

وقد وقع في مثل هذا الخلط من سماها مرة بنت عروة [4]، مع أن من الوضوح بمكان أن اسم (مرة) يطلق على الرجال، وأعتقد أن المؤرخ أو الناسخ قد سقط منه بعض الاسم.

والدها:

ستجد خلال مطالعة ما كتب عن ليلى عدة أسماء تذكر لأبيها، والمعروف

---

(١) المنتخب من ذيل المذيل: ٢٤.

(٢) تاريخ خليفة خياط: ١٧٩.

(٣) مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٢٣١.

(٤) الجوهرة في نسب الإمام علي وآله: ٤٩، وقد نسبه إلى ابن قتيبة.

بين المؤرخين أن اسمه أبو مرة بن عروة بن مسعود، وهذا القول هو الذي عليه أكثر المؤرخين، ومنهم :

أبو الفرج الأصفهاني [١]، والشيخ المفيد [٢] والشيخ الطبرسي [٣] وخليفة بن خياط [٤] وابن عساكر [٥]، واليعقوبي [٦]، والطبري [٧]، وابن الأثير [٨].

وهناك أسماء أخرى ذكرت لأبيها قد جانب أصحابها الصواب في ذلك، وهي :

.عروة بن مسعود : وقد ورد ذكره في بعض الكتب[٩]، ولا يخفى أنه أمر لا يقر به المؤرخون، وفيه اشتباه ؛ لأن ابنة عروة هي زوجة أمير المؤمنين عليه السلام المسماة بـ(أم سعيد) [١٠]، وهو جد ليلى رضي الله عنها.

.أبو مسعود بن مرة بن مسعود الثقفي[١١].

.مرة بن مسعود[١٢].

ولدها :

لقد أنجبت السيدة ليلى من الأبناء علياً الأكبر عليه السلام، وحسبها بذلك فخراً

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٥٢.
(٢) الإرشاد : ٢/١٠٦.
(٣) تاج المواليد : ٣٤.
(٤) تاريخ خليفة بن خياط : ١٧٩.
(٥) تاريخ مدينة دمشق : ٤١/٣٦٢.
(٦) تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٤٧.
(٧) تاريخ الطبري : ٤/٣٤٠.
(٨) الكامل : ٤/٧٤.
(٩) مناقب آل أبي طالب : ٣/٢٣١.
(١٠) تاج المواليد : ١٩، والعمدة : ٣٠، والمستجاد من الإرشاد :١٤٠، وغيرها.
(١١) الدروس : ٢/٢٥.
(١٢) مستدركات علم رجال الحديث : ٨/٥٩٨.

أنها حملت في أحشائها شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله ومهجة الإمام الحسين عليه السلام.

وكانت ولادته في إمارة عثمان بن عفان [١]، وعلى نحو التحديد ولد في الحادي عشر من شهر شعبان سنة ثلاث وثلاثين، قبل مقتل عثمان بسنتين [٢].

ومن الغريب الذي لا يوافق عليه المؤرخون ما ذكره الأصفهاني عن يحيى بن الحسن العلوي، فقد قال: "أصحابنا الطالبيون يذكرون أن المقتول لأم ولد، وأن الذي أمه ليلى هو جدهم [٣]"، وقد عقب على كلامه صاحب الأعيان رحمه الله فقال: "هذا مخالف للمتفق عليه من أن أم زين العابدين عليه السلام جد الحسينيين هي بنت يزدجرد [٤]".

(١) بحار الأنوار: ٩٨/٢١٦.

(٢) الحدائق الوردية . كتاب مخطوط . عنه كتاب (علي الأكبر): ١٦.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٥٣.

(٤) أعيان الشيعة: ٨/٢٠٦.

الفصل الثاني:

تساؤل مهم

أكانت أم ليلى ابنة أبي سفيان؟

ما أكثر الأخطاء التي يقع فيها المؤرخون والنسابون، وهذا ما يستدعي من الكاتب والقارئ عدم التسرع في قبول كل ما يقال، وإلا وقع في التناقضات الغريبة جداً والتي لا يجد لها حلاً.

وإني أعتقد أن اعتماد ما يقوله مؤرخ معين دون النظر لباقي المؤرخين أمر فيه مجازفة تاريخية لا تغتفر، وستسقط الباحث في عدة متناقضات.

وحسبك أن ابن حجر في الإصابة[1] قد ورد أن ليلى قد تزوجها الإمام الحسن عليه السلام، مع أن المؤرخين يجمعون على أنها كانت زوجة للإمام الحسين عليه السلام، ومتى ذكر علي الأكبر عليه السلام ذكرت معه.

إن أمثال هذه الاشتباهات تدعونا لعدم التأمين على كل ما يقال في هذا المضمار، وتبعثنا على التأمل في النقولات التاريخية.

وسأحتاج لبعض الإضاءة حول علاقة ابنة أبي سفيان بليلى، من أجل أن نقف على بصيرة من أمرنا، وسأشير لبعض الحقائق المهمة.

---

(١) الإصابة: ٣٠٦/٧.

أولاً : عروة بن مسعود زوج بنت أبي سفيان :

نصت المصادر التاريخية على أن المتزوج ببنت أبي سفيان والتي يطلقون عليها اسم (ميمونة) هو عروة بن مسعود.

وقد وقع الخلط عند كثير من المؤرخين بين الجد عروة بن مسعود وولده أبي مرة .والد ليلى ، حتى أنك تجد صاحب السيرة النبوية يذكر الأمرين، فيقول: آمنة بنت أبي سفيان كانت عند عروة بن مسعود، له منها داود بن عروة.

ثم يذكر الأمر الآخر مصدراً له بعبارة التمريض، وعدم التبني للخبر، فيقول: قال ابن هشام: ويقال: إن أم داوود ميمونة بنت أبي سفيان، وكانت عند أبي مرة بن عروة بن مسعود، فولدت له داود بن أبي مرة[1].

ثانياً : أم حبيبة لم تكن زوجة عروة :

إن عروة بن مسعود قد أسلم شهر ربيع الأول من العام التاسع من الهجرة[2]، وكانت عنده عشر نسوة، فأمره النبي عليه السلام أن يبقي أربع نسوة منهن، ويسرح الباقي، فأبقى أربعاً، منهن ابنة أبي سفيان [3].

وستعجب إذا ما وجدت من يدعي أن ابنة أبي سفيان التي أبقاها إنما هي أم حبيبة!

مع أن أم حبيبة بنت أبي سفيان كانت في الحبشة مهاجرة مع زوجها عبيد الله بن جحش، وقد أنجبت منه حبيبة، ولما مات زوجها خطبها رسول الله

---

(١) السيرة النبوية : ٩٢١/٤.

(٢) الطبقات : ٥٠٣/٥، ومجمع الزائد : ٣٨٦/٩.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي : ١٨٤/٧.

عليه السلام ومهرت وهي في الحبشة [١].

ثم عادت من الحبشة إلى المدينة ومعها ابنتها، وانتقلت إلى حبالة رسول الله عليه السلام سنة ست من الهجرة [٢].

لقد وقع في مثل هذا الخطأ صاحب سنن أبي داوود فقال: "عن رجل من بني عروة بن مسعود، يقال له داود، قد ولدته أم حبيبة بنت أبي سفيان، زوج النبي عليه السلام" [٣].

ولو تفحصت قليلاً لعرفت سر الاشتباه. والذي لا يعذرون عليه. وهو أن أم حبيبة كانت ابنتها حبيبة قد تزوجت بداوود بن عروة بن مسعود وهو ابن خالتها ميمونة [٤]، فما كان من بعض من كتب إلا أن زوج أم حبيبة. زوج النبي عليه السلام. بأبي داوود عروة بن مسعود.

ثالثاً: ميمونة لم تكن أم ليلى:

إنك ستجد أبا الفرج الأصفهاني يذكر هذه العبارة: " وأمه . أي علي الأكبر. ليلى بنت أبي مرة بن عروة بن مسعود الثقفي، وأمها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية " [٥].

وأنت تعلم أن أبا الفرج مصدر ينقل عنه الكثيرون، ولكن دون أن يضعوا احتمالاً لوقوعه في خطأ فاحش كهذا الخطأ الذي ستلاحظه، وستحكم بنفسك عليه.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢٠٨/١.

(٢) تخريج الأحاديث والآثار: ١٢٠/٣.

(٣) سنن أبي داوود: ٧٠/٢.

(٤) الطبقات: ٩٦/٨، والمحبر: ٨٨، والمنتخب من ذيل المذيل: ٩٦.

(٥) مقاتل الطالبيين: ٥٢.

الشواهد التاريخية :

لقد تعجبت مما أطلقه أحد أكابر المعتمدين في تحقيق تأريخ أهل البيت عليهم السلام، فذكر أن السهيلي في الروض الأنف[(١)] قد انفرد بقوله : إن ميمونة كانت زوجة عروة بن مسعود وليست والدة ليلى [(٢)] .

مع أن المراجع لكتب المصادر التاريخية يجد أن أكثر المؤرخين على هذا القول.

ومن أجل وضوح الأمر أكثر فإنني سأذكر مجموعة من الشواهد التاريخية التي من خلالها نعرف الحقيقة، وهي أن عروة بن مسعود -جد ليلى- هو المتزوج بابنة أبي سفيان ميمونة، والتي جعلوها زوجة لابنه بذات الاسم ؛ فأصبحت بذلك ابنة أبي سفيان أماً لليلى ؛ ليكون أبو سفيان جداً لعلي الأكبر.

وستجد خلال مرورك بالنقولات من يسمي هذه المرأة زينب أو آمنة، وهو أمر لا يضر بما ذكرناه .

١. الطبقات الكبرى [(٣)] :

" ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية، وأمها لبابة بنت أبي العاص بن أمية، تزوجها عروة بن مسعود الثقفي فولدت له، ثم خلف عليها المغيرة بن شعبة الثقفي".

٢. كتاب المحبر [(٤)] :

"عروة بن مسعود، وكانت عنده ميمونة بنت أبي سفيان فولدت له داود، ثم

---

(١) الروض الأنف : ٢/ ٣٢٦.

(٢) علي الأكبر : ١٢.

(٣) الطبقات الكبرى : ٨/٢٤٠.

(٤) المحبر : ١٠٦.

خلف عليها بعد عروة المغيرة ".

٣. إمتاع الأسماع [(١)]:

"عروة، وكانت تحته ميمونة".

٤. تاريخ الطبري [(٢)]:

"داوود بن عروة من آمنة بنت أبي سفيان ".

٥. أسد الغابة :

" زينب بنت أبي سفيان زوجة عروة " [(٣)].

أبناء عروة من ميمونة :

لقد ذكر المؤرخون أنها أنجبت من عروة ولداً واسمه داوود، وهو الذي يكثر ذكره في الكتب ؛ لأن له رواية في كتب الحديث.

ولم أجد ذكراً لغيره منها، فلم يذكر أحد .بمقدار ما تتبعت .: أنها كانت والدة أبي مرة، والد ليلى، إلا المؤرخ خليفة بن خياط في تاريخه[(٤)]، وهو ممن لا أطمئن بنقله متفرداً بخبر، وذلك لأمرين، وهما:

١ـ أن الرجل كان بصرياً ذا ميول عثمانية، حتى بلغ به الأمر أن فصَّل تاريخ بني أمية ولم يعتنِ بتاريخ بني العباس، وقد علل محقق كتابه ذلك بأمرين أحدهما: " أن المؤلف بصري الموطن، وهذا قد يعني أنه ذو ميول عثمانية[(٥)]"،

---

(١) إمتاع الأسماع : ١٦٢/٦ ، والغريب منه أنه في صفحة ٢٦٩ من المجلد السادس تحدث عن ميمونة بنت أبي سفيان، فقال : " وتزوجها أبو مرة بن عروة بن مسعود ، فولدت له ليلى ابنة أبي مرة" ، وهو اشتباه واضح بعد ما ذكرته المصادر السابقة .

(٢) تاريخ الطبري : ٢ /٣٥٤.

(٣) أسد الغابة : ٥/ ٤٦٨.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط : ١٧٩.

(٥) تاريخ خليفة بن خياط : ١٢.

ومن كانت كتاباته تتأثر بميوله إلى هذا المقدار يحتاط في نقله.

٢.عدم دقة الأخبار التي نقلها، مع كونها من أوضح الواضحات، والتي لا تخفى على قارئ التاريخ، فضلاً عن المؤرخ، ومن ذلك:

ـ لقد ذكر من شهداء كربلاء العباس الأصغر ومحمداً فقال: "وهما ابنا علي بن أبي طالب، أمهما لبابة بنت عبيد الله بن العباس"[1]، مع أن المؤرخين ينصون على أن لبابة كانت زوجة لولده العباس عليه السلام[2].

ـ وعدَّ شهداء كربلاء فقال: " وقتل معه أبو بكر بن القاسم بن حسين بن علي بن أبي طالب "[3].

ولا شك أن العجب قد استولى على القارئ وهو يمر باسم ابن للإمام الحسين عليه السلام واسم حفيد له لم يعرفا إلا في هذ الكتاب.

ـ ومن عجائب ما نقل قوله: " عبد الله بن مسلم بن عقيل أمه رقية بنت محمد بن سعيد بن عقيل بن أبي طالب"[4]، فقد زوج مسلماً عليه السلام بابنة ابن أخيه.

محصلة البحث:

إن الذي أستخلصه أن ميمونة بنت أبي سفيان كانت زوجة لعروة بن مسعود، وقد أنجبت له ولداً وهو داوود.

وأما أبو مرة ـ والد ليلى ـ فلم يذكر المؤرخون أن أمه ميمونة؛ ولهذا فالقدر المتيقن به أنها كانت زوجة أبيه، ولا أستطيع أن أتجاوز ذلك بمجرد وجود دعوى قائمة على اشتباه بأن ميمونة كانت زوجة لأبي مرة.

(١) تاريخ خليفة بن خياط: ١٧٩.

(٢) مستدركات علم رجال الحديث: ٥٩٨/٨، المعارف لابن قتيبة: ٢١٧، الجوهرة في نسب الإمام علي وآله: ٥٧، المحبر: ٤٤١، سر السلسلة العلوية: ٨٩.

(٣) تاريخ خليفة بن خياط: ١٧٩.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ١٧٩.

وبهذا أستطيع أن أقول بأن أبا سفيان لم يثبت كونه جدّاً ليلى، ولا يقع هذ الرجل في سلسلة آباء علي الأكبر عليه السلام.

وستكون ميمونة بالنسبة لعلي الأكبر عليه السلام زوجة جده الأكبر عروة ابن مسعود، وهي قرابة ولكن لا تدخل في سلسلة النسب.

وأحسب أن هذا القدر من النسب يكفي لدعوى الأمويين أن لعلي الأكبر عليه السلام قرابة مع يزيد.

فقد ذكروا أن علياً الأكبر عليه السلام دعاه أهل الشام إلى الأمان وقالوا: "إن لك قرابة بأمير المؤمنين يعني يزيد بن معاوية؛ ونريد أن نرعى هذا الرحم، فإن شئت أمناك، فقال علي: لقرابة رسول الله صلى الله عليه وآله أحق أن ترعى"[1].

ولا يغيب عنك أن هذه الرواية عند الرجوع لمصدرها فإننا نجدها في (نسب قريش) لمصعب الزبيري، والذي لا يطمأن بنقولاته التي يريد منها ربط العلويين بأعدائهم.

ولو قبلنا نقله فإننا سنجد علقة أخرى يمكن أن تدعى من خلالها القرابة لبني علي عليه السلام عامة ولعلي الأكبر عليه السلام خاصة، فقد كانت أم سعيد بنت عروة عمة ليلى متزوجة بأمير المؤمنين عليه السلام، وقد أنجب منها ابنتين ولهما إخوة من أمهما، وهم أبناء يزيد بن عتبة بن أبي سفيان[2].

ولا يوثق كذلك بما يرويه مغيرة بن مقسم، مولى بني ضبة[3] أصحاب الجمل، والذي كان عثمانياً[4]، يحمل على أمير المؤمنين عليه السلام[5]، وقد وُصف

---

(١) نسب قريش : ٥٧.

(٢) نسب قريش : ٤٤.

(٣) الثقات، لابن حبان : ٤٦٤/٧.

(٤) معرفة الثقات : ٢٩٣/٢، تاريخ الإسلام : ٥٤٢/٨.

(٥) تاريخ الإسلام : ٥٤٢/٨.

بالتدليس في كتب أبناء العامة[١].

فقد روى عن معاوية أنه قال : من أحق الناس بهذا الأمر ؟ قالوا : أنت، قال: لا، أولى الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي، جده رسول الله عليه السلام، وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أمية، وزهو ثقيف[٢].

إن الرواية تصب في ذات المرمى الذي تكرسه رواية أبي الفرج الأصفهاني الواضحة الضعف في كون أم ليلى أموية.

---

(١) التبيين لأسماء المدلسين : ٥٦، الثقات،لابن حبان : ٧/٤٦٤.

(٢) مقاتل الطالبيين : ٥٢.

الباب الثاني

"الأبناء والبنات"

الفصل الأول:

أبناء الإمام الحسين عليه السلام

لقد ذكر المؤرخون للإمام الحسين عليه السلام من الأبناء سبعة، وهم :

١. علي، ٢. وعلي، ٣. وعلي.

٤. عبدالله.

٥ ـ جعفر.

٦. محسن.

٧. محمد.

◆◆◆◆

هؤلاء العليون الثلاثة

ثلاثة من الأبناء قد حملوا اسم (علي)؛ فأبدى يزيد تعجبه قائلاً للإمام السجاد عليه السلام: واعجباً لأبيك، سمى علياً وعلياً!

فقال عليه السلام : إن أبي أحب أباه ؛ فسمى باسمه مراراً[1] .

وهؤلاء الثلاثة هم : الإمام علي السجاد عليه السلام، وعلي الأكبر المدفون عند قدمي أبيه عليه السلام، وعلي الأصغر المذبوح عند والده عليه السلام.

---

(١) بحار الأنوار : ١٧٥/٤٥.

٤/ جعفر[1]

وقد مات في حياة أبيه الحسين عليه السلام ويذكر المؤرخون أن أمه قضاعية[2].

٥/ عبد الله

وهو الشهيد المعروف بالرضيع، وأمه الرباب[3].

٦/ محمد

وقد ذكره بعض المؤرخين[4]، ولم ينصوا على اسم أمه، إلا ما ذُكر عند ابن شهرآشوب في مناقب آل أبي طالب ، فقد قال: "ومحمد وعبدالله الشهيد من أم الرباب بنت امرئ القيس"[5]. بينما أغفل قسم آخر من المؤرخين ذكر محمد عند عرضهم لأبناء الإمام الحسين عليه السلام[6].

٧/ المحسن

وقد ذكره الحموي في معجم البلدان فقال:

جوشن جبل في غربي حلب، ومنه كان يحمل النحاس الأحمر، وهو معدنه، ويقال : إنه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن علي عليه السلام ونساؤه، وكانت زوجة الحسين حاملاً، فأسقطت هناك، فطلبت من الصناع في ذلك

---

(١) تاريخ الأئمة : ١٨.

(٢) تاج المواليد : ٣٥.

(٣) رجال الطوسي : ١٠٢، نقد الرجال : ٩٨/٣، قاموس الرجال : ٢٥٥/١٢.

(٤) تاريخ الأئمة : ١٨ ، تاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم : ٢١، وكشف الغمة : ٥٨٢/١، مطالب السؤول : ٣٩٢.

(٥) مناقب آل أبي طالب : ٢٣١/٢.

(٦) الشيخ المفيد في الإرشاد، والشيخ الطبرسي في إعلام الورى.

الجبل خبزاً وماءً، فشتموها، ومنعوها، فدعت عليهم، فمن الآن من عمل فيه لا يربح . وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمى مشهد الدكة، والسقط يسمى محسن بن الحسين ﷺ[١].

لقد سمي مشهد السقط لأن صاحبه كان سقطاً، واسمه المحسن فسمي مشهد المحسن.

وأما مشهد الدكة فلأن سيف الدولة كانت له دكة على الجبل المطل على المشهد، يجلس عليها للنظر إلى حلبة السباق التي كانت تجري بين يديه في الوطاء الذي فيه المشهد.

وفي إحدى المرات رأى نوراً ينزل على المكان الذي فيه المشهد عدة مرات، فلما أصبح ركب بنفسه إلى ذلك المكان، وحفره فوجد حجراً عليه كتابة نصها: (هذا قبر المحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب)، وكان ذلك في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة.

فجمع سيف الدولة العلويين وسألهم: هل كان للحسين ولد اسمه المحسن؟

فقال بعضهم: يحتمل أن سبي نساء الحسين لما ورد هذا المكان طرح بعض نسائه هذا الولد...، وقال بعضهم: إن هذه الكتابة التي على الحجر قديمة، وأثر هذا المكان قديم، وإن هذا الطرح الذي لم يفسد وبقاءه دليل على أنه ابن الحسين، فشاع بين الناس الخبر، وخرجوا إلى هذا المكان، وأرادوا عمارته، فقال سيف الدولة: هذاموضع قد أذن الله تعالى لي في عمارته على اسم أهل البيت[٢].

---

(١) معجم البلدان : ٢ /١٨٦.

(٢) مشاهد ومزارات آل البيت: ٧٣ ـ ٧٤، وفي معالي السبطين : ٢/١٦٥ ما يقرب من هذه القصة باختلاف بسيط.

إشارة عابرة :

يذكر أن أهل صور تعلا من آل المصري الكرام يجمعون على مقام يعود بنسبه إلى أهل البيت عليهم السلام، ويسمونه عبد الله بن الحسين[١].

(١) السيدة خولة : ٥٦.

الفصل الثاني:

بنات الإمام الحسين عليه السلام

الاختلاف في عددهن

اختلف المؤرخون في عدد بنات الإمام الحسين عليه السلام، فقد ذكر الشيخ المفيد في الإرشاد[1] أن للإمام الحسين عليه السلام من البنات اثنتين: سكينة وفاطمة.

وقال بهذا الشيخ الطبرسي في تاج المواليد[2]، والعلامة الحلي في المستجاد من الإرشاد[3].

وحددهن ابن أبي الثلج البغدادي بثلاث بنات، وهن: زينب، وسكينة، وفاطمة[4].

وذهب إلى هذا القول ابن الخشاب البغدادي[5] وصاحب مطالب السؤول[6].

لقد وقف المؤرخون عند هذا العدد، ولم أرَ من المتقدمين من زاد على هذا العدد.

---

(١) الإرشاد : ١٣٥/٢.

(٢) تاج المواليد : ٨٨ . ضمن كتاب (مجموعة نفيسة) .

(٣) المستجاد من الإرشاد : ١٦١.

(٤) تاريخ الأئمة : ١٨.

(٥) تاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم : ٢١.

(٦) مطالب السؤول : ٣٩٢.

ولكنك ستجد في صفحات التاريخ أسماءً أخرى لبنات يذكرن، ويقال بأنهن بنات للإمام الحسين عليه السلام.

وستجد في الآثار ما ينوه على أنها قبور ضمت أجساداً لبنات الإمام الحسين عليه السلام، والناس عاكفون على هذه القبور، يزورونها متبركين بها؛ لصلتها بريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولا يوجد أمام هذه الشائكة التاريخية إلا أن أحتمل أن التاريخ قد ذكر بعضاً من بناته، ولن أقول المشهورات؛ لأن منهن من لا تمتلك رصيداً تاريخياً يمنع المؤرخين من تجاهل وجودها كزينب بنت الحسين عليه السلام، ومع ذلك تجد لها ذكراً كثيراً في كتب التاريخ.

وإنك ستجد لفاطمة الصغرى من الوجود مساحة، سواء في الذهنية الشيعية، أو في الكتابات التاريخية، أو في المصادر الروائية، ما لا يمكن تجاهله أو الصمت أمامه، ومع ذلك تجد التاريخ قد سكت عنها، وأعرض عن ذكرها، وكأنه لم يسمع باسمها.

والذي أستطيع قوله: أن الجمود على ما ذكره المؤرخون من عدد لأبناء الحسين عليه السلام أو بناته أمر غير مقبول.

وستجد أن ما يذكرونه من أعداد لا يصمد أمام الأخبار التاريخية، والتي تقتلعه من جذوره لتثبت أمراً آخر غير ما ذكر.

تراجم بنات الإمام الحسين عليه السلام

سنقف عند تراجم السيدات العلويات وقفات يطول بعضها، ويقصر بعضها الآخر، وستكون الوقفات بهذا الترتيب:

١. السيدة فاطمة الكبرى عليها السلام.

٢. السيدة فاطمة الصغرى عليها السلام.

٣. السيدة سكينة عليها السلام.

٤. السيدة زينب عليها السلام.

٥. السيدة رقية عليها السلام.

٦. السيدة خولة عليها السلام.

(١) السيدة فاطمة الكبرى عليها السلام

أيها اليراع...

توقف، واغتسل بماء السماء، والتحف بردة من نسج مريم، واطرق الباب بيد الرجاء... فأنت على مشارف الوادي المقدس، إنك بباب فاطمة الكبرى...

فيا ابنة السبط...

ويا شبيهة الجدة...

ويا حافظة الوصايا...

ويا أم الشهداء...أنيري دروبنا... علنا نعرف من هذه التي أنبع الله لها في المدينة ماء زمزم فكانت شبية عبدالمطلب.

أولاً: المعلومات الشخصية

أمها:

لقد سبق الحديث حول أم إسحاق التي يذكر المؤرخون أنها والدة السيدة فاطمة الكبرى، وأوضحت المآخذ على هذا القول، وما يثار حوله من نقاش.

وقد تقول: إن لم تكن أم إسحاق أماً لفاطمة فهل نجد في التاريخ إشارة إلى امرأة غيرها، وتكون أماً لها ؟

فأجيبك بأن من علماء النسب من يذكر أن فاطمة ولدت والإمام السجاد عليه السلام من أم واحدة [١].

---

(١) عمدة الطالب : ١٩٣.

وإن كان هذا القول لا يصمد أمام الروايات التي تذكر موت والدة الإمام السجاد عليه السلام في نفاسها، إلا أن يقال بأنها كانت أكبر من أخيها حيث ولدت قبله - بناءً على قول - بثماني عشرة سنة [١].

ولا أجدني بحاجة لأن أذكر لها أماً مقترحةً، فقد سبق الحديث عن محمد، وأشرنا إلى أن من ذكره لم يصرح باسم أمه، ومن ذكر له أماً تفرد بين المؤرخين وأهل النسب، إذ جعل للرباب ولدين وبنتاً.

تاريخ ولادتها ووفاتها:

يذكر المؤرخون أن السيدة فاطمة كانت أكبر من السيدة سكينة، ويصرح بذلك الطبري في تاريخه [٢]، وابن الصباغ في الفصول المهمة [٣]، وغيرهما.

وتجد في الروايات التصريح بأنها أكبر بنات الإمام الحسين عليه السلام فقد ورد في الرواية: " إن الحسين حضره الذي حضره، فدعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليه السلام، فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصية ظاهرة ... " [٤].

وإذا ما أردنا تحديد تأريخ ولادتها فإننا لا نجد له ذكراً، ولكن يمكن أن نقرب التاريخ، وخصوصاً أن حياتها واضحة المعالم.

فقد ذكروا أن سنة وفاتها عام ١١٠ من الهجرة [٥]، وكان عمرها الشريف

---

(١) كانت ولادته سنة ثمان وثلاثين من الهجرة، كما في الإرشاد: ١٣٧/٢، وولادة فاطمة على قول كانت سنة عشرين من الهجرة، وهو قول يستدعي التأمل؛ لأن ذلك يعني أنها انجبت وعمر الإمام الحسين عليه السلام ١٦سنة، وسيكون زواجه مبكراً جداً، وهو أمر ممكن، ولكنه يحتاج إلى توثيق.

(٢) تاريخ الطبري: ٣٥٥/٤.

(٣) الفصول المهمة: ٨٣٦/٢.

(٤) غاية المرام: ٣٢٤/٣.

(٥) أعلام النساء: ٤٧/٤، وعبارة (خلاصة تذهيب تهذيب الكمال): " بقيت إلى بعد سنة عشر ومائة " ص٤٩٤.

عند موتها سبعين سنة [١]، وقيل قاربت التسعين [٢]، وعلى هذا تكون ولادتها سنة أربعين من الهجرة، أو سنة عشرين منها.

إن هذا الوضوح من المؤرخين لا يعكر صفوه إلا ما يذكره المؤرخون من رواية يرويها عبدالله بن الحسن المثنى عن أمه فاطمة الكبرى، وقد ورد فيها تعبير فاطمة عن نفسها يوم كانت في كربلاء بـ (جارية صغيرة) .

فهل يصح إطلاق الجارية الصغيرة على من كانت في العشرين أم لا؟ أم أن هذه الرواية لا تصمد أمام ما يذكره المؤرخون، وتتحدث عنه الروايات ؟

أظن أن الأمر يحتاج إلى وقفة تأمل دقيقة ممن يمتلك القدرة لمحاكمة الروايات، وطرح ما لا يتفق مع الأسس العلمية .

وسأذكر الرواية كاملة لتلاحظها، فقد قالت السيدة فاطمة :

دخلت الغاغة علينا الفسطاط، (وأنا جارية صغيرة)، وفي رجلي خلخالان من ذهب، فجعل رجل يفض الخلخالين من رجلي، وهو يبكي .

فقلت : ما يبكيك، يا عدو الله ؟

فقال : كيف لا أبكي وأنا أسلب ابنة رسول الله .

فقلت : لا تسلبني .

قال : أخاف أن يجيء غيري ؛ فيأخذه.

قالت : وانتهبوا ما في الأبنية، حتى كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا [٣].



(١) العقيلة والفواطم : ١٥٩، نقلاً عن كتاب (أعلام النساء المؤمنات).

(٢) الثقات، لابن حبان : ٥/٣٠١.

(٣) أمالي الصدوق : ٢٢٨-٢٢٩.

ثانياً: مظاهر عظمتها

وردت في بعض الروايات عبارات تدل على عظيم مكانتها، ولها من الأخبار ما يشير إلى جلالة أمرها، وسأشير إلى بعض من ذلك ـ لا على نحو التقصي ـ ومنها:

■ شبيهة جدتها فاطمة عليها السلام:

لما تقدم الحسن بن الحسن عليه السلام خاطباً من عمه الحسين عليه السلام، خيَّره بين فاطمة وسكينة،" يا ابن أخي، اختر أيهما شئت ".

وتختلف كلمات المؤرخين في موقف الحسن المثنى، فمنهم من قال: إنه قد اختار السيدة فاطمة، ومنهم من قال: إنه استحى، وسكت، وإني لأقرأ في نفس الحسن الحيرة وهو أمام خيارين عظيمين، لا يملك أمامهما القدرة على تفضيل أحدهما على الآخر.

وليس أمامه في مثل هذا الموقف إلا أن يسلم أمره للخبير بمصالح العباد، فكان له من الخير ما خصه الله سبحانه وتعالى به، يوم قال الإمام الحسين عليه السلام:" قد زوجتك فاطمة؛ فإنها أشبه بأمي فاطمة بنت رسول الله عليها السلام "[(١)].

لقد ذكر في عمدة الطالب هذه العبارة: "فأبرز إليه فاطمة وسكينة"، وهو أمر لم تذكره المصادر الأخرى وكفى بذلك ضعفاً، فإن المصادر الأخرى ذكرت التخيير دون الإبراز، وأنت تعلم أن هذا التصرف لا يمكن أن نتصور صدوره من الإمام الحسين عليه السلام لأن الحسن المثنى لم يأتِ خاطباً لفتاة بعينها، فيقال أخرجها إليه وفق الضوابط الشرعية، بل جاء طالباً الموافقة عليه كشخص.

---

(١) عمدة الطالب: ٩٨، ويمكنك أن تراجع موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٧٥٤، فقد أشار للمصادر.

وزاد الداوودي : أما في الدين فتقوم الليل كله، وتصوم النهار، وأما في الجمال فتشبه الحور العين [(١)]، وأما سكينة فغالب عليها الاستغراق مع الله تعالى؛ فلا تصلح لرجل [(٢)].

لقد حوت هذه العبارة من المدح والثناء للسيدة فاطمة عليها السلام الشيء الكثير ؛ إذ عبر عنها بأنها شبيهة سيدة النساء عليها السلام، وكفى بذلك فخراً أن تكون شبيهة المصطفاة من الخلائق، وهي التي يستضاء بنور وجهها.

لقد ورد في هذه الزيادة فقرة لم يذكرها المؤرخون، وتحتاج إلى تأمل، وهي العبارة المتعلقة بالسيدة سكينة ؛ حيث قال: " فلا تصلح لرجل ".

وأتوقف عند هذه الكلمات ؛ لأن الواقع لا يتفق معها ؛ إذ أنها خطبت في زمان قريب جداً من خطبة أختها فاطمة، وتزوجت.

إلا أن يقال بأنها كانت تمر بحالة معنوية عابرة، تمنعها من الإقبال على الناس، وعندما تتجاوزها سيتبدل أمرها، وستصبح مقبلة على الناس.

وأختم الحديث عنها بما تجدر الإشارة إليه، وقد ذكره المؤرخ النسابة البيهقي في كتابه (لباب الأنساب) المخطوط، وذلك بعد نقله قصة تزويج الحسن المثنى ـ أي الحسن بن الحسن ـ وهو أن هذا التزويج كان في السنة التي قتل فيها الحسين عليه السلام ـ أي قبل حادثة كربلاء ـ، ولهذا يقال لها كما اشتهر في الألسن (فاطمة العروس) ؛ لقرب عرسها حين مجيئها مع الحسين عليه السلام إلى كربلاء [(٣)]، وفي بعض الأخبار أنه لم يبنِ بها وإنما كانت مخطوبة.

---

(١) فاطمة بنت الحسين : ٦٨، ومثله في كتاب (السيدة سكينة) للسيد المقرم : ٤٣.

(٢) السيدة سكينة للسيد المقرم : ٤٣.

(٣) هامش الأنوار النعمانية : ٢٤٦/٣ بتصرف.

روايتها للحديث:

لقد كانت السيدة فاطمة الكبرى ممن يروى عنها الحديث عن رسول الله ﷺ، وعن أمير المؤمنين عليه السلام، وقد روت خطبة جدتها الزهراء عليها السلام في نساء الأنصار والمهاجرين، وهي الخطبة المعروفة[1].

المؤتمنة على وصايا أبيها:

لقد خصت السيدة فاطمة بأمر عظيم، تنوء بحمله الجبال؛ إذ كانت في ظرف يصعب على العلوية أن تجد لها ملجأً من العدو، ومع ذلك فقد صانت الأمانة طيلة أيام السبي، وأدتها سليمة للإمام زين العابدين عليه السلام في المدينة، وفي هذا الكتاب ما يحتاج إليه ولد آدم منذ كانت الدنيا حتى تفنى[2].

ونقترب من الرواية أكثر، حيث تقول:

"لما حضر سيد الشهداء عليه السلام الذي حضره دعا ابنته الكبرى فاطمة بنت الحسين عليه السلام فدفع إليها كتاباً ملفوفاً ووصيةً ظاهرةً، وكان علي بن الحسين عليهما السلام مبطوناً، لا يرون إلا أنه لما به، فدفعت فاطمة الكتاب إلى علي بن الحسين"[3].

أم الشهداء:

لقد رسم الحسين عليه السلام أمام ابنته المستقبل الذي ينتظر ذريتها، وعرفت ماذا سيلاقون من هذه الأمة.

---

(١) معاني الأخبار: ٣٥٤.

(٢) بحار الأنوار: ٥٠/٢٦.

(٣) راجع قاموس الرجال: ١٢ /٣١٣-٣١٤. وقد ذكر الاختلاف فيمن سلمت له الوصية، فقد فقيل: هي زينب العقيلة، وقيل: فاطمة الكبرى، وقيل: أم سلمة.
ويفرق الشيخ المازندراني في شرح أصول الكافي: ١٢٥/٦ بين ما أعطي لأم سلمة وما أعطي لفاطمة الكبرى، فقد أعطى الإمام الحسين عليه السلام أم سلمة الصحيفة المختومة وسلاح رسول الله ﷺ عند خروجه إلى العراق، ودفع إلى ابنته فاطمة الكتاب الملفوف.

ولا أحسب إلا أنها قد ارتسمت على وجهها بسمة الفرح بأن يكون أولادها على منهاج الآباء سائرين.

لقد نقل الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه أن فاطمة بنت الحسين قالت : سمعت أبي صلوات الله عليه يقول: يقتل منك أو يصاب منك نفر بشط الفرات ما سبقهم الأولون، ولا يدركهم الآخرون، وإنه لم يبق من ولدها غيرهم[1].

ثالثاً: بمن تزوجت فاطمة الكبرى ؟

الزوج الأول :

إن زواجها من الحسن ابن الإمام الحسن السبط عليه السلام أمر متسالم عليه عند المؤرخين، وأبناؤها منه معروفون، وهم:

١.عبد الله المحض .

٢.الحسن المثلث .

٣.إبراهيم الغمر .

ومات عنها الحسن المثنى سنة سبع وتسعين [2] مسموماً، سمه الوليد بن عبد الملك.

الزوج الثاني :

ويذكر المؤرخون أنها تزوجت بعد الحسن المثنى بسنة واحدة برجل اسمه عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، ويقولون بأنها قد أنجبت له ولدين وبنتاً واحدة، وهم :

---

(١) بحار الأنوار : ٣٠٢/٤٧.

(٢) فتح الباري : ١٦١/٣، وستجد في بعض المصادر غير هذا التاريخ، ولكن هذا هو المصرح به، ويمكنك أن تراجع تهذيب المقال : ٣١٠/٢، فقد ذكر القرائن على طول حياته.

١ـ محمد الديباج .

٢ـ القاسم .

٣ـ رقية [١] .

وهذا أمر قد اشتهر بين الكتاب، حتى أصبح أمراً لا نقاش فيه، ويرسل إرسال المسلمات.

ولنا مع هذا الزواج وقفة تأمل نخرج من خلالها بغير ما هو مذكور لأسباب عدة، وهي:

أولاً :

إنني لا أستطيع أن أتصور أن تنتقل المرأة المعظمة وصاحبة هذا المقام العظيم إلى بيت هذا الرجل ؛ فقد ذكر المؤرخون عنه أموراً لا تليق برجل يكون زوجاً لهذه الخفرة النجيبة.

وحسبك أنه كان من الحزب المناهض للإمام الحسين عليه السلام، بل كان هو الرسول من قبل والي المدينة للإمام الحسين عليه السلام وابن الزبير للحضور عنده [٢] يوم كانوا في المدينة المنورة، وبعد وفاة معاوية.

ثانياً :

إن مظاهر الحبك واضحة في القضية لمن تأمل ودقق في العلاقات الزوجية التي يذكرها التاريخ.

فإنهم قد ذكروا أن بنت سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل كانت تحت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، فطلقها البتة.

---

(١) فاطمة بنت الحسين : ١٢٤ـ ١٢٦.

(٢) تاريخ الطبري : ٤/ ٢٥١.

وهذا النقل لا ينفرد به مصدر واحد، فقد روي في الموطأ [١]، والمحلى [٢]، ومسند أحمد بن حنبل [٣]، وفتح الباري [٤]، وفي غير هذه الكتب.

ولم يصرح التاريخ باسم هذه المرأة مع كثرة الحديث عنها، ولا أعلم سر ذلك ؛ إذ يكتفون بقولهم : (بنت سعيد).

وقد تزوج الحسن المثنى بنت سعيد بن زيد بن نفيل، وأنجب منها : ولده محمداً [٥]، وابنتين، وهما : رقية وفاطمة [٦].

ولكي تحبك القصة جيداً تجدهم يزوجون زوجة الحسن المثنى .فاطمة الكبرى .بعبدالله بن عمرو بن عثمان.

وكأنهم يقولون إن كان قد تزوج أحدهم بامرأة كانت عندنا فقد تزوج أحدنا بامرأة كانت عندهم.

وأعلم أن هذا الأمر قد يحصل في الظروف العادية، ولكن حينما يأتي الخبر في ظرف عرف فيه التلاعب بالتاريخ، لا أمتلك إلا أن أضع أمامه علامة استفهام.

ثالثاً :

ودونك الدليل الذي يوقفك على القضية وقفة الخبير بها، والعارف بما تحوي من ملابسات، وتجعلك مؤيداً في كل شك كنت أقوله.

إن التاريخ .وبحسب ما رجعت إليه .يذكر أن وفاة الزوج الأول .وهو

---

(١) الموطأ : ٥٧٩/٢.
(٢) المحلى : ٢٨٣/١٠.
(٣) مسند أحمد بن حنبل : ٤١٥/٦.
(٤) فتح الباري : ٤٢٢/٩.
(٥) سر السلسلة العلوية : ٧، والطبقات الكبرى : ٣١٩/٥.
(٦) حاشية عمدة الطالب : ١٠١.

الحسن المثنى ـ كانت بالسم سنة ٩٧ هـ [1]، وقد مات عنها، وبقيت حزينة على قبره سنة كاملة.

ولو سألت عن زوجها المزعوم عبدالله بن عمرو متى كانت وفاته ؟

لأجابك ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق : بأنه قد توفي بمصر سنة ست وتسعين [2]، أي قبل وفاة الحسن المثنى بسنة.

فليت شعري، هل بعث من قبره ليزوجوه بمن شاؤوا؟ أم أن الكذاب ينسى، ولا تسعفه حافظته؟

لا أعلم إلا أنهم يريدون أن يحولوا العلويات من مقامهم الشامخ، فيصبحن زوجات لكل أحد، فإلى الله المشتكى مما صنعوا .

رابعاً :

إذا كانت ولادة فاطمة الكبرى سنة ٤٠ هـ كما يذكره الزركلي في الأعلام [3]. فيكون عمرها عند وفاة زوجها ٥٧ سنة، وبقيت على قبره سنة فيصبح عمرها ٥٨ سنة.

فياترى، وهي بهذا العمر يمكن أن تتزوج وتنجب ثلاثة من الأولاد؟ ليس الأمر مستحيلاً، ولكن فيه من الغرابة ما لا يخفى، لا سيما وأن المرأة في هذا السن لا ترغب في الزواج.

وأما على احتمال أن تكون ولادتها بعد سنة ٢٠ من الهجرة بقليل فالأمر أوضح من أن يناقش ؛ لأن عمرها حين وفاة زوجها قريبٌ من السابعة والسبعين.

---

(١) فتح الباري : ١٦١/٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٢٩٣/٣١.

(٣) الأعلام : ١٣٠/٥.

تنبيه :

هناك شخصان متقاربان في الاسم:

أحدهما عبدالله بن عمرو بن عثمان، والذي يزعم أنه زوج فاطمة، وقد توفي سنة ٩٦هـ.

والآخر اسمه عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان، وهو الشاعر المعروف بالعرجي، والمتوفى سنة ١٢٠هـ[١].

وقد نص على ذلك الشريف المرتضى في حقائق التأويل [٢]، وابن ماكولا في إكمال الكمال [٣]، ومحقق تفسير القرطبي [٤]، وغيرهم.

وكثيراً ما يقع الخلط بينهما، ولعل ظاناً يرى ذلك ؛ فيحسب أن الزوج المزعوم لم يتوفَّ إلا سنة ١٢٠ هـ كما وقع فيه بعض من تعرض للموضوع .

محمد الديباج ابن من ؟

لقد تحدث التاريخ عن أخ لأبناء الحسن المثنى واسمه محمد، ويلقب بالديباج لجماله وحسنه.

وقد قاسى ما قاسى بنو الحسن من التعذيب والاضطهاد، حتى قضى آخر أيامه في السجن، ولفظ أنفاسه في ظلماته، وهو أمر مشهور ومذكور في كتب التاريخ .

والتساؤل المطروح : من هي والدة محمد الديباج؟ وإذا كان والده عبد الله العثماني قد توفي قبل موت الحسن المثنى، ولم يتسنَّ له الزواج من فاطمة

---

(١) الأعلام : ٤/١٠٩.

(٢) حقائق التأويل : ٢٩٨.

(٣) إكمال الكمال : ٧/٨٦.

(٤) تفسير القرطبي : ١٩/١٨٠.

الكبرى . كما زعموا . فكيف أصبح أخاً لبني الحسن .

إن كتب التاريخ لا تسعفنا إلا بالقليل الذي يجعلنا نحتمل احتمالات تنقصها الشواهد التاريخية.

وإليك ما أستقربه من الأحداث المقارنة :

الاحتمال الأول :

لقد طلق عبد الله العثماني بنت سعيد بن زيد التي لا يصرحون باسمها، وتزوج الحسن المثنى من بعده بنت سعيد بن زيد، والمسماة برملة، وقد أنجب منها.

فإن كانت بنت سعيد هي (رملة) فإن الأخوة واضحة بين بني الحسن وبني عبد الله العثماني، إن كان قد أنجب منها.

وإن كانت زوجة عبد الله العثماني أختاً لرملة فإني أحسب أن محمد الديباج كان على صلة بالبيت الحسني الذي انتقلت له خالته، ولعله نشأ عندهم فعبر عنهم بالأخوة وعن فاطمة بالأم.

الاحتمال الثاني :

إن القارئ قد مر بأسماء أبناء الحسن المثنى من رملة بنت سعيد، وعرف أن منهم محمداً، وهو أخ لبني الحسن من أبيهم، وليس عثمانياً كما يذكرون .

لقد ساورني الشك في صحة وجود شخص عثماني اسمه محمد، يُلقب بالديباج، ويكون معاصراً لمحمد ابن الإمام الصادق عليه السلام الملقب بالديباج لجماله[1]، ومعاصراً لمحمد بن إبراهيم بن الحسن المثنى الملقب بالديباج

---

(١) عمدة الطالب : ٢٤٥، الجريدة في أصول أنساب العلويين : ٥٤١/٤، سر السلسلة العلوية : ٤٥.

الأصغر، والذي كان ممن قتله المنصور[١].

أترى المصادفة قد جمعته معهما في زمان واحد، ومع أحدهما في نهاية متقاربة؟ أم أن الحس الأموي لم يحتمل وجود أمثال هؤلاء ممن حازوا جمال الروح والجسد، فراح يخلق له مجداً يبنيه بألسنة الرواة، وستجد أنهم قد اعتبروا هذا الشخص ممن يفخرون به على بني هاشم، فيقولون :

" ولنا في الجمال والحسن ما ليس لكم، منا المدبج والديباج... "[٢].

رابعاً: مع المفترين

■ الافتراء العظيم:

لم تسلم هذه المرأة المعظمة من أنياب العبث التاريخي، بل حاولت أن تمزق ثياب الجلال التي نسجتها السماء لها، فطرزتها بعظيم مواقفها.

والذي أحسبه أن أخبار الكذب عليها وعلى أختها السيدة سكينة، قد نسجت في فترة واحدة، وبذهنية متقاربة.

ولو رجعت لسبك القصص لوجدت أنها خيالية أكثر من كونها تحكي واقعاً تعيشه أي امرأة ذات قيمة، فما بالك إذا كانت ابنة البيت المعرق في المجد، والمورق في السؤدد.

لقد ذكر المؤرخون أن الحسن المثنى لما مات ضربت زوجته فاطمة بنت الحسين بن علي عليهما السلام على قبره فسطاطاً، وكانت تقوم الليل وتصوم النهار، وكانت تشبه الحور العين لجمالها، فلما كان رأس السنة قالت لمواليها : " إذا أظلم الليل فقوضوا هذا الفسطاط ".

---

(١) سر السلسلة العلوية : ١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٦٧/١٥.

فلما أظلم الليل سمعت قائلاً يقول : هل وجدوا ما فقدوا ؟ فأجابه آخر: بل يئسوا ؛ فانقلبوا [١].

وهذا الأمر لم يتفرد به مصدر دون آخر، ولا خصت به طائفة دون أخرى، فقد ذكر هذا الخبر في الإرشاد [٢]، ومناقب آل أبي طالب [٣]، ومن كتب العامة رواها البخاري [٤]، وعمدة القاري [٥]، وكتاب الهواتف [٦]، وغير هذه المصادر.

وتعال معي .وما عشت أراك الدهر عجباً .لترى الكذب الصراح كيف ينسج على حرائر الرسالة وثقل النبوة .

فبينا نقرأ في المصادر الموثقة أنها أقامت حزناً على زوجها عاماً كاملاً، ولم تفارق قبره، إذ جاء التاريخ المزيف بكذبته التي لا تحتمل .

ولولا أن المقام يتطلب ذكر الخبر لأعرضت عنه لما فيه من التشويه والتجري، ولكن لكي لا يمر على القارئ العزيز مثل هذا الخبر فينخدع به، ويسيء ظناً دون علم .

لقد روى ابن عساكر فقال : " فلما حضرت الحسن الوفاة قال لفاطمة : إنك امرأة مرغوب فيك ؛ فكأني بعبدالله بن عمرو بن عثمان إذا خرج بجنازتي قد جاء على فرس مرجلاً جمته، لابساً حلته، يسير في جانب الناس، يتعرض لك .

فانكحي من شئت سواه ؛ فإني لا أدع من الدنيا ورائي هماً غيرك.

قالت : آمن من ذلك، وأثلجته بالأيمان من العتق والصدقة، لا أتزوجه .

---

(١) روضة الواعظين : ٤٩٤.

(٢) الإرشاد : ٢/٢٦.

(٣) مناقب آل أبي طالب : ١٩٣/٣.

(٤) صحيح البخاري : ٩٠/٢.

(٥) عمدة القاري : ١٣٤/٨.

(٦) كتاب الهواتف : ٩٢.

ومات الحسن بن الحسن، وخرج بجنازته، فوافاه عبد الله بن عمرو في الحال التي وصف الحسن .

وكان يقال لعبد الله بن عمرو : (المطرف)، من حسنه، فنظر إلى فاطمة حاسراً تضرب وجهها .

فأرسل إليها : إن لنا في وجهك حاجةً ؛ فارفقي به، فاسترخت يداها، وعرف ذلك منها، وخمرت وجهها .

فلما حلت أرسل إليها فخطبها، فقالت : كيف بيميني التي حلفت بها ؟

فأرسل إليها : لك مكان كل مملوك مملوكان، ومكان كل شيء شيئان، فعوضها من يمينها فنكحته...[1].

وقد ذكر بعد هذا الخبر بصفحتين ما لا أستطيع ذكره من الكلام الذي نسجه خيال كذوب، يشين به بيت النبوة والرسالة.

ولا أعلم من أيها أعجب، أمن مخالفته لما ذكره المؤرخون، ومعارضته ما اشتهر ؟ أم من تكذيب نفسه في كتابه ؛ حيث ذكر هذه العبارة : نظرت فاطمة بنت الحسين إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن، ثم غطت وجهها، وقالت :

وكانوا رجاءً ثم أمسوا رزيةً لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

ثم ذكر خبر مقامها على قبر زوجها سنة كاملة[2].

فيا للعجب، بينا هو يذكر حزنها في شعرها وبقاءها حزينة طوال سنة، إذا به يذكر أنها بردت أحزانها والجنازة بعد لم تقبر، وحتى عرف الحاضرون ذلك، وما إن حلت للأزواج وخرجت من عدتها وإذا بها تتزوج غيره.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٧٠/١٧.

(٢) راجع تاريخ مدينة دمشق : ٧٠/ ١٩-٢٠.

والأغرب من كل ذلك أن يزوجها برجل قد مات قبل موت زوجها الأول بسنة، ويخاف زوجها عند موتها أن يخطبها رجل قد أصبح تحت التراب[١].

وإن نظرة واحدة لسند هذا الخبر توقفنا بوضوح على أننا أمام من لا يتورع عن كل كذب للحط من شأن البيت العلوي، فإن راويها هو الزبير بن بكار الذي قال عنه أحمد بن علي السليماني بأنه ممن يضع الحديث وقال عنه: منكر الحديث[٢].

وأكتفي بهذا النقاش لما في هذا الخبر من المعارضة لما روي في أمهات الكتب، ولكن أبث نفثة المحزون فأقول:

ليت شعري أما من حياء من المقدم على رسول الله عليه السلام وهم يتناولون عرضه بهذا الأسلوب؟

أما من غيرة على حرمه المقدس؟

بل أما من عقل يدلك على كذب هذا الخبر؟

ولكنها نبال تفرغ من كنانة الحقد على آل الرسول عليه السلام، وظنت أنها بتوزيع أشلائهم ستوزع مجدهم، وما علمت أن كل شلو يقطع سيصبح مجداً يوزع، ويغدو مناراً يرفع فوق كل شاهق من الأرض.

لاومع الفهري فرية عظمى:

لقد استمر الحقد في بث تزويره للحقائق المتعلقة بالجانب النسائي من أهل البيت عليهم السلام، محاولاً تبديل الجانب القدسي لهن بجانب أنثوي، تتحول به هذه النساء إلى غرض لكل طالب.

(١) يمكن الرجوع لما تقدم لمعرفة المصادر.
(٢) الكشف الحثيث: ١١٩.

وأحسب أن ما يقومون به يشف عن النوايا التي اختبأت خلفه . فإنهم يريدون أن يقولوا إذا كان البيت التيمي فيه امرأة يتعرض لها الرجال، وهي عائشة بنت طلحة، فإن البيت العلوي فيه من كانت ذات فضل، وكانت سيرتها مشابهة لتلك السيرة، فلا مذمة في ما ينقل، ولا معابة تذكر .

لقد ذكر المؤرخون وتناقلوا خبراً تاريخياً تعجب منه وأنت تمر بتفاصيله، وتذهلك المشاهد المصورة فيه.

لقد ذكروا أن عبد الرحمن الفهري خطب فاطمة الكبرى، فقالت : والله، ما أريد النكاح، ولقد قعدت على بني هؤلاء . وجعلت تحاجزه، وتكره أن تنابذه لما تخاف منه.

وألحَّ الفهري عليها، وقال :

والله، لئن لم تفعلي لأجلدن أكبر بنيك في الخمر، -يعني عبد الله بن الحسن ..

فبينا هو كذلك، وكان على ديوان المدينة ابن هرمز -رجل من أهل الشام-. فكتب إليه يزيد أن يرفع حسابه، ويدفع الديوان.

فدخل على فاطمة بنت الحسين يودعها، فقال : هل من حاجة؟

فقالت : تخبر أمير المؤمنين بما ألقى من ابن الضحاك، وما يتعرض مني.

قال : وبعثت رسولاً بكتاب إلى يزيد تخبره، وتذكر قرابتها ورحمها، وتذكر ما ينال ابن الضحاك منها، وما يتوعدها به.

فقدم ابن هرمز والرسول معاً، فدخل ابن هرمز على يزيد فاستخبره عن المدينة، وقال : هل كان من مغربة خبر ؟ فلم يذكر ابن هرمز من شأن ابنة الحسين .

فقال الحاجب : أصلح الله الأمير، بالباب رسول فاطمة بنت الحسين .

فقال ابن هرمز: أصلح الله الأمير، إن فاطمة بنت الحسين يوم خرجت

حملتني رسالة إليك، فأخبره الخبر.

قال : فنزل من أعلى فراشه، وقال : لا أم لك، ألم أسألك هل من مغربة خبر؟ وهذا عندك لا تخبرنيه ؟ فاعتذر بالنسيان .

قال: فأذن للرسول فأدخله، فأخذ الكتاب فاقترأه .

قال : وجعل يضرب بخيزران في يديه، وهو يقول : لقد اجترأ ابن الضحاك، هل من رجل يسمعني صوته في العذاب وأنا على فراشي ؟

قيل له : عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري . قال : فدعا بقرطاس، فكتب بيده إلى عبد الواحد بن عبد الله بن بشر النضري، ـ وهو بالطائف ـ : سلام عليك، أما بعد فإني قد وليتك المدينة، فإذا جاءك كتابي هذا فاهبط واعزل عنها ابن الضحاك، وأغرمه أربعين ألف دينار، وعذبه حتى أسمع صوته وأنا على فراشي.

قال : وأخذ البريد الكتاب، وقدم به المدينة، ولم يدخل على ابن الضحاك، وقد أوجست نفس ابن الضحاك ؛ فأرسل إلى البريد، فكشف له عن طرف المفرش فإذا ألف دينار .

فقال : هذه ألف دينار لك، ولك العهد والميثاق لئن أنت أخبرتني خبر وجهك هذا دفعتها إليك، فأخبره، فاستنظر البريد ثلاثاً حتى يسير، ففعل ثم خرج ابن الضحاك فأغذ السير، حتى نزل على مسلمة بن عبد الملك، فقال: أنا في جوارك .

فغدا مسلمة على يزيد فرفقه، وذكر حاجة جاء لها، فقال : كل حاجة تكلمت فيها هي في يدك، ما لم يكن ابن الضحاك . فقال : هو ـ والله ـ ابن الضحاك.

فقال: والله، لا أعفيه أبداً، وقد فعل ما فعل. فرده إلى المدينة إلى النضري.

قال عبد الله بن محمد: فرأيته في المدينة عليه جبة من صوف يسأل الناس، وقد عذب ولقي شراً [١].

وقفة تامل:

من أجل أن تتعرف على الخبر من قرب نحتاج إلى أن تتعرف على التاريخ الذي تولى فيه الفهري إمرة المدينة.

ولو رجعنا للمصادر التاريخية لوجدناها تذكر أنه قد تولى المدينة سنة ١٠١ من الهجرة، وعزل سنة ١٠٤من الهجرة [٢].

وإذا كانت هذه الحادثة آخر أيامه فأنت تستطيع أن تقرب تاريخ الحدث، فتقول: إنها كانت سنة ١٠٤من الهجرة.

ولو سألت التاريخ كم كان عمر فاطمة الكبرى التي يتعرض لخطبتها الفهري؟ لعرفت أن الحادثة كانت قبل موتها بست سنين وهي ذات العمر الطويل، أي أنها كانت ابنة ٨٤ سنة أو ٦٤سنة، وعلى التقديرين فهو عمر نعرف أن المرأة العادية تكون فيه قد عزفت عن الدنيا، وأعرض طالبو الزواج عنها، وأصبحت ينظر لها نظر احترام لا نظر شهوة وطمع.

ولا يغيب عنك أن الاعتذار المنسوب إليها (ولقد قعدت على بني هؤلاء) هو اعتذار امرأة شابة ذات أولاد صغار، بينما كان أولادها كباراً حين توليه للحكم، وهذا يشعر أن الراوي التفت إلى مناسبة الاعتذار، ولم يلتفت إلى أنه لا يصدر من امرأة كبيرة السن، فالتعبير يكشف عن بطلان القضية.

ولا أعلم أين مضى بنو الحسن من هذا الرجل ؟ وهم أهل الحمية والإباء،

---

(١) تاريخ الطبري : ٥ / ٣٦٧ و٣٦٨.

(٢) راجع ترجمته في تاريخ مدينة دمشق : ٤٤٢/٣٤

ومن أرادت الدنيا أن تطأهم فكانوا جمرة لا توطأ.

ولا أشك ـ وأنت كذلك ـ بأن هذا الخبر وأشباهه يحاول أن يضفي على البيت العلوي مآخذ لا تنكر، ويسبغ على البيت المرواني فضائل فيها من الحمية للمظلوم وأخذ النصفة ما لا عهد لبني مروان به .

خامساً: مسجدها وقبرها

مسجد فاطمة عليها السلام :

لقد كان في المدينة المنورة مسجد، قد تشرف بزيارته الزائرون قبل عدة أعوام، ولا وجود له الآن، وهو يحمل اسماً مباركاً، فيسمى : (مسجد فاطمة).

ويظن الزائرون بأنه يحمل اسم السيدة الزهراء عليها السلام، وأنه منسوب لها، وإن كانوا يجهلون سبب التسمية، ولا يعرفون العلاقة بينهما.

ولكن المؤرخين للآثار النبوية يقولون: إن هذا المسجد منسوب لفاطمة بنت الحسين عليه السلام، ويعرفونه، فيقولون :

مسجد فاطمة بالمدينة المنورة، بالقرب من مسجد الرسول عليه السلام، يقع في غربه بانحراف قليل نحو الجنوب، ويجاور التوسعة الجديدة للمسجد النبوي، حيث كانت المظلات غربي مسجد رسول الله عليه السلام، ولا يفصله سوى شارع (أبي ذر)، الممتد نحو جنوب المسجد النبوي .

وقد ذكر الشيخ عبد الحميد العباسي ـ الذي عاش في القرن العاشر الهجري ـ في كتابه (عمدة الأخبار) أن مسجد النور بقباء وآخر في المدينة المنورة يقال له : (مسجد فاطمة) .

وقد بنى المسجد السيد زين اليماني، وجُدد بناؤه في عهد الملك فيصل بن عبد العزيز، سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وتسعين .

والمسجد الآن يرتفع عن الطريق المجاور له بخمس درجات، يتكون من طابقين، في الطابق السفلي ميضأة المسجد، وجعل الطابق العلوي بيتاً للصلاة، يصعد إليه فوق إحدى وعشرين درجة، ومساحة بيت الصلاة من الداخل اثنان وعشرون متراً، وعرضه ثلاثة عشر متراً بخلاف المدخل (١).

ويضيف أحمد ياسين الخياري، فيقول:

هذا المسجد كان منزلاً للسيدة فاطمة الصغرى بنت سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنهما، ويخبرنا التاريخ المدني أو التواريخ للمدينة كلها أن السيدة فاطمة الصغرى بنت سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، انتقلت إلى هذه الدار المبحوث عنها الآن، بالجهة الغربية من بيت جدتها فاطمة الكبرى ﷺ؛ لإدخاله في مسجد رسول الله عليه السلام.

وهذه الدار .المبحوث عنها .قرب بناء إبراهيم بن هشام، فصلت السيدة فاطمة الصغرى في هذه الدار .حين انتقالها إليها .ركعتين، ثم دعت الله تعالى، وأخذت المسحاة واحتفرت بئرها بيدها، وهي البئر المشهورة ببئر زمزم.

وسميت بهذا الاسم المبارك تبركاً بزمزم وتيمناً بها، فلما بنى إبراهيم بن هشام هناك منزله، بجوار منزلها، وأراد حفر بئر فلقي جبلاً.

فاشترى دار فاطمة من ابنها عبد الله بن حسن بن حسن رضي الله عنهم أجمعين، وأدخلها في داره تبركاً بها، وتيمناً ببئرها العظيمة(٢).

وأما تركها لهذا البيت فلم يكن باختيارها ولا برضاها، بل أخرجت منه

---

(١) يراجع موقع (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة)، فقد أحال على مصادر، وهي: مجلة جامعة الملك سعود، المجلد السادس، تاريخ معالم المدينة للخياري: ١٠٤، أشهر المساجد في الإسلام لعبد المجيد بكر: ٢٧٨/١.

(٢) تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً: ١٠٤، (بتصرف قليل).

مكرهة، فقد ذكروا أن الوليد بن عبد الملك كان يخطب على منبر رسول الله عليه السلام ؛ إذ انكشفت الكلة[1] عن بيت فاطمة عليها السلام، وإذا حسن بن حسن يسرح لحيته .

فأخذ الوليد الغضب ؛ لكونه لم يسمع خطبته، بل جلس في بيته يسرح لحيته.

فلما نزل أمر بهدم بيت فاطمة، فأبى حسن بن حسن وفاطمة بنت الحسين أن يخرجوا منه، فأمر بهدمه عليهم . وهما فيه وولدهما . فلما نزع أساس البيت قالوا لهم: إن لم تخرجوا قوضناه عليكم، فخرجوا منه.

وكانت الحجة التي تذرع بها بعد أن أعياه ما يرى من الحسن بن الحسن ما أشير عليه به، وهو أن يدعي أنه يريد زيادة المسجد، ويشتري هذا المنزل، فأبوا عليه ولكنه نزع منهم بالقوة[2] .

قبرها :

إن لها في مصر مقاماً معروفاً يؤمه الزائرون تعظيماً وإجلالاً لمن ثوت بتلك البقعة .

وقد تسأل عن السبب في وجودها في مصر، فأجيبك بما نقله النسابة العبيدلي في (أخبار الزينبيات)، فقد ذكر أن العقيلة زينب الكبرى عليها السلام بعد رجوعها من أسر بني أمية إلى المدينة أخذت تؤلب الناس على يزيد، فخاف عمرو بن سعيد الأشدق والي المدينة انتقاض الأمر، فكتب إلى يزيد بالحال، فأتاه جواب يزيد يأمره بأن يفرق بينها وبين الناس .

---

(١) الكِلة بكسر الكاف : الستر.

(٢) راجع أعيان الشيعة : ٢١٤/١.

فأمر الوالي بإخراجها من المدينة إلى حيث شاءت، فأبت الخروج، ثم اجتمع عليها نساء بني هاشم، وتلطفن معها في الكلام، فاختارت مصر . وخرج معها من نساء بني هاشم فاطمة بنت الحسين عليه السلام وسكينة[1].

سادساً: رفع الاشتباه عن فاطمتين

الاشتباه الأول :

لقد وقع اشتباه عند الكتاب بين فاطمة الكبرى وعمتها فاطمة بنت أميرالمؤمنين عليه السلام، فقد كانتا ضمن السبايا.

وكان لفاطمة بنت علي عليه السلام دور في أحداث كربلاء، وقد ينسب ما وقع لها لبنت أخيها فاطمة الكبرى .

ومن تلك المواقف ما يذكر من تعرض رجل شامي في مجلس يزيد لجارية من أهل البيت عليهم السلام، وكان يطلب من يزيد أن يهبه الجارية فلاذت بزينب عليها السلام في القضية المشهورة، حتى دار الكلام بين العقيلة زينب عليها السلام وبين يزيد في حوار تجلت فيه صلابة الحوراء عليها السلام وقوة ردودها، والتي انتهت بإسكات يزيد، يوم قالت له : أمير يشتم ظالماً، ويقهر بسلطانه.

إن هذه القضية طالما سمعت من أفواه الخطباء، وما أكثر ما كتبت باعتبارها مرتبطة بفاطمة الكبرى، ولكن التحقيق يكشف أنها كانت فاطمة بنت علي عليه السلام، وحسبك من المصادر التي صرحت بذلك ما سأذكره لك .

(١) العقيلة والفواطم : ٦٧ ، وقد علق الشيخ محمد تقي التستري في قاموس الرجال: ١١/٣٨-٤٢ على كتاب(أخبار الزينبيات) بقوله : إن هذا الكتاب منسوب إلى يحيى بن الحسين العلوي، وهو من وضع المعاندين، وفيه أخبار مختلطة، ثم تتبع بعض ما يلاحظه عليه ، فعقب على هذه الأخبار بقوله : "لم لم يكتب في التواريخ والمقاتل من العامة والخاصة مع كثرتها ذلك غيره، فلعله رأى ما كتبه في المنام".

لقد صرحت بكون المعنية في هذه الحادثة فاطمة بنت علي عليه السلام مجموعة من المصادر، ومنها:

مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف[1]، والطبري[2]، وابن كثير في البداية والنهاية[3].

وقال في أسد الغابة عند حديثه عن زينب عليها السلام: "وكلامها ليزيد حين طلب الشامي أختها فاطمة بنت علي من يزيد مشهور، مذكور في التواريخ، وهو يدل على عقل وقوة جنان"[4].

ورجح صاحب قاموس الرجال ما ذكر، فقال :

" فقد رواها الطبري .وهو الأصل .ونقله الإرشاد واللهوف، لكن بدلا فاطمة بنت علي بفاطمة بنت الحسين، والظاهر أن الصواب الأول لكونه الأصل " [5].

الاشتباه الثاني :

لقد وجدنا التصريح بتاريخ وفاتها، وأنها كانت سنة ١١٠ من الهجرة، ولكن ستجد من يذكر أن وفاتها ووفاة السيدة سكينة كانتا في سنة واحدة، وهي سنة ١١٧من الهجرة .

ولكن لو رجعنا للمصادر لوجدنا أن التي توفيت سنة ١١٧ من الهجرة وتذكر بهذا الأسلوب هي فاطمة بنت علي عليه السلام، أو أنها فاطمة بنت الحسن عليه السلام.

(١) مقتل الحسين لأبي مخنف : ٢١٤.
(٢) تاريخ الطبري : ٣٥٣/٤.
(٣) البداية والنهاية : ٢١١/٨.
(٤) أسد الغابة : ٤٦٩/٥.
(٥) قاموس الرجال : ٢٦٨/١٢.

قال ابن عساكر: " سنة سبع عشرة ومائة ماتت فاطمة ابنة علي وسكينة ابنة الحسين بن علي "[١].

وقد صرح بتاريخ وفاة فاطمة بنت علي‌عليه‌السلام سنة ١١٧هـ عدة من المؤرخين[٢].

وتوفيت معها في سنة واحدة كذلك فاطمة بنت الحسن عليه‌السلام، يقول ابن الأثير: وفيها ـ أي في سنة سبع عشرة ومائة ـ توفيت فاطمة بنت الحسن بن علي بن أبي طالب وسكينة بنت الحسين [٣].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق: ٧٠/٣٩.

(٢) تقريب التهذيب: ٢/٦٥٤. وتهذيب التهذيب: ١٢/٣٩٣. وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال: ٤٩٤، ومستدرك سفينة البحار: ٨/٢٦٠، والكشف في معرفة من له رواية في كتب السنة: ٢/٥١٥.

(٣) الكامل في التاريخ: ٥/١٩٥.

(٢) السيدة فاطمة الصغرى عليها السلام

الصوت الحزين خلف ظعن الحسين.

والبكاء المنبعث لفراق الأحبة.

والغراب الناعب على الجدار.

متفرقات التأمت لتشكل في ذهنيتنا صورة فاطمة العليلة.



لقد أغفل كثير من المؤرخين ذكر هذه السيدة الجليلة، فلم يشيروا لها من قريب أو بعيد، ولا تجد لها ذكراً في تعداد بنات الإمام الحسين عليه السلام.

مع أن التأريخ حينما أتصفح ورقاته أجده يذكر لها قصصاً طريفةً، ويشير إلى وجود امرأة باسم فاطمة الصغرى.

ويكفي منها ما يرويه المؤرخون ويتناقله الخطباء جيلاً بعد جيل مما يتعلق ببقائها في المدينة منتظرة أوبة أبيها الإمام الحسين عليه السلام. ويذكر بعض أهل المدينة أن المكان الذي كانت تنتظر فيه أباها معروف عندهم ومشخص لديهم.

ذكرها في التاريخ :

قد تجد من يقول بأن وجود التعبير عن فاطمة بالكبرى تارة وبالصغرى أخرى لا يدل على وجود ابنتين للإمام الحسين عليه السلام.

والسبب في ذلك أنه قد توجد ابنة واحدة و يطلق عليها تارةً فاطمة الكبرى

لأنها أكبر بنات الإمام الحسين ﷺ، و يطلق عليها تارةً أخرى فاطمة الصغرى بالنظر إلى جدتها السيدة فاطمة الزهراء ﷺ.

ولا شك أن هذا الكلام يعتبر احتمالاً مقبولاً من الناحية العقلية، وله استعمال في ألفاظ الروايات ؛ بما يشير إلى أن الرواة قد يستعملون هذا الأسلوب للتفريق بين الفاطمتين [١].

ولكنه أسلوب ليس مطرداً في كل الروايات بل في بعضها [٢]، والذي يظهر أنهم يقولون : (فاطمة الصغرى) تمييزاً لها عن فاطمة الزهراء ﷺ، وذلك لا يكون إلا في موارد احتمال الاشتباه، والذي يتحقق إذا ما وردا في موضع واحد كما في محل الشاهد، وأما إذا انفرد ذكرها عن ذكر جدتها فلا محل للاشتباه، فلا تتميز بالصغرى .

ومهما يكن فإن استعمال هذا الأسلوب في التعبير لا يحمل دلالة على نفي وجود فاطمة تسمى بالصغرى وهي أخت لفاطمة الكبرى.

ولو حاول أن ينفي وجودها بما ذكر فإن كلامه لا يحمل شواهد تاريخية على المدعى، و لا يتكئ على كلمات المؤرخين.

وهو كلام لا يعدو الإبداع العقلي في إيجاد الاحتمالات والفرضيات، ولا يتجاوزه لمرحلة البرهنة عليه.

وبمجرد أن تقلب صفحات التاريخ ستتبعثر كلمات هؤلاء ؛ لأنها تفاجأ بالروايات التاريخية وهي تتحدث عن ابنة للحسين باسم فاطمة كانت في

---

(١) فقد روى عبد الله بن الحسن بن الحسن عن فاطمة الصغرى عن أبيها الحسين عن فاطمة الكبرى ابنة رسول الله ﷺ أن النبي كان إذا دخل المسجد يقول : "بسم الله، اللهم صل على محمد وآل محمد ، واغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك" وإذا خرج يقول: "بسم الله، اللهم صل على محمد وآل محمد ، واغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب فضلك". مستدرك الوسائل : ٣/ ٣٩٤.

(٢) فقد رووا عن فاطمة بنت الحسين عن فاطمة الكبرى ..بحار الأنوار : ٢٢٨/٤٣.

كربلاء، وأخرى اسمها فاطمة كانت في المدينة.

ومن تلك الشواهد التي تناقلتها كتب التاريخ، والتي تدل على وجود فاطمة الصغرى في المدينة وبصراحة، ما يروى من قضية تلطخ الغراب بدم الإمام الحسين عليه السلام، ووقوفه على جدار دارها.

ولم تنفرد بذكر هذا الخبر كتب فئة خاصة من المسلمين، بل تجدها عند الفريقين على حد سواء.

ومن تلك المصادر ما يتسم بقدم نسبي، وهو أمر يدفع القول بوضعها على ألسن الخطباء أو كتاب السيرة المحدثين، كما درج على هذا الاتهام المتسرعون أمام القضايا الحسينية، والظانون ظن السوء، والذين لا يملكون إلا عبارة (لم نسمع بهذا من قبل) أو (لم نجده خلال قراءتنا للتاريخ).

وتحسب أن هؤلاء قد طافوا بكل زوايا التاريخ، فما من واردة إلا وقد حطت رحالها عندهم، وما من شاردة إلا وقد اقتنصتها عقولهم، ولكن للأسف هم من كل هذا خالون، وتحسبهم أرباب بحث وهم في السطحيات غارقون.

لقد روى هذه القصة كمال الدين الحلبي، وهو من أبناء القرن السادس في كتابه (بغية الطلب)[1]، وأسندها معنعنة حتى يصل للإمام الصادق عليه السلام باثنتي عشرة واسطة.

ويرويها الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده علي بن الحسين عليه السلام، حيث قال:

جاء غراب، فوقع في دمه وتمرغ، ثم طار فوقع على جدار فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب .وهي الصغرى .ونعب، فرفعت رأسها فنظرت

(١) بغية الطلب : ٦/٢٦٤٦.

إليه، فبكت بكاءً شديداً، وأنشأت تقول :

نعب الغراب فقلت من	تنعاه ويلك يا غراب
قال الإمام فقلت من	قال الموفق للصواب
إن الحسين بكربلا	بين الأسنة والضراب
فابك الحسين بعبرة	ترضي الإله مع الثواب
ثم استقل به الجناح	فلم يطق رد الجواب
فبكيت مما حل بي	بعد الوصي المستجاب (١)

قال محمد بن علي عليه السلام : فنعته لأهل المدينة، فقالوا: جاءت بسحر بني عبد المطلب . فما كان بأسرع من أن جاءهم الخبر بقتل الحسين عليه السلام (٢) .

روايتها للحديث :

إن المتصفح للروايات تقع عينه على اسم فاطمة الصغرى، وهو ما يدل على وجود ابنة للإمام الحسين عليه السلام تسمى بـ"فاطمة الصغرى"

وكنموذج لذلك أشير إلى الرواية المشهورة حول مناجاة الزهراء عليها السلام، فإنك متى قرأت سندها ستجد اسم هذه المرأة المبجلة راوية للحديث.

والرواية عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن فاطمة الصغرى، عن الحسين بن علي، عن أخيه الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، قال:

رأيت أمي فاطمة عليها السلام قامت في محرابها ليلة جمعتها، فلم تزل راكعة ساجدة حتى اتضح عمود الصبح، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات،

---

(١) شرح إحقاق الحق : ٣٩٤/٢٧ . ورويت القضية عن أعلام العامة في المجلد ١١ ص٤٩٢وص ٤٩٢.

(٢) شرح إحقاق الحق : ٤٩٣/١١ ، نقلاً عن مقتل الحسين للخوارزمي : ٩٢/٢. ورواها ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق : ٢٤/٧٠ ، ولم يثبتها ؛ لأنه لم يضع في حسابه وجود فاطمة صغرى في المدينة.

وتسميهم وتكثر الدعاء لهم، ولا تدعو لنفسها بشيء.

فقلت لها: يا أماه، لم لا تدعين لنفسك كما تدعين لغيرك ؟

فقالت: يا بني، الجار ثم الدار[١].

وستجد بهذا السند (عن علي بن الحسين عن فاطمة الصغرى) في عدة روايات، ومن شاء فليراجع الموسوعات الروائية.

(١) وسائل الشيعة : ٤/١١٥٠.

(٣) السيدة سكينة عليها السلام

مولاتي سكينة...

يا ابنة الحسين، ويا ابنة الرباب...

أيتها المستغرقة مع الله، أجيبينا...

ألا زال رأسك بين ركبتيك، وما جفت منك العيون؟

أم لا زلت بباب الخباء تسمعين صهيل الجواد؟

أم أن جرح الشام لم يندمل؟

أخبرينا... أساعة الوداع مضّت فؤادك فذوى؟

أم جراحات الطف عصفت بعودك فالتوى؟

أخبرينا... ما الذي صنعت بقلبك الأعداء، بعد أن أغمدت سيوفها بكربلاء، إذ جردت أقلامها الرعناء؛ لتحتشد عليك أنت أكثر من سواك؟...فعادت خاسئة.

لله أنت من عابدة ناسكة، سجدتِ بمحراب ربك، وما انتهى السجود... سكينة وكفى.

◆◆◆

عزيزي أيها القارئ...

إنك أمام رزم [١] من أوراق التاريخ المزيف، فهيِّئ قلبك لتحمل البلاء، وإنك أمام ألسنة جردها أصحابها لتدمي قلوب أهل الطهارة، فاستطالت حتى ولغت في الأعراض الزكية.

لقد أكب علماؤنا على ما تناقلته كتب المؤرخين فبددوا شملها، وعروا أكاذيبهم أمام الملأ، فخصت كتب بموضوعها، ويمكنك أن تشاهد حسراتهم متناثرة على سطور كتاباتهم وبين حروفها.

وقد كفونا مؤونة البحث، ولا أرى أن أعفي نفسي من تحمل شيء من هذا العناء؛ لعله يكون طريقاً لنيل شفاعتها يوم لا ينفع مال ولا بنون، وستكون وقفاتنا موجزة عند نقاط مهمة مرتبطة بحياتها المباركة.

أولاً: تعدد الأزواج

لقد ذكر التاريخ أنها قد تزوجت بعبد الله الأكبر ابن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، وهو أخو القاسم لأبيه وأمه، وأمهما رملة، وقد استشهد يوم الطف قبل القاسم عليه السلام...

واختلف المؤرخون في بنائه بها، ففي (إعلام الورى) أن عبدالله قد قتل قبل البناء بها [٢].

وورد في (المحبر [٣] لابن حبيب) و(المترادفات [٤] للمدائني) ما يدل على بنائه بها [٥].

---

(١) كلمة عربية، و رزم الشيء : جمعه، كما في مختار الصحاح : ١٢٣.
(٢) إعلام الورى : ١٢٧.
(٣) المحبر : ٤٣٨.
(٤) المترادفات : ٦٤.
(٥) راجع كتاب السيدة سكينة للسيد المقرم، فمنه النقل، وفيه التفاصيل : ١١٠.

إن هذا الزواج المبارك هو الزواج المتفق عليه، والذي لا ريب فيه. وأما ما سواه فقد اضطربت فيه الأخبار حتى سلبت الاطمئنان بشيء منها، وذلك لعدة أسباب، ومنها :

السبب الأول:

أن الأزواج الذين ذكرت أسماؤهم من بيوت لا علاقة لها بالبيت العلوي، بل تشكل خطاً بعيداً عنهم كل البعد.

فمصعب زبيري، والأصبغ مرواني، والثالث عثماني، إن هذا الانتقال من بيت لآخر بحيث تكون كل البيوت من أحزاب متقاتلة مما يبعث على الاستغراب، ويدعو لعدم التصديق.

وأظن أن هناك تحريفاً في أسماء أزواج بعض العلويات لأغراض واضحة، فتجد على سبيل المثال أن السيدة نفيسة المدفونة بمصر يُذكر أنها تزوجت بأحد رجلين: إما الوليد بن عبد الملك بن مروان، أو أنها كانت تحت إسحاق ابن الإمام الصادق عليه السلام[1]، وهو ترديد يعجب منه القارئ، ويعرف منه ما يريدون بذلك، فإن الاشتباه لا يقع بين مثل هذين الشخصين اللذين لا تتشابه أسماؤهم، ولا ينتمون لأسرة واحدة، ولا يجمعهما توجه معين.

السبب الثاني :

أن الأحداث المرتبطة بالزواج لم يرد فيها ذكر لسيد قومه الإمام زين العابدين عليه السلام، فترى سكينة تتزوج بالرجل ولا يعرف موقف الإمام تجاهه، ويذكرون سوء التفاهم بينها وبين زوجها ولا نجد ذكراً لأخيها عليه السلام.

---

(١) عمدة الطالب : ٧٠ .

وهذا سلوك غريب على البيت العلوي، والذي نعرف منه إيكال هذه الأمور لكبيرهم وسيدهم، وليس في البيت الهاشمي أكبر من الإمام السجاد عليه السلام

السبب الثالث:

أن أخبار التزويج التي ذكرها المؤرخون من الشخص الواحد تجد فيها من التهافت ما تعجب منه. واقرأ معي ما كتب حول زواجها من الأصبغ بن عبد العزيز المرواني لتعرف حقيقة ما أذكر:

.لقد صرح ابن سعد في الطبقات الكبرى [1] بزواجه منها.

.وأما ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق فقال: حملت إليه بمصر فوجدته قد مات [2].

.وفي أنساب الأشراف أنه فارقها وطلقها بأمر من عبد الملك، ولم يدخل بها[3].

وأوضح الأصفهاني الأمر فقال: كتبت إليه: إن مصر أرض وحمة، فبنى لها مدينة تسمى مدينة الأصبغ، وبلغ عبد الملك تزوجه إياها فنفس بها عليه، فكتب إليه :اختر مصر أو سكينة، فبعث إليها بطلاقها ولم يدخل بها [4].

.وفي المعارف لابن قتيبة أنه تزوجها، و فارقها قبل أن يدخل بها [5].

ولو رجعت للتاريخ لوجدت أن الرجل لم يكن حاكم مصر، بل كان نائباً عن أبيه حينما ذهب لأخيه عبد الملك فترة قصيرة، والتاريخ يزوجها في تلك الفترة مصعب بن الزبير.

---

(١) الطبقات الكبرى: ٨/٤٧٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٦٩/ ٢٠٥.

(٣) أنساب الأشراف: ١٩٥.

(٤) الأغاني: ١٦/١٠٠.

(٥) المعارف: ٢١٤.

السبب الرابع :

قد حوت الأخبار تهافتاً ملحوظاً، وسأذكر لك بعضاً من هذه الغرائب، أقتنصها من بحث نشر في موقع " براثا "الإلكتروني[١]:

أ) ما أشارت له الدكتورة بنت الشاطئ من تناقضات فقالت :

ـ تختلط الأسماء اختلاطاً عجيباً بل شاذاً، حتى ليشطر الاسم الواحد شطرين، يؤتى بكل شطر منهما على حدة، فيكون منهما زوجان للسيدة سكينة.

فعبد الله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام شطر شطرين، فكان منه زوجان : عبدالله بن عثمان، وعمرو بن حكيم بن حزام .

ـ وتحدثت عما قيل من زواج سكينة بعمرو بن حكيم بن حزام فقالت : وعمرو هو أخ لجد عبد الله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام زوجها بعد مصعب، ولا ندري كيف أدركت سكينة إلى أن تصبح في حساب هؤلاء أن تتزوج من رجلين بينهما ثلاثة أجيال.

ب) ذكروا أن من أزواجها عبدالله بن عثمان ابن أخي مصعب، ومنهم عمرو بن الحاكم بن حزام، مع أن كتب الأنساب لا تشير إلى وجود أخ لمصعب اسمه عثمان، أو حفيد لحزام اسمه عمرو بن الحاكم.

ج) ذكروا أن الرباب قد شهدت مصرع مصعب ورفضت زواج سكينة من قاتله، مع أننا نعلم أنها لم تلبث بعد كربلاء إلا عاماً واحداً، ثم ماتت كمداً وحزناً.

د) نقل أبو الفرج الأصفهاني رواية عن سعيد بن صخر عن أمه سعيدة بنت عبد الله بن سالم: أن سكينة لقيتها بين مكة ومنى فاستوقفتها ؛ لتريها ابنتها من

---

(١) الكاتب اسمه ابو أحمد الحداد المسعودي .

مصعب، وإذا هي قد أثقلتها بالحلي واللؤلؤ، وقالت : ما ألبستها الدر إلا لتفضحه.

ثم أتبعها أبو الفرج برواية أخرى عن شعيب بن صخر عن أمه سعدة بنت عبدالله : أن سكينة أرتها بنتها من الحزامي وقد أثقلتها بالحلي، وقالت : والله، ألبستها إياه لتفضحه.

وهكذا بين فقرة وأخرى صار سعيد بن صخر شعيباً بن صخر، وصارت سعيدة بنت عبد الله سعدة بنت عبدالله، كما صارت بنت مصعب بنتاً للحزامي .

إن هذا التناقض الغريب في الأخبار يعطي القارئ انطباعاً حول الجهد الذي كان يبذل لتكثير الأزواج للسيدة سكينة عليها السلام، كما كثرت الأزواج للإمام الحسن عليه السلام .

ثانياً: القصص والأخبار

لقد ذكروا من أخبارها مع أزواجها و الشعراء ما لا يمكن تصديقه، وإنك ستجد نفسك . وأنت تقرأ. أمام نسج قصصي قريب مما تذكره كتب القصص الخرافية.

ولقد تطاولوا عليها تطاولاً لا أحسب أن هناك شخصية هاشمية قد نالها مثل ما نالتها، لا من حيث نوعية الكذب، ولا من حيث تعدد صوره.

وأحسب أن المجال كان سهلاً للتلاعب بالحقائق، وإلصاق الكذب بشخصيتها ؛ لوجود امرأة اسمها سكينة من آل الزبير وأخرى باسم الرباب .

فسكينة هي ابنة مصعب بن الزبير، والرباب هي أمه، فأصبح من السهل جداً أن ينسب ما لهذه المرأة لتلك العلوية الشريفة، فأبعدت هذه الأكاذيب الأنظار عن العيوب التي سجلها التاريخ حول آل الزبير.

وستلاحظ . وأنت تقرأ في ما دونته أقلام الكتاب حول السيدة سكينة عليها السلام ـ أن التاريخ كان يدل على اتهامه بالوضع .

فيا ترى، هل الصدفة هي التي جعلت سكينة بنت مصعب تتزوج ببكير بن عمرو بن عثمان بن عفان؟ [١]، وجعلت سكينة بنت الحسين عليه السلام تتزوج بزيد بن عمرو بن عثمان؟

أم ترى من الصدفة أن تكون سكينة بنت الحسين عليها السلام زوجة عبد الله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم بن حزام وتكون زوجته الأولى فاطمة بنت عبد الله بن الزبير؟

لا أحسب الأمر بهذه البساطة، ولكنها المحاولات التي كانوا يقومون بها لتمرير كلامهم، بحيث تصبح ابنة رسول الله عليه السلام تجري مع ابنتهم في حلبة واحدة.

وإذا كانت ابنة الرسول تصنع مثل هذه القضايا وتمارس كل هذه الأفعال فلا عيب إذا ما صدرت عن ابنة الزبير.

ودونك هذا الشاهد الذي لولا ضرورة البحث لما ذكرته، ولكن لترى عن قرب كيف كانت أقلامهم تحبك حولهما قصص الغيرة النسائية، والتي تقرب إلى الخرافات.

لقد ذكروا أن سكينة قد تزوجها عبدالله، وكانت عنده فاطمة بنت عبد الله ابن الزبير، وظنت سكينة أنه آثر عليها ابنة الزبير، فرفعت الأمر إلى والي المدينة هشام بن إسماعيل، فسافر زوجها إلى الشام لحل القضية، فكتب عبد الملك كتاباً إلى هشام يطلب فيه أن يحلفه عند المنبر أنه ما آثر ابنة الزبير عليها، فإذا حلف ردها عليه .

وتم الأمر كما طلب عبدالملك، وكان ذلك يوم الجمعة، وقد جمع القرشيين، وحلف الزوج على ذلك، فردت سكينة [٢].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٢٢٦/٣١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٢٧٤/٢٩.

لقد قرأت معي كيف تحولت قضية عائلية إلى قضية يتدخل فيها المسؤولون بأعلى المستويات، وأصبحت سكينة التي لا مثيل لها تخاف أن تفضل عليها ابنة الزبير، ولا يكون ذلك إلا لامتيازها.

لا أحسب أن القارئ النبيه يحتاج لتعليق على هذه القصة أكثر مما ذكرته، ولا للوقوف عند مداليلها المفتضحة.

من تكون زوجة مصعب ؟

إذا ما عرفنا زوجة مصعب بن الزبير وتعرفنا على البيئة الأسرية التي تعيش فيها أسرته، عرفنا المعنية بالشعر، وعرفنا التي كان الشعراء يطوفون بها متغزلين.

لقد تزوج مصعب من عائشة بنت طلحة، وهما من حزب واحد كما ترى، فالآباء هم أصحاب الجمل .

وسألخص أمرها مما ورد في كتاب الأعلام عنها:

لقد ذكر أنها كانت لا تستر وجهها فعاتبها زوجها ـ مصعب بن الزبير ـ في ذلك فقالت :

إن الله قد وسمني بميسم جمال، أحببت أن يراه الناس؛ فما كنت لأستره ... وقتل مصعب عنها، فتزوجها عمر بن عبيدالله التيمي ... ووفدت على هشام بن عبد الملك، فبعث إلى مشايخ بني أمية أن يسمروا عنده، فما تذاكروا شيئاً من أخبار العرب وأشعارها إلا أفاضت معهم فيه...(١)

لقد قال فيها عمر بن أبي ربيعة شعراً افتتحه بقوله:

لعائـــشة ابنـــة التيمـــي عنـــدي   حمى في القلب لا يرعى حماها [٢]

---

(١) الأعلام : ٣/٢٤٠.

(٢) الأغاني : ١/٢٠٤.

وذكر ابن عساكر أنها بعثت إلى كثير عزة فجاءها، فقالت له: ما الذي يدعوك إلى ما تقول في الشعر من عزة، وليست على ما تصف من الحسن والجمال؟ فلو شئت صرفت ذلك إلى غيرها ممن هو أولى به، أنا وأمثالي، فأنا أشرف وأفضل من عزة...[١]

وذكر عن الشعبي أنه قال: مر بي مصعب بن الزبير، وأنا على باب داري، قال : فقال بيده هكذا، قال : فتبعته.

قال : فلما دخل أذن لي، فدخلت عليه، فتحدثت معه ساعة، ثم قال بيده هكذا، فرفع الستر فإذا عائشة بنت طلحة امرأته، فقال: يا شعبي، رأيت مثل هذه قط؟ قال : قلت: لا ...[٢]

إن هذه القضايا أذكرها لتعرف أشخاص هذه البيئة المناسبة لكل القصص المذكورة، والتي يحاولون أن يلصقوها بالسيدة سكينة عليها السلام.

والذي أتيقنه هو أنها لم تتزوج بمصعب بن الزبير؛ لأن البيئة لا تناسبها ولا تليق بها، ولا الشخص يصلح زوجاً لها.

ولا يقبل ما ذكر في تذكرة الخواص من أن الزواج كان قهراً، فقد قال : وأول من تزوجها مصعب بن الزبير قهراً[٣]، فإن عبدالله بن الزبير لم يحكم سيطرته على المدينة بعد حتى يتسنى لأخيه مصعب قهر بني هاشم[٤]، وأخبار رفضهم لبيعته وموقفهم منه معروفة.

من هي صاحبة الشعراء ؟

إن سكينة التي تذكر مع الشعراء هي بنت خالد بن مصعب، فقد عدها

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٥٠/١٠٠.

(٢) ن.م ٥٨/٢٢٥.

(٣) تذكرة الخواص : ٢٤٩.

(٤) السيدة سكينة : ١١٢، وعقيلة قريش : ١٢١.

الكتاب من صواحب عمر بن أبي ربيعة [١]، ويصرح صاحب الأغاني بأن سكينة بنت خالد بن الزبير كانت تجتمع مع عمر بن أبي ربيعة ومعهما ابنتها (أمة المجيد) زوجة محمد بن مصعب بن الزبير وجاريتان يغنيان عندهم [٢].

وليس هذا الأمر بالمستغرب لأنه قريب لها بالنسب، وهذا أمر يغفله كثير من الكتاب.

فإن أم عائشة بنت طلحة كانت زوجة لأخي عمر بن أبي ربيعة، وقد تزوجت بعد ذلك بمصعب بن الزبير، فكانت العلاقة واضحة بين عمر بن أبي ربيعة وبين عائشة بنت طلحة وسكينة الزبيرية.

ثالثاً: نماذج من التحريفات

التحريف في الأشعار:

قال عمر بن أبي ربيعة:

قالت سعيدة والدموع ذوارف   منها على الخدين والجلباب
ليت المغيري الذي لم أجزه   فيما أطال تصعدي وطلابي

ويعني بذلك - كما في الأغاني [٣]- سعدى بنت عبدالرحمن بن عوف، وفي المحاسن والأضداد للجاحظ أنها في ابنة عبد الملك بن مروان [٤].

ولكنك ستجدها قد بدلت باسم سكينة فأصبحت:

قالت سكينة والدموع ....

---

(١) عمر بن أبي ربيعة: دراسة ومختارات: ٨١.
(٢) السيدة سكينة: ١٠٣، نقلاً عن الأغاني: ١/١٥٢.
(٣) الأغاني: ١٦/ ١٢.
(٤) المحاسن والأضداد: ٢١٢.

ويعللها الشنقيطي في شرح أمالي الزجاج بأن المغنين هم من بدلوا الأسماء[١]، ويصرح بذلك صاحب الأغاني بقوله: وإنما غيره المغنون[٢].

ولا يبعد أن يكون الذي غيره أعداء أهل البيت عليهم السلام، وقد أمروا المغنين أن يغنوه بهذا النحو.

التحريف في الأخبار:

تحدث ابن عبد ربه في العقد الفريد[٣] عن قصة عقيلة جارية أبي موسى الأشعري والتي كانت ممن يغني.

فقد طلب الأحوص من معبد أن يذهب معه لاستماع غنائها وغناء جواريها، فمضيا ووجدا رجلين بالباب، فاستأذنوا، فأذنت لهم إلا الأحوص، وقالت: إنا على الأحوص غضاب، فانصرف وهو يلوم أصحابه على استبدادهم بها، وقال:

ضنت عقيلة عنك اليوم بالزاد وآثرت حاجة الثاوي على الغادي

وهاك تعليق الأصفهاني فقد قال:

وقد ذكر الزبير عن ابن بنت الماجشون عن خاله أن عقيلة هذه هي سكينة بنت الحسين كنى عنها بعقيلة[٤].

وقف مع الوضاعين في هذه الفرية لترى بعينيك طرق التحريف، فقد روى ابن قتيبة في المعارف: أن عائشة بنت طلحة تزوجها مصعب بن الزبير، فأعطاها ألف ألف درهم، فقال أنس بن زنيم الديلي لأخيه (عبدالله بن الزبير):

---

(١) السيدة سكينة: ١٠٢.

(٢) الأغاني: ١٦/١٢.

(٣) العقد الفريد: ٧/٢٢.

(٤) الأغاني: ٤/ ٢٥٨. راجع عقيلة قريش: ٩٥.

أبلـغ أميـر المـؤمنين رسـالة ... مـن ناصـح لـك لا يريـد خـداعا
بـضع الفتـاة بـألف ألـف كامـلٍ ... وتبيـت سـادات الجيـوش جياعـا[1]

وتعجب من الأصفهاني [2]. ولا ينقضي التعجب . كيف نقل الأبيات ولكنه مع استبدال عائشة بسكينة فقال: ولما تزوج مصعب سكينة على ألف ألف ...

تحريف النياحة إلى الغناء:

لقد كان أهل البيت يقيمون النياحة في بيوتهم حزناً على ما أصابهم يوم كربلاء، وقد فتح ذلك باباً للمغرضين ومن يحاولون الاعتداء على الشخصيات المقدسة من أهل بيت العصمة .

لقد حولوا تلك النياحة التي كانت تطلبها السيدة سكينة عليها السلام إلى غناء، فشوهوا تلك الصورة الناصعة التي زينت وجه التاريخ.

وقد التفت لهذه النقطة السيد محمد علي الحلو في كتابه عقيلة قريش [3]، وعلق عليها تعليقاً طريفاً، فقد نقل عن أبي الفرج الأصفهاني أنه قال :

إن سكينة بعثت إلى ابن سريج بمملوك لها يقال له: عبدالملك، وأمرته أن يعلمه النياحة . فلم يزل يعلمه مدة طويلة، ثم توفي عمها أبوالقاسم محمد بن الحنفية، وكان ابن سريج عليلاً بعلة صعبة، فلم يقدر على النياحة، فقال لها عبدها عبدالملك : أنا أنوح لك نوحاً أنسيك نوح ابن سريج، فقالت: أو تحسن ذاك ؟ قال: نعم، فأمرته فكان في الغاية .

هذه الرواية إذا ما قارناها بخبر غناء ابن سريج للسيدة «آمنة» سكينة، وجدنا أن مصعب الزبيري قد افتعل الخبر، ونسجه على منوال نياحة ابن سريج،

---

(١) المعارف : ٢٣٣.
(٢) الأغاني : ١٦/ ١٦٤. راجع عقيلة قريش : ٩٧.
(٣) عقيلة قريش : ٩٠.

فاستبدل الزبيري مفردات هذه الرواية بوضع خبر الغناء هكذا:

١ـ استبدال النياحة بالغناء .

٢ـ استبدال عبارة « أن سكينة بعثت إلى ابن سريج بمملوك لها يقال له: عبدالملك، وأمرته أن يعلمه النياحة » بعبارة خبر أشعب كالآتي:

قالت لأشعب: ويلك إن ابن سريج شاخص! وقد دخل المدينة منذ حول ولم أسمع غناءه .

٣ـ استبدال اسم عبدالملك . وهو مملوكها. باسم «أشعب» الخليع [١].

رابعاً: وفاتها وقبرها

خاتمة المطاف:

لقد كانت نهاية الحياة المباركة للسيدة سكينة عليها السلام سنة ١١٧[٢]، في الخامس من شهر ربيع الأول، وكان ذلك اليوم يوم خميس [٣].

وعمرها الشريف يوم وفاتها مختلف فيه، فقد قيل: كان عمرها ثمانين سنة أو أقل[٤]، وقيل: بل كان خمساً وسبعين سنة [٥].

قبرها:

إن البقعة التي شهدت آخر أنفاسها مختلف فيها بين المؤرخين، وأما ما تحتضنه الحواضر من مشاهد تنسب لها فمتعددة كذلك، والأماكن المنسوبة لها عدة، وهي:

---

(١) الأغاني : ٢٤٩/١و٢٥٠ .

(٢) مستدرك سفينة البحار : ٦٧/٤.

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ٢١٨/٦٩.

(٤) مستدرك سفينة البحار : ٩٣/٥.

(٥) ذكر هذا القول في حاشية شرح الأخبار : ١٨١/٣ ، نقلاً عن ابن الجوزي وابن خلكان والنووي في تهذيب الأسماء : ٢٦٣/١.

ـ المدينة :

إن المعروف أنها قد توفيت في المدينة المنورة، ويصححه كثير من المؤرخين .

ـ مكة :

لقد ذكر ذلك في تذكرة الخواص فقال : قال ابن سعد: توفيت بالمدينة ... وأما غير ابن سعد فيقول: إنها توفيت بمكة .

وفي شذرات الذهب : توفيت بالمدينة، والعامة تزعم أنها بمكة في طريق العمرة[1].

ـ طبرية :

وهناك قبر في طبرية ينسب لها، و قبر لعبيد الله بن العباس بن علي ابن أبي طالب عليه السلام .

وقد أشارت له المصادر القديمة كمعجم البلدان [2]، وهو موجود ومعروف عند أهالي تلك البلاد، ويحاول اليهود أن يصبغوه بصبغة يهودية، فيسمونه قبر راحيل، أو قبر لينه .

ـ مصر:

هناك من يذكر أن سكينة عليها السلام قد جاءت مع عمتها زينب عليها السلام إلى مصر، وأقامت في دار بالقرب من دار عمتها السيدة زينب عليها السلام حتى توفيت ودفنت بها، وبالتالي أقيم في هذه الدار ضريحها الموجود حالياً بالمسجد الذي يحمل اسمها .

وقد أيَّد هذا الرأي الشعراني في طبقاته والمناوي والحلبي، كما أكد ذلك ابن زولاق، واعتبرها أول من دخل مصر من ولد علي عليه السلام .

---

(١) راجع أعيان الشيعة: ٤٩١/٣.

(٢) معجم البلدان : ٤/ ١٩. ولكنه يصحح القبر الذي في المدينة.

وذكر النسابة العبيدي أن السيدة سكينة صحبت عمتها السيدة زينب في خروجها إلى مصر حين أدرك يزيد خطر مقامها بالمدينة، فأمر أن يفرق بينها وبين الناس حتى لا تكون فتنة .

وتعلق بنت الشاطئ على ذلك فتقول : وإذا صحت الرواية فلعل السيدة سكينة قد عادت إلى الحجاز بعد وفاة عمتها زينب سنة ٦٢هـ.

وأما مقامها فاعتبرته من المقامات التي تبنى بسبب رؤيا يراها راء فتؤخذ مأخذ التقديس[١].

وكلا القولين لبنت الشاطئ مفتقران للدليل، وإنما هي استحسانات لا تضفي على الموضوع أي إضاءة ؛ فتظل مفتقرة للمؤيدات أو المفندات.

ـ الشام :

ويوجد مقام باسمها في الشام، وهو مدعاة للتساؤل حول صاحبته، وخصوصاً أنه مرقد قديم، وليس مستحدثاً كما يظن بعض المهتمين. لقد تحدث عنه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق، وهو من أبناء القرن السادس الهجري.

وقد احتمل ابن عساكر ورود السيدة سكينة عليها السلام إلى الشام وموتها هناك، فقد قال: "فأما قبر سكينة بنت الحسين فيحتمل..."[٢] وإن كان يصحح خبر موتها في المدينة.

ويعتمد في هذا الاحتمال على ما ذكره من قراءته لخط علي بن محمد الحنائي؛ لما حدثه به شيوخه عن أسلافهم: أن قبر سكينة بنت الحسين بدمشق، وقد عقب الحنائي على ذلك بقوله: ولكن يضعفه أهل العلم[٣].

لقد ذكر ذلك بناء على ما يذكره المؤرخون من زواجها بالأصبغ بن

---

(١) راجع مقالين منشورين في الأنترنت للدكتورة سعاد ماهر وحنفي المحلاوي .

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ٤٢١/٢.

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ٢١٧/٦٩.

عبدالعزيز بن مروان، والذي كان بمصر، ورحلت إليه، فمات قبل أن تصل إليه. فيحتمل أنها قدمت دمشق وماتت بها[(١)].

ولا شك أنه احتمال لا يعتمد على خبر تاريخي يعتد به، وإنما هو احتمال مؤرخ يعتمد على ظنون واستنتاجات.

إن الخبر التاريخي يفيد أنها قصدت مصر وما وصلتها، فمن أين يستفاد ذهابها إلى دمشق وموتها هناك، والخبر لم يذكر دمشق بكثير أو قليل؟

وستجد في رحلة ابن بطوطة ذكراً لمقام باسم السيدة سكينة بنت الحسين عليها السلام في دمشق[(٢)(*)].

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ٤٢١/٢

(٢) رحلة ابن بطوطة : ٩٤/١.

* سؤال يطرح عند ذكر قبر باسم سكينة في الشام، ويدور حول أمرين وهما : هل هناك بنت باسم سكينة بنت علي ؟ وهل لها قبر في الشام ؟

لقد سرحت الطرف في التاريخ فوجدت أن اسم (سكينة بنت علي) متكرر في المجاميع الروائية، ومنها :

١. ما روي عن الحسين عليه السلام قال : أدخل على أختي سكينة بنت علي خادم، فغطت رأسها منه، فقيل لها : إنه خادم، فقالت : هو رجل منع من شهوته. وسائل الشيعة: ٢٢٧/٢٠.

٢. روى مولانا السجاد عليه السلام عن سكينة وزينب ابنتي علي عليه السلام عن علي عليه السلام. دلائل الإمامة: ٥٢.

٣. روى عنها أبو صالح عن النبي صلى الله عليه وآله .التاريخ الكبير للبخاري : ١١١/٤.

٤ـ ورد في رواية في دفن سيدتنا الزهراء عليها السلام عن الإمام علي عليه السلام قال : ناديت: يا أم كلثوم، يا زينب، يا سكينة، يا فضة، ياحسن، ياحسين، هلموا، تزودوا من أمكم . بحار الأنوار: ١٧٩/٤٣.

٥. هناك إشارة لوجودها في كتاب (المعارف) لابن قتيبة : ٦١٩.

أما الحديث عن قبرها فلم أجد له ذكراً فيما بين يدي من مصادر، ولا أعلم هل له علاقة بالقبر الموجود في الشام أم لا ؟ فإن ورود العلويات لهذه الديار غير ممتنع، فقد شاهدنا مزاراً ينسب لإحدى بنات الإمام علي عليه السلام، وقرأنا في المصادر ورود زينب بنت الإمام الحسين عليه السلام للشام بعد يوم كربلاء. تاريخ مدينة دمشق : ١٦٨/٦٩.

(٤) السيدة زينب عليها السلام

وهي من بنات الإمام الحسين عليه السلام اللاتي نص المؤرخون على اسمهن عند تعدادهم لهن، وتذكر إلى جوار سكينة وفاطمة أختيها[١].

ومن الواضح أنها لم تكن ممن خرجن من الدنيا صغيرات، وإن كنا لا نجد ذكراً كثيراً لها.

فقد روى عنها زيد الشهيد خطبة السيدة فاطمة عليها السلام، وعبر عنها بعمته زينب بنت الحسين[٢].

وذكر ابن عساكر خبر وردها إلى دمشق مع عمال أبيها عليه السلام بعد قتله[٣].

والغريب في الأمر أني لم أجد غير هذين الخبرين .بحسب ما بين يدي من مصادر .وكأن الأرض ابتلعتها، أو أن السماء اختطفتها، فلا ذكر لها في الأحداث المستلزمة لتسجيل صوتها ضمن الأصوات الباكية أو النادبة على شهداء الطف.

---

(١) تاريخ الأئمة : ١٨، وتاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم: ١٣٢، تاريخ مدينة دمشق: ٦٩/١٦٨.

(٢) بحار الأنوار : ٢٩ /٢٣٩.

(٣) تاريخ مدينة دمشق : ٦٩ /١٦٨.

(٥) السيدة رقية عليها السلام

شهرتها:

اسم رقية من الأسماء المتداولة عند أهل البيت عليهم السلام، فهناك ابنة للإمام علي عليه السلام تحمل هذا الاسم، وابنة للإمام الحسن عليه السلام كذلك، وجارية للزهراء عليها السلام تسمى رقية[(١)].

وأما رقية ابنة الحسين عليه السلام فقد أغفل ذكرها أكثر المؤرخين، مع أننا نجد لها وجوداً في الذهنية الشيعية، ونرى لها مشهداً قائماً بأرض دمشق، يزدحم عنده الزائرون[(٢)].

---

(١) لقد عرفت هذه المرأة بأنها مولاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد عمرت، حتى جعلها الحسين بن علي مقيمة عند قبر سيدتها فاطمة، لأنه لم يكن بقي من يعرف القبر غيرها . وهذا الكلام قاله عمر بن شبة في أخبار المدينة .(راجع الإصابة : ٨ /١٣٩).

(٢) لقد توافق مع كتابة هذه الأوراق حصول كرامة لهذه السيدة المعظمة، فأحببت تسجيلها، حفاظاً عليها، ولكي لا تذهب كما ذهب غيرها، وقد استمعت لتفاصيلها من الشخص الذي تشرف بها وعايش تفاصيلها.

ويدعى هذا الرجل بـ " عبد الواحد " وهو ابن القارئ للمواليد والوفيات، والمشهور في بعض قرى القطيف، الحاج عيسى المعروف بالشريف، وهو من عائلة المنصور، ويسكن في قرية الجش، وهي إحدى قرى مدينة القطيف في المملكة العربية السعودية، وفيها يمارس عبدالواحد عمله كبائع للخضار.

وقد نشأ على سيرة والده في قراءة التعزية والمواليد، وبما يصطلح عليه بـ " الرادود "، فقد كان يمتلك صوتاً جهورياً.

وفي ذات يوم من الأيام وهو يقود سيارته، اعترضه عارض صحي في عينيه، وكان قاصداً لمتجره، وقد ظن أنه أمر طارئ يمكن أن يتلافاه ببعض المعالجات، فلما دخل إلى دكانه أخذ شيئاً من الماء يغسل به عينيه، ولكن الغشاوة على العين لا تبرح من مكانها، فأخذ الجريدة ليقرأ فوجد كلماتها مبتورة ومتداخلة فيما بينها، فادرك أن الأمر أكبر مما يتصور.

وقد قامت الشهرة بوجود هذه البنت المقدسة في هذه البقعة الطاهرة، والشهرة في هذا الباب كافية في إثبات الموضوع، وبهذه القاعدة يتعامل المسلمون في نسبة القبور لأهلها، كما يذكر ذلك أهل العلم والتحقيق[1].

تحرك نحو مستشفى السيف ـ وهو مستشفى خاص بالعيون، ويقع في المنطقة الشرقية ـ ليقف على حقيقة الأمر، فأجريت الفحوصات اللازمة، وكانت النتيجة غير متوقعة، فقد تعبت أعصاب عينه، وهذا ما سبب له هذه الحالة التي أصبح معها غير قادر على قراءة أي كتابة.

طرح أمام الطبيب خيار العملية، فقد سبق أن أجرى عملية تصحيح للنظر في جدة، فأوضح له أن لا فائدة مرجوة منها، فاقترح على الطبيب أن يلبس النظارة، فلعلها تساعده، فرفض الطبيب ذلك، ولكن مع الإصرار أعطاه ورقة تحمل قياسين: أحدهما لنظارة للقريب والآخر لنظارة للبعيد.

ذهب عبد الواحد وعمل النظارتين، وكانت النتيجة غير ما يتمناه، فقد صدق الطبيب، والنظر لم يتغير بلبسه للنظارة.

فكر في خيار آخر، وهو أن يذهب إلى مستشفى المغربي ليرى نتيجة الفحص عندهم، ونفذ ما فكر فيه، ولكن كانت النتيجة هي النتيجة، فلا أمل في أن يعود إلى القراءة بعد هذا اليوم.

وشاءت الأقدار أن يحظى بزيارة السيدة زينب عليها السلام في سوريا، واجتمع مع المؤمنين هناك، وقد حمل معه همه الذي يقلقه، وأخذ يبثه لمن يرجو عندهم حلاً لمشكلته، فأشير عليه، أن يطرح مشكلته على الرادود المعروف "أبو الحواتم"، وقد أشار عليه أن يذهب إلى قبر السيدة رقية عليها السلام قائلاً: إنها عزيزة الحسين ولن يردها الحسين عليه السلام. واشترط عليه أن يكون ذهابه مخصوصاً للزيارة، فلا يمر بالسوق في رواحه أو رجوعه، وشرط آخر ذكره له، وهو أن يخاطب السيدة المعظمة بلسانه العامي غير متكلف في كلامه.

وكان الأمر كما أوصي به، فقد ذهب إلى مرقدها المعظم شاكياً إليها حاله، قائلاً لها:

هذه الأيام أيام مناسبات، وسيطلب مني أن اقرأ، وأنا لا اقدر على ذلك، ومن لنا غيركم؟ ...

وعاد الرجل إلى داره، وغفت عيناه، وما أجلسه إلا صوت رجل يوقظه من نومه، فأفاق، ونظر إلى ما حوله، فوجد عينه تبصر افضل مما كانت، فما كان منه إلا أن أوقظ زوجته مخبراً إياها بالتغير الذي حصل، وطلب منها أن تحضر له القصائد التي جاء بها إلى الشام، فأخذ يطالع فيها، فوجد عينه تبصر ما كتب، فأخذ يقرأ تلك الليلة مقدار نصف ساعة.

وجاء وقت الغذاء، وكان الرادود "أبو الحواتم" مدعواً عنده، فأخبره بالخبر، وقال له: لقد تحسنت حالتي، فأصبحت أبصر بمقدار ٧٥٪ أو ٨٠٪، فقال له "أبو الحواتم": ارجع إليها، وخذ البقية منها، وعاد الرجل طالباً تمام الإكرام، وما عاد إلا وعيناه صحيحتان كما كانتا.

حدثني بها مشافهة، يوم ١٤/ شهر شعبان عام ١٤٢٨هـ، في دكانه، وكان للتوّ قد عاد من سوريا، حيث جرت له الكرامة، وكان فرحاً يخبر المشترين بذلك، وحق له أن يفرح، ولا حرمنا من عطائهم وجودهم.

(١) يمكن الرجوع للمقابلة الشفهية التي تمت في مرقدها المقدس مع آية الله العظمى الشيخ الميرزا جواد التبريزي قدست نفسه الزكية.

كرامتها عند إعمار المرقد:

يحدث المتولي على الحرم المطهر، بأنهم عندما كانوا يجرون بعض التوسعة، وصلوا إلى بقعة كان الماء يجري فيها، ولم يكن هذا الماء نابعاً من الأرض فيسيطر عليه، بل كان تياره قادماً من نهر بردى، ويمر بهذه البقعة المقدسة، وينتهي بالغوطة.

من الذي يمكن أن يدعي أن بإمكانه أن يسد هذا الماء؟ والشعب ينتظره ليسقي مزارعه، والكلفة باهظة، والمنع شبه متعذر.

لقد وقف المتولي حيران العقل أمام هذا الماء، ولم يكن أمامه باب فيطرقه، أو سبيل فيسلكه.

لقد حرك الرجل قدميه قاصداً ضريح السيدة رقية عليها السلام، وطرح الأمر عليها، ملقياً همه بين يديها. وجاء المتولي بعد ذلك، ومدَّ عينيه نحو الماء المتدفق، والذي كانت رؤيته تبعث الهم عنده، فكان الإعجاز الإلهي باهراً، فلقد جف الماء وانقطع تيار النهر، وسكت عن هديره.

أخذ العاملون في المشروع يحرفون مجرى الماء، حتى إذا ما أبعدوه، وأصبح البناء آمناً، عاد الماء ليواصل مسيرته في جريانه نحو الغوطة[1].

لقد حارت الكلمات على شفتي وأنا أسمع هذه الكرامة الجليلة، وتبعثرت أفكاري يميناً وشمالاً، فأنا أقف أمام مقدسة، ولها من جلال الشأن ما منحها هذه القدرة، ولها من المقام ما أعطاها هذه المواهب، فما أعظم شأنكم صغاراً! وما أجلكم كباراً!.

---

(١) نقلت هذه القصة عن متولي الحرم نفسه، وناقلها العلامة الشيخ نزار آل سنبل حفظه الله - احد أعلام القطيف - وكان ذلك ليلة السابع من شهر شوال، عام ١٤٢٨هـ، وقد نقل عن بعض الفضلاء عن احد تجار إيران الأربعة الممولين لبناء الحرم المقدس في عمارته الجديدة انه كلما انفق مالاً في سبيل أهل البيت عليهم السلام ومنها بناء مرقدها وجد عنده زيادة، فما أعظم بركتها.

(٦) السيدة خولة عليها السلام

اسم لم تقع عيني عليه عند تقليبي للصفحات المتعلقة بالذرية الطاهرة، ولا أظنك ـ أيها القارئ الكريم ـ تجد له ذكراً على أفواه عامة الشيعة في منابرهم ولا في منتدياتهم.

ولكنك ستجد أن هناك مشهداً ومزاراً عامراً في أرض بعلبك ينسب لها، ويقصده الناس، وهو معروف عندهم .

ويستدلون على نسبة القبر لخولة، وأنها ابنة الحسين عليه السلام بعدة أمور، ومنها:

١ـ الوثائق القديمة التي تؤرخ لهذا المشهد، ويرجع تاريخها إلى عام ١١٠٠من الهجرة.

وتحمل هذه الوثائق توقيع حاكم بعلبك إسحاق روحي، ومفتي بلاد البقاع والهرمل، ونقيب السادة من آل مرتضى[1]، وقد حررت الوثيقة لتحديد موقع المشهد.

٢. وثيقة مؤرخة بعام ١٢٠٠من الهجرة، وقد حررت لترميم المقام، وقد ورد فيها: "سيما أن صاحبة المقام هي بنت سيدنا الحسين..." [2].

---

(١) السيدة خولة بنت الإمام الحسين : ٤٠.

(٢) ن.م.

الباب الثالث

"دروس تربوية"

الدرس الأول :

" اتركه سبعاً "

إن التعامل مع الطبيعة من حولنا مع ما فيها من القاسيات يسهل متى ما اقتربنا منها، إذ لا نلبث إلا قليلاً حتى يصبح ما يستعصي على الإنسان طوع اليمين يصوغه كيفما شاء.

ولكن الإنسان يبقى خارج هذه المعادلة، ففيه من الأسرار ما لا يكشف، وكلما ازداد القرب منه تكشفت خفايا لم تكن ظاهرة، وحقاً قيل:

وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر[1]

وإذا كان الإنسان عجيباً فمن أعجب ما فيه هذه النفس التي حوت من الخفايا الشيء الكثير، فأنت تراه يصب جهده على بناء جسده بالتدريب والتمرين فيصبح الجسد وكأنه مقتطع من الصخر الأصم.

وأما نفس الإنسان فساحة الجهاد الأكبر قد فتحت لها، وكم يصول صاحبها؛ فتصرعه المشتهيات، وقد ينجو، وما أقل من ينجو. وكم من شخص يضيق بنفسه ذرعاً مما تشتهيه، ويلوم نفسه، ولكن لا يحصل له المراد؛ فتسمعه مراراً يقول: كم أتمنى أن أقوم الليل مصلياً، وأتمنى لو يتاح لي التسامح والعفو عن كل من ظلمني، ولكن نفسي تمانعني، ولا أجد قوة أطوّعها بها.

---

(١) أنوار العقول : ٢٤٩، ديوان الإمام علي عليه السلام.

إذا كان هذا حال الإنسان مع نفسه فما هو حاله إذا كان أمام طفل صغير لا يفصح ولا يبين، وله نفس تتأثر بما حولها، ولا يعرف ما يضرها ويؤذيها، ولا يدري ما الذي يسعدها ويهديها، وما الذي ينشئها تنشئة سليمة وما الذي يعيقها.

إنك لن تجد عوناً صادقاً في هذا الطريق سوى ما جاء على لسان الوحي، ولن تجد مصدراً صافياً كالذي ورد عن رسول الله ﷺ، ولن تشاهد كممارسات سيد الأنبياء ﷺ في تربيته وهديه.

وكم له من كلمة فتحت مغلقات الأبواب، وأنارت منعطفات الفكر الحرجة.

لقد قال كلمة في عالم التربية أحنى لها التربويون هاماتهم إقراراً بمصداقيتها، وأبدوا إعجابهم، وحق لهم أن يعجبوا؛ فإنهم أمام من أوتي جوامع الكلم.

إن تلك العبارة هي: "الولد سيد سبع سنين"[1]، وكثر نقل عبارة أخرى، وهي: " اتركه سبعاً "[2] كلمتان موجزتان، أشارت إحداهما للبرنامج المفترض، وحددت الأخرى العمر الزمني لهذا البرنامج.

إنها سبع سنين أو ست سنين[3] لا يرهق فيها الطفل، ويترك حتى يشبع

(١) وسائل الشيعة: ٢١/٤٧٦.

(٢) مستدركات أعيان الشيعة : ١/١١٥.

(٣) لقد عنون الشيخ الحر العاملي ﷺ باباً في المجلد الحادي والعشرين من وسائل الشيعةبما يلي : (باب استحباب ترك الصبي سبع سنين أو ستاً)، وفي الباب من الروايات ما يشير إلى السبع، ومنها ما يشير إلى الست سنين .

ولو لاحظنا العدد فإننا سنرى أن الروايات التي تذكر السبع سنين أكثر من الروايات التي تذكر الست سنين، ويُعلل ذكر الست سنين والسبع بأنه راجع لاختلاف القدرات من شخص لآخر، فمن الناس من يتمكن أن يستقبل العلم في السابعة، ومنهم من يستطيع استقباله في السادسة من عمره.

لهوه، ويستنزف طاقاته المودعة، ومتى ما حيل بينه وبينها بما يحسب الوالدان أنهما يحسنان صنعاً خرجت الآثار في الكبر، كلما أتيح لها فرصة برزت؛ فتشاهد منه رغم الكبر فعل الصغار.

وحينما تشبع هذه المرحلة بما تتطلبه، من إتاحة الفرصة أمام الطفل، ليتهيأ لمرحلة التأديب المقبلة بحيث لم يبق من آثار المرحلة السابقة ما يمكن أن يعيق برنامج هذه المرحلة.

إن العجلة قد تدعو الأب للبداية المبكرة للتعليم والسعي لكنز المعلومات في ذهن الطفل، ويظن أن ذلك هو الغاية، ولم يدر في خلده أن العملية تربوية فكرية، وليست حفظ أكبر عدد من النصوص واستظهارها دون النظر لمسير القدرة التفكيرية عند الطفل.

إن جل اهتمام المبادرين لتعليم أولادهم هو أن يحفظ ما قد أعد لملء ذهنه، وغاب عنه أن ذلك مما يمكن أن يحفظه بعد سنتين في فترة موجزة.

وإن من التربويين من يعتبر أن العمليات المبكرة في التعليم تؤتي ثماراً سريعة، ولكنها لا تحمل الديمومة، بل تشكل معوقاً أمام استمرارية العطاء إلى عمر متقدم؛ إذ ينقطع الابتكار عند الناشئة وهم في أوج مراحل النضج.

ويبدو أنهم يعتمدون في هذا الرأي على الملاحظة للنوابغ الذين بدؤوا في سن مبكرة، فإن عطاءهم كان في سنيهم المتقدمة، فلما تقدموا في العمر قليلاً توقف العطاء.

والأمر من الناحية النظرية له أنصاره، ولكنه يحتاج إلى تكثيف في الدراسة الميدانية، حتى نقف على حقيقة هذا الأمر ومقدار تأثيره، وهل أنه مطرد في النوابغ أم أنه خاص ببعضهم ؟

والقدر الذي يمكن أن نقوله أن قول النبي عليه السلام: " اتركه سبعاً " له من

الفوائد ما يشهد له التربويون، وتعتبر من النصائح التي أعطت الطفل نصيبه من الحرية.

ولم يغفل النبي ﷺ ما على الآباء أن يمارسوه مع أبنائهم في هذه المرحلة، فقد أدار النبي ﷺ وجهه للآباء، فأعطاهم من التوصيات ما يشبعون به نفوس الصغار، وحسبك بكلمته " من كان عنده صبي فليتصابَ له "[١]، عبارة قد حملت من المعاني الواضحة ما يوقف الأب على حقيقة مهمة تحمل في طياتها ضرورة الاهتمام بالمرحلة العمرية وخصائصها.

وإني أحسب أن ما كان يقوم به سيد الكائنات ﷺ مع الحسنين عليهما السلام ما هو إلا منهج يرشد به الخلائق للتعامل الصحيح في هذه الفترة الحرجة والصعبة؛ إذ هما كاملان مصطفيان.

ودونك نماذج من التعامل النبوي :

.عن أبي سلمة أن رسول الله ﷺ كان يدلع لسانه للحسن والحسين عليهما السلام، فيرى الصبي لسانه فيهشُّ إليه، فقال عيينة بن بدر الفزاري: والله ليكون لي الابن رجلاً، قد خرج وجهه، وما قبّلته قط، فقال رسول الله ﷺ: "من لم يَرحم لا يُرحم"[٢].

ويروي أبو هريرة: " أبصرت عيناي، وسمعت أذناي، رسول الله ﷺ وهو آخذ بكفي حسين، وقدماه على قدمي رسول الله ﷺ، وهو يقول: ترقَّ عين بقة، قال: فرقي الغلام حتى وضع قدميه على صدر رسول الله ﷺ، ثم قال رسول الله ﷺ: افتح فاك، ثم قبّله، ثم قال: اللهم إني أحبّه فأحبه"[٣].

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٢/٤٨٣-٤٨٤.

(٢) مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) : ١/١١٣.

(٣) ذخائر العقبى : ١٢٢، وفي قادتنا كيف نعرفهم : ٦/١٧ بلفظ آخر.

وإن من يرجع إلى الروايات يجد أنها عبرت عن البرنامج العملي في السبع سنين بعدة صور، ومنها: "دع ابنك يلعب سبع سنين "[١]، ومنها "يربى الصبي سبعاً "[٢].

ولقد اختصر الأمر صاحب الحدائق ﵀ عندما عبَّر عن هذه المرحلة فقال: فإنه لا يخفى أن السبع هي مدة التربية واللعب[٣].

وأما التعليم الذي يرغب في إكسابه للأبناء فقد أشارت الروايات إلى مرحلة بدايته، فقالت: "احمل صبيك حتى يأتي عليه ست سنين، ثم أدبه في الكتاب ست سنين ..."[٤].

وفي رواية أخرى "الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلم في الكتاب سبع سنين، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين"[٥].

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٤٩٢/٣.
(٢) وسائل الشيعة: ٤٧٥/٢١.
(٣) الحدائق الناضرة : ٩٠/٢٥.
(٤) وسائل الشيعة: ٤٧٦/٢١.
(٥) وسائل الشيعة: ٤٧٥/٢١.

الدرس الثاني:

همسات في السلوكيات

لقد تخيرت مجموعة من كلماته وقصصه التي ترتبط بسلوكياته الشخصية، ولا أجد حاجة لإفراد فصل لكل واحدة منها، مع أن كل قصة منها تعتبر درساً جديراً بالتأمل فيه، وتغطي مساحة مجهولة من شخصية الإمام.

-١-

كان الحسين عليه السلام يشتري الكساء الخز بخمسين ديناراً، فإذا صاف تصدّق به لا يرى بذلك بأساً، ويقول: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾[1][2].

-٢-

روي أن الحسين عليه السلام رأى رجلاً يعيب الفالوذج، فقال عليه السلام: لعاب البر بلعاب النحل بخالص السمن، ما عاب هذا مسلم[3].

-٣-

قال الحسين عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يأمرنا إذا تخللنا أن لا نشرب الماء حتى نتمضمض ثلاثاً[4].

---

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) مستدرك الوسائل: ٣/٢٤٢.

(٣) مكارم الأخلاق: ١٧٥.

(٤) مكارم الأخلاق: ١٥٧.

- ٤ -

لقد كان الحسين عليه السلام يخضب رأسه ولحيته، وكان خضابه أسود اللون [(١)]، وذلك بأن يجعل الحناء مع الكتم [(٢)].

وقيل إنه يدع العنفقة[(٣)] بدون خضاب تشبهاً برسول الله صلى الله عليه وآله فقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وآله شاب منه ذلك[(٤)].

وإن الحسين عليه السلام يوم قتل كان مخضوباً بالوسمة وقد نصل الخضاب من عارضيه[(٥)].

- ٥ -

ورد في مجمع الزوائد أن الحسين عليه السلام قد حمل ماء زمزم[(٦)]، ولا زال المسلمون على هذه السيرة، يحملون ماء زمزم للتبرك به والاستشفاء.

- ٦ -

وكان الحسين عليه السلام إذا صام يتطيب بالطيب، ويقول: الطيب تحفة الصائم[(٧)].

- ٧ -

كان نقش خاتمه: إن الله بالغ أمره[(٨)]، وفي رواية: حسبي الله[(٩)].

---

(١) مجمع الزوائد : ٥/١٦٣، ١٦٢.

(٢) وسائل الشيعة : ٢/٨٦، والكتم: نبات يطبخ أصله فيكون مداداً للكتابة.

(٣) العنفقة: الشعيرات التي تكون بين الشفة السفلى والذقن. الإمام الحسين في أحاديث الفريقين : ٢/٢٧٠.

(٤) مجمع الزوائد : ٥/١٦٣، ١٦٢.

(٥) عوالي اللآلي : ٤/١٤.

(٦) مجمع الزوائد : ٣/٢٨٧.

(٧) الخصال : ٦٢.

(٨) الكافي ٦/٤٧٤.

(٩) الكافي : ٦/٤٧٣.

وروي أنه كان لفاطمة عليها السلام خاتم فصة عقيق، فلما حضرتها الوفاة دفعته إلى الحسن عليه السلام فلما حضرته الوفاة دفعه إلى الحسين عليه السلام.

قال الحسين عليه السلام: فاشتهيت أن أنقش عليه شيئاً، فرأيت في النوم المسيح عيسى بن مريم على نبينا وآله وعليه السلام، فقلت له: يا روح الله، ما أنقش على خاتمي هذا؟

قال: انقش عليه: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، فإنه أول التوراة وآخر الإنجيل[1].

(١) الغيبة للطوسي : ٢٩٧.

الدرس الثالث:

درس في التعامل مع الأبناء

إن الأمر الذي تمليه علينا عقيدتنا أن الإمام المعصوم يحتل مكانة عالية، قد جعلته السماء قدوة تقتفى آثارها ويسار على خطاها، فيبلغ المسلم بذلك رضوان الله تعالى، وينال خير الدنيا والآخرة.

ومن أهم الأبواب ما يرتبط بأساليب التربية عند المعصومين عليهم السلام وطرقها، والتي يبحث عنها المسلم ليفتحها فيجد من خلالها طريقه الآمن، والذي متى سلكه بلغ مناه، وأدرك مؤمله.

وأحسب أن هذا الباب لا يزال بكراً، وهذا الطريق لم تمشِ فيه قدما رائد من رواد التربية، إلا ما كان من خطوات خجلى تتقدم خطوة وتعود للوراء خطوات.

إننا لسنا بحاجة لأن نطبق على الروايات ما يترشح عن الدراسات المحدثة من نظريات ووجهات نظر، فنقتنص منها ما يدعم هذه النظرية أو تلك.

إن أولئك يوجهون الأبناء لحياة هي غاية ما يأملون وأقصى ما يرقبون، والتربية الإسلامية تريد أن نعتبر هذه الدنيا دار ممر، و تريد لنا أن نتجاوزها لنستقر في دار أخرى بأمن وسلامة.

وشتان بين تربية قصرت نظرها على الدنيا، وأخرى تنظر للآخرة وتعد العدة لإيصال الأبناء إليها، جاعلة الدنيا وقوداً لبلوغ المرام.

ونجد في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام خير ما يفرق بين النظريتين، وأفضل

ما يوقف القارئ على حقيقة الأمر.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام متحدثاً عن الدنيا: "ومن أبصر بها بصرته ومن أبصر إليها أعمته "[١].

ويقول: " وإنما الدنيا منتهى بصر الأعمى، لا يبصر مما وراءها شيئاً، والبصير ينفذها بصره، ويعلم أن الدار وراءها، فالبصير منها شاخص، والأعمى إليها شاخص، والبصير منها متزود، والأعمى لها متزود" [٢].

فما أحوجنا لمن يعود للروايات، فيبني منها بناءً تربوياً متكاملاً، يرتبط أوله بآخره، ويسلم كل باب إلى الآخر، تحت مظلة التوحيد الإلهي، وبعيداً عن الاجتهادات العشوائية، والتي قد تودي بأجيال إلى غاية مظلمة، فترمي بهم في هوة سحيقة، يبعد قعرها، ويصعب الخروج منها.

إن الملمح البارز في التربية التي كان يمارس بها الإمام الحسين عليه السلام أنها تربية تحفظ النفس من الانغماس في الدنيا أو الارتباط بها، إلا بما تستوجبه ضرورات الحياة.

فإحدى بناته قائمة الليل صائمة النهار، وأخرى غالب عليها الاستغراق مع الله سبحانه وتعالى.

ومن أبنائه من تند من بين شفتيه كلمات من قد عجن قلبه بحب الله عز وجل، وأفرغ قلبه عمن سواه، فتراه لا يبالي بالموت متى جاءه، وتساوى عنده أن يقع على الموت أو يقع عليه، ولا يختلف عنده أن يكون العدو هو الطالب له حتى

---

(١) نهج البلاغة: ١٣١/١، وقد عقب عليها الشريف الرضي رحمه الله بقوله: "وإذا تأمل المتأمل قوله عليه السلام: (من أبصر بها بصرته) وجد تحته من المعنى العجيب والغرض البعيد ما لا تبلغ غايته، ولا يدرك غوره، ولا سيما إذا قرن إليه قوله: ومن أبصر إليها أعمته، فإنه يجد الفرق بين أبصر بها وأبصر إليها واضحاً نيراً وعجيباً باهراً".

(٢) نهج البلاغة: ١٦/٢.

يوقعه قتيلاً، أو يكون هو الطالب للشهادة والحامل على الأعداء حتى يلويه الطعن والضرب عن جواده صريعاً.

فأي طمأنينة يعيشها علي الأكبر عليه السلام، وأي إيمان يلف قلبه، فإن اللسان يجد القصور في أداء حق هذه الثمرة التي أينعت في شجرة الإمامة وآتت أكلها كل حين بإذن ربها.

وحسبي أن يكون علي الأكبر عليه السلام ـ وهو في طور شبابه ـ محط الرعاية الإلهية، ويستحق بما أوتي من مقام عظيم أن تكون السماء مظهرة لمكانته العظيمة.

وللقارئ في هذه القضية شاهد على ما ذكر، فقد اشتهى عنباً في غير زمانه فضرب الإمام الحسين عليه السلام يده إلى سارية المسجد فأخرج له عنباً وموزاً في غير أوانه فأطعمه، وقال: ما عند الله لأوليائه أكثر[1].

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٧٦٤.

الدرس الرابع:

درس في سمو الروح

حينما أسمع من زاهد في الدنيا أمنياته، أرهف سمعي لأعرف ماذا يحب هؤلاء الذين انزووا عن بهارج الدنيا فطلقوها؟

أترى بقيت في النفس مشتهيات للذائذها؟ أم أنهم قد سلوا عنها فما أصبح عندهم أنس بها؟

إن زاهداً من زهاد الدنيا نطمح في سماع حديثه، إذ يأخذ بأيدينا إلى عالم الطهارة والنقاء، فكيف سنكون إذا كان المتحدث أبا ذر، والذي سحب ذيل الزهد على هامة الدنيا فطأطأت له معترفة بجلال شأنه.

لقد أبدى أبو ذر حبه للفقر، وتفضيله للمرض على العافية، وأظن السامع لن يملك أمام هذه الأمنيات إلا التعجب منها، وسيزداد تعجبه إذا عرف أن هذا ليس أعلى المقامات التي تتوق لها نفوس أهل المعرفة، وستعرف ذلك إذا قرأت تقييم الإمام الحسين عليه السلام لكلماته.

لقد قيل للحسين عليه السلام: إن أباذر يقول: الفقر أحب إلي من الغنى، والسقم أحب إلي من الصحة، فقال عليه السلام: رحم الله تعالى أباذر، أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمنَّ غير ما اختاره الله عز وجل له[1].

شتان بين من تكون له أمنية في شؤونه، وآخر قد غابت عنه الأمنيات،

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٨٩٢.

واتكل على حسن اختيار الله تعالى، فإنه لا يختار لها إلا ما فيه صلاحها.

إنها روح تحمل مقاماً يخولها لأن تقول مثل هذه الكلمات، وستراها متجسدة في أهل البيت واحداً تلو الآخر.

دخل الإمام الحسين عليه السلام على ولده زين العابدين عليه السلام وكان قد مرض مرضاً شديداً فقال له : ما تشتهي؟

فقال : أشتهي أن أكون ممن لا أقترح على الله ربي ما يدبره لي.

فقال الحسين عليه السلام له: أحسنت، ضاهيت إبراهيم الخليل صلوات الله عليه، حيث قال جبرئيل عليه السلام: هل من حاجة؟ فقال: لا أقترح على ربي، بل حسبي الله ونعم الوكيل[1].

(١) بحار الأنوار : ٢٠٨/٨١.

الدرس الخامس:

درس من حياة فاطمة الكبرى عليها السلام

نُقلت لنا صور من حياة فاطمة الكبرى عليها السلام، وقد بدت واضحة المعالم فيها، فقد تجلت منحنية في محراب العبادة مقبلة على الله عز وجل.

إنها في الليل قائمة على قدميها، قد صفتهما بين يدي خالقها، وفي النهار منقطعة عن ملذات الدنيا وبهارجها.

لقد عاشت السيدة فاطمة أكثر من خمسين سنة، فلما لمحها التاريخ بعد ردح من الزمن وجدها عند قبر زوجها تمارس عبادتها التي كانت تقوم بها أيام أبيها عليه السلام.

وما بين هذين الوقتين شاهد أهل زمانها كرامتها عند الله عز وجل يوم نبع لها الماء، كما نبع من قبل لجدها إسماعيل عليه السلام.

لقد شاهد قراء التأريخ أن حياة فاطمة الكبرى تسير على وتيرة واحدة، بحيث يمكنك القول: بأن فاطمة التي كانت تحت ظلال أبيها عليه السلام هي المرأة التي ذرفت على الثمانين من عمرها أو تجاوزتها.

إن هذا المظهر الذي اتسمت به حياتها الشريفة دليل النجاح في التربية، والتي مرت بها سيدتنا فاطمة عليها السلام، حيث أفرزت هذه السلوكيات المتجانسة منذ نشأتها وحتى أواخر عمرها.

ويمكن لنا أن نضع هذا المعيار أمام نواظرنا؛ لنعرف مقدار نجاحنا في تربية أبنائنا.

فمتى ما كان أبناؤنا أصحاب خلق حسن حينما يكونون إلى جوارنا،

وعندما يغيبون عنا يسيرون على الطريق الذي يسلكونه أمامنا؛ فإننا سنكون ناجحين في تربيتنا لأبنائنا.

ولعلك لاحظت في حياتك اليومية أن هناك تربية تركز على السلوك الذي يصدر من الأبناء، فتعمل على إيقاف كل سلوك غير مقبول.

فحينما يشاهد ابنه يمد يده ليأخذ مالاً لا يملكه أو يتصرف في ممتلكات غيره يضع جهده على إيقاف هذا السلوك الخاطئ فقط، ولا يمتد هدفه لإصلاح النفس التي تقف خلف هذه السلوكيات المنحرفة.

ستجد أن هذا الطفل يمارس السلوكيات الصحيحة ما دام الأب رقيباً عليه، وسيتجنب كل ما لا يرضيه ما بقيت عيناه تتابعان حركاته، وما إن يجد فرصة تغفل فيها عين الرقيب إلا وتراه ينتهزها في ممارسة ما يحلو له.

إن التربية الصحيحة هي التي تعتمد على بناء القيم الصحيحة في نفوس الأبناء، وتعمل على ترسيخ المبادئ الصالحة عندهم، ثم تبدأ في ملاحظة سلوكياته لتقوم منها المعوج، وتؤكد على ما هو مقبول منها.

إن مثل هذه الناشئة التي تكون مبادئ الأخلاق عندها مقبولة وفي نفوسها مغروسة لا يخشى عليها متى ما غابت عين الرقيب عنها.

الدرس السادس:

من دروس الحياة الزوجية

لقد رصد التأريخ مواقف قليلة مما يتعلق بالحياة الأسرية لسيد الشهداء عليه السلام، والتي لو حفظت لكانت زاداً يرفد المسلمين بالنموذج الكامل في التعامل الأسري.

وما أحوجنا لمثل هذا الهدي، ونحن في زمان وفدت علينا من كل أمة ثقافتها، ويريد أهلها أن يفرضوها علينا.

فما أعظم حسرة هذه الأمة وهي بين ما يفد عليها وبين تراث قد أهملته وما حفظته، بل وقفت العصبية أمامه فأهدرته، وتركته رهن الصدور لا يجرؤ حملته على البوح به، وإن تفوه حامله بشيء منه ودونته الأقلام أصبح متهماً إذ يروي عن صادق هذه الأمة أو سجادها عليهما السلام.

ولم يبق لنا إلا القليل مما نفذ من بين قبضة السلاطين، ونقلته ألسن أهل العصمة لشيعتهم.

يقول بعض من روى: دخلت عليه .ويعني أبا جعفر عليه السلام .في منزله، فوجدته في بيت منجد، قد نضد بوسائد وأنماط ومرافق وأفرشة، ثم دخلت عليه بعد ذلك وهو في بيت مفروش بحصير.

فقلت: ما هذا البيت جعلت فداك؟

قال: هذا هو بيتي، والذي رأيته قبله بيت المرأة . وسأحدثك بحديث حدثنيه أبي، قال:

دخل قوم على الحسين بن علي عليهما السلام فرأوا في منزله بسطاً ونمارق وغير ذلك من الفرش.

فقالوا: يا ابن رسول الله، نرى في بيتك ما لم يكن في منزل رسول الله عليه السلام؟

قال: إنا نتزوج النساء، فنعطيهن مهورهن، فيشترين بها ما شئن، ليس لنا منه شيء[1].

لقد ضمت هذه الرواية هدياً حسينياً، يعبد الطريق أمام الأسر في تعاملها، ويعطي الرجال نموذجاً للحدود التي يتوقفون عندها، ودونك شيئاً مما يلوح منها:

-١-

إن الإمام الحسين عليه السلام - وهو زوج لهذه المرأة - تراه لا يتدخل في كل شؤونها، فلا تراه يمتد لكل جزئية فيها، وإنما يعطيها مساحة من حرية الاختيار ضمن الدائرة الإسلامية، وخصوصاً والموضوع متعلق بمال تملكه، ولها حرية التصرف فيه.

-٢-

إن من ضعف الرجل أن يحاول إلغاء شخصية المرأة في المنزل، ويعتبر ذلك دليل قوته، ولا أشك أن الذي يدعوه لذلك هو الضعة بين الناس والخمول بين الرجال، فلا يجد مجالاً يفرض فيه نفسه إلا في عالمه الأسري.

-٣-

إن الإمام الحسين عليه السلام - وهو الزاهد سليل الزاهدين - لم يفرض حياته التي

(١) مستدرك الوسائل: ٣/٤٦٥- ٤٦٦.

يرتضيها على زوجته، فلم يطلب منها أن تعيش حياة الزهد التي يعيشها، بل ترك لها الحرية في أن تعيش متنعمة بما أحله الله تعالى لها.

وهذه ناحية دقيقة في السيرة الحسينية تفرق بين الأمور التي يجب أن يحمل المسلم الناس عليها وبين الأمور التي يفرضها على نفسه، ولا يُطالب الناس بها مطالبتهم بالصلاة والصيام.

القسم الثالث

في رحاب الحسين

- ❖ الباب الأول : صورة الكمال
- ❖ الباب الثاني : الأخلاق في المجتمع
- ❖ الباب الثالث : كربلاء الخالدة
- ❖ الباب الرابع : دروس في الأخلاق في كربلاء
- ❖ الباب الخامس : سعادة الأرواح في محراب الحسين
- ❖ الباب السادس : كلمات ووقفات حسينيّة

الباب الأول

صورة الكمال

علـى ذكـرك التـاريخ يـصحو ويـسكر

وفــي ظلــك الأجيــال تطــوى وتنــشر

وباســـمك تــستوحي الــسماء عواطـــف

تحـــاول أن تـــسمو إليـــك فتقـــصر

فمـــا أنـــت إلا النـــور سـيرك ظـــاهر

وســـرك فـــي دنيـــا ظهـــورك مـــضمر

ومـــا أنـــت إلا الـــروح كنهـــك غـــامض

وفيـــضك مثـــل الـــشمس بـــل هـــو أظهـــر

السيد

محمد جمال الهاشمي

الفصل الأول:

الحسين مهوى القلوب

لقد أبان التأريخ مقدار ما حملته بعض القلوب من البغض لأمير المؤمنين عليه السلام.

ولم يكن ذلك الأمر غريباً، فقد كان حصاد سنين قضاها في لهوات الحروب، يطأ صماخها بأخمصه، ويطفئ لهبها بسيفه، فكان كلما أطاح برأس شجاع من أئمة الكفر تساقطت قلوب أهله في وادي العداوة لأمير المؤمنين عليه السلام.

حتى إذا ما انتهت جولات الحرب بين الإسلام وأعدائه احتشدت العرب تطالب بالثأر منه، وتتلمظ تلمظ الأفعى، وتنتظر الوثبة متى أمكنتها.

لقد أشارت لهذه الحقيقة فقرات دعاء الندبة المبارك؛ حيث قالت: «فَأَوْدَعَ قُلُوبَهُمْ أَحْقَاداً بَدْرِيَّةً وَخَيْبَرِيَّةً وحُنَيْنِيَّةً وغَيْرَهُنَّ فأضبت على عداوته وأكبت على منابذته»[1].

لم تكن الجراح سرعان ما تندمل، ولم يكن أهلها ممن هضم الإسلام، وأدرك أن سيف الحق هو الذي صرع أهاليهم لينظر لأمير المؤمنين عليه السلام نظر القبول والرضا.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٧٣٧.

وستعجب ـ عزيزي القارئ ـ وأنت ترى ما يصنعه رسول الله عليه السلام من أجل تعريف الناس مقام أمير المؤمنين عليه السلام، فقد تعددت الأساليب، ولم تقتصر على أسلوب واحد.

ومن هذه الأساليب ما كان يرسمه من ملامح سبطيه؛ معرباً عن مكانة ولديه الحسنين عليهما السلام، ثم يتكأ على ذلك البيان في إبلاغ الناس عن مكانة أبيهما عليه السلام فتراه يردفه بقوله: (وأبوهما خير منهما).

وسأختار من تلك الروايات بعضاً لتقف على حقيقة الأمر:

ـ من حديث للرسول عليه السلام مع أبي ذر رضي الله عنه:

" وإنهما إمامان، قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما، وسوف يخرج من صلب الحسين تسعة من الأئمة قوّامون بالقسط، ومنا مهديٌّ هذه الأمة"[1].

ـ وفي حديث آخرقال عليه السلام:

«ابناي هذان سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما»[2].

لقد لاحظت هذا البناء النفسي لهذه الروايات، والذي يسير بنحو دقيق وعجيب.

فإن غاية المسلم أن يفوز بالجنة، لتكون مآله ومستقره، فتراه يعتبر كل عناء آخره الجنة سهلاً يسيراً، ولو كلفه أن يدفع حياته ثمناً لذلك، إذ لا سعادة حقيقية إلا هناك.

وإن المسلم إذا مد عيناً لتلك العوالم، وتأمل نعيمها، يلوح له في أفقها سيدان لكل أهلها، وهما الحسنان عليهما السلام.

لقد شاهدهما في قمة أهل الرضوان، فهم سادة الجنان، ومن الطبيعي أن

---

(١) بحار الأنوار : ٢٨٩/٣٦.

(٢) بحار الأنوار : ٧٥/٣٧.

يحتلا مقاماً في قلبه لا تعرف أبعاده.

إن هـذه الحالـة تـذعن مـن خلالهـا الـنفس لعظـيم المرتبـة والمقـام، فتـرى القلوب تهوي بين يديهما حباً عندما تراهما أو تسمع باسميهما.

وستسمع .بعد كل هذاالبناء الذي شيده رسول الله عليه السلام ـ عبارة مهمة يقول فيها: "وأبوهما خير منهما".

ويمكنـك أن تلاحـظ العمليـة المعاكـسة التـي كـان يقـوم بهـا أعـداء أميرالمؤمنين عليه السلام وخصومه، فقد كانت المحاولات تبذل منهم للفصل بين الحسنين عليهما السلام وأبيهما عليه السلام.

يحدث مولى حذيفة قائلاً: كان حسين بن علي آخذاً بذراعي في أيام الموسم، ورجل خلفنا يقول: اللهم اغفر له ولأمه، فأطال ذلك.

يقول مولى حذيفة: فترك الحسين ذراعي، وأقبل عليه، فقال: قد آذيتنا منذ اليوم، تستغفر لي ولأمي، وتترك أبي، وأبي خير مني ومن أمي[1].

وموقف آخر يذكره التاريخ، ومن شأنه أن يوضح لنا الأزمة التي يعيشها من سمع أحاديث الرسول عليه السلام في سبطيه الحسنين عليهما السلام، وفي قلبه البغض لأبيهما.

لقد روي أن الإمام الحسين عليه السلام مر على عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال عبد الله: من أحبَّ أن ينظر إلى أحبِّ أهل الأرض إلى أهل السماء فلينظر إلى هذا المجتاز، وما كلمته منذ ليالي صفين.

فأتى به أبو سعيد الخدري إلى الحسين عليه السلام فقال الحسين: أتعلم أني أحبُّ أهل الأرض إلى أهل السماء، وتقاتلني وأبي يوم صفين؟ والله، إن أبي لخير مني.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق : ١٤/١٨٣.

فاستعذر، وقال: إن النبي عليه السلام قال لي: أطع أباك.

فقال له الحسين عليه السلام: أما سمعت قول الله تعالى: ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾[(١)]، وقول رسول الله عليه السلام: إنما الطاعة في المعروف، وقوله: لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصيةِ الخالق[(٢)].

وليتضح الأمر لدى القارئ العزيز أكثر دونك هذا الخبر، والذي سيكشف لك عمق ما كانت تعيشه الأمة من مشاعر متباينة تجاه علي وولديه عليهم السلام.

لقد برز يوم صفين رجل من أهل الشام يقال له: الزبرقان، وكان سيد أهل الشام، فطلب البراز فخرج إليه الحسن بن علي بن أبي طالب، فقال له الزبرقان: من أنت ؟ قال: أنا الحسن بن علي.

فقال له: انصرف، يا بني، فوالله لقد نظرت إلى رسول الله عليه السلام مقبلاً من ناحية " قبا"، يسير على ناقة له، وإنك يومئذ لقدامه، فما كنت لألقى رسول الله عليه السلام بدمك، فانصرف الزبرقان، فلما بلغ ذلك علياً قال لأصحابه: املكوا عني هذا الغلام - يعني ابنه الحسن - لا يهدني فقده .

فأسرعت إليه خيل من أصحاب علي فردوا الحسن، وانصرف الزبرقان وهو يقول: إني أخاف الله في ابن فاطمة، وإن ذا الكلاع حدثني أنه سمع جهماً يقول: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: إن حسناً وحسيناً سيدا شباب أهل الجنة[(٣)].

فاعجب لهذا الأمر، وما عشت أراك الدهر عجباً، وقل لي بربك متى خفي فضل علي عليه السلام؟ أم ترى القوم نسوا ؟ بل تناسوا.

---

(١) لقمان : ١٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب : ٣/ ٢٢٨ ، بحار الأنوار : ٢٩٧/٤٣.

(٣) المعيار والموازنة : ١٥٠-١٥١.

الفصل الثاني:

أسوة الخلائق

إن العظماء في تاريخ الأمم يكونون أسوة لأهل زمانهم، وإذا تجاوزوا زمانهم الذي عاشوا فيه كانوا لجيل أو جيلين من بعدهم أو أكثر .

وأما الإمام الحسين عليه السلام فقد شاء الله تعالى أن يكون أسوة لكل الأجيال من تأخر منهم ومن تقدم، وهذا ما لم يحظَ به أحد.

وقد يبدو التعبير -عند البعداء عن التراث- حاملاً لنوع من المغالاة العاطفية في توصيف حدود التأسي والاقتداء، ولو رجع لكتب اللغة لأدرك حدود التأسي وأبعاده، وسيدرك بذلك ما ترمي له الروايات المتحدثة عن تأسي السابقين واللاحقين بالإمام الحسين عليه السلام.

إن التأسي بالإمام الحسين عليه السلام يحمل معنيين:

المعنى الأول: اتباع فعله والاقتداء به[1]، وهذا جانب قد أشارت له الرواية الواردة عن أبي عبد الله عليه السلام، فقد قال:

قال علي للحسين: يا أبا عبد الله، أسوة أنت قدماً[2].

المعنى الآخر: التعزي به واتخاذه سلوة[3]، ودونك الشاهد على هذا الاقتداء والتأسي به بما جرى مع نبي من أنبياء الله وهو إسماعيل بن حزقيل عليه السلام:

---

(١) لسان العرب : ٣٥/١٤.

(٢) بحار الأنوار : ٢٦٢/٤٤.

(٣) لسان العرب : ٣٥/١٤.

قال أبو عبد الله عليه السلام: إن إسماعيل كان رسولاً نبياً، سلط الله عليه قومه، فقشروا جلدة وجهه وفروة رأسه.

فأتاه رسول من عند رب العالمين، فقال له: ربك يقرئك السلام، ويقول: قد رأيت ما صنع بك، وقد أمرني بطاعتك، فمرني بما شئت. فقال: يكون لي بالحسين عليه السلام أسوة [١].

لقد تجاوز الحسين عليه السلام بُعْدَ الزمن فكان قدوة وأسوة لجميع الأزمان، وسار في بعد آخر فكان قدوة وأسوة للناس على اختلاف مراتبهم من الناس العاديين وحتى تصل إلى الأنبياء عليهم السلام.

الطريق نحو القدوة:

هناك عدة نقاط يشار لها متى ما أريد السعي نحو الاقتداء بالحسين عليه السلام والاهتداء بسيرته:

أولاً: إن العلم بجوانب من سيرة الحسين عليه السلام والحفظ لمجموعة من قضاياه واستظهار جملة كلماته. وإن كان أمراً لا غنى عنه، ويثاب عليه المرء. إلا أنه لا يؤدي إلى الاقتداء بسيرته ما لم يقترن بالعمل، فتتجسد تلك المعاني واقعاً في المقتدي بسيد الشهداء عليه السلام.

إننا جميعاً نعرف قصته الكبرى في أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، والتي انتهت بالمقتل المفجع، بل نحفظ نصوصها، ونتفاعل مع فصولها، وهو أمر مطلوب، حثت عليه الروايات، وندبتنا له، وفيه من الثواب العظيم ما امتلأت بطون الكتب ببيانه.

وأعتقد أن هذه الأمور تمثل المرحلة الأولى للاقتداء، وتنتظر من يريد

(١) وسائل الشيعة: ٣/٢٦٥.

الاقتداء مرحلة ثانية، وهي السعي لتطبيق هذه المبادئ في أبعاد الحياة المختلفة، الأسرية منها أو الاجتماعية، والخاصة أو العامة.

وستجد في هذه الرواية شروطاً يشترطها الإمام الحسين عليه السلام على من يريد أن يعتبر نفسه من شيعته وأتباعه.

قال رجل للحسين بن علي عليهما السلام: يا ابن رسول الله، أنا من شيعتكم، قال عليه السلام: اتَّقِ الله، ولا تَدَّعِيَنَّ شيئاً يقول الله لك: كذبت، وفجرت في دعواك.

إن شيعتنا من سلمت قلوبهم من كل غشٍّ وغلٍّ ودَغَل، ولكن قل: أنا من مواليكم و(من) محبيكم [1].

ثانياً: إن العلم بالجوانب الأخلاقية للحسين عليه السلام والعناوين التي كانت واضحة في حياته من عفو وصفح وتواضع يحتاج لمعرفة المقام المناسب لممارسة هذا الخلق كي يؤتي ثماره.

إن من يرى شجاعة الحسين عليه السلام ووقوفه بوجه كل مستكبر لا بد أن يعرف متى يكون ميدان الشجاعة مفتوحاً أمامه؛ ليمارس دور الشجاعة، ومتى يكون ميدان المداراة مفتوحاً.

وإذا رأى حلمه عليه السلام فعليه أن يعلم متى يكون حليماً، ومتى يأخذ بحقه فيكون أبياً لا يضام.

وهذه الواقعية في ممارسة الأخلاق واحدة مما امتازت به مدرسة أهل البيت عليهم السلام الأخلاقية، والتي تحافظ على كرامة الإنسان، ولا تقبل بهدرها تحت عنوان التهذيب النفسي والتربية الأخلاقية.

إن بذل المال يسمى كرماً متى كان في مكانه المناسب، ولكنه متى مورس في غير موقعه سمي إسرافاً.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٧٩٩.

روي عن الإمام الصادق عن أبيه عليهما السلام:

أن رجلاً من الأنصار توفي وله صبية صغار، وله ستة من الرقيق، فأعتقهم عند موته، وليس له مال غيرهم، فأتي النبي صلى الله عليه وآله فأخبر، فقال: ما صنعتم بصاحبكم؟

قالوا: دفناه، قال: لو علمت ما دفناه مع أهل الإسلام، ترك ولده يتكففون الناس [١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لرجل أراد أن يوصي:

إنك إن تدع أولادك أغنياء خير من أن تدعهم عالة، يتكففون الناس [٢].

فما الفائدة في أن تشبع جائعاً وتوجد إلى جانبه جياعاً، وهم أولى بالمعروف وأجدر .

ثالثاً: أن يكون العمل وفق المقاييس الشرعية، فإن الهدف من هذه الأخلاق التي نسعى للتخلق بها أن نكون عباداً لله عز وجل، والله يعبد كما يريد هو لا كما يريده العبد .

لقد قيل للحسين بن علي عليهما السلام : إن عبد الله بن عامر تصدق اليوم بكذا وكذا، وأعتق كذا وكذا.

فقال: إنما مثل عبد الله بن عامر كمثل الذي يسرق الحاج ثم يتصدق بما سرق، إنما الصدقة الطيبة صدقة من عرق فيها جبينه واغبر فيها وجهه، قيل لأبي عبد الله عليه السلام: من عنى بذلك؟

قال: أمير المؤمنين عليه السلام [٣].

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ٤/١٨٦.

(٢) مستدرك الوسائل : ١٤/٩٦.

(٣) مستدرك الوسائل : ٧/٢٤٤.

رابعاً: أن تصدر هذه الأخلاقيات عن نفس عالية، قد روعيت جوانب الإخلاص فيها، ويكون المقصد هو القرب لله تعالى .

ولا شك أن النفس تحتاج لتلقين متكرر للمعاني الأخلاقية حتى تقر بها، فتستبدل مشاعر الفخر والاعتزاز بالنفس بمشاعر التواضع، وتستبدل مشاعر المنة على الآخرين متى أحسن إليهم بمشاعر الامتنان لهم .

لقد وضع الحسين عليه السلام أقدامنا على هذا الطريق الذي نهايته سعادة من يسلكه ويسير فيه .

ودونك هذا الأدب النفسي الذي أدلى به عندما سئل عن الأدب فقال:

" هو أن تخرج من بيتك فلا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضل عليك"[1].

حكمة لو أحسنا تطبيقها لكان خيرها علينا عميماً، ولو نشرت هذه الثقافة بين الناس لكان لها بليغ الأثر على التعاملات الاجتماعية .

وعظ الإمام الباقر عليه السلام محمد بن شهاب الزهري قائلاً:

« فإن عرض لك إبليس لعنه الله بأن لك فضلاً على أحد من أهل القبلة فانظر إن كان أكبر منك فقل: قد سبقني إلى الإيمان والعمل الصالح فهو خير مني.

وإن كان أصغر منك فقل: قد سبقته إلى المعاصي والذنوب فهو خير مني.

وإن كان تربك[2] فقل: أنا على يقين من ذنبي وفي شك من أمره فما لي أدع يقيني لشكي»[3].

إن الأخلاقيين ـ وأهل البيت عليهم السلام سادتهم ومعلموهم ـ ينصون على أن هذه

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٨٩٥.

(٢) تربك: في سنك.

(٣) مجموعة ورام : ٩٤/٢.

هي الخطوة الأولى نحو التهذيب الأخلاقي للنفس .

وميدان آخر يمكن أن نشاهد فيه ضرورة ممارسة التهذيب للنفس وهي مما تغيب عن بعض الأذهان، فإن المؤمن قد يتأسى بالإمام الحسين عليه السلام فيبذل المال في سبيل الله عز وجل ويسعى لرفع البؤس عن قلوب أغمها الزمان حتى سلب منها ابتسامتها، ولكنه قد لا يفكر في أمره وأمر هؤلاء الذين يبذل لهم المال .

وليتضح الأمر اقرأ هذه الكلمة العظيمة، والتي تروى عن الحسين عليه السلام:

" مَنْ قَبِلَ عطاءَك فقد أعانك على الكرم "[1].

ووري عنه كذلك أن سائلاً كان يسأل يوماً، فقال عليه السلام: أتدرون ما يقول؟

قالوا: لا، يا ابن رسول الله.

قال عليه السلام: يقول: أنا رسولكم، إن أعطيتموني شيئاً أخذته، وحملته إلى هناك، وإلاّ أردُ إليه وكفي صفر "[2].

إن النفس ستكون عظيمة متى صدر عنها الإحسان بهذه المشاعر التي تعتبر أن من لطف الله عز وجل أن خصها بمعونة المؤمن المحتاج، فلا يعتبر كل ما يقدمه للمحتاج خسارة أو نقصاً لماله، وإنما هو نقل للأموال من هذه الدار لتنفعه في دار أخرى، هو أحوج فيها منه في هذه الدنيا .

وليثق المعطي للآخرين بأنه إن كان قد نفع الفقير في دار الدنيا فقد نفعه الآخذ في الآخرة، وشتان بين النفع في دار زائلة والنفع في دار باقية.

---

(١) بحار الأنوار : ٢٥٧/٦٨.

(٢) مستدرك الوسائل : ٢٠٣/٧.

الفصل الثالث:

شبيه الرسول عليه السلام

لقد كان الحسنان عليهما السلام متقاسمين شرف الشبه برسول الله عليه السلام، وقد حدد أمير المؤمنين عليه السلام جهات الشبه، فقال: كان الحسن بن علي عليه السلام أشبه برسول الله عليه السلام ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين عليه السلام أشبه فيما كان أسفل من ذلك[1].

لم يكن مجال حديث الشبه في نطاق الاستحسان الذي يوده الأهل في مشابهة الابن لعظيم الأسرة، بل كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلن عنه[2]؛ وما ذاك إلا لأنه امتياز أتحف به الحسنان عليهما السلام.

وكان الصحابة يعرفون هذا الشبه، ويتحدثون به، فأنس بن مالك لما رأى رأس سيد الشهداء عليه السلام في مجلس ابن زياد أعلن عن الشبه بينهما[3].

ولعل قائلاً يتساءل، فيقول: وما جهة الامتياز لهذا الشبه ؟ وهل لخلقة الرسول عليه السلام بهذه الصفة جهة امتياز على غيره أم لا ؟

إن رسول الله عليه السلام هو أكمل الناس خلقة حتى لقد قيل فيه:

خلقت مبرأ من كل عيب　　　كأنك قد خلقت كما تشاء[4]

وفي الخلق بهذه الصفات دلائل العناية الإلهية به عليه السلام، وتشير إلى الإعداد

---

(١) بحار الأنوار: ٤٣/٣٠١.

(٢) كما في المعجم الكبير للطبراني: ٣/٩٥.

(٣) كما في صحيح البخاري: ٣/١٣٧٠، ومسند أحمد: ٣/٢٦١، وغيرهما.

(٤) راجع تفسير الآلوسي: ١١/٦١، والبيت مشهور ومعروف لحسان بن ثابت، ونصت على ذلك الموسوعة الشعرية الكمبيوترية.

للقالب الذي يستوعب الخلق العظيم، والذي كان عليه الرسول ﷺ، فإن هذا الخلق محتاج لجسد يقوى على همته، ويتحمل مبتغاه.

فإذا كان للخلق هذا الشأن فإن الشبه بسيد الكائنات ﷺ دليل على عناية السماء بهذا الشخص المشابه، ودليل على تشريفه أيضاً، إذ جعل مشابهاً لأفضل مخلوق لله تعالى[1].

وجهة دعوية أخرى يحملها الشبه برسول الله ﷺ، إنه يذكر الأمة بالعلاقة التي تربط بين الرسول ﷺ والحسنين عليهما السلام، فتستعيد الأمة مواقف رسول الله ﷺ منهما، وما كان يقوله بمحضرهما.

(١) للتوسع في دلائل الشبه راجع كتاب جعفر بن أبي طالب : ١٠٥، وما بعدها.

الفصل الرابع:

جلال الأخلاق

يصف الإمام المنتظر (عليه السلام) جده الإمام الحسين (عليه السلام)، ويعدد الصفات العالية، فيقول:

وَفِيَّ الذِّمَم، رَضِيَّ الشِّيَم، ظاهِرَ الكرم، مجتهداً في العبادة في حندسِ الظُّلَم، قويمَ الطرائق، عظيمَ السوابق، شريفَ النسب، مُنِيفَ الحَسَب، رفيعَ الرُّتَب، كثيرَ المناقِب، محمودَ الضَّرائِب، جزيلَ المواهِب، حليماً شديداً، عليماً رشيداً، إماماً شهيداً، أوَّاهاً مُنِيباً، جواداً مثيباً، حبيباً مَهِيباً[1].

◆◆◆◆

إننا أمام بحر من الفضائل لا يعرف ساحله، ولا يدرك قعره، ولا يرى مداه، ينال القاصدون منه العطاء على قدر استعدادهم، وإلا فإن الكنز لا يفنى.

وها نحن نتوجه بنظرنا شطر قبلة العشاق ومهوى الأفئدة، علَّنا نحظى ببارقة من نوره تنير لنا دروب هذه الحياة؛ فنسلكها في سفينة النجاة.

إننا بين يدي وارث الأنبياء، والحجة على الخلق فلننظر إلى ما أعطته السماء من جودها، ولنقرأ ما أفاضه على الناس من حوله، ونتلو من سور أخلاقه.

هناك مجموعة من العناوين الأخلاقية التي تحلى بها سيد الشهداء (عليه السلام)،

---

(١) بحار الأنوار: ٩٨/٢٣٩.

وعاش المسلمون عبيرها، وانطبعت في أذهانهم، ونقلوها للأجيال كي تترسم خطاها، وقد أشار المؤرخون إلى شيء من ذلك، وسنقف عند بعضه مستلهمين منه الدروس العالية.

الفصل الخامس:

مواقف أخلاقية

أ) رد التحية:

إن التحية لا تقتصر على النوع الذي تعارفنا عليه من السلام ورده، ولا تنحصر فيما شابه ذلك من عبارات التحية المعروفة، والتي تسمى بالتحية اللفظية أو القولية، بل تمتد إلى الأفعال، وتسمى (التحية العملية).

إن هذه التحية تكاد أن تكون غائبة عن الأذهان، بل هي غائبة، لولا ما نقله الرواة عن أهل البيت عليهم السلام.

يقول أنس بن مالك:

كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية فحيته بطاقة ريحان، فقال لها: أنت حرة لوجه الله.

فقلت: تحيك بطاقة ريحان. لا خطر لها. فتعتقها؟

قال: كذا أدّبنا الله، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾، وكان أحسن منها عتقها[1].

ب) عفو وإحسان:

جنى غلام له جناية توجب العقاب عليه فأمر به أن يضرب، فقال: يا

---

(١) كشف الغمة: ٢/٣١.

مولاي، ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، قال: خَلُّوا عنه، فقال: يا مولاي، ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي، ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، قال: أنت حر لوجه الله، ولك ضعف ما كنت أعطيك))[1].

إن تساؤلاً يطرح نفسه أمام هذه القصة، وهو هل يحتاج الإمام الحسين عليه السلام لأن يُذكر بالقرآن الكريم وآياته ـ وهو الذاكر ـ حتى بلغ به الأمر أن أعتق الغلام ؟

كلا، ولم يكن الأمر كما قد يتصور، فإن الحسين هو القرآن الناطق، وآيات الكتاب في صدره مودعة، وبين يديه دقائق القرآن وأسراره، ويمكن أن يتصور لهذا السلوك ثلاثة أسباب، وهي:

الأول :

أن التفاعل الذي كان من الإمام الحسين عليه السلام قد تناسب مع المعرفة القرآنية عند الغلام ؛ بحيث أنك ترى معرفته دلته على الموقع الذي يتلاءم معه فاستشهد بالآية في مكانها المناسب، وكان يجزئ الآية بحسب الموقف الذي يطلبه، حتى بلغ به الجزاء لمعرفته أن يعتقه من أجلها.

الثاني :

أن الغلام قد توسل بالقرآن الكريم ؛ ليكظم غيظه، ويعفو عنه، ثم يحسن إليه بعد ذلك، وما ذكر الآية إلا توسلاً بها لحاجته .

الثالث :

أن الغلام قد قدم طلباته للحسين عليه السلام معتمداً على ذكره للآيات القرآنية، وما كان الحسين عليه السلام ليرد طلباً بالعفو عمن لا محذور في العفو عنه .

---

(١) بحار الأنوار : ١٩٥/٤٤.

ج) إدخال السرور على المؤمن:

روي عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال: صح عندي قول النبي صلى الله عليه وآله: من أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن، بما لا إثم فيه، فإني رأيت غلاماً يؤاكل كلباً، فقلت له في ذلك فقال: يا ابن رسول الله، إني مغموم أطلب سروراً بسروره ؛ لأن صاحبي يهودي أريد أفارقه.

فأتى الحسين عليه السلام إلى صاحبه بمائتي دينار ثمناً له، فقال اليهودي: الغلام فداءٌ لخطاك، وهذا البستان له، ورَدَدْتُ عليك المال.

قال: قبلت المال ووهبته للغلام، وقال الحسين عليه السلام أعتقت الغلام ووهبته له جميعاً، فقالت امرأته: أسلمت، ووهبت مهري لزوجي.

فقال اليهودي: أنا أيضاً أسلمت، ووهبتها هذه الدار[1].

إن هذه الرواية تتحدث عن أمرين مرتبطين بإدخال السرور على قلوب المؤمنين.

أحدهما : الأثر المترتب على القيام بهذا العمل في الحياة الدنيا.

والآخر : فضل هذا العمل بالقياس إلى غيره من الأعمال، فقد جعل من أفضل الأعمال بعد الصلاة .

ويمكن للإنسان أن يتخير من الأمور ما يدخل به السرور على قلوب أهل الإيمان، من هدية، أو سعي لقضاء حاجة، أو كلمة طيبة تسمعها إياه .

ولو جعلنا هذه الرواية بما تضمنت من هدي أمام نواظرنا لما وجدتنا إلا مبتسمين بوجه أهلينا وغيرهم، وحاملين لما يفرحهم، ومبتعدين عما يكربهم.

---

(١) مستدرك الوسائل : ١٢/ ٢٩٨.

إن نظرنا مقصور على الهدية المادية للبعداء عنا، ونغفل عن الأهل من آباء وأبناء وزوجة وأقارب، مع أننا نستطيع أن نجعلهم مصدراً لخيرات تنهل علينا كلما رأيناهم، وما أكثر ما نراهم.

الفصل السادس:

عطاء وجود

إذا كان البحر يجود ويمنع فإن الحسين (عليه السلام) بحر جود لا يمنع، وقد شهد التأريخ نماذج من كرمه، فأكبرها وأذعن لها بالعرفان.

ولقد كان كرمه إلهياً، يحمل في طياته الهدفية، ولا ينبع من عادة جارية سار عليها الناس.

وقد امتازت قصص كرمه (عليه السلام) بالتعليل في بعضها ؛ وهو أمر يفتح باب الاقتداء لمن يريد ذلك.

وستقف .عزيزي القارئ .أمام مشهد من تلك المشاهد بكل تفاصيله وجزئياته التي تمكن من الاقتداء.

يقول الحسن البصري:

كان الحسين (عليه السلام) سيداً زاهداً ورعاً صالحاً ناصحاً حسن الخلق، فذهب ذات يوم مع أصحابه إلى بستان له، وكان في ذلك البستان غلام يقال له (صافي).

فلما قرب من البستان رأى الغلام يرفع الرغيف فيرمي بنصفه إلى الكلب ويأكل نصفه ؛ فتعجب الحسين (عليه السلام) من فعل الغلام.

فلما فرغ من الأكل قال: الحمد لله رب العالمين، اللهم اغفر لي ولسيدي، وبارك له كما باركت على أبويه، يا أرحم الراحمين.

فقام الحسين (عليه السلام)، ونادى: يا صافي، فقام الغلام فزعاً، وقال: يا سيدي

وسيد المؤمنين إلى يوم القيامة، إني ما رأيتك فاعفُ عني.

فقال الحسين عليه السلام: اجعلني في حلٍّ، يا صافي، دخلت بستانك بغير إذنك، فقال صافي: بفضلك وكرمك وسؤددك تقول هذا.

فقال الحسين عليه السلام: إني رأيتك ترمي بنصف الرغيف إلى الكلب وتأكل نصفه، فما معنى ذلك؟

فقال الغلام: يا سيدي، إن الكلب ينظر إليَّ حين آكل، فإني أستحيي منه لنظره إلي، وهذا كلبك يحرس بستانك من الأعداء، وأنا عبدك وهذا كلبك نأكل من رزقك معاً.

فبكى الحسين عليه السلام، ثم قال: إن كان كذلك فأنت عتيق لله، ووهب له ألف دينار.

فقال الغلام : إن أعتقتني فإني أريد القيام ببستانك، فقال الحسين عليه السلام: إن الكريم إذا تكلم بكلام ينبغي أن يصدقه بالفعل، البستان أيضاً وهبته لك، وإني لما دخلت البستان قلت: اجعلني في حلٍّ، فإني قد دخلت بستانك بغير إذنك، كنت قد وهبت البستان بما فيه، غير أن هؤلاء أصحابي لأكلهم الثمار والرطب فاجعلهم أضيافك، وأكرمهم لأجلي أكرمك الله يوم القيامة، وبارك لك في حسن خلقك ورأيك، فقال الغلام: إن وهبت لي بستانك فإني قد سبلته لأصحابك[1].

ملحوظات جديرة بالتأمل:

١. إن أول ما يطالعنا في هذا الموقف أن صافياً كان غلاماً، ولم يكن رئيس قبيلة أو متنفذاً ليرغب المحسن له في تحقيق مصلحة ما من إكرامه، بل كان

(١) مستدرك الوسائل : ١٩٢/٧- ١٩٣.

غلاماً مملوكاً قَدَّرَ الإمام الحسين عليه السلام فيه الصفات النبيلة والمعرفة التي يحملها .

٢. لقد بلغ الغلام من رفقه بالحيوان أن شاركه مناصفة في طعامه، ومن كان بهذه الصفة كان بأخيه الإنسان أرفق .

٣. إن الغلام قد حمد الله تعالى على نعمة تستقلها عيون كثير من الخلق وربما تبرموا منها، إنها قرص من الخبز، تتجاوزه عيون الكثير من الخلق، ولكنه في نفس هذا الغلام قد احتل مكانة استدعت منه أن يدعو لمن وصلت النعمة إليه على يده .

٤. كانت له معرفة إيمانية تجسدت في تقديره لما صنع الله عز وجل بأبوي الحسين عليهما السلام، وقد عبَّر عن الحسين عليه السلام بأنه سيد المؤمنين .

٥. لقد كان تعامله عظيماً بأن جعل البستان سبيلاً لأصحاب الحسين عليه السلام وشيعته، وهو دليل على نبله وجدارته بالعطاء الجزيل، وما كان الإمام الحسين عليه السلام ليضعه في غير محله.

الدروس المستفادة :

أولاً :

لقد قرأنا هذه العبارة : "إن الكريم إذا تكلم بكلام ينبغي أن يصدقه بالفعل"، وهي عبارة تستحق التأمل، ففيها من الدرر ما لا يخفى .

إن الأخلاقيين يطلقون على مثل هذا عنوان : (الوفاء بالوعد)، والذي تكون له مراتب متفاوتة، ومن أعلاها أن يفي الإنسان بكل ما تحدث به، مهما كان صعباً.

لقد مدح القرآن الكريم نبي الله إسماعيل بن حزقيل عليه السلام بقوله : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي

ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾[1]، ورغم أنه رسول، ونبي مختار من قبل الله تبارك وتعالى، وما اختير إلا لامتيازه على غيره، إلا أن القرآن الكريم ركّز على صفةٍ مدحها فيه، فقد جسد الوفاء بالوعد في أعلى مراتبه، ولم يُذكر هذا النبي في القرآن الكريم بآية أخرى تتحدث عن جنبة من جنباته.

ويمكننا أن نستخلص درساً خلاصته : أن يراقب الإنسان وعوده التي يتحدث بها، فلا يعِد إلا بما يكون قادراً عليه، وراغباً في تحقيقه، وحينما يعد يكون كلامه دقيقاً فيما يتكلم به .

إن من يقول للآخرين : (سأنتظركم)، ولا يحدد وقتاً للانتظار، فقد قيَّد نفسه بالانتظار طال الوقت .

لقد كان بإمكانه أن يقول: (سأنتظرك ساعة أو نصف ساعة)، فيكون ممن وعد بما يقدر عليه، وممن يفي بوعده متى أعطى وعداً للآخرين .

إن هذا الخلق حينما يفعَّل في حياتنا اليومية يُحفظ بها وقت الإنسان من الهدر والضياع .

ثانياً :

إن أسلوب تعامل المسلم لا بد أن يكون حسناً مع كل أحد، ولا سيما

---

(١) سورة مريم : ٥٤.

عن بريد العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾ أكان إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام فإن الناس يزعمون أنه إسماعيل بن إبراهيم؟ فقال عليه السلام: إن إسماعيل مات قبل إبراهيم، وإن إبراهيم كان حجة لله قائداً صاحب شريعة، فإلى من أرسل إسماعيل إذن؟ قلت: فمن كان جعلت فداك؟ قال: ذاك إسماعيل بن حزقيل النبي .... بحار الأنوار : ٢٣٧/٤٤.

أولئك الذين قسى الزمان عليهم، فجاء بهم من أماكن بعيدة؛ ليصبحوا خدماً في منازل الآخرين ؛ وليكسبوا قليلاً من مال، ينتظره صبي ليسد به جوع بطنه، وترتقبه فتاة لتلبس ما يسترها.

ولنضع أمامنا هذه القصة، ولندقق في الطريقة التي تعامل بها الحسين عليه السلام مع غلام لم يكن خادماً مستأجراً فحسب، بل كان عبداً مملوكاً.

الفصل السابع:

الشجاعة

والحديث عنها كالحديث عن الشمس لا يبلغها الوصف ولو طال، ويقصر عنها كل مقال.

ولم تنحصر شجاعته في ساحات الحروب فقط، بل تعددت ما بين شجاعة كلامية أمام الباطل، وأخرى تجسدت في حفظ حقوق الآخرين كما ستقرأ .

أ) مواجهة الغيبة :

قال عليه السلام لرجل اغتاب عنده رجلاً: يا هذا كف عن الغيبة ؛ فإنها إدام كلاب النار [1] .

إننا نمتلك الحديث عن حكم الغيبة، ونعرف ما يترتب من إثم على من استغاب مؤمناً، وقد نحفظ النصوص، ونستظهرها، ولكننا لا نمتلك الشجاعة في ردع من يستغيب.

إننا إذا ما استلهمنا من مواقف الإمام الحسين عليه السلام قوة المواجهة فإن الأمر يتطلب منا أن نتعامل بأسلوب نوقف المخاطب على الخطأ الذي سيوقعنا فيه، ونعرفه بالذنب الذي سيشركنا معه فيه، وليكن ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة .

مخطئ ذلك الذي ينتظر المتكلم حتى يدخل في الغيبة، ثم يبحث عن

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٧٧١.

المبررات، فلقد كان زمام الأمر بيدك، ويمكنك أن تحرف الحديث عن منزلقه، وتبعده عن الهاوية ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ب) ثبات وحزم ضد الباطل:

إن من شجاعته عليه السلام في الصدوع بالحق ورد الباطل ما روي عن محمد ابن السائب أنه قال:

قال مروان بن الحكم يوماً للحسين بن علي عليهما السلام: لولا فخركم بفاطمة بمَ كنتم تفتخرون علينا؟

فوثب الحسين عليه السلام . وكان عليه السلام شديد القبضة . فقبض على حلقه، فعصره، ولوى عمامته على عنقه حتى غشي عليه، ثم تركه.

وأقبل الحسين عليه السلام على جماعة من قريش، فقال: أنشدكم بالله إلا صدقتموني إن صدقت.

أتعلمون أن في الأرض حبيبين كانا أحب إلى رسول الله مني ومن أخي؟ أو على ظهر الأرض ابن بنت نبي غيري وغير أخي؟

قالوا: لا.

قال: وإني لا أعلم أن في الأرض ملعون ابن ملعون غير هذا وأبيه طريد رسول الله عليه السلام، والله، ما بين جابرس وجابلق . أحدهما بباب المشرق والآخر بباب المغرب . رجلان ممن ينتحل الإسلام أعدى لله ولرسوله ولأهل بيته منك ومن أبيك إذ كان.

وعلامة قولي فيك أنك إذا غضبت سقط رداؤك عن منكبك، قال: فوالله ما قام مروان من مجلسه حتى غضب، فانتفض، وسقط رداؤه عن عاتقه [1].

---

(١) بحار الأنوار: ٢٠٦/٤٤.

إن هذا الانفعال الشديد الذي صدر عن الحسين عليه السلام لم يكن انفعال غضب لأمر شخصي أو عائلي.

ولكن مروان قد تعرض لأمير المؤمنين عليه السلام المستحق للخلافة دون تصريح؛ إذ صوره مجرداً من كل فضل حينما حصر الفخر بالسيدة فاطمة عليها السلام.

ولم يشأ الحسين عليه السلام أن يقابل مروان بالحجة؛ لعلمه بأنه لا يطلب الحق، وقابله بالتأديب الذي يستحقه؛ ليوقفه عند حده، فلا يعيد الكرة مرة أخرى.

ثم أقام الحجة عليهم إذ أنه وأخاه حبيبا رسول الله صلى الله عليه وآله، ولم يكن حب الرسول صلى الله عليه وآله إلا دليلاً على عظمتهما إذ أصبحا محل حبه .

ثم ذكَّرَ مروان بما يستحقه وبموقف رسول الله صلى الله عليه وآله منه ومن أبيه الطريد من المدينة، والمهدور الدم متى وجد فيها.

إن هذا موقف شجاعة وإعلان للحق بكل ثبات أمام من كان له دور كبير في الحكم آنذاك.

ولا يفرق الحسين عليه السلام بين مروان المتنفذ في السلطة أيام عثمان وبين معاوية الحاكم، فإنه يعلن الحق ولا يعبأ بهؤلاء ولا بغيرهم، وشواهد التأريخ تشهد على ذلك، فإنه لما قَتَلَ معاوية حجر بن عدي وأصحابه حج ذلك العام، فلقي الحسين بن علي عليهما السلام، فقال:

يا أبا عبدالله، هل بلغك ما صنعنا بحجر وأصحابه وأشياعه وشيعة أبيك؟

فقال: وما صنعت بهم؟ قال: قتلناهم وكفَّناهم وصلَّينا عليهم.

فضحك الحسين عليه السلام، ثم قال: خصمك القوم يا معاوية، لكننا لو قتلنا شيعتك ما كفَّناهم، ولا صلَّينا عليهم، ولا أقبرناهم.

ولقد بلغني وقيعتك في علي عليه السلام، وقيامك بنقصنا، واعتراضك بني هاشم بالعيوب، فإذا فعلت ذلك فارجع في نفسك، ثم سلها الحق عليها ولها، فإن لم

تجدها أعظم عيباً فما أصغر عيبك فيك، فقد ظلمناك .

يا معاوية، ولا توترن غير قوسك، ولا ترمين غير غرضك، ولا ترمنا بالعداوة من مكان قريب، فإنك ـ والله ـ قد أطعت فينا رجلاً ما قَدُمَ إسلامُه، ولا حَدُثَ نفاقُه، ولا نظر لك، فانظر لنفسك أو دع ـ يعني عمرو بن العاص ـ.[(١)]

أي إعلان للحق في هذا البيان وهو أمام الحاكم المستبد، والحديث في مسألة خطيرة، وهي الحرب التي كانت مستعرة.

ولم يكن كلامه كلام مداهن أو مصانع، وإنما كان بالغ الخطورة والشدة، إذ قال له : إنك لما صليت على القتلى من أصحاب أبي فقد أقررت بإيمانهم، وإذا كانوا مسلمين فلم قتلتهم؟

ثم يواجهه بما هو أشد، فيخبره أنه لو قتل أصحابه لما صلى عليهم، وما قبرهم ؛ لخروجهم على إمام الحق .

وموقف آخر للحسين عليه السلام في هذا المجال يحدثنا به التاريخ عنه حيث كان الحسين عليه السلام جالساً في مسجد النبي صلى الله عليه وآله، فسمع رجلاً يحدث أصحابه، ويرفع صوته ؛ ليسمع الحسين، وهو يقول:

إنا شاركنا آل أبي طالب في النبوة حتى نلنا منها مثل ما نالوا منها من السبب والنسب، ونلنا من الخلافة ما لم ينالوا، فبمَ يفخرون علينا؟ وكرَّر هذا القول ثلاثاً.

فأقبل عليه الحسين عليه السلام، فقال له:

إني كففت عن جوابك في قولك الأول حلماً، وفي الثاني عفواً، وأما في الثالث فإني مجيبك، إني سمعت أبي يقول : إن في الوحي الذي أنزله الله على

(١) بحار الأنوار : ٤٤/ ١٢٩- ١٣٠.

محمد عليه السلام، إذا قامت القيامة الكبرى حشر الله بني أمية في صورة الذر، يطأهم الناس حتى يفرغ من الحساب، ثم يؤتى بهم فيحاسبوا، ويصار بهم إلى النار.

فلم يطق الأموي جواباً وانصرف وهو يتميز من الغيظ [1].

ولعل الحسين عليه السلام نظر إلى هذا الرجل فوجده لا يُعبأ بكلامه ولا أثر له، فلم يشأ أن يتحدث معه في مسألة النبوة والإمامة، فقابله بالخلق الكريم، فحلم عنه، وأعاد القول فقابله بالعفو.

فلما وجده لا يرتدع، وقد استحق الرد والعقوبة، أجابه بما يعرفه قدره عند الله عز وجل وأخبره بالصَّغَارالذي ينالهم بين الناس في القيامة يوم تتجلى الحقائق.

وهنا يتضح أمران:

الأول: ضرورة المعرفة للمواطن التي يطبق فيها التسامح والعفو والصفح.

وملاحظة التدرج في التعامل مع مثل هذه المواقف، فأنت تراه قد بدأ بالحلم، ثم بالعفو، ثم رد عليه بما يلجم فمه؛ لئلا يصل الأمر إلى الإهانة والمذلة، أو لمنع التجاسر منه ومن غيره.

الثاني: ليس كل من يفتح مجالاً للمحاجة والخصومة معنا ننجر معه، ونحن نعرفه بأنه ليس طالب حق ولا ممن يعتد بقوله.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٦٥١- ٦٥٢.

الفصل الثامن:

حِكَمٌ في الأخلاق

إن المدسة الأخلاقية لأهل البيت عليهم السلام لا تحصر في مجموعة من القصص نقلت، وإنما تصاحبها مجموعة من الكلمات التي تضع بين أيدينا أسساً أخلاقية يمكن من خلالها أن نكوّن مفاهيم خلقية صحيحة، تبتعد بنا عن الوصف غير الواقعي للأخلاق الإسلامية، والذي بعد الناس عن الاقتداء بها؛ لعدم القدرة على استيعابها، وللإخفاق في معرفة مواطنها.

وسنختار مما جمعته أقلام الكتاب بعضاً مما يمثل ذلك الكم الكبير، ويوقفنا على شيء من نوادره.

◆◆◆◆

قال عليه السلام: لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعرض لما لا تدرك، ولا تعد بما لا تقدر عليه، ولا تنفق إلاّ بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلاّ بقدر ما صنعت، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً[1].

يكاد حديثه عليه السلام أن يدور حول القدرات عند الناس والإنجاز والنتيجة، ويمكن أن نقتطف ثماراً من نصائحه ومنها:

١ - لا تكلف نفسك فوق طاقتها؛ لأن ناتج ذلك إتعاب نفسك، ولن تبلغ لما تطلب.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٧٦٧.

٢ ـ لا تبحث عن شيء لا تستطيع إدراكه؛ ففيه هدر للطاقة فيما لا فائدة منه.

٣. لا تنفق من أموالك إلا بقدر ما تستفيد من ذلك الإنفاق، والفائدة لا تحد بالدنيا، وإنما قد تكون أخروية.

٤ . أنصف نفسك، فلا تطلب جزاءً أكثر مما صنعت وأنجزت، وفي الحياة الواقعية نماذج كثيرة لهذا التوقع الخاطئ، فحينما أكون صاحب منصب مرموق أنتظر من الناس أن يحترموني بسببه، مع أنني لم أتساءل مع نفسي عما صنعت لهؤلاء.

وقد أكون صاحب معرفة واطلاع وأنتظر من المجتمع أن يقدرني لتلك المعرفة، مع أنني لم أقدم شيئاً للمجتمع يستفيدون من هذه المعرفة.

٥. يرشد الإمام عليه السلام إلى أن الفرح الحقيقي لا يكون بما حقَّقه الإنسان في دنياه، بل يكون الفرح بما يناله من طاعة الله تعالى، سواء رافقته المنفعة الدنيوية أم لم ترافقه، وسواء صاحبه ثناء من الناس أم مذمة منهم.

◆◆◆◆

ودونك فاسمع ما يقوله سيد الشهداء عليه السلام موجهاً أهل الآذان الواعية والقلوب المستعدة للاهتداء والاقتداء به، فلقد خطب، فقال:

أيها الناس، نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوا، واكسبوا الحمد بالنجح، ولا تكتسبوا بالمطل ذماً، فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة له رأى أنه لا يقوم بشكرها فالله له بمكافاته، فإنه أجزل عطاء وأعظم أجراً، واعلموا أن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور نقماً، واعلموا أن المعروف مكسب حمداً ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسر الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوهاً تنفر منه القلوب وتغض دونه الأبصار، أيها الناس، من

جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإن أعفى الناس من عفا عن قدرة، وإن أوصل الناس من وصل من قطعه [١].

ومما ينسب إليه عليه السلام شعراً:

وكُنْ بَشّاً كريماً ذا انبساطِ ... وفيمن يرتجيك جميلَ رأيِ
بعيداً عن سماعِ الشرِّ سَمْحاً ... نقيَّ الكفِّ عن عيبٍ وثأيِ [٢]
معيناً للأراملِ واليتامى ... أمينَ الجيبِ عن قربٍ ونأيِ
وصولاً غيرَ محتشَمٍ زكياً ... حميدَ السعيِ في إنجازِ وأيِ [٣]
تَلَقَّ مواعظي بقبولِ صدقٍ ... تَفُزْ بالأمنِ عند حلولِ لأيِ

وقال عليه السلام:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها ... على الناس طراً قبل أن تتفلت
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها إذا ما تولت

وقال عليه السلام:

اغن عن المخلوق بالخالق ... تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله ... فليس غير الله من رازق
من ظن أن الناس يغنونه ... فليس بالرحمن بالواثق
أو ظن أن المال من كسبه ... زلت به النعلان من حالق [٦]

---

(١) كشف الغمة : ٢٣٩/٢، وفي الأعيان : ٦٢٠/١باختلاف .
(٢) الثأي : الحزم والفتق والجرح، كما في الصحاح : ٢٢٩٠/٦.
(٣) الواي : الوعد، كما في الصحاح : ٢٥١٨/٦.
(٤) لأي : شدة وإبطاء، كما في الصحاح : ٢٤٧٨/٦.
(٥) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٨٤٨ .
(٦) تاريخ مدينة دمشق : ١٨٦/١٤.
وهناك نقاش حول ما ينسب إلى المعصومين عليهم السلام من الشعر، وقد ذهب بعضهم إلى أن أكثر الشعر او كله ليس لهم، وإنما هو مما استشهدوا به، أو أن نسبته إليهم غير صحيحة، ولا شك أن ما

وقال عليه السلام:

إذا ما عضك الدهـ ـر فلا تجنح إلى الخلق
ولا تسأل سوى الله تعالى قاسم الرزق
فلو عشت وطوفت من الغرب إلى الشرق
لما صادفت من يقد ر أن يسعد أو يشقي [1]

ولما زار الشهداء بالبقيع قال عليه السلام:

ناديت سكان القبور فأسكتوا فأجابني عن صمتهم ندب الجثا
قالت أتدري ما صنعت بساكني مزقت ألحمهم وخرقت الكسا
وحشوت أعينهم تراباً بعدما كانت تأذى باليسير من القذا
أما العظام فإنني فرقتها حتى تباينت المفاصل والشوى
قطعت ذا من ذا ومن هذاك ذا فتركتها رمما يطول بها البلى [2]

يخشى بالنسبة للرسول صلى الله عليه وآله من قول الشعر؛ إذ قد يرمى القرآن الكريم بأنه من جملة أشعاره صلى الله عليه وآله لا يخشى على الأئمة .

وقد قيل : إن ما ينسب إلى الإمام علي عليه السلام لا يتناسب مع بلاغته المعهودة عنه في النثر الواصل، فلو قال شعراً لقال إعجازاً من الكلمات والمعاني كما في خطبه حتى صار كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق .

وإن بعض ما نسب إليه لا يرقى لدرجة الفصاحة والبلاغة فضلاً عن أن يكون أبلغ من شعر غيره، فيحتمل في ما نسب إليه أن يكون قولاً قاله، ثم صاغه بعض الشعراء .

(١) كشف الغمة : ٢ /١٨٥.

(٢) تاريخ مدينة دمشق : ١٤/ ١٦٨.

الباب الثاني

الأخلاق في المجتمع

الفصل الاول:

من دعائم المجتمع

شتان بين من يسعى لإصلاح المجتمع من حوله، وهو يحمل النية الصالحة والمقصد النبيل، ولكنه يفتقر إلى النظرة الصحيحة لما بين يديه من نفوس، وآخر يسعى وهو خبير بمداخل هذه النفوس ومخارجها، تجده عالماً بما يمكن أن يؤثر في تركيبات المجتمع، وتراه عالماً بمن سيتأثر منهم، فإن في المجتمع شرائح يعتمد عليها المصلحون في نشر أطروحاتهم، ويعتبرون سواعد يتكأ عليها في السعي نحو الإصلاح الاجتماعي.

ولنقترب من واحد من هذه التحليلات لمكونات المجتمع من قبل الإمام الحسين عليه السلام في زمانه.

قال جعيد الهمداني: أتيت الحسين بن علي ... فسألني، فقال: أخبرني عن شباب العرب، قلت: أصحاب جلاهقات[1] ومجالس!

قال عليه السلام: فأخبرني عن الموالي، قلت: آكل ربا أو حريص على الدنيا!

قال عليه السلام: (إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ)، والله، إنهما للصنفان اللذان كنا نتحدث أن الله تبارك وتعالى ينتصر بهما لدينه.

---

(١) جلاهق : البندق الذي يرمى به، كما في تاج العروس : ٦٣/١٣.

يا جعيد همدان: الناس أربعة: فمنهم من (له) خلاق وليس له خُلُق، ومنهم من له خلق وليس له خلاق، ومنهم من ليس له خلق ولا خلاق، فذاك أشر الناس، ومنهم من له خلق وخلاق، فذاك أفضل الناس [١].

لقد لاحظت التركيز من قبل الحسين عليه السلام على شريحتين في المجتمع يمكن أن ينتصر بهما للدين، وهما:

.الموالي : وهم الشريحة المظلومة، والتي تسارع للاستجابة لمن يقدم لها دعوة لرفع ظلامتها، أو من سيعطيها حقها، ويساويها بغيرها، فيحترم فيها إنسانيتها، وينظر إليها باحترام وتقدير .

ـ الشباب من العرب: والشباب هم من تعتمد على سواعدهم الدعوات الإصلاحية، إذ يمتلكون القلوب التي تقبل التغيير عما ألفته، وكلما تقدم العمر بها صعب تقبلها للجديد وزاد خوفها من التغيير .

قال أبو عبد الله عليه السلام للأحول : أتيت البصرة ؟

قال : نعم .

قال : كيف رأيت مسارعة الناس في هذا الأمر ودخولهم فيه ؟

فقال : والله إنهم لقليل، وقد فعلوا وإن ذلك لقليل .

فقال : عليك بالأحداث ؛ فإنهم أسرع إلى كل خير [٢].

إن الشباب ليس صنفاً من الناس يقصد بعينه بل هو مرحلة عمرية، وكل هرم قد مرَّ بمرحلة الشباب ثم تجاوزها .

ولهذا يمكننا أن نقول : إن الاهتمام بطاقة مهمة يمكن أن تنهض بها الأمة،

---

(١) ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد : ٣٦ـ٣٧.

(٢) قرب الإسناد : ١٢٨.

وإذا ما تركت فإنها ستتحول لمعول هدم، أو تصبح طاقة مبعثرة تبدد في اللهو والتافه من الأمور.

ولا ينقضي عجبي ممن لا يملك نظرة ثاقبة في تحليل المجتمع الذي يدعو فيه، كيف يتمنى النجاح، وهو لا يعرف الطريق الذي يمكن أن يسلكه ليصل إلى تحريك المجتمع .

الفصل الثاني:

من آداب معاشرة الناس

هناك سلوكيات ينبغي أن تشاع بين أفراد المجتمع متى ما أردنا الوصول لأفضل الأحوال الاجتماعية .

وهي ممارسات كان النبي عليه السلام وآله عليهم السلام يمارسونها خلال حياتهم، ويحثون الناس عليها، وسنقف على عدد منها، وهي :

١. إفشاء السلام.

٢. قبول العذر.

٣. الإحسان إلى المسيء.

٤. الإطعام مظهر الإلفة.



١. إفشاء السلام :

شتان بين مجتمع يتبادل السلام متى ما التقى شخصان منه، ومجتمع يمر أفراده مرور أموات، تلتقي أجسادهم وأرواحهم منطوية على نفسها.

إن مجتمعاً يشاع فيه السلام مجتمع قد وضع قدمه على بداية الطريق نحو العلاقات الاجتماعية السليمة.

وإن مجتمعاً يبخل أهله بالسلام . وما هو إلا كلام، لا يكلف صاحبه شيئاً . سيكون بغيره أبخل.

ولقد كان الشرع واضح الحكمة إذ أولى المبتدئ بالسلام عناية خاصة،

تبعث أفراد المجتمع لأن يكونوا متسابقين على البدء بالسلام، فلا ينتظر أحدهم من الآخرين أن يبدؤوه بالسلام.

يقول الإمام الحسين عليه السلام: للسلام سبعون حسنة تسع وستون للمبتدئ وواحدة للراد[1].

وقال عليه السلام: البخيل من بخل بالسلام[2].

ويؤكد عليه السلام على ذلك عملياً:

فقد قال له رجل ابتداءً: كيف أنت عافاك الله؟

فقال عليه السلام له: السلام قبل الكلام، عافاك الله، ثم قال عليه السلام: لا تأذنوا لأحد حتى يسلم[3].

إن في سؤال الرجل عن حال الإمام عليه السلام تحية في عرف المجتمع، إلا أن الإمام عليه السلام يريد أن لا تستبدل تحية الإسلام بتحية أخرى، ولا يؤتى بتحية ما لم يكن السلام في مقدمتها.

وقد يتعلل بأن من المسلمين من هم أصحاب ذنوب ومعاصٍ فكيف ألقي بالسلام على كل من ألقاه، وكيف أُسَلِم على من أعرف، ومن لا أعرف ؟

إن هذه طريقة تفكير يتسم بها المتشددون، والذين يعجبهم التشدد في كل شيء، وهو فكر كان منذ مطلع الإسلام موجوداً .

لقد نقل الحسين عليه السلام لنا حواراً طريفاً دار مع أحد النماذج المتشددة، فقد روي عن الحسين عليه السلام

أن ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين، تُسلِم على مذنب هذه الأمة؟

---

(١) بحار الأنوار : ١٢٠/٧٥.

(٢) بحار الأنوار : ١٢٠/٧٥.

(٣) بحار الأنوار : ١١٧/٧٥.

فقال عليه السلام: يراه الله عز وجل للتوحيد أهلاً، ولا تراه للسلام عليه أهلاً[1].

٢ـ قبول العذر:

إننا نعيش في مجتمع أفراده معرضون للخطأ، ولا تسعَ لأن تبحث عن مجتمع يخلو منه، ولكن ابحث عن طريقة تتعايش فيها مع من سيخطئ في يوم من الأيام، فتتقبل هذا الخطأ دون أن تعطي الموضوع أكثر مما يستحق.

وإذا لم تستسغ ذلك فاعلم أنك ستعيش بين همٍ وكمدٍ، تمشي بهما أينما حللت أو ارتحلت.

لقد أدبنا سيد الشهداء عليه السلام بأدب رفيع في هذا الباب، وأعطانا الأسلوب الذي نتعامل به مع من يخطئ معنا.

يقول عليه السلام:

لو شتمني رجل في هذه الأذن ـ وأومأ إلى اليمنى ـ واعتذر لي في الأخرى لقبلت ذلك منه، وذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حدثني أنه سمع جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«لا يَرِدُ الحوض من لم يقبل العذر من محقٍّ أو مبطل»[2].

٣ـ الإحسان إلى المسيء:

قد تجد مسلماً يحسن إلى الناس فيسمعونه كلمات الشكر والثناء، ويتجدد نشاطه، ويشتد حماسه.

وربما تجاهل الناس عمله، ولم يولوه أي اهتمام، وظل على منهاجه وطريقته.

---

(١) مستدرك الوسائل: ٨/٢٥٩.

(٢) من أخلاق الإمام الحسين: ٨٨.

وستجد القليل من الخلق من إذا أساء الناس إليهم قابلوهم بالحسنى.

ولكي نشاهد هذه الخصلة في أبهى حللها وأبهج صورها نقترب قليلاً من هذا الموقف الذي جسد فيه الإمام الحسين عليه السلام الخلق العظيم في إحدى روائع مواقفه:

قال عصام بن المصطلق:

دخلت المدينة فرأيت الحسين بن علي عليهما السلام، فأعجبني سمته ورواؤه، وأثار من الحسد ما كان يخفيه صدري لأبيه من البغض، فقلت له: أنت ابن أبي تراب؟

فقال عليه السلام: نعم، فبالغت في شتمه وشتم أبيه، فنظر إلي نظرة عاطف رؤوف، ثم قال:

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۚ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ ﴾[(١)].

ثم قال عليه السلام لي: خفض عليك، أستغفر الله لي ولك، إنك لو استعنتنا لأعناك، ولو استرفدتنا لرفدناك، ولو استرشدتنا لأرشدناك.

قال عصام: فتوسم مني الندم على ما فرط مني، فقال عليه السلام: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾[(٢)].

أمن أهل الشام أنت؟ قلت: نعم، فقال عليه السلام: شنشنة أعرفها من أخزم، حيانا

---

(١) سورة الأعراف.

(٢) سورة يوسف: ٩٢.

الله وإياك، انبسط إلينا في حوائجك وما يعرض لك تجدني عند أفضل ظنك إن شاء الله تعالى.

قال عصام: فضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، ووددت لو ساخت بي، ثم سللت منه لواذاً، وما على الأرض أحب إلي منه ومن أبيه)) (١).

٤ـ الإطعام مظهر الإلفة :

لقد أعطى الشرع إطعام الطعام عناية خاصة، حث فيها على الإطعام، وحثَّ المدعو على إجابة الدعوة متى وجهت إليه من مؤمن، حتى ولو كان صائماً صيام تطوع .

ولا شك أن لدعوة الآخرين من الآثار ما يدركه كل متأمل في أحوال الناس .

ودونك ما أثر عن الحسين عليه السلام من أقوال وأفعال ترى من خلالها أهمية هذا الأمر .

لقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام:

لأن أطعم أخاً لي مسلماً أحب إلي من أن أعتق أفقاً من الناس، قيل وكم الأفق؟ قال: عشرة آلاف (٢).

ويحث الإمام الحسين عليه السلام من جهة أخرى على إجابة الدعوة، فقد روي أنه رأى رجلاً دعي إلى طعام، فقال للذي دعاه: أعفني.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٦١٧- ٦١٨.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٧٧٦، ورويت عن الباقر والصادق عليهما السلام كما رويت بلفظ (لأن اطعم مسلماً حتى يشبع أحب إلي من ان أطعم أفقاً من الناس)، وجاء الجواب فيها: ان الأفق مائة الف من غيركم. وسائل الشيعة : ٢٤/٣٤٦.

وسواء كانت الرواية (اعتق) أو (أطعم) فالمعنى من غير المسلمين.

فقال الحسين عليه السلام: قم، فليس في الدعوة عفو، وإن كنت مفطراً فكل، وإن كنت صائماً فبارك [١].

إن هذه الفضيلة قد أضعناها بالمبالغة في عمل الولائم حتى أصبحت تحتاج إلى ميزانية تهيًّأ متى عزم الإنسان على دعوة شخص ما .

ولو اقتصرنا على البساطة فيما يقدم لسهل الأمر على الداعي، وتكرر الأمر بما يوجب الألفة بين الأخ وأخيه والجار وجاره وأهل البلد فيما بينهم .

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٧٦٩.

الفصل الثالث:

السعي في حوائج الناس

ما أكثر ما نقرأ في مدونات الكُتّاب الحث على الأخلاقيات فلا نجد إلى جوارها إلا ذوقيات محضة، قد يغرق أصحابها في المثاليات أو تراهم يعطون النماذج العائمة، فلا يكتسب منها القارئ معالجة لمواقفه الحياتية.

إن كثيراً من القصص المنقولة عن رجال التاريخ لا تصلح لأن تجعل قاعدة عامة للحياة، بل هي معالجات لمواقف استدعت ذلك النوع من التصرف، ولو أردنا أن تكون هي الصورة المتكررة في كل مفاصل حياتنا لكنا ممن يظن أنه يعيش في عالم مثالي.

ما أحوجنا لأن ينزل الأخلاقيون للواقع ثم يفصلون ثياب مكارم الأخلاق، وما أحوجنا إلى معالجة متكاملة للمواضيع الأخلاقية؛ نعرف بها دقائقها.

إننا سمعنا كثيراً فضل قضاء الحوائج للناس، ولكن للمعالجة المتكاملة تميزاً يدركه القارئ، وهلمَّ معي لترى ما ذكرت.

هناك جهتان مرتبطتان بحوائج الناس، وقد عالجتهما المرويات الواردة عن الإمام الحسين عليه السلام:

آداب طلب الحوائج :

لم يكتفِ الإسلام بدعوة أصحاب الوجاهة الاجتماعية ومن يمتلك مساحات واسعة من العلاقات لقضاء حوائج الناس، بل وضع آداباً لمن أراد أن

يطلب من الآخرين حاجته .

لقد روي عن سيد الشهداء عليه السلام أن رجلاً من الأنصار قد جاءه يريد أن يسأله حاجة، فقال عليه السلام:

يا أخا الأنصار، صن وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإني آتٍ فيها ما سارك، إن شاء الله.

فكتب: يا أبا عبد الله، إن لفلان عليَّ خمسمائة دينار، وقد ألَحَّ بي، فكلمه ينظرني إلى ميسرة.

فلما قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله، فأخرج صرة فيها ألف دينار، وقال عليه السلام له:

أما خمسمائة فاقضِ بها دَينك، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك.

ولا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دِين أو مروة أو حسب، فأما ذو الدِّين فيصون دِينه، وأما ذو المروة فإنه يستحيي لمروته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك [1].

وموقف آخر يبين فيه دواعي طلب الحاجة :

حينما مرَّ رجل بعثمان بن عفان، وهو قاعد على باب المسجد، فسأله، فأمر له بخمسة دراهم، فقال له الرجل: أرشدني، فقال له عثمان: دونك الفتية التي ترى، وأومأ بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر، فمضى الرجل نحوهم حتى سلم عليهم، وسألهم.

فقال له الحسن والحسين عليهما السلام: يا هذا، إن المسألة لا تحلُّ إلا في إحدى ثلاث: دم مفجع أو دَين مقرح أو فقر مدقع، ففي أيها تسأل؟ فقال في واحدة

(١) بحار الأنوار: ٧٥/١١٨- ١١٩.

من هذه الثلاث، فأمر له الحسن عليه السلام بخمسين ديناراً، وأمر له الحسين عليه السلام بتسعة وأربعين ديناراً، وأمر له عبد الله بن جعفر بثمانية وأربعين ديناراً، فانصرف الرجل، فمرَّ بعثمان، فقال له: ما صنعت؟

فقال: مررت بك، فسألتك، فأمرت لي بما أمرت، ولم تسألني فيمَ أسأل، وإن صاحب الوفرة لما سألته قال لي: يا هذا، فيمَ تسأل؟ فإن المسألة لا تحل إلا في إحدى ثلاث، فأخبرته بالوجه الذي أسأله من الثلاثة، فأعطاني خمسين ديناراً، وأعطاني الثاني تسعة وأربعين ديناراً، وأعطاني الثالث ثمانية وأربعين ديناراً.

فقال عثمان: ومن لك بمثل هؤلاء الفتية، أولئك فطموا العلم فطماً، وحازوا الخير والحكمة[1].

ويمكننا أن نستخلص من هاتين القصتين عدة آداب للسائل من الآخرين:

١. أن يكون السؤال بطريقة غير مباشرة ؛ ليصان فيها ماء الوجه، كأن تكتب في ورقة.

وواضح أن في هذه الطريقة منعاً للتعود على سؤال الناس، والذي يمكن أن يحوّل السائل إلى مستجدٍ يستعطي الناس لحاجة ولغير حاجة، إذ يرى سهولة الحصول على المال بعد أن أراق ماء الحياء من وجهه.

٢ـ أن لا يقصد أحداً إلا في ضرورة ملحة، كأن يكون ممن يكابد فقراً مدقعاً، أو يكون قد ركبه دين ولا يستطيع قضاءه، أو يكون مطلوباً بدية ولا بد من توفيرها.

---

(١) الخصال: ١/١٣٥- ١٣٦. وذكر بعدها: "قال مصنف هذا الكتاب رحمه الله: معنى قوله: فطموا العلم فطماً أي قطعوه عن غيرهم قطعاً وجمعوه لأنفسهم جمعاً".

وفي رواية: (فقال له الحسن عليه السلام: يا هذا، إن المسألة لا تحل إلا في إحدى ثلاث...). بحار الأنوار: ٤٣/٣٣٢.

٣ـ أن يقصد من هم مظنة قضاء الحاجة، فصاحب الدين يحمل في نفسه دافعاً نحو قضاء الحاجة، ويعلم أن ديانته تتعرض للخطر وأخوه يسأله، فلا يقضي حاجته.

وصاحب المروءة لا يمتلك خياراً وهو يرى من يطلب حاجة منه دون أن يلبيها. وصاحب الحسب يقيم الماء الذي قد أريق بمحضره، ولا يعتبره رخيصاً.

آداب قضاء الحوائج:

قد لا ندرك البعد الغيبي لخطوات نسعى بها لقضاء حاجة مؤمن أقلقه الزمان، وقد يغيب عنا ما يترتب على ذلك، ولكي نستعيد عظمة هذا الأمر فلنقرأ ما حدث به ابن مهران، فقد قال:

كنت جالساً عند مولاي الحسين بن علي عليهما السلام، فأتاه رجل فقال: يا ابن رسول الله، إن فلاناً له علي مال، ويريد أن يحبسني.

فقال عليه السلام: والله، ما عندي مال أقضي عنك، قال: فكلمه، قال: فليس لي به أنس، ولكني سمعت أبي أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سعى في حاجة أخيه المؤمن فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة صائماً نهاره قائماً ليله [(١)].

إن هذا الأمر العظيم الذي ندب له الشرع الشريف وضع له آداباً أشار لها الإمام الحسين عليه السلام.

فقد روي أن الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد جده رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام، وكان عبد الله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد،

---

(١) بحار الأنوار: ٣١٥/٧١.

وعتبة بن أبي سفيان في ناحية أخرى، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها على باب المسجد ودخل، فوقف على عتبة بن أبي سفيان، فسلم عليه فرد عليه السلام، فقال له الأعرابي: إني قتلت ابن عم لي وطولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟

فرفع رأسه إلى غلامه، وقال: ادفع إليه مائة درهم، فقال الأعرابي: ما أريد إلا الدية تماماً، ثم تركه، وأتى عبد الله بن الزبير، فقال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبدالله لغلامه: ادفع إليه مائتي درهم، فقال الأعرابي: ما أريد إلا الدية تماماً.

ثم تركه، وأتى الحسين عليه السلام فسلم عليه، وقال: يا ابن رسول الله، إني قتلت ابن عم لي، وقد طولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟

فقال عليه السلام له: يا أعرابي، نحن قوم لا نعطي المعروف إلا على قدر المعرفة.

فقال: سل ما تريد، فقال له الحسين عليه السلام:

يا أعرابي، ما النجاة من الهلكة؟ قال: التوكل على الله عز وجل

فقال عليه السلام: وما الهمة؟ قال: الثقة بالله.

ثم سأله الحسين غير ذلك، وأجاب الأعرابي، فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم، وقال له: هذه لقضاء ديونك، وعشرة آلاف درهم أخرى، وقال: هذه تلم بها شعثك، وتحسن بها حالك، وتنفق منها على عيالك، فأنشأ الأعرابي يقول:

طربتُ وما هاجَ لي معبقُ ... ولا لي مقامٌ ولا مَعْشَقُ
ولكنْ طَرِبْتُ لآلِ الرسولِ ... فلَذَّ لي الشعرُ والمنطقُ
همُ الأكرمونَ همُ الأنجبونَ ... نجومُ السماءِ بهم تشرقُ

سبقتَ الأنامَ إلى المكرماتِ فقَصَّرَ عن سَبْقِكَ السُّبَّقُ
بكم فَتَحَ اللهُ بابَ الرشادِ وبابُ الفسادِ بكم مُغْلَقُ[1]

◆◆◆◆◆

وروي أن أعرابياً جاءه فقال: يا ابن رسول الله، إني قد ضمنت دية كاملة، وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله عليه السلام.

فقال عليه السلام: يا أخا العرب، أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك المال كله.

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله، أمثلك يسأل مثلي وأنت من أهل العلم والشرف؟ فقال الحسين عليه السلام: بلى، سمعت جدي رسول الله عليه السلام يقول: المعروف بقدر المعرفة.

فقال الأعرابي: سل عمَّا بدا لك، فإن أجبت وإلا تعلمت منك، ولا قوة إلا بالله، فقال الحسين عليه السلام: أي الأعمال أفضل؟ فقال الأعرابي: الإيمان بالله. فقال الحسين عليه السلام: فما النجاة من الهلكة؟ فقال الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الحسين عليه السلام: فما يزين الرجل؟ فقال الأعرابي: علم معه حلم. فقال الحسين عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟ فقال الأعرابي: فمال معه مروءة. فقال الحسين عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟ فقال الأعرابي: ففقر معه صبر. فقال الحسين عليه السلام: فإن أخطأه ذلك؟ فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء فتحرقه ؛ فإنه أهل لذلك.

فضحك الحسين عليه السلام، ورمى إليه بصرة فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٧٦٤- ٧٦٦.

وفيه فص قيمته مائتا درهم.

وقال الحسين عليه السلام: يا أعرابي، أعط الذهب لغرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك، فأخذ الأعرابي ذلك منه، ومضى وهو يقول: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾[(١)(٢)].

إن درساً واضحاً تشير له القصتان، وهو تناسب العطاء مع مقدار المعرفة التي يحملها السائل.

ودرس آخر من دروس العطاء يتحفنا به الحسين عليه السلام، وهو مما لم تتعاهده الناس، ولا يمكنها أن تهتدي إليه دون هادٍ ودليل.

لقد روي:

أن الحسين عليه السلام مر بمساكين، وهم يأكلون كسراً لهم على كساء، فسلم عليهم، فدعوه إلى طعامهم، فجلس معهم وقال: لولا أنه صدقة لأكلت معكم.

ثم قال: قوموا إلى منزلي، فأطعمهم، وكساهم، وأمر لهم بدراهم[(٣)].

تستوقفنا هذه القصة لننهل من عطائها الثر ما نحن بأمس الحاجة إليه، ودونك بعضاً مما نقتطفه من هذه الشجرة اليانعة:

١. لقد كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام أن يعطيهم المال؛ ليشتروا به طعاماً، ولكن في الإطعام فضلاً لا يفوّته الإمام.

٢. إن دعوة الإمام عليه السلام تعلمهم أن الفقر لا ينقص من شأن الفقراء، وتبدد عنهم الخواطر التي تدعوهم للانكفاء على أنفسهم والانزواء عن الآخرين.

٣ـ لقد كان بإمكان الإمام عليه السلام أن يرسل عطاءه إلى المحتاجين عن

---

(١) الأنعام: ١٢٤.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٧٦٦- ٧٦٧.

(٣) بحار الأنوار: ٤٤/١٩١.

طريق غلمانه أو أحد شيعته وثقاته، إلا أنه كان يأبى إلا أن يأخذ قسماً من عطائه ليوصله إلى المحتاجين بنفسه، وقد كانت هذه سيرته، فقد وجد على ظهر الحسين بن علي يوم الطف أثر، فسألوا زين العابدين عليه السلام عن ذلك، فقال:

هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين[1].

إن هذا الأثر يدلنا على أن هذا العمل لم يكن حدثاً استثنائياً قد مارسه في يوم من أيام حياته، بل مارسه زمناً طويلاً حتى ترك حمل الجراب أثراً في ظهره المبارك .

لقد نقل لنا التأريخ نماذج متعددة كان فيها الأئمة يحملون الزاد بأنفسهم للفقراء، ولا يكتفون بإعطاء الغلمان، وهو درس عملي تربوي طالما غفل عنه الكثير، وظنوا أن إعطاء المال هو كل شيء.

إن الذي يمكن أن نتلمسه من مثل هذه القصص عدة أشياء، ومنها :

١. إن المنفق للمال إذا ما رأى الفقير تركت رؤيته أثراً في نفسه لا ينمحي مهما طال الوقت .

إنه يعيش حياة الرفاهية، وكل ما يطلبه يجده بين يديه، وإذا به يقف أمام حالة مختلفة تمام الاختلاف عما ألفه.

إن هذا المنظر يظل ملحاً على خاطره ليستمر في العطاء، ولا يتوقف عنه.

٢. إن ألطافاً غيبية تفاض في لحظات إعطاء الفقير لا تبصرها عيوننا، ولولا إخبارات المعصومين لما أدركنا ذلك .

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤/١٩٠- ١٩١.

وتدعونا الروايات لاستثمار هذه الفيوضات التي تحصل في تلك اللحظات[١].

٣ـ إن الممارسة العملية بحمل الزاد والعطاء للفقير تشعر الفقير بأهميته وقيمته التي يكنها له الشرع، فما هذا الفقر إلا ابتلاء لمصلحة تخفى علينا، ولو كشف لنا الغطاء لأدركنا ذلك .

وإن فيه رفعاً لما يمكن أن يحصل في نفوس الفقراء تجاه الله ﷻ من التذمر والشعور السيئ الذي قد ينفثه الشيطان في نفوس بعضهم بأن الله ﷻ قد أهملهم .

٤ـ إن تطهير النفس من الصفات غير السليمة له عدة طرق، وأسرع هذه الطرق ما يكون عملياً ـ كما ينص على ذلك الأخلاقيون .وهو مما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في تربيتهم لبعض أصحابهم .

ولهذا فأنت لا تعلم كم من الآثار التي يتركها حملك لشيء بيديك نحو الفقراء، فإنك ما إن تضع الحاجيات بين يديه إلا وقد تخلصت من الكبر الذي يمكن أن يشكل ظلمة في نفسك .

وفوق ذلك كم من دعاء قد أفيض عليك من فم هذا المحتاج، وهو دعاء يبحث عنه العارفون ؛ لأنه من الأدعية المجابة[٢] .

---

(١) هناك عدة روايات تتحدث عن هذه الفيوضات،ومنها:
روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: إذا ناولتم السائل فليرد الذي يناوله يده إلى فيه فيقبلها؛ فإن الله ﷻ يأخذها قبل أن تقع في يد السائل؛ فإنه ﷻ يأخذ الصدقات.
وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يقبل يده عند الصدقة، فسئل عن ذلك، فقال: إنها تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل. وللاستزادة راجع بحار الأنوار : ٩٣/١٣٢ـ١٣٤.

(٢) ومنها: كان زين العابدين عليه السلام يقول للخادم: أمسك قليلاً حتى يدعو. وقال: دعوة السائل الفقير لا ترد.
وكان عليه السلام يأمر الخادم إذا أعطت السائل أن تأمره بدعوة بالخير، وعن أحدهما عليهما السلام: إذا أعطيتموهم فلقنوهم الدعاء؛ فإنه يستجاب لهم فيكم، ولا يستجاب لهم في أنفسهم.البحار : ٩٣/١٣٣ـ١٣٤.

من نماذج العطاء:

يحدث التاريخ بأن الحسين عليه السلام دخل على أسامة بن زيد وهو مريض، وهو يقول: واغمّاه.

فقال له الحسين عليه السلام: وما غمك يا أخي؟

قال: دَيني وهو ستون ألف درهم، فقال الحسين: هو عليَّ.

قال: إني أخشى أن أموت، فقال الحسين عليه السلام: لن تموت حتى أقضيها عنك، قال: فقضاها قبل موته.[1]

◆◆◆◆◆

ووفد أعرابي المدينة، فسأل عن أكرم الناس بها، فدل على الحسين عليه السلام، فدخل المسجد، فوجده مصلياً، فوقف بإزائه، وأنشأ:

لَمْ يَخِبِ الآنَ مَنْ رَجَاكَ ومَنْ ... حَرَّكَ مِنْ دون بابِكَ الحَلَقَهْ
أنتَ جوادٌ وأنتَ معتمدٌ ... أبوكَ قد كانَ قاتلَ الفَسَقَهْ
لولا الذي كانَ مِنْ أوائِلِكم ... كانتْ علينا الجحيمُ مُنْطَبِقَهْ

قال: فسلم الحسين، وقال: يا قنبر، هل بقي من مال الحجاز شيء؟

قال: نعم، أربعة آلاف دينار، قال: هاتها، قد جاء من هو أحق بها منا، ثم نزع برديه، ولفَّ الدنانير فيها، وأخرج يده من شق الباب حياءً من الأعرابي[2]، وأنشأ:

خُذْها فإني إليكَ معتذرٌ ... واعْلَمْ بأني عليك ذو شَفَقَهْ
لو كانَ في سيرِنا الغَداةَ عصا ... أمستْ سمانا عليكَ مُنْدَفِقَهْ
لكنَّ ريبَ الزمانِ ذُو غِيَرٍ ... والكفُّ مني قليلةُ النَّفَقَهْ

---

(١) بحار الأنوار: ١٨٩/٤٤.

(٢) لقد انتقلت الرواية لعرض مشهد آخر دون توضيحه، فإن أولها كان يتحدث عن ورود الأعرابي على الإمام الحسين عليه السلام في المسجد، وتتمتها تتحدث عن دفع المال في المنزل من وراء الباب.

قال: فأخذها الأعرابي وبكى، فقال له: لعلك استقللت ما أعطيناك، قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك؟))[١].

ونقل عن الحسين عليه السلام أنه كان يتصدق بالسكر، فقيل له في ذلك، فقال: إني أحبه، وقد قال الله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢][٣].

◆◆◆◆◆

ومر الحسين بن علي عليهما السلام براعٍ فأهدى الراعي إليه شاة، فقال له الحسين عليه السلام: حر أنت أم مملوك؟ فقال: مملوك، فردها الحسين عليه السلام عليه، فقال له المملوك: إنها لي، فقبلها منه، ثم اشتراه، واشترى الغنم، فأعتقه، وجعل الغنم له[٤].

التوسط في الخير:

ليست كل المواقف بحاجة لإنفاق وبذل مال، بل منها ما يتطلب بذل الوجاهة، وأن يسعى بما له من وجاهة عند الناس في قضاء حوائج الآخرين، ويمكن لنا أن نشاهد نموذج ذلك فيما حمله التاريخ يوم دخل الحسين عليه السلام على معاوية .ولعله كان في مكة أو المدينة .وعنده أعرابي يسأله حاجة، فأمسك، وتشاغل بالحسين عليه السلام.

فقال الأعرابي لبعض من حضر: من هذا الذي دخل؟

قالوا: الحسين بن علي.

فقال الأعرابي للحسين عليه السلام: أسألك، يا ابن بنت رسول الله، لما كلمته في

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/١٩٠.

(٢) آل عمران: ٩٢.

(٣) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٦٢٦.

(٤) المحلى: ٨/٥١٥.

حاجتي، فكلمه الحسين عليه السلام في ذلك فقضى حاجته.

فقال الأعرابي:

أتيتُ العَبْشَمِيَّ فلم يَجُدْ لي ... إلى أنْ هَزَّهُ ابنُ الرسولِ
هو ابنُ المصطفى كرماً وجوداً ... ومِنْ بطنِ المُطَهَّرَةِ البتولِ
وإنَّ لهاشمٍ فضلاً عليكمْ ... كما فضلُ الربيعِ على المحولِ

فقال معاوية: يا أعرابي، أعطيك وتمدحه؟

فقال الأعرابي: يا معاوية، أعطيتني من حقه، وقضيت حاجتي بقوله[1].

لقد رأينا خلال القصة تدخل الحسين عليه السلام في قضية شخص لا يعرفه، ولا يرجو منه عطاءً ولامنفعة، وهكذا فليكن أصحاب الوجاهات يسعون لله عز وجل، ولا يريدون جزاءً ولا شكوراً.

ولله در الأعرابي إذ صدح بالحق، فعبَّر عن معاوية بالعبشمي ناسباً له إلى جده عبد شمس، وعبَّر عن الحسين عليه السلام بابن الرسول صلى الله عليه وآله، وحسبك بهذا التعبير مدحاً.

تساؤل مهم:

إن أصحاب الوجاهة يقصدهم الكثير لحل قضاياهم، والسعي بوجاهتهم لتسهيل أمورهم.

والتساؤل المهم الذي يبحث عن إجابة، هو متى يتدخل الوجيه في القضايا المستعصية، ومتى يتوقف؟

لا شك أن هناك حدوداً يتوقف عندها الإنسان، ولا تخطو قدماه فيها خطوة واحدة.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/٢١٠.

اقرأ معي هذه القضية لتعرف موطناً من تلك المواطن التي لا ينبغي التدخل فيها .

أخذ علي عليه السلام رجلاً من بني أسد في حد وجب عليه ؛ ليقيمه عليه، فذهب بنو أسد إلى الحسين بن علي عليهما السلام ؛ ليستشفعوا به، فأبى عليهم.

فانطلقوا إلى علي عليه السلام، فسألوه، فقال: لا تسألوني شيئاً أملكه إلاَّ أعطيتكموه.

فخرجوا مسرورين، فمروا بالحسين عليه السلام، فأخبروه بما قال، فقال عليه السلام:

إن كان لكم بصاحبكم حاجة فانصرفوا، فلعل أمره قد قضي، فانصرفوا إليه فوجدوه قد أقام عليه الحد.

قالوا: ألم تعدنا، يا أمير المؤمنين؟

قال: لقد وعدتكم بما أملكه، وهذا شيء لله لست أملكه [1].

لقد شاهدنا الإمام الحسين عليه السلام كيف وقف هذا الموقف الرافض لطلب الراغبين في تدخله ؛ لأنهم يريدون منه أن يعطل حداً من حدود الله تبارك وتعالى .

إنه درس تربوي مهم لبعض أرباب المكانات الاجتماعية، والذين يسعون في كل ما يطلبه منهم الداخلون عليهم، إذ يرون أنهم متى ما توقفوا عن السعي فقد فقدوا كثيراً من مكانتهم في نفوس الناس .

وهكذا تتحول الوجاهة إلى طريق يفك بها المجرم ليزداد إجراماً، ويطلق بها المعتدي المستحق للعقوبة ؛ ليمارس اعتداءً أكبر، غير ملاحظين المصلحة التي ستفوت المجتمع أو المفسدة التي ستحل به إذا ما أطلق سراح هذا المجرم، ولا ملتفتين إلى الحق الذي يمكن أن يفوت المظلوم متى ما قبلت الوساطة .

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٧٣٧. وتكررت القضية مع الإمام الحسن عليه السلام كما في بحار الأنوار : ٩٨/٧٦ عن مناقب آل أبي طالب : ١٤٧/٢.

الفصل الرابع:

محذوران مهمان

المراء:

روي أن رجلاً قال للحسين بن علي عليهما السلام: اجلس حتى نتناظر في الدين، فقال: يا هذا، أنا بصير بديني، مكشوف عليَّ هداي، فإن كنت جاهلاً بدينك فاذهب فاطلبه.

ما لي وللمماراة، وإن الشيطان ليوسوس للرجل، ويناجيه، ويقول: ناظر الناس في الدين ؛ كي لا يظنوا بك العجز والجهل، ثم المراء لا يخلو من أربعة أوجه:

- إما أن تتمارى أنت وصاحبك فيما تعلمان فقد تركتما بذلك النصيحة، وطلبتما الفضيحة، وأضعتما ذلك العلم.

- أو تجهلانه، فأظهرتما جهلاً، وخاصمتما جهلاً.

- أو تعلمه أنت، فظلمت صاحبك بطلبك عثرته.

- أو يعلمه صاحبك، فتركت حرمته، ولم تنزله منزلته.

وهذا كله محال، فمن أنصف وقبل الحق وترك المماراة فقد أوثق إيمانه، وأحسن صحبة دينه، وصان عقله.[1]

لست أدري بماذا يجب أن تكتب هذه الكلمات، وهي من أروع الكلمات

---

(١) بحار الأنوار : ٢/١٢٥.

التي لا يزال مضمونها تحتاج له كل نفس تطلب الخير في مجتمعاتنا، وسنقف عند بعض مما ذكر فيها :

أ- لقد وقف الإمام الحسين عليه السلام موقف الرفض لمشكلة لا تزال إلى اليوم موجودة في مجتمعنا، وستجدها متجذرة في نفوسنا، ألا وهي المراء والجدال في الأمور الدينية أو العلمية .

وهي مشكلة من شأنها إيجاد العداوات والفرقة بين الناس، كما من شأنها تضيع الأوقات والجهود سدى.

ب- يشير الإمام عليه السلام إلى موقعية العالم بدينه، والذي هو على بيّنة منه، فإنه لا يحتاج إلى المراء والجدال، وأما الجاهل فليست المماراة حلاً لمشكلته، بل عليه أن يسأل العالم طلباً للحق .

ج- لقد شخص الحسين عليه السلام سبب هذا المرض الذي يصيب القلوب فيمرضها، إنه الشيطان، والذي يكون المراء أداة من أدواته .

وحينما يرجع الإمام عليه السلام المشكلة إلى أسبابها وجذورها فيري الناس من يقف وراءها وهو عدوهم اللدود، والذي أخرج أباهم من الجنة، فإنه يبصرهم ببشاعتها فينفرون منها .

وهذه الطريقة التي عالج بها هذا المرض النفسي يؤكد عليها علماء النفس، متى ما سعى إنسان للتخلص من عادة سيئة .

فإن أول ما يلزمه هو أن يسعى لتحليلها، ثم يحاول إرجاعها لأسبابها ؛ لكي يرى بشاعتها فينفر منها .

د . تحليل المشكلة :

لقد أرجع الإمام عليه السلام هذه المشكلة إلى أربعة أوجه:

١. أن يكون الطرفان عالمين بالمسألة وقد سعيا للفضيحة، مع أن عليهما أن يسعيا نحو النصيحة .

٢ .أن يكون الطرفان جاهلين بالمسألة، فلا يكون من مرائهما إلاّ إظهار الجهل .

٣ـ أن يكون طالب المراء عالماً والآخر جاهل، فيكون العالم ظالماً للآخرالجاهل، لأنه بطلبه المراء إنما يريد أن يبين جهات الضعف في الطرف الآخر.

٤ .أن يكون طالب المراء جاهلاً والآخر من العلماء، فيكون بطلبه المراء غير محترم ولا مقدر لحق العلم الذي يملكه صاحبه.

إن النفس بعد هذا الحديث تراها نافرة من المراء وما فيه من مذمة وسوء يقع فيهما الإنسان دون أن يشعر، وحينما تستمع النفس لهذا العرض تعرف من أي قسم هي، وما الذي يدفعها نحو المراء، وعندها تنفر من السبب الذي يدفعها نحوه.

هـ- ويختم الإمام عليه السلام رائعته ببيان الوجه الآخر المشرق، وإيضاح الصفة المعاكسة لهذه الصفة الذميمة .

وهذا الأسلوب يقرره أيضاً علم النفس، وهو أسلوب يعتمد على إبراز الصفة الحميدة التي تريد من المخاطب أن يتحلى بها، والتي تكون معاكسة للصفة الذميمة التي تريد منه أن يتخلص منها .

إن هناك فرقاً بين من يزجر الناس عن صفة، ويطلب منهم الكف عن سلوك معين، ثم يلوذ بالصمت بعد ذلك، وآخر يزجر عن أمر، ويدعو لأمر آخر .

لا كثرة الحلف:

قال الإمام الحسين عليه السلام:

احذروا كثرة الحلف، فإنه (فإنما) يحلف الرجل لخلال أربع: إما لمهانة يجدها(يحسها) في نفسه، تحثه على الضراعة إلى تصديق الناس إياه، وإما

لعيٍّ في المنطق فيتخذ الأيمان حشواً وصلة لكلامه، وإما لتهمة عرفها من الناس له، فيرى أنهم لا يقبلون قوله إلاّ باليمين، وإما لإرساله لسانه من غير تثبيت.[١]

ظاهرة سيئة أخرى في المجتمع يسلط الحسين عليه السلام الضوء عليها، ويحذر منها، وينطلق مباشرة إلى بيان أسبابها وجذورها؛ ليتمكن من يتصف بها من التخلص منها.

فأما السبب الأول: فهو شعور الشخص بأنه أقل مستوىً من الحاضرين، مما قد يدعوه لأن يعتقد بأن الناس لن تصدق كلامه، فيلجأ إلى الحلف ليعزز حديثه، ويرفع من قيمة كلامه.

والسبب الثاني: عدم طلاقة اللسان، وعدم امتلاك القدرة على الحديث المتصل .

فيلجأ المصاب بهذا الداء إلى الحلف كلما توقف عن الكلام، ولم يرفده عقله بجمل متتابعة توضح مقصوده.

فعوضاً عن أن يسكت ليرتب حديثه، ويأتي بالكلمات المناسبة، يسد الثغرات بكلمة " والله " .

وأما السبب الثالث: فهو أن يكون الشخص متهماً عند الحاضرين بالكذب، وهو يعلم نظرتهم تجاهه، فيتخذ من الحلف وسيلة ليصدقه السامعون .

والسبب الأخير: عدم الرقابة الذاتية على الكلام الذي يصدر منه، وإطلاق اللسان دون تثبُّت، ولهذا تراه يلقي بالحلف دون مراعاة لقداسته.

---

(١) مجموعة ورام : ٢/ ١١٠، ومعدن الجواهر : ٤٢، ويوجد بعض الاختلاف بينهما.

الباب الثالث

كربلاء الخالدة

كربلاء الخالدة

وسَـــامَتْهُ يركـــبُ إحـــدى اثنتـــينِ
وقـــد صَـــرَّتِ الحـــربُ أســـنانَها
فإمَّـــا يُـــرى مـــذعناً أو تمـــوتُ
نفـــسٌ أبـــى العـــزُّ إذْعَانَهـــا
فقـــالَ لهـــا اعْتَـــصِمِي بالإبـــا
فـــنفسُ الأبـــيِّ ومـــا زانَهـــا

السيد حيدر الحلي
الديوان: ١٠٩

كربلاء والفداء والإباء... وما يرتبط بها...

أمور تحتاج دراستها لجهد كبير، وتتطلب حلقات كثيرة ومتتالية، إلاَّ أننا معتمدين على المخزون المعرفي للقارئ الكريم نلمُّ ببعض هذه الجوانب بإيجاز شديد.

الفصل الأول:

ملابسات حدث كربلاء

قبل الدخول في جوهر الموضوع لابد من الإشارة إلى عوامل هامة يجب الأخذ بها، والالتفات إليها عند دراسة قضية الحسين عليه السلام.

أولاً: الوضع القائم:

من الملاحظ أن الإحاطة التامة بالوضع السائد زمن سيد الشهداء عليه السلام غير موجودة، و ينطبق هذا القول على بقية الأحداث الجزئية التي صاحبت الحركة الحسينية، وأقصد بذلك أن هناك أموراً لها مدخلية كبيرة في تحركات سيد الشهداء عليه السلام إلاّ أن التاريخ لم يذكرها لنا، أو ذكرها ثم فقدت ولم تصل.

وقد نقل لنا المؤرخون من الحوادث ما لا ندركها، أو لا نستطيع استيعابها، و ينبغي لنا أن نتوقف عندها، ولا نتسرع بالجزم فيها بحكمٍ ما، وذلك لاحتمال وجود أمور ترتبط بها، ولم ينقلها التاريخ لنا، وقد عايش الإمام عليه السلام كل تلك الأحداث، ورأى ما لم يره من أتى بعده، وعلى أساسه قد تصرف .

ثانياً: السعي لمعرفة أهداف الحسين عليه السلام :

هناك عدة نقاط حول أهداف النهضة المباركة تجدر ملاحظتها، ومنها:

أ. إن محاولة استعراض الأهداف المحتملة ثم اختيار هدف واحد منها أمرٌ يحمل روح المجازفة، وذلك لأن أهل البيت عليهم السلام قد تكون لهم في سيرتهم ومواقفهم أهداف متعددة، وهو أمر تشهد له سيرتهم عليهم السلام.

ب . إن بعض الباحثين يدرس آثار نهضة الإمام الحسين عليه السلام التي تحققت على أرض الواقع، ويعتبرها أهدافاً انطلق من خلالها الحسين عليه السلام في نهضته، وهذا خطأ في المنهجية واضح.

ج . إن البعض الآخر من الباحثين يحاول إيجاد أهداف محتملة للرد على كُتّاب وعلماء من غير الشيعة، وممن يقفون موقفاً سلبياً من حركته، وينكرون على الحسين عليه السلام خروجه .

وبغض النظر عن دوافع أولئك الكُتّاب السياسية والمذهبية فإن الرد عليهم بأهداف محتملة أمرٌ فيه نظر.

د . وهو ما أودُّ التركيز عليه كثيراً في قضية الحسين عليه السلام وهو تحديد موقعية الحسين عليه السلام في الأحداث من حوله .

ولو تساءلنا عن موقعية الحسين عليه السلام في تلك الرحلة الدامية، والتي تبدأ منذ لحظة رفضه لمبايعة يزيد وإلى أن هوى صريعاً على ثرى كربلاء، لاستطعنا أن نجيب بأنها كانت موقعية العبد المطيع لله تعالى، والطالب لرضاه.

إن المؤمن الواعي يقيم الصلاة لأن الله تعالى قد أمره بذلك، بغض النظر عن فوائدها في تحريك الدورة الدموية، مع أنه يعلم بأن كل أوامر الله تعالى هي لتحقيق مصالحه سواء عرف هذه المصالح أم لا، وسواء تعلقت هذه المصالح بالدنيا أم بالآخرة.

وإذا أردنا أن نوجه السؤال لنتعرف على فائدة الصلاة فإننا لا نوجهه لمن يصلي، فلا نقول له : لمَ سجدت؟ ولمَ ركعت ؟ لأن جوابه واضح، وهو أنني عبد قد أمرني الله عز وجل بذلك .

ولكن علينا . متى أردنا ذلك . أن يكون سؤالنا بهذه الطريقة : لم أمر الله عز وجل بالصلاة ؟ وما المصلحة المترتبة على قيام العبد أوقعوده ؟ .

وبما أن الحسين عليه السلام عبد ينفِّذ أمر السماء، فالسؤال يتوجه إلى أهداف

السماء من أمرها للحسين عليه السلام بالخروج وتقديم تلك التضحيات، ونظل نبحث عن سر السماء في أمرها له بذلك حتى ندركه.

وهذا القول يرتبط بسيرة المعصومين عليهم السلام جميعاً، فهم عباد مطيعون، ومن يريد أن يبحث فعليه أن يبحث عن سر توجيه هذه التكاليف الإلهية لهم.

وسواء اعتمدنا ما يقبله بعض العلماء من الروايات الدالة على أن لكل إمام صحيفة مختومة، يعمل بها في حياته أم لم نعتمد ذلك[1]، فإن مما لا شك فيه أن الأئمة عليهم السلام يتصرفون وفق الأوامر الإلهية الخاصة بهم، يطلبون بذلك رضا الله تعالى.

فبعضهم أُمِرَ بالصلح، وبعضهم أُمِرَ بالخروج والتضحية، وكلهم توجَّهوا إلى هداية الناس وجسدوا القدوة.

فإذا كان من المتفق عليه والمسلم به أن الحسين عليه السلام عَمِلَ وفق الأوامر

---

(١) ومن هذه الروايات:

"عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دفع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام صحيفة مختومة باثني عشر خاتماً، وقال له: فض الأول واعمل به، وادفع إلى الحسن عليه السلام يفض الثاني ويعمل به، ويدفع إلى الحسين عليه السلام يفض الثالث ويعمل بما فيه، ثم إلى واحد واحد من ولد الحسين عليه السلام". بحار الأنوار: ٢١٠/٣٦.

"عن حريز قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جُعلت فداك، ما أقل بقاءكم أهل البيت، وأقرب آجالكم بعضها من بعض، مع حاجة الناس إليكم، فقال عليه السلام: إن لكل واحد منا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مُدَّته، فإذا انقضى ما فيها مما أُمر به عرف أن أجله قد حضر، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه، وأخبره بما له عند الله، وإن الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أُعْطِيَهَا، وفسر له ما يأتي بنعي، وبقي فيها أشياء لم تقض، فخرج للقتال، وكانت تلك الأمور التي بقيت أن الملائكة سألت الله في نصرته عليه السلام فأذن لها، ومكثت تستعد للقتال وتتأهب لذلك حتى قُتِل، فنزلت وقد انقطعت مدته وقُتِل عليه السلام، فقالت الملائكة: يا رب، أذنت لنا في الانحدار، وأذنت لنا في نصرته، فانحدرنا وقد قبضته؟ فأوحى الله إليهم أن الزموا قبره حتى تروه وقد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، فإنكم قد خُصِصتُم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة تعزياً وحزناً على ما فاتهم من نصرته، فإذا خرج يكونون أنصاره". الكافي الشريف ٢٨٣/١ -٢٨٤.

الإلهية الخاصة، فلا بد أن يكون البحث في أهداف السماء وحكمتها في أمرها للحسين عليه السلام بأن يقوم بهذه التضحيات، وأن يسلك هذا الطريق الصعب.

هـ .من الأسباب التي تجعلنا لا نجزم بما نصل إليه من أهداف وحكم للسماء أن هذه الغايات التي نبحث عنها والحكم الإلهية ليست محدودة في جهة ما .

كما أنها ليست محدودة بالعقل البشري المحدود حتى يجزم بأنه وصل إليها وأحاط بها، وما يصل إليه الباحثون إنما هو ما استوعبوه، و كلٌ حسب إدراكه وعقله قد استنتج، وهو في الأخير لا يعبر عن الحكمة الإلهية التامة .

و .إن ما صرَّح به الحسين عليه السلام أو تحدث به أحد المعصومين عليهم السلام من أهداف وحكم لخروجه فهي بلا شك صحيحة ومعبرة عن واقع، ولكنها ليست كل الأهداف، وذلك لأسباب سنذكرها .

وأما ما يذكره غير المعصوم عليه السلام فهي أمور يرجِّحها الكتاب والمحللون بسبب القضايا التاريخية الموجودة بين أيديهم، ولكي نبحث بهذا الأسلوب فلا بد أن نلاحظ بعض الشروط، ومنها [1]:

الشرط الأول: أن يكون الهدف فيه رضا الله تعالى، فلا يشوبه شيءٌ يبغضه.

الشرط الثاني: أن يكون الهدف متناسباً مع ما قدَّمه سيد الشهداء عليه السلام من تضحيات .

فإن الحسين عليه السلام قدَّم نفسه الشريفة، وهي نفس معصوم مقدسة، وضحَّى بأهل بيته عليهم السلام، وهم ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله، وضحَّى بخلاصة مدرسة أمير

---

(١) أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام : ٥٧- ٦١ بتصرف وشرح.

المؤمنين عليه السلام، فيجب أن تكون الأهداف التي تصاغ متناسبة مع هذه التضحيات الضخمة ؛ ليتناسب ذلك مع حكمة الله تعالى في أمره للحسين عليه السلام بهذه التضحيات.

ولهذا فإننا لا نتصور أن تكون أهداف الحسين عليه السلام محدودة بعصره، أو ضئيلة من حيث حجمها، والضحايا كما عرفت .

الشرط الثالث: أن يكون الهدف المفترض أمراً متحققاًفي ساحة الواقع .

لأننا متى توقعنا شيئاً وجعلناه هدفاً للحسين عليه السلام، ثم لم يتحقق فهذا يعني أن الحكمة الإلهية أرادت أمراً وسعى الحسين عليه السلام لتحقيقه ثم أخفق في ذلك، وهو أمر لا يتناسب مع التخطيط السماوي المحيط بكل شيء[1] .

فلو افترضنا أن النصر العسكري الفوري كان هدفاً للحسين عليه السلام يوم خرج فإنه سيكون افتراضاً غير مقبول أصلاً .

---

(١) تأمل ـ عزيزي القارئ ـ ما ورد في الروايات التي تتحدث عن الصحف التي تتضمن برامج عمل الأئمة عليهم السلام ،فقد ورد في رواية ذكرها الشيخ الكليني رحمه الله في كتابه الكافي : ٢٨/١، ومنها : ... ففتح الخاتم الخامس (يعني الإمام الباقر عليه السلام فوجد فيها : أن فسر كتاب الله تعالى، وصدق اباك، وورث ابنك، واصطنع الأمة، وقم بحق الله عز وجل، وقل الحق في الخوف والأمن، ولا تخشَ إلا الله، ففعل ...، إنك ستجد هذا البرنامج يشكل اهدافاً يسعى الإمام إلى تحقيقها، وقد تحققت بالفعل، فلو لمحت روايات التفسير الواردة عن الإمام الباقر عليه السلام لوجدت أنها تشكل تراثاً ضخماً استوقف بعض الكتاب الأكاديميين فكتب كتاباً مستقلاً يعنى بتفسير القرآن عند الإمام الباقر عليه السلام، فيا ترى ما الذي حدا بهذا الكاتب أن يتخير هذا الموضوع؟ الا تعتقد أن الكم الهائل من الروايات كان كفيلاً بتكوين دراسة مستقلة ومتكاملة؟.

وساتركك لتتأمل في هذه العبارة(واصطنع الأمة)، فإن الاصطناع طلب بأن يصنع أمة... وهذه الأمة أمام ناظريك.

وكلي اسف بأن الرواية لم تتحدث عن أدوار الأئمة كلهم، ولو تحدثت لفتحت باباً واسعاً لفهم ادوارهم التي قاموا بها.

لقد تصدى الكتاب والعلماء لتحليل مواقف الأئمة عليهم السلام، فأجادوا بما جادوا، ولكنك عندما تظفر برواية في الباب تجد البون شاسعاً والأمر مختلفاً، ولا يسعني المجال لذكر الشواهد، وأتركها لفطنة القارئ.

ثالثاً: تساؤل مهم:

هل يمكننا التعرف على أهداف نهضة الحسين عليه السلام من خلال ما صرَّح به أم لا؟

لا شك أن ما صرَّح به الحسين عليه السلام من أهداف وغايات كلام لا يمكن تجاوزه.

ولكننا لا بد أن نلاحظ أمراً مهماً، وهو أن ذلك لا يعني أن ما ذكره هو كل ما يهدف إليه، والسبب في هذا القول أمور، وأهمها:

أولاً: إن الحسين عليه السلام شأنه شأن المصلحين من الأنبياء والأئمة عليهم السلام، والذين يخاطبون الناس على قدر عقولهم؛ لتتحقق الهداية، وعقول الناس لا تتحمل كل الحقائق.

وليبدو هذا الأمر جلياً اقرأ هذا الخبر المتحدث عن محمد بن الحنفية، والذي استقى علمه من أمير المؤمنين عليه السلام، وتربَّى على هديه، فإنك ستجد الحسين عليه السلام يخاطبه بهذا المستوى الرفيع:

أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال: يا حسين، اخرج؛ فإن الله قد شاء أن يراك قتيلاً[1].

إن مضمون هذه الرواية لا يمكن أن يتقبله كل أحد، ولا أن يسلم به سائر الناس، فإنه يحتاج إلى معرفة وإيمان ووعي، وقد ملكها محمد بن الحنفية؛ فخوطب بهذا الكلام، وكشف له عن بواطن أمور وخفاياها.

بينما يتحدث الحسين عليه السلام لابن عبَّاس بمحضر عبدالله ابن الزبير بحديث آخر، لما حضرا عنده، فأشارا عليه بالإمساك، فقال لهما: إن رسول الله قد

(١) بحار الأنوار: ٣٦٤/٤٤.

أمرني بأمر وأنا ماضٍ فيه"[١].

لقد لاحظت الفرق بين الجوابين، إنك تراه لم يتعرض لذكر مصيره المترتب على خروجه إلى العراق، ولم يصرح بعلمه بأنه سيُقتَل، وما ذاك إلا لأن السامع لا يحتمل أن يسمع أن الحسين عليه السلام يخرج وهو يعلم بمقتله.

ولا شك أن وجود ابن الزبير كان المانع من التصريح، فقد وردت روايات أخرى تدل على معرفة ابن عبَّاس بما ينتظر الحسين عليه السلام، وما هو صائرٌ إليه.

ومن نماذج ذلك ما روي عن ابن عباس أنه قال: صدقت، أبا عبدالله، قال النبي صلى الله عليه وآله في حياته: ما لي وليزيد، لا بارك الله في يزيد! وإنه يقتل ولدي وولد ابنتي الحسين عليه السلام، والذي نفسي بيده، لا يُقتل ولدي بين ظهراني قوم فلا يمنعونه إلاَّ خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم"[٢].

ثانياً: حينما يصرِّح الحسين عليه السلام بكل أهدافه التي يريد الوصول لها فإنه لن يستطيع بلوغها، لأن مخططه أصبح مكشوفاً للعدو وسيتحركون ضد مخططه .

وكمثال على ذلك : لو صرَّح الإمام الحسين عليه السلام بأن حمله للنساء كان بغرض إيصال رسالة النهضة المباركة لأبعد مكان، ويهدف منه فضح الأمويين، وبيان المظلومية، بحيث تغزو يزيد في عقر داره، وتتركه أسير أفعاله، ورهن أوضاع مضطربة، لَتَحَرَّكَ الأمويون ضد هذا الهدف، فمنعوا زين العابدين عليه السلام والنساء عليهن السلام من إلقاء الخطب أوالحديث مع الناس .

إن مظاهر السبي التي شاهدها الناس كانت مثار حنق في قلوبهم، وإن الخطب التي ألقاها الإمام زين العابدين عليه السلام على مسامع الجماهير وقذفت بها الكبد المقروحة للسيدة زينب عليها السلام أروع بيان عن المظلومية، وهذا ما دعا يزيد

(١) بحار الأنوار : ٣٦٤/٤٤.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٣٠٦.

لأن يتعجل برحيل الرّكب الحسيني خشية الاضطراب، ومخافة الانقلاب.

لعل هذا من أسباب عدم إيضاح الحسين عليه السلام هدفه، وإفصاحه التام عن مرامه، وما ذكره كان بدون تفصيل، فقد كان يقول: «إن الله قد شاء أن يراهن سبايا»[1]، وهي عبارة تحمل في طياتها صحيفة من الأهداف لا يمكن البوح بها.

(١) بحار الأنوار: ٣٦٤/٤٤.

الفصل الثاني:

أهداف يوم كربلاء ونتائجه

من الأمور التي ينص عليها الدارسون للتاريخ أن الإمام الحسين عليه السلام كانت له أهداف يروم الوصول إليها من خلال رحلته إلى أرض كربلاء المقدسة.

إن الجميع يقر بذلك، وإن اختلفوا في تحديد هذه الأهداف التي من أجلها استعدت لأن تتهاوى نجوم الأرض من آل عبد المطلب، ولتحقيقها أريق ذلك الدم الزاكي.

وهناك مجموعة من النتائج خلّفتها واقعة كربلاء، وقد حاول مجموعة من الكُتّاب رصد تلك النتائج وتسجيل تلك الآثار.

وهنا يقف الباحثون بين الأهداف والنتائج، ويحاولون تسجيل العلاقة بينهما من أجل الإجابة على بعض تساؤلاتٍ تُطرح في هذا المجال.

وللباحثين رأيان في هذه المسألة:

١ـ منهم من يصر على وجود العلاقة بين الأهداف المنشودة والنتائج المحققة.

٢. وفي قبالة هؤلاء من لا يقر بوجود تلك العلاقة.

ولا شك أننا حينما ندرس حدثاً معيناً لا بد وأن نلاحظ فيه كل ملابساته، وخصوصاً أننا أمام حدثٍ جليل، لا مثيل له في التأريخ، فإن الأيام لم تسفر عن تضحية تذهب خلالها خيرة أهل الأرض والنخبة الصالحة في المجتمع وأهل البصائر.

ونحن أمام شخصٍ يقود هذه الثلَّة، ويتقدمهم، وهو سيد العقلاء والإنسان الكامل على وجه الأرض، وتحيط به مجموعة من إشراقات الغيب، تُضيء له المستقبل، فيرى بها ما خلف أكمة الحياة المعاصرة؛ ليعرف بذلك دقائق المستقبل الذي ينتظر صيحاته وأراجيزه وخطبه وفداءه.

لا يمكن لباحث أن يغض طرفه عن أي ناحية من هذه النواحي، ولا يسعه أن يتعامل مع هذا الحدث من ناحية تاريخية مجردة عن كل هذه الهالة الاعتقادية.

وأعتقد أن الحدث لو كان مجرداً عن هذه المميزات لأمكن لنا أن نقول ليست هناك ضرورة تفرض علينا إيجاد العلاقة بين الأهداف والنتائج.

فقد يسعى الفدائي لرفع الظلم عن الناس بعمله وجهاده، ولكن الأمر يكون خلاف ما طلب، فترى الظلم يزداد، وتموت كل تلك الأهداف، وتتساقط كل الأمنيات كما تتساقط أوراق الخريف.

وقد يكون عكس ذلك، فيكون الهدف بسيطاً، ولكن آثار العمل ونتائجه تكون أكبر مما كان يؤمَّل.

ولا شك أن الحركة الواعية لابد وأن تكون قد قاست الظرف الذي تعيش فيه، فعرفت ما يمكن أن تحقق من خلال هذه المجموعة التي تعيش معها، ومن خلال المعطيات التي تشاهدها بين يديها .

ولهذا فإننا لا يمكن أن نقول إن الأنبياء والمصلحين يعملون وأمامهم أمل يحدوهم نحو العمل وهو إصلاح كل المجتمع.

إن هذا الأمر لا يمكن اعتباره هدفاً يسعى لتحقيقه الأنبياء في ظرفهم الذي يعيشون فيه ؛ لأن ذلك يعني أنهم يريدون أن تتبدَّل السنن الاجتماعية، وأن تتدخل المعجزة في هذه القضية.

ويمكننا القول بأن إصلاح المجتمع بشتى فرقه، وتسليم قيادة أهل الأرض بيد القادة الإلهيين، يعتبر هدفاً لكل حركات الأنبياء والأوصياء.

وهو هدف مطلوب، وأمر يرغب في الوصول له كل محب للعدالة، وما حركاتهم ودعواتهم إلا خطوات نحو هذا الأمل المنشود لكل الشعوب، تتناغم مع الرغبة الكامنة في نفوس العالم أجمع.

إن هذا الإصلاح الذي يشمل الأرض، فتُملأ قسطاً وعدلاً كما مُلِئَتْ ظلماً وجوراً لو كان هدفاً قريباً تريد الحركات السماوية تحقيقه في الزمان الذي تعيش فيه، لأمكننا اعتبارها حركات غير متلائمة مع قابلية المجتمعات التي تعيش فيها، ولأمكن تسمية أهدافها بالأحلام.

إن الأمر لكي يصح إطلاق تسمية الهدف عليه لابد أن يَتَّسِمَ بالواقعية، فيلاحظ الظروف التي تعيشها الحركة، ويرقب المعطيات التي يتحصل عليها من خلال دراسته، ثم على ضوء تلك المعطيات يبني أهدافه ويصوغها.

إن الإمام الحسين عليه السلام أمامه مجموعة من المعطيات، ومنها :

ـ إخبارات السماء التي كانت عنده، والمتمثلة في أحاديث قالها جدُّه الرسول صلى الله عليه وآله، أوعلم تفوه به أبوه عليه السلام.

. وعنده مواقف كانت لأسرته في سبيل الإصلاح.

. وبين يديه علم تمده به السماء.

. وأمامه ما يتناقله المسلمون من أخبار عن المجتمع الذي يعايشه، بل ويرى بأم عينه، كيف أن الحقَّ لا يُعْمَلُ به، والمُنكَرَ لا يُتَنَاهَى عنه.

إن شخصاً عنده كل هذه المعطيات المتعددة لابد أن تكون الأهداف التي يرمي الوصول إليها أهدافاً واقعية، وهذا ما نعتقد وجوده عند الإمام الحسين عليه السلام، فقد كانت أهدافه هي عين النتائج التي وصل لها.

ونظرة ثانية ...

إن الإمام عليه السلام كان أمام تكليف إلهي قد شُخِّص فيه الحكم السماوي، وهذا ما عبَّرَ عنه الإمام عليه السلام بأن الرسول صلى الله عليه وآله قد أمره بأمرٍ، وهو ماضٍ فيه.

وإني أتساءل بحق : ما الفرق بين الهدنة التي كانت بين الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية والشهادة التي نالها سيد الشهداء عليه السلام؟

كلاهما تكليف إلهي، إلا أن الإمام الحسن عليه السلام كان حياً بعد الهدنة، واستطاع أن يوضح المصلحة الكامنة وراء ذلك الأمر، وأن يعلن الهدف من الهدنة.

وأما سيد الشهداء عليه السلام فكان حديثه سابقاً لعمله، مما قد يكون مانعاً من أن يتحدث بما يعتبر إفشاءً لأمرٍ يُراد الوصول إليه.

إن هذا الإيضاح مبني على رفض النظرية التي تقول بسقوط نبي أو إمام دون الوصول إلى أهدافه، بل إن عمل المعصوم ما هو إلا حلقة في سلسلة متصلة بالهدف الأعظم، فكلما جاء نبي أو إمام حقق هدفه المرحلي ثم غادر الدنيا ؛ ليتسلم زمام الأمر ورثة الأنبياء والمرسلين.

ولو دققنا في سيرة العترة الطاهرة لرأينا أنهم يحققون أهدافهم التي يرومونها رغماً على أنف كل ممانع .

ويا لدقة لمحة يشير لها قسم من الباحثين حينما يقولون: إن عمل المعصوم يحمل بين طياته هدفين، ويكون له بُعدان يريد الوصول لهما.

بُعْدٌ قريب يلاحظ فيه الزمان الذي يعيش فيه والمجتمع الذي يعايشه، وبُعْدٌ آخر ناظر إلى المستقبل ومرتبط بالماضي الذي خلَّفَهُ له الإمام السابق عليه.

وهنا تتجلَّى روعة التخطيط السماوي والعمل الرسالي، فهو مرتبط بما سبقه

وناظرٌ لزمانه ومُمَهِّدٌ للمستقبل، إنها حلقات من سلسلة واحدة.

إن هذا الأمر يستدعي أن تكون دراسة حياة الأئمة عليهم السلام مترابطة، يعرف السابق للمرحلة المدروسة ويلاحظ اللاحق بها.

وهذا ما يعطيها بعض الصعوبة، فلو كانت قضاياهم عليهم السلام قضايا تاريخية عادية، لا ربط لها بما سبق ولا بما سيأتي، لأمكن تحليلها ودراستها بنحو أسهل، ولكن إذا ما طُلِبَ من الدارس أن يوجد العلاقة بين الحوادث وبين الأهداف المختلفة للعترة الطاهرة عليهم السلام، بحيث تكون متلائمة فيما بينها، فإن الأمر يأخذ شيئاً من الصعوبة، ويحتاج إلى دقة نظر، وإن كان ذلك يضمن الاقتراب من الحقيقة أكثر .

الفصل الثالث:

فئة واحدة أم فئات

الجراح النازفة على التراب المقدس... الرؤوس المعلنة عن قسوة الجزار... صيحات الأطفال... صراخ النساء... لهيب الخيام... جثث القتلى ... كل ذلك من يخاطب؟

كربلاء بما حملت من نماذج بطولية، وبطولات منقطعة النظير، وإباء تنحني أمامه شم الجبال، وإصرار تركع تحت ظلاله أعتى هوج الرياح.

وبما حملت من آلام أبكت كل صديق وعدو، فرفعت السماء شعارها مخضبة جبينها من دم الشهادة ؛ لتعلن شهودها لسفك دم الإسلام يوم هوى نجم الهداية ساجداً.

لا شك أن المستقبلين لهذه الصور المتعددة مجموعة من الناس تمتد على امتداد البسيطة، وأول هؤلاء هم من يطلق عليهم (المسلمون)، فهل كانت استجابتهم واحدة أم أنهم مختلفون فيها، وباختلافهم اختلفت الآثار.

من هؤلاء المسلمون ؟

قسم من الدراسات قد تعاملت مع المجتمعات التي عاشت سنة ٦١هـ على أنها تكتل إسلامي، ينضوي تحت فكر مُوَحَّدٍ لا متشابه فحسب.

مع أن الواقع التأريخي يشهد بأن المسلمين بل من كان منهم قريب كربلاء، ومن حضر تلك الواقعة لم يكونوا أصحاب توجه موحَّد.

إن الدولة الإسلامية كانت تعيش فيها مجموعة من التكتلات، وقد برزت ملامحها واضحة بعد أن أغمض النبي عليه السلام جفنيه ؛ ليشيح ببصره عما يذيب فؤاده.

لقد كانت هناك سلطة أموية، ولا شك أنها تعيش أفكارها الخاصة ومطامعها، وينضوي تحتها مجموعة من الناس [1].

فهذه السلطة وإن مارست التضليل الإعلامي، محاولة استغلال كل ما أخبرت به الأحاديث من قدسية لخليفة النبي عليه السلام ليكون لها، إلا أن هناك من كان يدين لها بالطاعة ويسير في ركابها ويؤمن بمقولاتها.

وقد رفع هذا التكتل السياسي صوته يوم واجهوا سيد الشهداء عليه السلام، فكانوا يقولون : نقاتلك بغضاً لأبيك.

والذي أستقربه أن كثيراً من المقولات الشديدة التي خوطب بها الحسين عليه السلام وأنصاره كانت تعبر عن تكتل لا عن تضليل إعلامي .

أننا نعيش بعد أكثر من ألف وثلاثمائة سنة من الواقعة ومع ذلك نلاحظ أن المسلمين لا يمكن أن يقبلوا أن الحسين عليه السلام لن يكون مصيره إلى الجنة، ولا يمكنهم أن يقابلوا الحسين عليه السلام بمثل ما قوبل به يوم كربلاء، وإن حاول بعضهم أن يصحح عمل الأمويين ويضع أسباباً تبرر تلك الجريمة العظمى.

فكيف يمكن أن نقبل أن أولئك مضللون إعلامياً في دينهم، وكأن الأمر قد

---

(١) فمما كتبه معاوية إلى أمرائه وعماله: "انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل بيته وأهل ولايته الذين يروون فضله ويتحدثون بمناقبه فادنوا مجالسهم وأكرموهم". بحار الأنوار : ٣٢/ ١٨٠.
وتحدث التأريخ عن عائشة وطلحة والزبير والجيش الذي قصد حرب أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل: "وقصدوا البصرة ؛ لعلمهم أن جمهور أهلها من شيعة عثمان". كتاب الجمل: ١٣٦.
وقال حسان بن ثابت:

لتسمعنَّ وشيكاً في ديارِهُمُ اللهُ أكبرُ يا ثاراتِ عثمانا

الجمل : ٢١١.

غاب عنهم، وأصبح لهم من الدين ما يمنعهم من القيام ضد يزيد، وهم الذين لا يزالون يسمعون الأحاديث على لسان صحابة رسول الله عليه السلام، والتي تنص وتعلن: بأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة.

إن أولئك لم يقولوا للحسين عليه السلام: إنك أخطأت في اجتهادك، بل قالوا: إن صلاتك لا تقبل، وإن مصيرك إلى النار.

هذه العبارات كان وراءها معتقد، ولا يمكن القول بأنها صادرة من خلال تضليل إعلامي، بل هي عقيدة ضالة[1].

مع أننا لا نُغْفِلُ وجود فئة مضللة إعلامياً قد انطلى عليها كثير من الباطل.

وأن هناك فئة أخرى تقدس الحسين عليه السلام ولا تعتقد إمامته، وهؤلاء تكتل آخر.

وهناك فئة تعتقد إمامته، وقد غابت عن الواقعة إما لبعد المكان، أو لكونها وراء قضبان السجون.

هذه التكتلات المختلفة لا شك أن الخطاب معها يختلف، ولا بد أن تكون النتائج التي خلفتها الواقعة عليها مختلفة أيضاً، ولذلك لا يمكننا أن نعمم آثار كربلاء على جميع المسلمين بنحو واحد.

الأمة الضالة:

إذا رجعنا إلى تلك الفئة الضالة، والتي بدت ميتة الضمير إذ بايعت يوم الغدير وانقلبت على البيعة وأهلها، فإن امتدادها أولئك الذين كانوا يحملون

---

(١) يمكن أن نقول: إن الفئة التي أطلقت مثل هذه العبارات على قسمين:

١. من كانت له عقيدة ضالة.

٢ـ من أطلق هذه العبارات تبريراً لموقفه، وهو يعلم بأن الحسين عليه السلام على حق، فلا يمكننا التصديق بأن عمر بن سعد يؤمن بقوله: "احرقوا خيم الظالمين".

فإنه في قرارة نفسه لا يؤمن بأن الحسين عليه السلام وأصحابه ظالمون، ولكن ليبرر لنفسه ولمن حوله سوء عمله.

تلك العقيدة الضالة تجاه الحسين عليه السلام، فقد وقفوا ضده في كربلاء، لا يسمعون صوته الذي يحيي الضمير، أو يسمعونه ولا يفهمون لغته الإلهية.

إن هؤلاء لا يُرتقب أن تأخذ كربلاء منهم أي مأخذ، فلا الضمير فيهم سينبعث من سباته، ولا القلوب ستتجاوب مع صرخات الحسين عليه السلام المدوية، فقد حليت الدنيا بأعينهم وراقهم زبرجها، فأنى يستيقظون.

فـ«لَعَنَ اللهُ أمةً قَتَلَتْك، ولَعَنَ اللهُ أمةً ظَلَمَتْك، ولَعَنَ اللهُ أمةً سَمِعَتْ بذلك فرَضِيَتْ به»(١).

الأمة المهتدية:

وهي التي بقيت حية الضمير، فقد عرفت إمامها، وحالت دونها الظروف أن تعبر عن إخلاصها.

وهؤلاء هم الذين فهموا لغة الحسين عليه السلام، فكانت مذكية لحماسهم، وباعثة لعزائمهم، تمنع آنافهم أن ترغم بالذل، قد حملوا دم الحسين عليه السلام المضمخ بأريج النبوة بين حنايا ضلوعهم، لينتشقوا من عبير الفداء ما يبقيهم أحراراً.

---

(١) مفاتيح الجنان: ٦١١.

الفصل الرابع:

كربلاء والثورات

لم تكن كربلاء أول ثورة [1] في تأريخ الإسلام من حيث الترتيب الزمني، بل سبقتها ثورة الممتنعين عن دفع الزكاة، والتي قوبلت بما يسمى بحروب الردة [2].

وكانت بعدها الحركة التي قادها بعض المسلمين ضد عثمان، وهي ثورة من الثورات، وقد أدت إلى مقتله.

وإذا رجعنا إلى كتب التأريخ يمكن أن نرصد مجموعة من الثورات خرجت بعد واقعة كربلاء .

ولذلك فإنه لا يسع الكاتب إلا أن يقر بأنها واقعة قد سبقت بثورات ولحقتها ثورات عدة .

والتساؤل الذي يلح على الباحثين يدور حول الرابطة بين الثورات المتابعة ويوم كربلاء المقدس.

إن الذي يراه القارئ للتاريخ أننا لا يمكن أن نجد في كل الثورات شواهد

---

(١) يختلف الباحثون في التعبير عن كربلاء، فمنهم من يسميها ثورة، ومنهم من يطلق عليها نهضة، وآخرون يسمونها حادثة، وفي التعبيرات الروائية يردالتعبير بـ: قيام الحسين عليه السلام.

(٢) وليس كل من امتنع من أداء الزكاة حينها مرتداً، فبعضهم منعها لعدم اعترافه بالحاكم الأول، ولعلمه أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الخليفة المفترض الطاعة في الغدير، كما أن هناك قسماً قد ارتدّ عن الإسلام، ومن أراد الاستزادة فليرجع لشروح نهج البلاغة وكتب التاريخ.

التأثر بكربلاء، أو لا يسعنا اعتبارها صدى لموقف الإمام الحسين عليه السلام، لا من حيث الدوافع، ولا من حيث المبادئ التي قامت على أساسها.

وإن ما درج عليه قسم من المؤلفين من سرد مجموعة من الثورات، ثم محاولة ربطها بكربلاء؛ لاشتراكها في لغة الدم والمواجهة، هو أمر فيه تسامح كبير، فإن واقعة من الوقائع المشهورة، وهي ثورة أهل المدينة، مع أنها قامت تستنكر أعمال يزيد وجرائمه وفسقه، لكننا حينما نستقصي الأمور التي استنكرتها شخصيات تلك الثورة لا نصادف ذكراً لقتل الحسين عليه السلام.

والأمر الأدهى أن الذين ثاروا على يزيد لم يكفهم قتل سيد الشهداء عليه السلام دليلاً على فسق يزيد وضرورة خلعه، بل كانت -مع بالغ الأسف- تعتبر المحرمات التي كان يرتكبها يزيد وتضييقه الاقتصادي عليهم أهم عندهم من قتل سيد شباب أهل الجنة عليه السلام!

إن تلك الأعمال التي قام بها يزيد كسرت الحاجز عندهم، وسوغت الثورة لعزل يزيد، لكن قتل الإمام الحسين عليه السلام لم يسوّغ ذلك لهم.

ليت شعري ما هذا الجفاء لأهل هذا البيت عليهم السلام؟! وما هذا التعامل مع سر عزتهم؟! فلو أن يزيد ترك شربه للخمر وأعرض عن ارتكابه للمحرمات، ولم يضيق عليهم في معيشتهم؛ لكانت طاعته واجبة، فهو إمام زمانه، ولا يجوز الخروج عليه حسب معتقد بعض تلك التكتلات.

لقد كان صوت كربلاء مختلفاً، وكان خطابها: بأي حق يجلس يزيد على كرسي الحكم ليدعي أنه إمام زمانه ولو كان زاهداً عابداً؟ ولا شأن لممارساته بأهليته للخلافة من عدمها.

شتان بين هذين المنطقين: منطق الراضي بالطريقة التي نُصِّبَ بها يزيد خليفة لرسول الله صلى الله عليه وآله!! بشرط أن تكون سيرته مقبولة، ومنطق الرافض لتلك الطريقة سواء جاءت بيزيد أم بعمر بن عبد العزيز.

ويمكن أن نقول : إن هناك اعتراضين على جلوس يزيد على كرسي الحكم، وهما :

الأول : جلوسه في هذا المنصب، ودعواه أنه أمير المؤمنين وخليفة سيد المرسلين .

الثاني : تجاهره بالفسق والفجور.

أما الاعتراض الأول فيشترك معه فيها غيره ممن سبقه، وهو يكفي للنهوض ضد من يتلبس بذلك، ولكن ربما يكون القيام ضده معارضاً بحصول مفسدة أعظم، فيجلس الإمام، ولا يقوم .

ولقد جلس أمير المؤمنين عليه السلام، ولكن بعد أن أبدى اعتراضه، وبيَّن للملأ أنه هو الإمام، ومن قام مقامه غير مؤهل ولا مُنصَّب .

وأما الاعتراض الثاني فيختص بيزيد؛ لأنه كان يتظاهر بارتكاب الفواحش، ولا يبالي صغيراً ولا كبيراً.

لقد كان صوت كربلاء جهيراً بالنكير على الأمرين، ورافضاً لجلوسه في منصب الأولياء والأئمة من جهة، ومن جهة أخرى كان منكراً أفعاله التي تجاهر بها.

إن هذا الطريق شقه الحسين عليه السلام وحيداً، فأخذ يصارع أمواجه حتى صرعها، ولا أجد قسماً من تلك الثورات يسير معه في طريق ولا يلتقي معه في شعار.

إن هذه الملحوظات تمكننا من القول بأن تلك الثورات لا تستمد من كربلاء أفكارها، ولا تسير في طريقها، ولا تترسم خطاها [1].

---

(١) هذا بالإضافة إلى أن ثورات كثيرة كانت من أجل الحكم فقط خاصة في أيام عبد الملك بن مروان كثورة ابن الأشعث على الحجاج، وخلعه عمه عبد الملك . مروج الذهب : ١٣٨/٣- ١٣٩ وغيرها.

ولا يمكن إغماض العين عن أثر واقعة كربلاء في رفع الحاجز الذي جعل سياجاً حول من تلبس بهذا المقام، فقد فتح باب الاعتراض على مصراعيه، وأطلق الأفواه بعد طول تكميمها.

من هم المستهدفون بالثورات ؟

إن خطاب الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء كان موجهاً إلى شريحتين، وهما:

الشريحة الأولى: وهي المستولية على المناصب، والمتصلة بالحاكم في الشام .

وهؤلاء كان يخاطبهم الحسين عليه السلام بأن يجعلوا له مطلق الحرية في الرجوع إلى المدينة أو الذهاب في ما شاء من أرض الله عز وجل[1].

الشريحة الثانية : وهم عامة الناس، والذين كانوا يقدّسون الحسين عليه السلام فقط، أو كانوا يقدّسونه ويعتقدون إمامته.

لقد خاطب هؤلاء معدداً خصاله وميراثه من رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم وضعهم أمام هذا الكم الهائل من الأوسمة التي يحملها من السماء، ليسألهم بعدها :

هل يحل لكم سفك دمي؟ أتوجد مبررات لقتل ابن بنت رسول الله وسيد شباب أهل الجنة ؟[2].

وفي النهاية تحملت السلطة وتحملت الأمة مسؤولية القتل وسفك الدماء الطاهرة.

---

(١) قال عليه السلام: "دعوني اذهب في الأرض العريضة حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس".

وقال عليه السلام يخاطب رسول عمر بن سعد: "كتب إليَّ أهل مصركم هذا أن اقدم، فأما إذا كرهتموني فانا انصرف عنكم". بحار الأنوار : ٣٨٤/٤٤.

(٢) مما قاله عليه السلام: ((أولم يبلغكم ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة ... اما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟)). بحار الأنوار : ٤٥/٦- ٧.

ويمكننا أن نلاحظ أيضاً أن الثورات المرتبطة بالحسين عليه السلام كانت موجهة لهاتين الشريحتين، فمن هذه الثورات ما قصدت الحاكم كثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي والمسيب بن نجبة الفزاري [١]، وثورة زيد الشهيد عليه السلام [٢]، وقد قصدت كلتا الثورتين السلطة الحاكمة في الشام، رغم أن قتلة الحسين عليه السلام موجودون في الكوفة.

ومن هذه الثورات ما قصد الأمة المشاركة في قتل الحسين عليه السلام، كثورة المختار رضوان الله تعالى عليه، والتي استهدفت قتلة الحسين عليه السلام وتتبعتهم في كل الأرض.

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٥٧- ٢٥٩، وغيره.
(٢) مروج الذهب: ٣/٢١٧- ٢١٩، وغيره.

الفصل الخامس:

ثمار يانعة من غرس كربلاء

كانت أيام كربلاء عاصفة تغيير، بعثرت كل أوراق النفاق، ولملمت شمل الإيمان المتناثر، ولنا في هذه الوقفة محاولة لرصد بعض من تلك الآثار، وهي:

١. زعزعة الملك الأموي.

٢. إبقاء خط العودة مفتوحاً.

٣. مهابة السلاطين من العلويين.

٤. إبقاء الروح الجهادية مشتعلة.

٥. الاستهانة بالموت.

٦. الإعداد لعصر الظهور.

٧. إيجاد ملتقى للشيعة.

٨. محطة التزود الإيماني.

٩. تجلي الرحمة الواسعة.

◆◆◆◆◆

أولاً: زعزعة الملك الأموي:

أي مصير كان بانتظار جهود الأنبياء؟

وأي خاتمة ستكون لمعاناة المرسلين؟

وأي نتائج ستحصدها مكابدة الأوصياء مع أممهم عبر التأريخ؟

مُدَّ عينيك مُتفحصاً كل حلقات النبوة فستجدها قد تلونت بلون الجهاد،

وتعطرت بمسك المعاناة والصبر، وهم يدعون إلى الله وحده.

فنبي يصنع سفينته ونظرات السفهاء تتابعه بالاستهزاء، بعد قرابة ألف سنة لم يحصد فيها إلا القليل، ونبي يُلقى في نار شب أوارها، ورمت بشررها، وقد تحزب الباطل من حولها...، فإذا ما بلغت نهاية الحلقات فستسمع آهة تتضعضع لها مفاصلك، فقد صحبتها حروف تبلجت من فم خاتم الأنبياء عليه السلام، معبراً عن ألمه وصبره بقوله: "ما أذي نبي مثلما أوذيت"[(1)].

نفسي فداك يا قلب الرحمة، وياجبل الصمود، لم تثنك الحجارة المتعاقبة على عقبيك يوم الطائف، ولا المترامية على دارك، ولم ترهبك أراجيز مصاصي الدماء...فأنت أنت، وكما أرادتك السماء.

لملمت نثار الدعوات الإلهية يوم بعثت للثقلين، ومسحت جبين النبوة إذ بنيت صرح التوحيد، ونثرت الورد على هامات الموحدين يوم قلت من كنت مولاه فهذا علي مولاه...

لقد اطمأن نوح في قبره، وهدأ روع موسى من الفراعنة، وتنهد إبراهيم بنهاية النمرود...؛ فقد انعطفت مسيرة الأنبياء والمرسلين نحو الإمامة الإلهية، وسيظل خط البشرية موصولاً بالسماء، ولن يغلق الباب في وجوه الخلق.

هكذا كانت قافلة الهداية تغذ في السير، وقد احتشد في سمعها صوت آدم ونوح وإبراهيم عليه السلام ومن جاء قبله وبعده، فما راعها إلا تسابق أيدي الغرباء، لتناول زمام المسيرة، وقد يُمم بها شطر البيت الأموي، وأريد لها أن تستقر هناك لتلفظ أنفاسها، فتختنق أصوات المرسلين، فقد ارتفع صوتهم هاتفاً بالقول:

---

(١) بحار الأنوار: ٥٦/٣٩.

لعبــت هاشــم بالملــك فــلا خبــر جــاء ولا وحــي نــزل[1]

أي صوت هذا الذي أفزع أرواح الأنبياء والمرسلين؟ وأي نعيب يرقص له أعداء المصلحين.

هكذا أرادوا، ولكن ها قد ارتفع صوت تجاوبت معه كل زوايا العالم... هيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت، وحجز طهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيه[2].

◆◆◆◆◆

وما كان الدم المراق في سبيل الحق ليهون على ربه ﷻ، بل كان هو الآخذ بثأره والطالب بدمه.

وما كان الحسين عليه السلام ليلقي نفسه بين السيوف والرماح لتنهل من دمه وتتشح بقاني مهجته، إلا وهو يعلم أن ما يطلبه سيحصل له، وأن هذا الأمر الذي حشد من أجله الشيطان أعوانه لا بد أن يشتت شمله، ويتهاوى بناؤه.

وتمَّ له ما أراده، فما لبثت الدولة إلا قليلاً حتى نعب الغراب بأفنيتها، وتداعت شرفاتها؛ لتلفظ أنفاسها.

لقد طوقها دم الشهادة، وأحكم قبضته عليها حتى سقطت، وسقط مبدؤها معها.

ليت شعري، ما الذي جعل كل بناء بناه معاوية يتهاوى؟ وما الذي أيقظ الناس حتى هبت من سباتها؟ وما الذي نبهها فراحت تحلم بعدل يزن أيامها، وتسعد تحت ظلاله؟

وما الذي تغير في الناس حتى كانت الدعوة المستقطبة هي الدعوة للرضا

---

(١) تاريخ الطبري : ١٨٨/٨.

(٢) شرح نهج البلاغة : ٢٥/٣.

من آل محمد؟ وما الذي تبدل حتى كان تنصيب الإمام الرضا عليه السلام ضرورياً لاستقرار ملك بني العباس؟

◆◆◆◆◆

وقفت السيدة زينب عليها السلام تخاطب حاكم الأمويين متحدثة عن دنياه، فقالت: «وهل رأيُكَ إلاّ فَنَد، وأيامُكَ إلاّ عَدَد، وجمعُكَ إلاّ بَدَد »[1].

وحدثته عن آخرته، فقالت:

«فوالله ما فَرَيْتَ إلا جِلْدَك، ولا جَزَزْتَ إلاّ لحمَك، ولَتَرِدَنَّ على رسول الله بما تحمَّلْتَ مِنْ سَفْكِ دماءِ ذريَّتِه ... حسبك باللهِ حاكماً، وبمحمدٍ خصيماً»[2].

إنها مواقف مستقبلية توعَّدَت بها الحوراءُ زينبُ عليها السلام طاغيةَ زمانِها، وأوضحت له أثر عمله وواقع ما قام به.

ويمكن تلمس شيء من مصاديق هذه الكلمات حين نقف عند أمرين، وهما:

الأمر الأول:

لقد تزعزع الملك السفياني، بل تهاوى، وخرج من بيوتهم ليحط رحله عند المروانيين بعد يزيد.

فما السر في هذا التحول؟ يقول الإمام الصادق عليه السلام: "إن آل أبي سفيان قتلوا الحسين بن علي عليهما السلام فنزع الله ملكهم"[3].

الأمر الثاني:

لقد خرج زيد الشهيد طالباً بثأر جده الحسين عليه السلام، وما انتهت حركته إلا

---

(١) بحار الأنوار : ١٣٥/٤٥.

(٢) بحار الأنوار : ١٣٤/٤٥.

(٣) ثواب الأعمال : ٢٢٠.

يوم هوى صريعاً، فحفته قلوب الأولياء نادبة، وقد اتشحت بالسواد.

مشهد يحزن كل واقف على جسد الصريع الدامي، ولكنه لو رفع رأسه للسماء، وفتح الله عز وجل بصره ليرى ما يجري وراء الغيب لشاهد أمراً عظيماً... لقد صاحبت قطرات دمه الطاهر إيذان الله تبارك وتعالى في زوال ملك الدولة الأموية والممتدة بآل مروان(١).

فكانت خاتمة المطاف أن سقط الأمويون بسيوف الدولة العباسية، وقد رفعت شعار (يا لثارات الحسين)، وإن كانت تهدف لكسب الجماهير(٢).

ولا يخفى أن القضاء على البيت الأموي هو إنهاء لحزب من أشد الأحزاب عداوة للإسلام وأهله.

إنها نهاية تضاف إلى رصيد الإمام الحسين عليه السلام، وهي من حصاد كربلاء

---

(١) "كتب الحجاج إلى عبد الملك: إن أردت أن يثبت ملكك فاقتل علي بن الحسين، فرد عليه: جنبني دماء بني هاشم". الصراط المستقيم: ٢/١٨٠.

"وكان عبد الملك قد كتب إلى الحجاج وهو على الحجاز: جنِّبني دماء آل أبي طالب، فإني رأيت آل حرب لما تهجموا بها لم ينصروا". تاريخ اليعقوبي: ٢/٢٠٤.

"عن داوود الرقي قال: سأل أبا عبد الله عليه السلام رجل وأنا حاضر عن قول الله: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝﴾ [المائدة: ٥٢]، فقال: أذن في هلاك بني امية بعد إحراق زيد بسبعة ايام". بحار الأنوار: ٤٦/١٩١.

وبدأ العد العكسي للدولة الأموية بعد قيام يحيى بن زيد الشهيد بالطلب بثاره. تاريخ اليعقوبي: ٢/٣٢٦.

وعبر أمير المؤمنين عليه السلام: عن دولة بني أمية قائلاً: "إن لبني امية مروداً يجرون فيه، ولو قد اختلفوا فيما بينهم ثم كادتهم الضباع لغلبتهم". نهج البلاغة، رقم ٤٦٤ من فصل (كلامه الغريب) ص٥٥٧.

(٢) " ولما أتي أبو العباس برأس مروان ووضع بين يديه سجد فاطال السجود، ثم رفع رأسه فقال: الحمد لله الذي لم يبق ثاري قِبَلَكَ وقِبَلَ رهطك، والحمد لله الذي أظفرني بك وأظهرني عليك، ثم قال: ما أبالي متى طرقني الموت، قد قتلت بالحسين وبني أبيه من بني أمية مائتين، وأحرقت شلو هشام بابن عمي زيد بن علي، وقتلت مروان بأخي إبراهيم ". مروج الذهب: ٣/٢٧١، ولا أظنك غافلاً عن أن العباسيين وإن لم يكونوا مخلصين إلا أن الأمر قد حصل نتيجة فعلهم، وإن لم تخلص نياتهم.

التي هدَّت بمصابها قلوب الأولياء، ولكنها هدمت بكل قطرة عرش الحزب الذي أخرج راسه من مغرزه، فلقد تهاوى ذلك العرش، وغدا هشيماً تذروه رياح الحسين عليه السلام.

ثانياً: إبقاء خط العودة مفتوحاً:

لقد تاهت الأمة بعد شهادة الرسول صلى الله عليه وآله، وبعد أن أغمض جفنيه مخلِّفاً فيها كتاب الله وعترته أهل بيته، فراحت تخبط في سيرها، فترى عجباً.

وتكررت تجاربها حتى عادت لرشدها بمحض إرادتها يوم تكافت عن زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام، معلنة الطاعة له.

وبين يديك تجربة واضحة، كانت فيها الأمة مالكة لأمرها، ومحددة لمصيرها، فاستطاعت أن تغير الحياة من حولها، وجاءت لتستظل تحت الشجرة الهاشمية... فقد كانت الخيارات مفتوحةً.

ولك أن تتصور بعد هذا المستقبل الذي كان ينتظر الخلافة لو تحولت إلى ملك أموي دون ممانع أو رادع.

إنني أجدك وقد رأيت الأبواب قد سدت أمام رجوع الأمة إلى أهل الحق، ولأصبحت محصورة في بني أمية، يتركها أموي ليستولي عليها آخر منهم، فإن الأمة لا خيار لها في ملك خاص ببني أمية.

ألم تقرأ تخوف الطامعين في الخلافة من وصولها لعلي عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أصحروا عن رأيهم، وأبدوا تخوفهم من انتقال الأمر من هاشمي لآخر، لأنها لن تخرج بعد ذلك منهم إلى غيرهم، إنها حقيقة أدركوها فمنعوا من تحققها.

ولو تمت الخلافة لبني أمية للبثت فيهم، وما أمكن إخراجها، ولأصبح الإيمان بخلافتهم من أصول الدين التي يكفر المسلم لعدم اعتقاده بذلك.

لقد كان صوت كربلاء أرفع نبرة من كل صوت أموي، وأهازيج الهاشميين على ربوات الطف تتراجع أمامها جيوش الدعاية الأموية.

إن مواقف كربلاء، نبَّهَت الأمة إلى فساد هذا الحكم، وجرَّدَت عنه كل شرعية، وسيبقى هذا الإنكار حياً مادام التأريخ يحمل صوتَ الحسين المُنكِرَ على يزيد ملكه.

ثالثاً: مهابة السلاطين من العلويين:

وجاء الحسين عليه السلام كربلاء يحمل روحه على كفيه، هازئاً بالموت، ومستريحاً لنهاية هي بداية الخلود.

لقد جمع الدماء التي نزفتها قرابين الشهادة؛ لينثرها في قلوب الأحرار، فتكون شجرة باسقة يتفيأ الناس ظلالها، وشوكة تدمي عيون الظالمين.

فلا الرماح المشرعة، ولا السيوف المشهورة، ولا الجنود المحتشدة ... هزت فؤاده، بل ولا السوط الذي ينتظر أيتامه أرعبه، ولا النار التي تتربص بخيامه غيرت موقفه...فلقد هون به ما نزل أنه بعين الله تبارك وتعالى.

إنه الطريق الذي لا يملك أمامه أعتى الجبابرة إلا الذل، ولو أخفى وجهه خلف أقنعة التظاهر بالحزم والقوة.

إن غاية ما يملك الجبارون في الأرض أن تهمد أمامهم أجساد الضحايا، ولكنهم بعدها يصبحون أسرى بيد الدماء التي تطوقهم، فتخنق أنفاسهم، وتخرج من بين أيديهم لتعانق المظلومين، فتبعث فيهم الحياة، وينتفضون من قيود الجزارين، فتدفن جثة وتخرج بعدها آلاف الأجساد، تحمل صوتها وترمي بشررها؛ لتحرق قصور الزيف، ويظل أصحابها يتوجسون الخيفة من انتفاضتهم.

إن أقصى ما يملكونه أن يسقوا ضحاياهم الموت، وقد استعذب هؤلاء

طعمه، فلربما تقدم في كل يوم من يطلب السقاية بماء الخلود، عندم يسقط شهيداً.

لقد فتح يوم كربلاء باب الاحتمال على مصراعيه لدى الحكام الذين عاصروا بقية الأئمة عليهم السلام، فإن هؤلاء هم ورثة الحسين عليه السلام الهازئ بالموت، وهم السائرون على منهاجه، والحاملون لدم جدهم يطلبون بثاره، فلربما ثاروا يوماً، وربما رمى البركان حممه بعد طول صمت.

وأحسبك لو نظرت في عيون حكام الدولتين الأموية منهما والعباسية لرأيتها متى ما حضر عندها أحد الأئمة عليهم السلام تسترق النظرات لباب قصرها، فلعل وراءه جيشاً قد جاءت طلائعه.

إنها مهابة قد وشح بها دم الحسين عليه السلام ذريته فأرعبت قلوب سلاطين الجور، ومحبة حملتها الناس لكرام الخلق، فاجتمعت لهم المحبة من والمهابة وهما أمران يفرضان قوةً سياسية يرهب جانبها.

لقد كان السلاطين يعلمون بهذه القوة ويهابونها، ولك أن تتصور حاكماً كهارون الذي نفذ سلطانه في العالم الإسلامي، وبسط حكمه على رقعة واسعة من الأرض لا يقر له قرار ما دام الإمام الكاظم عليه السلام يتنفس شيئاً من الهواء، مع أن التاريخ لم يشهد منه لحظة شهر فيها سيفه ليقود جيشاً جراراً يقارع به الرشيد ... ولكن الرشيد يعرفه ابن من، ووارث من، وفي قلبه أي دم[1].

واستمرت مهابة السلاطين لمن يرتبط بالحسين عليه السلام فكراً وعقيدة، ولمن يحيي شعائره، ويرفع الهتاف باسمه.

---

(١) قال محمد بن إسماعيل لهارون الرشيد:
"خليفتان في الأرض، موسى بن جعفر بالمدينة يجبى له الخراج، وأنت بالعراق يجبى لك الخراج".
بحار الأنوار: ٤٨/٢٤٠.

رابعاً: إبقاء الروح الجهادية مشتعلة:

إن وهج الحب للحسين عليه السلام في قلوب أهل الإيمان لا ينطفئ، ويشهد لذلك ما نراه من التعلق الكبير الذي تشهده محافل الذكر في كل بقاع الأرض.

إنه أمر قد تحدثت عنه الروايات كاشفة عما للحسين عليه السلام في قلوب أهل التوحيد، فقد ورد في الزيارة: "وجعل أفئدة من الناس تهوي إليك"(١).

إنه رافد غيبي يقف بجوار الظلامة التي ما برحت تجمع العواطف حولها لتقيم مأتم الحزن.

لقد كان هذا الحب والتعلق وقودين لإلهاب الحزن والتفاعل مع المأساة، حتى أصبحت كربلاء جرح المحبين الذي لا يندمل، أبت القلوب أن تسلو مصابها، ورفضت أن تتعامل معها كقضية تاريخية عابرة.

روي عن الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام، أنه قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى الحسين بن علي عليهما السلام وهو مقبل فأجلسه في حجره وقال: إن لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبرد أبداً"(٢).

إن هذه المشاعر التي حملها عشاق الحسين عليه السلام تذكيها العبارات الدينية، والتي تؤكد أن هذا القتيل لم يُؤْخَذْ بثأره حتى ولو قُتِلَ قاتلوه؛ بل هو في انتظار قادم من وراء الغيب ليأخذ بثأره.

إنه ثأر، والطالب فيه هو الله عز وجل، والله مدرك ثاره على يد وليه الحجة ابن الحسن عليه السلام، ومن خلفه جماهير أهل الولاء التي ما برحت تهتف صباح مساء قائلة: «أينَ الطالبُ بِدَمِ المقتولِ بكربلاء؟» (٣).

---

(١) مزار الشهيد: ٤٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ١٠/٣١٨.

(٣) مفاتيح الجنان: ٧٣٨.

خامساً: الاستهانة بالموت:

هناك صورة نادرة التقطها التأريخ وهو يمر بالأحدث التي شهدتها كربلاء، إنها صورة الفداء والتضحية من أجل الله تعالى مستهينة بالموت.

إن التأريخ لم يشهد مشهداً كهذه الواقعة التي كتب مجدها سيد الشهداء عليه السلام بدمه، وذيلها بدماء أحبته وأبنائه مردداً عنهم جميعاً وعمن يأتي بعدهم على خطاهم: (هَيْهَاتَ مِنَّا الذِلَّة).

أي احتقار للموت؟ وأي استهانة بالسيف الحقير؟ فلقد مرَّغ أنف البغي في التراب، وعلَّم الناس أن هذه الذلة يهون أمامها الموت، فاسمع هتافه يرنُّ في مسمع الدهر:

«إني لا أرى الموت إلا سعادة[1]» «الموت خير من ركوب العار»[2].

إنها حقيقة زرعها موقف الطف في عقول أحبته وعشاقه عبر الزمان، وأصبحت عقيدة راسخة لا يمكن أن يتنازلوا عنها.

وصفحات التأريخ ـ وإلى يومنا هذا ـ خير شاهد على هذا الإباء والصمود الذي مثله شيعة آل محمد عليهم السلام على تعاقب أدوار التأريخ.

سادساً: الإعداد لعصر الظهور:

إن نظرة واعية لسير الرسالات السماوية يمكن لها أن تكشف عن ترابط حلقاتها، فهي جهود متابعة ستُتَوَّجُ خاتمتها بقيام صاحب الزمان عليه السلام.

وإن هذه الدولة المرتقبة هي أمل الأنبياء عليهم السلام وهدفهم الذي يعملون له وعيونهم ممدودة نحوه، وحسبك بالقرآن الكريم دليلاً على ذلك، وكفى به شاهداً على ما نقول.

---

(١) تحف العقول: ٢٤٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣/٢٢٤.

لقد تحدثت الآيات الشريفة عن الغاية من إرسال الرسل فأوضحت أن الأنبياء يريدون من الناس أن تنضج عقولهم، فيهتدوا نحو الحق حتى يصل الأمر إلى أن يقوموا بالقسط بأنفسهم.

لقد قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[1].

إن تلك الغاية المرتقبة، والدولة المنتظرة، خلفهما تخفق قلوب الموحدين المنتظرين إشراقة الشمس من مغربها.

ولو تلمست تلك القلوب لوجدتها تخفق باسم صاحب الزمان عليه السلام، تترقب أيامه وتتطلع إلى مقدمه، وأرهف سمعك لتعرف غايتها من هذا الظهور، فإنك ستسمعها تنادي: أين الطالب بدم المقتول بكربلاء...

إن الوجدان الشيعي يشهد لقارئه أن شهادة الحسين عليه السلام هي المذكية لانتظار الحجة المنتظر عليه السلام، وهي الباعثة للتعلق به.

فمن عطش الحسين عطشت القلوب إلى قيام المنتظر، ومن صيحته المدوية طالباً النصرة، تنتظر الصيحة المدوية من حفيده، يوم ينادي: (يا لثارات الحسين).

سابعاً: إيجاد ملتقى للشيعة:

بعد أن تكورت شمس العوالم وحجبت السيوف جمالها انعقد المأتم الذي لا ينتهي حداداً على شهداء كربلاء عليهم السلام.

وقد أوجدت لغة الحزن مظلة تَجْمَعُ أطراف الشيعة. وإن تعدَّدَت وجهات نظرهم، فقد وجدت النقطة التي يلتقون عندها.

---

(١) سورة الحديد: ٢٥.

ولهذا التجمع معنى يدركه الجميع، فهو ينطق بلسان فصيح، يعرب عن حقيقة لا تخفى، وهي أن الشيعة وإن اختلفت توجهاتهم إلا أنهم يمثلون قوة واحدة تجتمع حول قضية واحدة.

ولك أن تضع أذنك عند فم كل شيعي يوم العاشر من المحرم، فستسمع منهم جميعاً صيحة واحدة تنطلق من حناجر الملايين باسم الحسين عليه السلام، تاركين وراءهم كل تحزب أو تكتل سياسي أو اجتماعي، ومنتظرين من يأخذ زمام أرباب الصيحة بيده، ليأخذ بثار مولاهم الحسين عليه السلام.

ثامناً: محطة التزود الإيماني:

مآتم الحسين عليه السلام وكل أجواء شهر المحرم بما تحمل من حزن وجاذبية عجيبة أصبحت محطة شحن إيمانية، وملتقى للمعرفة الاعتقادية والفقهية وغيرها.

والواقع يشهد بأن حركات التغريب تنجح في مجتمعات معينة وتخفق في أخرى، مع المشابهة التي تعيشها تلك المجتمعات.

ولو سألت عن السبب الذي حال بين المجتمعات الرافضة وبين التغريب لوجدت أنها لم تستطع أن تفارق الحسين عليه السلام.

واقلب الصفحة لتقرأ عن حركات التنصير، فإنك ستجد أنها تعتبر أيام عاشوراء أياماً عاصفة، تجعل كل أعمالهم هباءً منثوراً، تبعثر جميع أتعابهم التي يبذلونها لجذب المسلمين نحو النصرانية.

إن الحروف التي مرت بها عيناك خطها القلم اعتماداً على خبر سمعته من تسجيل صوتي قديم لأحد خطبائنا المرموقين، وقد نقل الخبر عن أحد رجال العلم، وصرَّح باسمه، إلا أن عجلة السنين محته من ذاكرتي.

لقد زار هذا الرجل مركزاً من مراكز التنصير في إحدى الدول الإسلامية،

فسأله عن حركتهم، واستفسر عن مقدار نجاحها. فأخبره بأن لها نجاحاً في أوساط الشباب... ولكنه قال له كلمة بعد ذلك توقفنا على حقيقة ما يقوم بها عشاق الحسين عليه السلام في أيام محرم.

لقد قال له: إننا نحصد خلال السنة مجموعة من الشباب، ولكن عندكم أيام تسمى (أيام حسين)، إنها تفقدنا كل ما نجمعه خلال السنة، وربما فقدنا بعضنا.

قف أيها الحر إجلالاً لدم سال في القرن الأول وظل وهجه كما كان، رغم تتالي القرون، إنها ثلاثة عشر قرناً تلف البشرية والسراج الذي أُقد في كربلاء لم تخمد شعلته.

فأي سياج قد شيدته يداك يا ابن الزهراء، وأي سور ضربته حول الإسلام فعادت معاول الكفر خجلى.

لله دمك، سال رعيفه على التراب فعانق طينة أوليائك، فرف عليها الصمود، وأسمعها أهازيج البطولة فرددت صداها... وستظل تصدح وهديرها لا ينقطع ... هيهات منا الذلة.

تاسعاً: تجلي الرحمة الواسعة:

وكما أن للحسين عليه السلام قيادة في جهاد الباطل فأصبح قدوة الثائرين فله أيضاً فتح كبير في جهاد النفس، وباب واسع للهداية، يرجع المتفلتين من طريق الاستقامة لرشدهم، ويجذب البعداء عن التقوى للصلاح، وقد تسأل وتقول: وما الذي يدعوهم لذلك؟

فأجيبك: إنهم قد بحثوا عن سفن النجاة، فعرفوا أن سفينة الحسين أوسع[1].

---

(١) قول مشتهر على ألسنة الخطباء والذاكرين، ولم أجد مصدراً يسنده إلا ما يذكر في بعض الكتب الحديثة، وقد نقل عن المرجع الديني السيد الميلاني هكذا "عن الإمام الصادق عليه السلام: الحسين باب الله وسفينة النجاة، قال الراوي: قلت: كلكم باب الله وسفينة النجاة. قال عليه السلام: نعم، ولكن باب الحسين أوسع وسفينته اسرع" علم وجهاد ١/ ٢٦٠ .

وهي خصوصية خص بها الحسين عليه السلام من بين السلسلة الطاهرة، وكما يقولون:

ولستَ ترى في مُحْكَمِ الذِّكْرِ سورةً
تقومُ مقامَ الحمدِ والكلٌّ قرآنٌ

أليس القرآن الكريم إعجازاً إلهياً، ولكنك لن تستغني في الصلاة عن سورة الحمد، ولن تقوم مقامها أي سورة منه.

وكذلك آل محمد عليهم السلام كلهم أبواب رحمة وهداية، ولكن الحسين عليه السلام اختص بتعدد جهات الهداية به عليه السلام.

ألا ترى كيف يأم مآتمه طوائف من الناس؟ ومنهم من لا عهد له بالالتزام، ولكنك تعلم أن صوت الحسين عليه السلام جذبه، فكان أقوى من كل مشتهياته.

لقد ترك الدنيا وزينتها ويمم وجهه نحو بيت ولي الله تبارك وتعالى، وعاد نحو الحق تائباً، فشملته الرحمة.

وطائفة منهم خلطوا أعمالهم الصالحة بأخرى أقلقتهم؛ إذ عرفوا أن المحاسب دقيق، والكُتاب أمناء، فجاؤوا ليذرفوا دمعة العشق والوفاء، فيغسلون بها أدرانهم، وتغفر لهم خطاياهم، ويعودوا للحياة بأرواح طاهرة.

وطائفة منهم رأت سيدها يتنقل بين قمم الأخلاق، يصوغ فيها نماذج الأدب الرفيع، ويرسم الطريق نحو الكمال، فشدها إليه، وسعت لتنال من فيضه غرفة، ومن نوره قبسة، ومن مواهبه نفحة.

وآخرون ما عرفوا الإسلام إلا من أفواه لا تعرف أمير المؤمنين عليه السلام، وما كانوا ليدركوا أن وراء الأكمة جنة وارفة الظلال، لولا أنهم سمعوا نعاة الطف قد بحت أصواتهم، فأمسكوا بخيوط الكلام، وتتبعوا قطرات الدم، فصعقوا مما رأوا، فقال قائلهم: "لقد شيعني الحسين".

الفصل السادس:

قرابين خط الإمامة

سأتجنب الأحاديث الخطابية والحماسية، كما أتجنب الأمور التي تختلف باختلاف الأذواق والتوجُّهات، وألجُ إلى الواقع كما هو؛ لأوضح أمراً يكشف عن العلاقة بين شهادتين عظيمتين مرتبطتين بمسيرة الإمامة الإلهية .

والشهادتان هما شهادة السيدة فاطمة وولدها المحسن عليهما السلام، وشهادة الإمام الحسين عليه السلام.

القربان الأول لخط الإمامة الإلهية:

كانت مسيرة الإمامة ومنذ البداية بيد السماء، فهي التي تنصبهم على الناس حججاً، وقد استمر الأمر حتى بلَّغ رسول الله صلى الله عليه وآله ما أنزل إليه يوم نادى: "من كنت مولاه فهذا علي مولاه".

فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله، وجرَّت السقيفة ويلاتها على الأمة كانت المحاولة لنزع الخلافة من أمير المؤمنين عليه السلام ومنعه من ممارسة القيادة للأمة الإسلامية.

إن الذي حدث لم يكن قضية بسيطة، ترتبط بأمير المؤمنين عليه السلام وحده، بل هي قضية تحمل في طياتها محاولةً لتحويل مسيرة الأوصياء من لدن آدم عليه السلام وحتى ذلك الوقت.

وشاءت الأقدار أن يكون ذلك في زمان أصحاب الكساء (عليهم السلام)، فاقترب منهم؛ لتعرف طريقة تعاملهم مع هذا الحدث الخطير.

سأشير إلى محورين قد تحرك من خلالهما أهل البيت (عليهم السلام)، وهما:

أولاً: إقامة الحجة:

لقد أبى أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يبايع أحداً، وواجه المتصدين للأمر بالحجج تلو الحجج، حتى أسفر الصبح، وأبان الحق، وانكشف الباطل.

وحسبك بما سأذكر لك من نصوص كافية في إيضاح البراهين، فإن المؤرخين قد ذكروا أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لما انتهت إليه أنباء السقيفة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) تساءل قائلاً: ما قالت الأنصار؟

قالوا: قالت: منا أمير، ومنكم أمير.

قال (عليه السلام): فهلاً احتججتم عليهم بأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وصَّى بأن يُحْسَنَ إلى مُحْسِنهم ويُتَجَاوزَ عن مُسيئهم؟

قالوا: وما في هذا من الحجة عليهم؟ فقال (عليه السلام): لو كانت الإمارة فيهم لم تكن الوصية بهم.

ثم قال (عليه السلام): فماذا قالت قريش؟ قالوا: احتجَّت بأنها شجرة الرسول (صلى الله عليه وآله)، فقال (عليه السلام): احتجُّوا بالشجرة، وأضاعوا الثمرة [1].

وقد قال (عليه السلام):

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم
فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ

---

(١) نهج البلاغة : ٩٧- ٩٨.

وإن كنـت بـالقربى حججـت خـصيمهم
فغيـــرك أولـــى بـــالنبي وأقـــربُ[١]

لقد تنزّل معهم في المحاجة مبيناً أن الخلافة إذا كان معيار استحقاقها القرابة فإنني أقرب منكم إليه، وأبدى تعجبه من منطقهم قائلاً: « واعجباه، أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة؟! »[٢].

ثانياً: التضحية والفداء:

لقد وقف البيت النبوي أمام هذا التيار يوم أخرج الشيطان رأسه من مغرزه، وكانت ضريبة الوقوف بوجهه أن قدمت السيدة الزهراء عليها السلام نفسها قرباناً بين يدي الله عزّ وجلّ حاملة على يديها جنينها، وقد كتب بدمه ذيل قصة الظلامة.

وأثمرت هذه الشهادة بأن سلبت الشرعية من الحكومات التي أتت، وفتحت عليهم باب النقد على مصراعيه، وأشياء كثيرة لا مجال لبسطها[٣].

القربان الثاني لخط الإمامة الإلهية:

واستمرّت الخلافة كما شاؤوا لها، يختارون حاكمهم، وينصبون من يرتضون، ثم يقولون لله عز وجل هذا خليفتك في الأرض، فارضَ به. وكان أهل البيت عليهم السلام قد اختاروا الوسائل الكافية لإعلان موقفهم بإنكار هذا المنكر، وكانت الأمة لا تزال تمتلك خط العودة.

---

(١) نهج البلاغة : ٥٠٢.

(٢) خصائص الأئمة للشريف الرضي : ١١١، وفي كتاب التعجب : ٥٤ ((واعجباه، أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالقرابة؟!))، ولها صورة ثالثة ذكرها في الشريف الرضي قدس سره كذلك، وهي: واعجبا، أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالقرابة والنص.

(٣) لقد بسطت الحديث عن آثار ما قامت به السيدة فاطمة عليها السلام من تضحية في بعض الكتابات المخطوطة.

وأثمرت الجهود، ورجعت الأمة إلى الذي نصبته السماء، وكأنها استرجعت صوت رسول الله صلى الله عليه وآله في مواقفه المشهودة، والتي كان يهتف فيها باسم علي عليه السلام.

رجعت إلى أميرالمؤمنين عليه السلام بعد أن ذاقت الويلات[1]، فطمعت أن تنعم في عهد يكون كعهد رسول الله صلى الله عليه وآله.

لقد اكتفى أصحاب الكساء بتقديم ضحيتين في مستهل الانحراف عن الطريق الذي مهده رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم أوقفوا نزف الدماء، ويمكنك .عزيزي القارئ .أن تلاحظ معي أن علياً والحسن عليهما السلام لم يتحركا خلال حكم غيرهما بالسيف.

بل وكان الحسين عليه السلام كذلك خلال ملك معاوية، حتى إذا ما تولى يزيد الحكم تغيرت طريقة التعامل من أحد أصحاب الكساء، والذي قد عايش حكاماً قبله.

ولك أن تتساءل: ما الأمر الخطير الذي حدث، لتأمر السماء حبيبها الحسين عليه السلام بأن يقدّم نفسه في سبيل الله تبارك وتعالى؟

إن الأمر الخطير الذي استجدَّ هو أن الخلافة بعد أن حُوّلت في ممارسات المسلمين من أمر إلهي إلى أمر بشري، أريد لها أن تتحول بعد ذلك إلى ملك، وكما يُعبَّر عنه في مرويات العامة "مُلك عضوض"[2].

إن الإقرار على هذا الأمر يعني الإقرار على انحراف مسيرة الإمامة مرة أخرى، والذي سيكون انحرافها الأخير، و ستضيع بذلك جهود الأنبياء

---

(١) كان يوم الغدير في ١٨/١٢/١٠هـ، ورجعت الخلافة إلى أمير المؤمنين عليه السلام في ١٨/١٢/٣٥هـ.

(٢) يروون عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً عضوضاً). تفسير ابن كثير: ٣/٢١٢، ومثله في حلية الأولياء: ١/٢٧٥، وغيرهما.

والمرسلين، وسيكتسب هذا الانحراف شرعية بهذا الإقرار، والسكوت عليه.

لقد استلزم هذا الانحراف الثاني تضحية ثانية تتناسب مع حجمه ؛ فتنبه الجماهير المسلمة لما يدور حولهم.

حينما نقرأ الأحداث بهذه القراءة نستطيع أن نعرف لماذااختار الإمام الحسين عليه السلام هذا الخيار الأصعب، وهو الشهادة بين يدي الله عز وجل غير مقر على الذلة التي يريد يزيد أن يسومه بها.

خيارواحد أم خيارات ؟

بعيداً عن الآراء المعددة للخيارات المتاحة أمام الحسين عليه السلام، فإن كلماته عليه السلام الصريحة ـ وهو أعلم بالواقع ـ تخالف ذلك، و تدل على أنه لم يكن أمام خيارات متعددة.

إن مما صرَّح به عليه السلام هو قوله: هيهات، هيهات، يا ابن عباس، إن القوم لن يتركوني، وإنهم يطلبونني أين كنت حتى أُبايعهم كرهاً، ويقتلوني .

والله إنهم ليعتدون عليَّ كما اعتدت اليهود في يوم السبت، وإني ماضٍ في أمرِ رسُولِ الله صلى الله عليه وآله حيثُ أمَرَني، وإنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ.[1]

إن الحديث صريح في أن القتل واقع عليه لا محالة، ولن يكون هناك خيار آخر، وإنما كان يتخير أفضل الظروف لهذا الفداء العظيم، حتى يؤتي ثماره المرجوة.

وحديث آخر يخاطب به محمد بن الحنفية مؤكداً على هذه الحقيقة، قائلاً:

« والله، يا أخي، لو كنت في جحر هامَّة من هوام الأرض لاستخرجوني

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٣٢١.

منه، حتى يقتلوني »(١).

وتكفيك كلمته عليه السلام التي هزَّ بها الوجود، وتمثّلتها الأحرار في كل زمان:

« ألا وإن الدَّعِيَّ ابنَ الدَّعِي قد رَكَزَ بين اثنتين: بين السِّلَّةِ والذِّلَّة، وهيهات منَّا الذلَّة، يأبى اللهُ ذلك لنا ورسولُهُ والمؤمنون، وحُجُورٌ طَابَتْ وطَهُرَتْ، وأُنوفٌ حَمِيَّة، ونُفوسٌ أبيَّة، مِنْ أنْ تُؤْثِرَ طاعَةَ اللِّئام على مَصَارعِ الكِرام»(٢).

إذن فهو تصريح من الحسين عليه السلام أن أمامه خيارين لا ثالث لهما، وهما: الذلة أو القتل.

بل في كلمته الأولى ما يغيب عن التفكير وهو (إن القوم لن يتركوني، وإنهم يطلبونني أين كنت حتى أُبايعهم كرهاً، ويقتلوني).

عزيزي القارئ، ألم تلاحظ أن الحسين عليه السلام لم يستعمل بين الخيارين حرف العطف (أو) فلم يقل: حتى أبايعهم أو يقتلوني، بل قال:...ويقتلوني، وهو تصريح بأن لا خيار أمامه إلا القتل، ولكنه كان يتخير بين الأوقات، فإنه إما أن يقتل يوم العاشر من سنة إحدى وستين رافضاً البيعة، آمراً بالمعروف، ومعلناً النكير على البيت الأموي، أو يبايع يزيد ثم ينتظر أجله حيث سيساق للموت سوقاً بعد أن طأطأ رأسه ومد كفه للبيعةفتكون الذلة التي خيره يزيد بينها وبين السلة.

وما يوم الإمام الحسن عليه السلام ببعيد...فقد كان في هدنة ما بلغت مداها، وجاءه السم محمولاً على كف زوجته، لينهي حياته.

وإن البيت الذي تجرأ فدس السم للحسن عليه السلام لن يمتنع عن تكرار الأمر مع الحسين عليه السلام، وربما كانت بطريقة أشنع، وذلة لا تطاق.

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥/٩٩.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف : ٩٧، وفي مثير الأحزان : ٥٤.

واختار الحسين الخيار الأصعب...

لقد كان الموت قد نشر جناحه في الأفق، وشتان بين من يساق إليه سوقاً، فتكون خاتمته كما يشاء الجزارون، وآخر يمشي إلى الموت حتى يقتل بشهادته من سفك دمه، فيختار الزمان، ويتخير المكان، وينتخب الأصحاب، فما أغمض جفنه إلا وقد اكتسى الكون بقاني دمه، وزرع في بقعة حناجر تردد صوته وتلعن قاتليه فأظلمت الدنيا عليهم وضاق بهم رحب الفضاء، ورأوا عاقبة أمرهم.

الفصل السابع:

مشاهد عبودية للتقديس

إن حياة رجال السماء من أنبياء وأوصياء لا يمكننا تحويلها إلى قضايا تاريخية محضة، ولا يسعنا أن نتعامل معها كما نتعامل مع أي حدث تاريخي.

إننا حينما نستعرض عمل أحد المصلحين يمكننا أن ندرسه ونخرج منه بعِبَر، وأن نستفيد منه في واقعنا المُعاش، ونحوّل تفاعلنا معه إلى واقع نعيشه بتمام تفاصيله ؛ لنصبح نسخة ثانية من تلك التجربة.

ولكن هذا الأمر لا يمكن أن يسري على كل جزئيات حياة الأنبياء، فأسعى إلى أن أعيد تلك الأحداث في زماني، وأكون أنا البطل الذي يقدمها؛ لأن في حياة الأنبياء والأوصياء لقطات تاريخية تقع في موقعية التقديس لأنها نموذج العبودية الصادقة.

لقد كشف التاريخ عن تفاصيل حياة إبراهيم الخليل عليه السلام، وتحدث عن المواجهة الدينية التي قد حصلت بينه وبين النمرود، وكانت النهاية التي يعرفها الموحدون، ويتلوها القارئون للقرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾[١].

إن هذه المعركة التي وقعت بين الحق والباطل كان إبراهيم عليه السلام يخوضها

---

(١) سورة الأنبياء.

بمفرده مع طاغية زمانه، وقد استخدم فيها أسلوب المواجهة، وتعامل مع الحوادث بكل صلابة، وحيداً بين جيش من الأعداء، وكانت نهايته قاهرة لنمرود المدَّعي للربوبية، فقد خرج من بين لهب النيران سالماً.

إن التساؤل الملح على القارئ لهذه اللحظات: هل يمكن أن يقال بأن هذا المقطع التأريخي مما يمكن للناس أن يعيدوه بكل جزئياته؛ ليحصلوا على مثل نتائجه ؟

لا شك أن هذه اللقطات هي لقطات عبودية مقدسة، ومختصة بتلك الصفوة، لا تخلو من عِبَر وفوائد، إلا أنها لا تصل إلى حد التفعيل في الحياة اليومية للمكلف والاقتداء بها بكل حذافيرها، ليعيد الدور بتمامه إلا في حالات نادرة تحسب على أصابع اليد في تاريخ الشيعة، ولن يغيب عنك أن النتائج لن تكون كتلك النتائج الإعجازية.

وإن قضية كربلاء ـ كقضايا الأنبياء ـ فيها من المشاهد القدسية التي لا بد وأن يُذْعَنَ بغيبيتها وانفرادها، ولا مفر من القول بأنها كانت نسخة لا تتكرر.

إنها واقعة لا يراد للتفاعل معها أن يكون محدوداً في دائرة ضيقة، بل يراد له أن يكون حاضراً في كل آن، وكما أريد لها.

كيف نتفاعل مع كربلاء؟

الرُّوْحُ المتَّشِحَةُ بجِلبابِ العبوديةِ للهِ سبحانه وتعالى روحٌ لا تُهْزَمُ وإنْ أُزْهِقَت.

والدَّمُ المتلوّنُ بلونِ الخضوعِ لربِّ السماءِ دَمٌ يغلي في نفسِ كلِّ مؤمنٍ، بل في نفسِ كلِّ طالبٍ للحرية.

إنه دَمٌ لا يمكنُ لأيِّ شيءٍ أن يحاصِرَه، فهو دَمٌ لا يحدُّه كلُّ هذا الكون، بل «أشْهَدُ أنَّ دَمَكَ سَكَنَ الخُلْد» .

والأجسادُ التي سجدت لها آلافُ السيوفِ لن تُبَدَّد: «فَكِدْ كَيْدَك، واسْعَ سَعْيَك، ونَاصِبْ جَهْدَك، فوالله لا تمحو ذِكْرَنا، ولا تميتُ وَحْيَنا»[١].

لن يغيب عن القارئ الحصيف أن ملاحظة الجنبة الغيبية في أعمال الأئمة عليهم السلام لا تعني عزلها عن واقعنا الذي نعيشه، ولا يراد تحويلها إلى مقام يطاف حوله للتقديس فقط.

إنها من أهم المحطات التي ينبغي التأثر بها، فإنها تؤكد على مبدأ العبودية لله عز وجل وتكرس في نفوسنا ضرورة العمل بالتكليف الإلهي الموجه لنا، بغض النظر عن النتائج المرتقبة.

وقد يظن البعض أن النظرة الغيبية لقضية كربلاء تعني عزلها عن الواقع وإبعادها عن الساحة، ولكن كلا وألف كلا، بل هي نظرة تحمل في طيَّاتها آلاف الدروس التي يحتاجها العامل في ساحة الأمة. فإن أيَّ تكليف سيُكَلَّفُ به هذا الفرد أو هذه الأمة لن يكون إلا أقل من مواجهة التكليف بالطريقة الحسينية.

فأيُّ عبوديةٍ لله تعالى في وقفاتك أبا الأحرار؟! ...
وأيُّ حريةٍ من قيود الدنيا تبدو من هتافك :
«والحياةَ مع الظالمين إلا شقاءً وبرماً»؟! ...
وأيُّ تعلُّقٍ لك بالله:
«تَرَكْتُ الخَلْقَ طُرّاً في هَوَاكَ»؟! ...

لا بد أن يكون حديثنا عن كربلاء حديثاً واقعياً لا حماسياً، فكربلاء تعلِّمنا كيف نكون عبيداً لله سبحانه وتعالى، وكيف يكون الموت رخيصاً، والقَتل هيناً، والعطش تافهاً، أمام العبودية لله سبحانه وتعالى.

---

(١) بحار الأنوار : ١٣٥/٤٥.

لا أعلم من هو الذي يعزل كربلاء عن الواقع، أهو المضفي للغيبية على الواقعة والحامل منها مبدأ العبودية بين جوانحه يبحث عن تكليفه الإلهي فيقدم عليه غير مبالٍ بالنتائج المنتظرة؟ أم ذاك المجرِّدُ لها؟!

إن المُنْزِلَ للواقعة من ساحة تقديسها في عبوديتها، لا أعلم كيف يُفَعِّلُها في حياة المسلم حينما يكون التكليف الموجه نحوه أن يكون حلساً من أحلاس داره، وأن يكف عن كل عمل ملتزماً بالصمت.

إن التفعيل لواقعة كربلاء، هو أن يعيش المسلم العبودية وأن يعلق نظره على تكاليف السماء، ليتناسب التفاعل معها مهما اختلفت التكاليف.

سيتساوى عنده الأمر بأن يكمم فمه وهو الخطيب المفوَّه، أو أن يطلق لسانه ولو كان على حبل المشنقة، أو كان بين السيف والنطع.

فلنقدس كربلاء وضحاياها، ولنأخذ منهم درس العبودية لننطلق به في دروب الحياة، فيكون الحسين عليه السلام أنيسنا في كل تقلبات الحياة.

الفصل الثامن:

من أبعاد النهضة الحسينية

أولاً: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إن من أهم أهداف النهضة الحسينية التي تحدث عنها الإمام الحسين (عليه السلام) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أمر جوهري يستحق التأمل والتدقيق.

لقد حفظ التاريخ الكلمات التي قالها الإمام الحسين (عليه السلام) في ظروف هجرته للفداء المقدس، ومنها: « وإني لم أخرج أشِراً ولا بَطِراً ولا مُفسِداً ولا ظالِماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمَّة جدي (صلى الله عليه وآله)، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي علي بن أبي طالب (عليه السلام)»[1].

وللاقتراب قليلاً من أبعاد النهضة الحسينية الخالدة نضع هذين الخطين العريضين:

١. سعة مجال الإصلاح:

إن المتتبع لكلمات الحسين (عليه السلام) ومواقفه يدرك أن الحسين (عليه السلام) لم يهدف إلى إصلاح الأمة مما فيها من مخالفات شرعية كأكلٍ للحرام وحسب، ولم يهدف إلى إيقاظها وتحريكها ضد الظلم وكفى، بل كان مع

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤/٣٢٩- ٣٣٠.

ذلك يهدف عليه السلام إلى الحفاظ على مسيرة الإمامة، ويصر على أنها منصب إلهي، وليس بشرياً، ولا يمكن تحويله إلى مُلك متوارث. وهو بذلك يشير إلى أن الإصلاح يستهدف رأس الهرم، وبعده سيسهل إصلاح الكثير من السلوكيات المنحرفة.

وإليك بعضاً من كلماته عليه السلام، فهي بلا شك دلائل واضحة على نهضته المباركة.

قال عليه السلام: (وعلى الإسلامِ السلامُ إِذْ قد بُليَتِ الأمةُ براعٍ مثلِ يزيد)[١].

ومن كلامه عليه السلام: « وأنا أولى مَنْ قام بِنُصرةِ دينِ اللهِ وإعزازِ شَرْعِهِ والجهادِ في سبيلِهِ؛ لِتَكُونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا »[٢].

إنها كلمات واضحة وصريحة في أن أبعاد الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تنحصر في المخالفات التي تعيشها الأمة في سلوكياتها فحسب، ولا في تحريك الأمة ضد الظالمين فقط، بل تتعدّى ذلك إلى الحفاظ على رسالة الإسلام كتشريع.

ومن شواهد ذلك ما تراه من إجابات عندما عُرض عليه الذهاب إلى اليمن أو اللجوء إلى الجبال أو البر[٣]، ولم تكن تلك الخيارات مما يحقق أهداف الحسين عليه السلام.

بل كان بقاؤه في ساحة الأحداث واختياره القتل على البيعة هو الذي حقَّقَ هذه الأهداف، وعلَّم الأمة أن مُلك بني أمية باطل لا شرعية له، ولولا ذلك لسلَّم العالم كله بشرعية مُلْكِ بني أمية.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٢٦/٤٤.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٣٣٦.

(٣) " فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر إلى اليمن أو بعض نواحي البر فإنك أمنع الناس به ولا يقدر عليك أحد". بحار الأنوار: ٣٦٤/٤٤.

٢. تعدد الأجيال المستهدفة بالإصلاح:

إن ضخامة التضحية بنفسه الشريفة التي مثلت كل أصحاب الكساء عليهم السلام، وتقديمه لخير أهل الأرض، وتعريض نساء بيت النبوّة للسبي، لا يتناسب مع الهدف إذا كان محصوراً في إصلاح جزء بسيط من الأمة التي عاصرهافقط.

وهذا يدعونا لأن نقول : بأن أبعاد النهضة الحسينية شملت جيله المعاصر وكل الأجيال التي تبعتها.

وإن الواقع يشهد بذلك، فما هذا الخلود والعطاء إلى يومنا إلا تأكيد لهذه الحقيقة.

ثانياً: ضرورة البعد عن مكة :

سؤال يلح في طرحه شريحة من الناس، ويطلبون إيضاح ما يرتبط به، وهو:

لماذا لم يختر الحسين عليه السلام البقاء في مكة بجوار الكعبة ؟ أليست البقعة المقدسة عند المسلمين عامة؟ أليس قتله في البيت الحرام سيكون أكبر ضجة إعلامية؟

إننا كي نجيب على ذلك لابد من الاقتراب من زمن الحدث؛ لنعرف ملابسات القضية وما يمكن أن يترتب على هذا الاختيار من آثار.

لا شك أنك قد قرأت كلام الحسين عليه السلام أو سمعته، وهو يقول:

لأنْ أُقْتَل ـ واللهِ ـ بمكانٍ كذا أحبُّ إليَّ مِنْ أن أُسْتَحَلَّ بمكة [1].

ومن كلامه إلى ابن الحنفية:

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٣٢١.

« يا أخي، قد خفتُ أن يغتالني يزيد بن معاوية في الحرم، فأكون الذي يُستباح به حُرمة هذا البيت »[1].

إننا نجد إصراراً من الإمام الحسين عليه السلام ألاَّ يقتل في مكة المكرمة، فلمَّ كل هذا الإصرار؟

لقد كان الإصرار في مكانه، ويكفينا ما نجده في الأحاديث النبوية، والمتحدثة عن قرشي تُنتهك به حرمة البيت، وقد تحدثت الروايات بأنّ ذنوبه ترجح على ذنوب الثقلين[2]، وأن عليه نصف عذاب العالم[3].

فلو أن الحسين عليه السلام قُتِلَ بمكة لاستطاع الإعلام الأموي القضاء على قضيته بترويج أنه المعني بتلك الأحاديث، وبذلك يحول الأمويون بين الحسين عليه السلام وبين أهدافه المباركة .

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٣٢٩.

(٢) " يحلها وتحل به رجل من قريش، لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لوزنتها". راجع إمتاع الأسماع : ٢٥٩/١٢.

(٣) "يلحد رجل من قريش بمكة، يكون عليه نصف عذاب العالم" . راجع مسند الإمام أحمد : ٦٧/١.

الباب الرابع

دروس الأخلاق من كربلاء

مدرسة كربلاء الأخلاقية

لا تتوقف المسيرة الأخلاقية للحسين عليه السلام عند حدود الرخاء والسعة، بل ستراها ممتدة ومستوعبة لكل تفاصيل حياته المباركة.

وإن المرور بشطر من أخلاقياته في كربلاء كفيل بأن يرينا الإمام الحسين عليه السلام إماماً لا تغيره الظروف، ولا تبدل أخلاقه قساوة الأيام وضراوتها.

وسنشاهد مدرسته الأخلاقية تتجسد في أصحابه المستشهدين بين يديه، ليسطر كل شهيد صفحة من الأخلاق، فإذا ما تساقطوا على الأرض نجوماً زواهر كان دستور أخلاقنا عنوانه مدرسة الحسين عليه السلام الأخلاقية.

الفصل الاول:

أساسيات استماع المشورة

لقد أدلى بعض المسلمين بنصحهم بين يدي الحسين ﴿عليه السلام﴾، معبرين عن عدم قناعتهم بخروجه للعراق، فلنتأمل في الطريقة التي مارسها معهم، رغم مخالفتهم لرأيه.

لقد قال لابن الحنفية حينما أشار عليه بمشورته:

«يا أخي، جزاك الله خيراً، فقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج إلى مكة»[1].

«وقال عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي: لما قدمت كتب أهل العراق إلى الحسين ﴿عليه السلام﴾ وتهيأ للمسير إلى العراق أتيته، فدخلتُ عليه وهو بمكة، فحمدت الله وأثنيتُ عليه، ثم قلت: أما بعد، فإني أتيتك .يا ابن عم .لحاجة أريد ذكرها لك نصيحة، فإن كنت ترى أنك تستنصحني، وإلا كففتُ عما أريد أن أقول.

فقال الحسين ﴿عليه السلام﴾: قل، فوالله ما أظنك بسيئ الرأي، ولا هو للقبيح من الأمر والفعل.

قال: إنه قد بلغني أنك تريد المسيِر إلى العراق، وإني مشفق عليك من مسيرك.

---

(١) بحار الأنوار: ٣٢٩/٤٤.

إنك تأتي بلداً فيه عماله وأمراؤه ومعهم بيوت الأموال، وإنما الناس عبيد لهذا الدرهم والدينار، ولا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحب إليه ممن يقاتلك معه.

فقال الحسين ﷺ: جزاك الله خيراً يا ابن عم، فقد .والله .علمت أنك مشيت بنصح، وتكلمت بعقل، ومهما يقض من أمر يكن، أخذت برأيك أو تركته، فأنت عندي أحمد مشير وأنصح ناصح»[1].

إنَّ هذا الموقف يرفدنا بدروس نيّرة تضيء لنا طريق المعاملة مع الآخرين، ومنها:

أولاً: الخلق الفاضل يستدعي من أن نبدأ من يُشير علينا بشكره، والدعاء له بأن يجزيه الله خيراً، قبل إبداء رأينا فيما أشار به علينا.

ثانياً: يعلمنا الحسين ﷺ أدب الإنصات إلى الشخص المشير، مهما كان مقدار علمه ووعيه مقارنة بنا.

ألم يكن الإمام الحسين ﷺ أعقل الناس وأعلمهم، وهو صاحب العصمة الكبرى، ومع هذا وذاك تراه يصغي إلى رأي شخصٍ عادي، ويحترم رأيه، ويخبره بأنه إن أخذ برأيه أو ترك رأيه فهو على مقامه عنده.

وشتان بين من يكون بهذه الصفة وبين من ينظر إلى الشخص المشير عليه نظر الريبة، فيصنفه معارضاً له يجب إقصاؤه، وآخر لا يحب أن يسمع رأياً مخالفاً لرأيه ولو كانت فيه نجاته.

ثالثاً : ودرس أخير للمشير بأن لا ينزعج حينما يرى رأيه غير معمول به، ولا يعني الإعراض عن رأيه أن مكانته قد تزلزلت عند من أشار عليه، أو أنه متهم فيما أشار به.

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين ﷺ : ٣٢٢.

الفصل الثاني:

الدعوة إلى الحق

أولاً: قصد رضا الله تعالى:

لقد دأب الناس على أن يقيّموا النجاح تقييماً مفعماً بالإجلال، واعتادوا أن يهاجموا الإخفاق بقوة، فلو قُتل الثائر على الظلم وهو يكافح عدوه توجه اللوم له، ولو أخفق من يقوم بعمل اجتماعي لسمعت كلمات النقد اللاذع توجه نحوه.

مع أن الثائر والناهض بعمل ما، إنما هدفهما القيام بتكليفهما الشرعي طلباً لرضا الله تعالى.

وإليك نموذجاً من السيرة الحسينية نتعلم منه درساً مهماً في باب العبودية لله عز وجل.

لقد كتب معاوية إلى الحسين عليه السلام، يحذره ويرغبه في عدم النهوض ضده، فأجابه الإمام عليه السلام:

«وما أظن الله راضياً بترك ذلك، ولا عاذراً بدون الإعذار فيه إليك وفي أولئك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجراً أخا كندة والمصلين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم؟ ...

أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، العبد الصالح الذي أبلته العبادة؟ ...

وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمة من ولايتك عليها ...»[(١)].

لقد ظل الحسين عليه السلام يسير في طريقه غير آبه باستجابة معاوية أو إعراضه، فهو تكليف قد لزمه، ويريد أن يقوم به .

ثانياً: المثابرة وعدم الياس:

من الدروس الحسينية التي صاغتها مواقف كربلاء المثابرة وعدم اليأس في إيصال الدعوة، وسترى أنها قد بُلِّغت حتى للمتكالبين على الدنيا أو البعيدين كل البعد عن الحق .

لقد أوصل دعوته إلى عمر بن سعد، وهو رأس الجيش وقائده الذي ما أتى إلا طامعاً في الدنيا.

يحدثنا التاريخ مفصلاً ذلك الحدث، بأن الحسين عليه السلام أرسل إلى عمر بن سعد:

إني أريد أن أكلمك، فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك. فخرج إليه ابن سعد في عشرين، وخرج الحسين عليه السلام في مثل ذلك، فلما التقيا أمرالحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحوا عنه، وبقي معه ابنه حفص وغلام له.

فقال له الحسين عليه السلام: ويلك يابن سعد، أما تتقي الله الذي إليه معادك؟ أتقاتلني، وأنا ابن من علمت؟ ذر هؤلاء القوم وكن معي، فإنه أقرب لك إلى الله تعالى.

فقال عمر بن سعد: أخاف أن تهدم داري.

فقال الحسين عليه السلام: أنا أبنيها لك.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/٢١٢- ٢١٣.

فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي.

فقال الحسين عليه السلام: أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز.

فقال: لي عيال، وأخاف عليهم.

ثم سكت ولم يجبه إلى شيء، فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول: ما لك، ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إني لأرجو ألا تأكل من بر العراق إلا يسيراً[1].

لقد رأيت الحسين عليه السلام كيف يوصل الدعوة له غير يائس، فلما أصر ابن سعد على الباطل ولم يبق إلا القليل حتى يزحف بجيشه على أهل الحق نبهه بالنهاية المرتقبة له، وأعلمه بمصيره المظلم .

ويبدو هذا الإصرار على الدعوة واضحاً في الخطب التي كان يلقيها الحسين عليه السلام، ويلقيها أصحابه الواحد تلو الآخر .

ثالثاً: الصلابة في الدعوة :

إن الصلابة سمة بارزة شمخت بها كربلاء، فلم يكن ليثني أهلها شيء، ويمكنك أن تسمع صوت الحسين عليه السلام يقول للحر:

الموت أدنى إليك من ذلك، ثم قال لأصحابه: انصرفوا، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين عليه السلام للحر: ثكلتك أمك، ما تريد؟

وهذه صلابة في الموقف يدل عليها أيضاً جواب الحُر: « أما لو غيرك من العرب يقولها لي وهو على مثل الحال التي أنت عليها ما تركت ذِكرَ أمّه بالثكل كائناً من كان، ولكن والله مالي من ذكر أمّك من سبيل إلا

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٣٨٦- ٣٨٧.

بأحسن ما نقدر عليه »[١].

وموقف آخر مع عبيدالله بن زياد أحد أجرأ الناس على الله تعالى وأشدّهم عِداءً للحق وأهله.

وقد كتب إلى الحسين عليه السلام: أمّا بعدُ يا حسين، فقد بلغني نزولك بكربلا، وقد كتب إليَّ أمير المؤمنين يزيد أن لا أتوسّد الوثير ولا أشبع من الخمير أو ألحِقكَ باللطيف الخبير، أو ترجع إلى حكمي وحكم يزيد بن معاوية، والسلام.

فلمَّا ورد كتابه على الحسين عليه السلام وقرأه، رماه من يده، ثم قال: لا أفلح قومٌ اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق.

فقال له الرسول: جواب الكتاب؟ أبا عبد الله! فقال: ما له عندي جواب ؛ لأنه قد حقت عليه كلمة العذاب.

فرجع الرسول إليه فخبَّره بذلك، فغضب عدو الله من ذلك أشد الغضب، والتفت إلى عمر بن سعد وأمره بقتال الحسين عليه السلام[٢].

إن الحسين عليه السلام المحاصر في كربلاء رغم قلة الناصر ما استطاع شيءٌ أن ينال من صلابته، ولا أن يلوي عوده عما يطلب، فترى الحسين عليه السلام يخاطب عمر بن سعد قائد الجيش، ومن ضيَّق عليه الأرض، يوم العاشر بكل صلابة وثقة بالغيب:

« يا عمر أنتَ تقتلني ؟ تزعُمُ أن يولّيك الدعي ابن الدعي بلاد الري وجرجان، والله لا تتهنأ بذلك أبداً، عهداً معهوداً، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأني برأسك على قصبةٍ، قد نصب بالكوفة،

---

(١) بحار الأنوار : ٤٤/٢٧٧.

(٢) بحار الأنوار : ٤٤/٢٨٣- ٢٨٤.

يتراماه الصبيان، ويتخذونه غرضاً بينهم، فاغتاظ عمر من كلامه، ثم صرف بوجهه عنه »[١].

رابعاً :وسائل الدعوة:

الإمام الحسين عليه السلام -شأنه شأن سلفه من الأنبياء والأئمة - ما استعان في دعوته ونهضته المباركة إلاّ بالوسائل المرضية عند الله عزّ وجلّ، ولم يكن هدفه جمع الأنصار بكل وسيلة، أوالتقوي بكل ما يقع تحت يده .

لقد كان الهدف سامياً، وكانت وسائله منتخبة مختارة. وسنختار من السيرة مثلاً واضحة توقفنا على جلية هذا الأمر:

١ـ لم أكن بالذي أتخذ المضلين عضداً:

وصل الإمام الحسين عليه السلام إلى موضع يسمّى (قصر مقاتل)، فإذا هو بفسطاطٍ مضروب، ورمحٍ منصوب، وسيف معلّق، وفرس واقف على مذود[٢].

فقال الإمام الحسين عليه السلام: لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لرجلٍ يقال له: عبيد الله بن الحُر الجعفي.

قال: فأرسل الحسين عليه السلام برجل من أصحابه يقال له : الحجاج بن مسروق الجعفي، فأقبل حتى دخل عليه في فسطاطه، فسلم عليه، فرد عليه السلام، ثم قال: ما وراءك؟

فقال الحجاج: والله، ورائي يا بن الحر! واللهِ قد أهدى اللهُ إليك كرامة إن قبلتها! قال: وما ذاك؟ فقال: هذا الحسين بن علي عليهما السلام يدعوك إلى نصرته، فإن قاتلت بين يديه أُجِرْتَ، وإن مُتَّ فإنك استُشهِدتَ.

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥/ ١٠.

(٢) اي معتلف الدابة.

فقال له عبيد الله: والله، ما خرجت من الكوفة إلا مخافة أن يدخلها الحسين ابن علي عليه السلام وأنا فيها فلا أنصره ؛ لأنه ليس في الكوفة شيعة ولا أنصار إلا وقد مالوا إلى الدنيا إلا من عصم الله منهم، فارجع إليه وخبره بذاك.

فأقبل الحجاج إلى الحسين عليه السلام فخبره بذلك، فقام الحسين عليه السلام ثم صار إليه في جماعة من إخوانه، فلما دخل وسلم، وثب عبيد الله بن الحر من صدر المجلس، وجلس الحسين عليه السلام فحمِد الله وأثنى عليه، ثم قال:... وأنت يا ابن الحر، فاعلم أن الله عز وجل مؤاخذك بما كسبت وأسْلَفتَ مِنَ الذنوب في الأيام الخالية، وأنا أدعوك في وقتي هذا إلى توبةٍ تغسل بها ما عليك من الذنوب، وأدعوك إلى نصرتنا أهل البيت، فإن أُعطينا حقنا حمدنا الله على ذلك وقبلناه، وإن مُنِعنا حقنا ورُكِبنَا بالظلم كنت من أعواني على طلب الحق.

فقال عبيد الله بن الحر: والله، يا ابن بنت رسول الله، لو كان لك بالكوفة أعوان يقاتلون معك لكنت أنا أشدهم على عدوك، ولكني رأيت شيعتك بالكوفة وقد لزِموا منازلهم خوفاً من بني أمية ومن سيوفهم، فأنشدك بالله أن تطلب مني هذه المنزلة، وأنا أواسيك بكل ما أقدر عليه، وهذه فرسي ملجمة، والله ما طلبت عليها شيئاً إلا أذقته حياض الموت، ولا طُلِبتُ وأنا عليها فلُحِقْتُ، وخذ سيفي هذا فوالله ما ضربتُ به إلا قَطَعتُ.

فقال الحسين عليه السلام: يا ابن الحر، ما جئناك لفرسِك وسيفك، إنما أتيناك لنسألك النصرة، فإن كنت قد بخلت علينا بنفسك فلا حاجة لنا في شيءٍ من مالك، ولم أكن بالذي أتخذ المُضلِّين عَضُداً، لأني قد سمعت رسول الله عليه السلام وهو يقول: من سَمِعَ واعية أهل بيتي ولم ينصرهم على حقهم إلا أكبَّه الله على

وجهه في النار، ثم سار الحسين عليه السلام من عنده ورجع إلى رحله [١].

لا شك أن الفرس والسيف من أبرز عدة الحرب، ومن مظاهر القوة آنذاك، إلا أن الإمام عليه السلام أبى أن يأخذها ممن أبى أن ينصر الحق بنفسه.

٢ـ الوضوح مع الجماهير:

من الوسائل التي يستعين بها الكثيرون هو التعتيم وعدم الوضوح مع الأتباع، وقد تجد بعض أصحاب الغايات المشروعة يلجؤون إلى ذلك، ويعتبرون ذلك جزءاً من السياسة والتدبير والحنكة، فيسير أتباعهم غير واعين بالمصير الذي ينتظرهم .

ولا شك أن هذه المسألة قد عالجها المفكرون فانقسموا إلى قسمين متباينين، فمنهم من يرى حجب المعلومات عن الأتباع، كي ينتظم الأمر على أفضل ما يمكن، والقسم الآخر يرى ضرورة إطلاع الأتباع على ما يجري ؛ كي يتحملوا النتائج بنفس واعية ومدركة، وهذا ما نراه في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام وولده الإمام الحسين عليه السلام.

ولذلك يمكننا أن نقول بأن إحدى مميزات أصحاب الحسين عليه السلام الوعي بالعاقبة وما هم إليه صائرون، فلقد كانت عيونهم ترى شبح الموت المقبل، ويعرفون أنهم سيتساقطون قرابين بين يدي الله تعالى . فكان إقدامهم إقدام وعي ومعرفة، ولم تكن الشهادة نتيجة حماس ساقتهم له الأحداث فانجرفوا معه.

ويمكنك أن ترى هذا الوضوح في أكثر من موقف ومشهد، ومنها:

١.لما سقط إليه خبر مقتل عبد الله بن يقطر، أخرج للناس كتاباً ونادى:

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٣٦٥ – ٣٦٧.

« بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد، فقد أتانا خبر فظيع، قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وعبد الله بن يقطر، وقد خذلتنا شيعتنا، فمن أحب منكم الانصراف فلينصرف ليس عليه منا ذمام[١]، فتفرق الناس عنه تفرقاً، فأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقي في أصحابه الذين جاؤوا معه من المدينة».

وفي رواية أنه عليه السلام قال: « أيها الناس، فمن كان منكم يصبر على حد السيف وطعن الأسنَّة فليقم معنا، وإلاّ فلينصرف عنا»[٢].

لقد كان بإمكان الإمام الحسين عليه السلام كتمان الخبر ليحتفظ بمجموعة كبيرة من الأنصار، وليبقى محاطاً بكتلة بشرية كبيرة، إلا أن السماء أرادت لكربلاء أن تكون صورة فريدة في النزاهة لا تدنو لها أي صورة أخرى.

٢ـ لقد خطب الإمام الحسين عليه السلام أصحابه ليلة العاشر، فكان صريحاً في تصويره للهدف الذي اجتمع من أجله الجيش الأموي، فقد قام في أصحابه خطيباً فقال :

اللهم إني لا أعرف أهل بيت أبر ولا أزكى ولا أطهر من أهل بيتي، ولا أصحاباً هم خير من أصحابي، وقد نزل بي ما قد ترون، وأنتم في حل من بيعتي، ليست لي في أعناقكم بيعة، ولا لي عليكم ذمة، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وتفرقوا في سواده، فإن القوم إنما يطلبونني، ولو ظفروا بي لذهلوا عن طلب غيري[٣].

إنني أقرأ في عين كل قارئ لهذه الكلمات الإجلال لهذه الصراحة التي

---

(١) ما أشبه هذه الكلمة بكلمة أبيه أمير المؤمنين عليه السلام يوم سار على البصرة، فقد خاطب تلك الجموع في الربذة قائلاً: " من أحب أن يلحقنا فليلحقنا، ومن أحب أن يرجع فليرجع، مأذون له غير حرج ". راجع تاريخ دمشق : ٤٥٧/٤٢.

(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام : ٣٤٨.

(٣) أمالي الصدوق : ٢٢٠.

تتدفق من بين ثنايا الخطاب في أحرج ساعات تمر على كربلاء.

لقد أراد منهم أن يمشوا بأنفسهم نحو التضحية وبإرادتهم، لا تدفعهم مفاجأة الموقف للخوض في القتال، فكان من وراء هذه الصراحة تلك الصور التي رسمها الأنصار بتضحياتهم .

٣ـ إن الإمام الحسين عليه السلام اهتمَّ بالوضوح في مسيرته حتى فيما يتعلق بالأحداث التي ستجري بعد مصرعه عليه السلام، فقد خاطب الأنصار قائلاً لهم:

«ألا ومن كان في رحله امرأة فلينصرف بها إلى بني أسد[1]، فقام علي بن مظاهر وقال: ولماذا يا سيدي؟ فقال عليه السلام: إن نسائي تُسْبَى بعد قتلي، وأخافُ على نسائِكم من السَّبي.

فمضى علي بن مظاهر إلى خيمته، فقامت زوجته إجلالاً له فاستقبلته وتبسَّمتْ في وجهه، فقال لها: دعيني والتبسم، فقالت: يا ابن مظاهر، إني سمعت غريب فاطمة خطب فيكم، وسمعت في آخرها همهمة ودمدمة فما علمتُ ما يقول.

قال: يا هذه، إن الحسين عليه السلام قال لنا: ألا ومن كان في رحله امرأة فليذهب بها إلى بني عمها؛ لأني غداً أُقتل ونسائي تُسبى، فقالت: وما أنت صانع؟ قال: قومي حتى أُلحِقَكِ ببني عمك بني أسد.

فقامت ونطحت رأسها في عمود الخيمة، وقالت : والله ما أنصفتني يا ابن مظاهر، أيسرُّك أن تُسبَى بنات رسول الله عليه السلام وأنا آمِنَةٌ من السَّبي...، والله أنتم تواسون الرجال ونحن نواسي النساء.

فرجع علي ابن مظاهر إلى الحسين عليه السلام وهو يبكي، فقال له الحسين عليه السلام:

---

(١) باعتبار ان حياً من بني أسد كانوا يقيمون قرب كربلاء.

ما يُبكيك؟ فقال: سيدي، أبَت الأسديةُ إلاّ مواساتكم»[1].

هكذا كان الوضوح الذي تعامل به سيد الشهداء عليه السلام مع الأنصار، فأقدموا على بيِّنةٍ من أمرهم، حتى وصلو إلى مرتبةٍ عاليةٍ من اليقين، فأطلعهم على العالم الآخر.

قال الإمام السجاد عليه السلام: «ثم دعا فقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنة، وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه لِيَصِلَ إلى منزلته من الجنة»[2].

---

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٤١١– ٤١٢.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/٢٩٨.

الفصل الثالث:

العطف والرحمة

إن مظاهر العطف الحسيني على الأعداء والبعداء نموذج لا تعرفه إلا مدارس الأنبياء والأوصياء .

لقد سار الحسين عليه السلام من بطن العقبة حتى نزل شراف، فلمّا كان السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء وأكثروا، ثم سار حتى انتصف النهار....

وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي، حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين عليه السلام في حرّ الظهيرة، والحسين عليه السلام وأصحابه معتمّون متقلدون أسيافهم.

فقال الحسين عليه السلام لفتيانه: اسقوا القوم، وأرووهم مِنَ الماءِ، ورَشّفوا الخَيْلَ تَرْشِيفاً، ففعلوا، وأقبلوا يملؤون القِصاع والطساس من الماء، ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبَّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عُزلت عنه وسُقي آخر، حتى سقوها عن آخرها[1].

لقد كان بالإمكان أن يقتلهم عطشاً أو بالسيف، وستعتبر فرصة لا يمكن تفويتها في حساب أهل الدنيا، ولكن للأوصياء نظر آخر يظلون من خلاله يتقاطرون شفقة وعطفاً حتى على عدوهم .

ودونك هذا الأنموذج الفريد الذي يحدثنا بتفاصيله هرثمة بن سليم، قال :

---

(١) بحار الأنوار : ٣٧٥/٤٤- ٣٧٦.

غزونا مع علي عليه السلام صفين، فلمّا نزل بكربلاء صلى بنا، فلما سلَّم رفع إليه من تربتها فشمَّها، ثم قال: واهاً لك يا تربة، ليحشرنَّ منك قومٌ يدخلون الجنة بغير حساب.

قال: فلما رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير ـ وكانت من شيعة علي عليه السلام ـ حدَّثها هرثمة فيما حدث...، قال: لمّا نزلنا كربلاء، وقد أخذ حفنة من تربتها وشمها، وقال: واهاً لك أيتها التربة ليُحْشرَنَّ منكِ قومٌ يدخلون الجنة بغير حساب، وما علمُه بالغيب؟

فقالت المرأة له: دعْنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلاّ حقاً.

قال: فلما بعث عُبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام كنت في الخيل التي بعث إليهم، فلما انتهيت إلى الحسين عليه السلام وأصحابه عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع علي عليه السلام، والبقعة التي رفع إليه من تربتها، والقول الذي قاله، فكرهت مسيري.

فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين عليه السلام، فسلمت عليه، وحدّثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل.

فقال الحسين عليه السلام: أمعنا أم علينا؟

فقلت: يا ابن رسول الله، لا معك ولا عليك! تركت ولدي وعيالي أخاف عليهم من ابن زياد.

فقال الحسين عليه السلام: فتول هرباً حتى لا ترى مقتلنا، فوالذي نفس حسين بيده، لا يرى اليوم مقتلنا أحد ثم لا يُعيننا إلاّ دخل النار[1].

فياللعجب من رجل قد رأى من الدلائل فوق ما يكتفى به ومع ذلك تراه

---

(١) بحار الأنوار: ٤١/٣٢٧- ٣٢٨.

يأبى النصرة والسعادة، وأعجب منه ما ند من شفتي الإمام الحسين عليه السلام من كلمات الشفقة والرأفة، فقد بصَّره بعاقبته التي تنتظره إن رأى مصارع آل محمد ولم ينصرهم.

الفصل الرابع:

دروس من حياة الأنصار

إن أول ما يطالعنا ـ ونحن في كربلاء ـ ذلك التفاني العجيب والفداء العظيم، والذي أبداه أنصار الحسين عليه السلام بصورة لا نظير لها ولا مثيل.

🕮 يخرج عابس الشاكري فينادي:

«ألا رجل؟ فأحجموا عنه ؛ لأنهم عرفوه أشجع الناس، فصاح عمر ابن سعد: ارضخوه بالحجارة فرُمي بها، فلما رأى ذلك ألقى درعه ومغفره وشد على الناس، وإنه ليطرد أكثر من مائتين»[1].

ويقول قولته الشهيرة: «لا تلمني فإن حب الحسين أجنني».

🕮 وهذا مسلم بن عوسجة يقاتل قتال العاشق للموت، «فسقط إلى الأرض وبه رمق، فمشى إليه الحسين ومعه حبيب بن مظاهر، فقال له الحسين عليه السلام: رحمك الله يامسلم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[2].

ثم دنا منه حبيب فقال: يعزّ عليّ مصرعك، يا مسلم، أبشر بالجنة، فقال له قولاً ضعيفاً: بشَّرك الله بخير، فقال له حبيب: لولا أعلم أني في الأثر لأحببت أن توصي إليَّ بكل ما أهمك، فقال مسلم: فإني أوصيك بهذا ـ وأشار إلى الحسين عليه السلام ـ فقاتل دونه حتى تموت، فقال حبيب: لأنعمنَّك

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للسيد عبد الرزاق الموسوي المقرم : ٣٠٤.

(٢) سورة الأحزاب : ٢٣.

عيناً، ثم مات رضوان الله عليه»[1].

وهذا سعيد بن عبد الله الحنفي حين صلى الحسين عليه السلام يوم العاشر «تقدم أمام الحسين، فاستُهْدِفَ لهم يرمونه بالنبل كلما أخذ الحسين عليه السلام يميناً وشمالاً قام بين يديه، فما زال يرمى به حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللّهم العنهم لعن عاد وثمود، اللّهم أبلغ نبيك السلام عني وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإني أردت بذلك نصرة ذرية نبيك، ثم مات رضوان الله عليه، فوُجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح»[2].

سر عظمة أنصار الحسين عليه السلام:

إن هذا الحشد الكبير من المواقف المذهلة في التفاني والفداء، إضافة إلى الحُب العميق والتعلق بالله سبحانه وتعالى، لا شك أنها تستوقف المطالع لسيرة هؤلاء الصفوة ؛ ليتساءل كيف وصلوا إلى هذه المراتب العالية؟ وما الطريق الذي سلكوه حتى نالوا هذه الدرجة من القرب؟

إن الذي يمكن أن نتصيده من الروايات الواردة ثلاثة من العوامل، وهي:

١ـ الاختيار الإلهي:

قد تعجب من هذا العنوان، ولكنه أمر تفرضه علينا الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام، مشيرة إلى الموقعية التي يحتلها أولئك الأنصار.

لقد وردت في زيارة أصحاب الحسين عليه السلام هذه الألفاظ المباركة :

" السلام عليكم أيها الربانيون، أنتم خيرة الله، اختاركم الله لأبي عبدالله

---

(١) بحار الأنوار : ٤٥/٢٠.

(٢) بحار الأنوار : ٤٥/٢١.

عليه السلام، وأنتم خاصته اختصكم الله"[١].

ولما عنف ابن عباس على تركه الحسين عليه السلام فقال: إن أصحاب الحسين عليه السلام لم ينقصوا رجلاً، ولم يزيدوا رجلاً، نعرفهم بأسمائهم من قبل شهودهم.

وقال محمد بن الحنفية: وإن أصحابه عندنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم[٢].

وكيف لا يكون الأمر كذلك وهم المدخرون للملحمة الإلهية المنتظرة لحفظ الخط التوحيدي، والذي أسسه الأنبياء وسار على آثارهم الأوصياء.

وما أشبه الأمر بأصحاب الحجة عليه السلام فقد ذكرت أسماؤهم وحددت بلدانهم، وإنهم لمعروفون، ينتظرون الأمر، ويُنتظرون؛ لقيادة المعركة العظمى التي تسدل الستار على تاريخ من الظلم والبغي.

٢ـ الاستعداد الذاتي:

الاستعداد والتهيؤ هو الأساس لتلقي الألطاف الإلهية التي تهب نفحاتها، فيسمو من يظفر بها إلى مراتب التكامل الخلقي. وهذا الشرط كان متحققاً في أنصار الحسين عليه السلام كما تدل عليه سيرتهم.

ومن الواضح أن الناس لم يكونوا جميعاً مستعدين لأن يصبحوا شهداء بين يدي أبي عبدالله عليه السلام، ولو تتبعت مسيرة الحسين عليه السلام منذ خروجه من مكة وإلى أن غربت شمس يوم العاشر لعرفت كم من الناس قد التحقوا بالركب، ولكن كانت ريح التمحيص تهب عليهم فيتساقطون الواحد تلو الآخر.

وفي كربلاء مخضهم حتى ذهب الزبد، وبقي ما ينفع الناس، فقد أخذوا

---

(١) إقبال الأعمال: ٣ /٣٤٦.

(٢) مدينة المعاجز: ٣ /٥٠٣.

يتسللون، ويبتعدون عن ركب السعداء .

وإن تعجب فاعجب كيف أن هذه التصفية استمرت حتى لحظات الحسين عليه السلام الأخيرة حيث بقي فيمن اختاره الله عز وجل للنصرة المقدسة .

٣ـ عطاء الحسين عليه السلام :

إن من يسلم نفسه للحسين عليه السلام قرباناً ومن يترك الدنيا وما فيها لتقر عين الريحانة المصطفاة، لا أعلم ما سيهبها من كنوزه؟ أم كيف سيصوغها؟

إن الذي أعلمه أنهم قد عرجوا لذرى الكمال، وكان عروجهم من خلاله عليه السلام.

فالحر الرياحي عليه السلام أدركه عطاء الحسين عليه السلام ؛ فعاد من سادة الأحرار، ووهب النصراني هبت عليه نفحات الحسين عليه السلام فغدا من خير أهل التوحيد.

لقد قرر الأخلاقيون أن من أراد أن يتخلى عن رذائل أخلاقه، ويتحلى بمحاسنها، فإن أسرع سبيل لذلك أن يرتمي على طريق يمر به ركب السعادة، فيرمقه المعصوم بنظرة تتهاوى عنه موانع الكمال ويتحف بخير المواهب .

يقول المرجع الديني السيد محمد هادي الميلاني رحمه الله : " إن الفضيلة لا تستكمل إلا باجتماع أربعة أشياء، أحدها: المعارف الإلهية، والثاني : التقوى، والثالث : الفقه وأصوله، والرابع : مكارم الأخلاق، فإن اجتماع هذه الأشياء مهم جداً، وهو المستعان سبحانه وتعالى، وإن الدعاء والتوسل بمقام الولاية، وطلب العناية من ولي العصر ـ أرواحنا فداه ـ الوسيلة العظمى لنيل تلك الأركان الأربعة المذكورة إن شاء الله تعالى"[1].

وقال رحمه الله: " قد يحصل للإنسان في آنٍ ما من التوسل بمقام الولاية ما لا

---

(١) علم وجهاد : ٩١/١.

يدركه ويناله خلال مائة سنة من الدرس والتحصيل"[1].

فما بالك بهؤلاء الخلص من الأصحاب وقد يمموا شطر وجه الإمام الحسين عليه السلام، وأضحى معشوقهم الذي لا يطيقون فراقه، وقد انحنى عليهم بعطفه ليسقيهم من كأس السعادة، ليظل أهل الولاء متمنين له، فلا تسمعهم إلا وهم يقولون: " ياليتنا كنا معكم فنفوز فوزاً عظيماً".

(١) علم وجهاد : ٣٤٣/١.

الباب الخامس

سعادة الأرواح في محراب الحسين

الفصل الأول:

الحسين في محراب العبادة

يا طالبي نهج الحسين ﷺ، ألا فاسمعوا ما يقوله سيد الأحرار.

ويا رافعي راية الاقتداء بسيد الشهداء، ألا فاقرؤوا ما أوضح وأبان. ويا قارئي الحسين نهضة في ساحات الحرب ومغفليه في محاريب العبادة، أبصروا النور الذي أوقده.

لن يخفى على القارئ النبيه أن سوء التعامل مع ساحات الإمام الحسين ﷺ الواسعة وتضييقها يعكس الأفق الضيق الذي مني به بعض الكتاب، فتراهم وقد سلكوا طريق الإغماض للجوانب الروحية التي يبعثها الحسين ﷺ فأغفلوا دورها في بلورة الشخصية المؤمنة، حتى ظُن بأن ذكر الحسين ﷺ لا يعني إلا الموت تحت ظلال السيوف ومقارعة الظالمين.

وما لم يكن هناك مجال للقتال، أو لم تكن الظروف ملائمة لشيء منه، أو كانت الأجواء إسلامية فليكن الحسين ﷺ في خانة الذكريات الأليمة، ولا حاجة لاستحضاره في كل محفل، وإذا ما التزم أولئك بالروايات الواردة في فضل البكاء سيكون الحسين ﷺ أنشودة عزاء فقط.

إنني أراهم قد حصروا الحسين في كربلاء، وحصروا كربلاء في لغة الدماء، وأجدهم قد استوعبوا درساً واحداً من دروسه، واهتموا بجانب لا يستوعب كل تقلبات الحياة.

أيها القارئ، أنصف مولاك الحسين في هذه الدعوى، أتراك تجده وقود حرب وثورة على حاكم ظالم؟ أم تراه ثورة على كل ظلم يعيشه المسلم ولو كان في ظلمات البحر وحده؟!.

إن الذي يبدو جلياً أن الدعاة لو حركوا الجماهير للثورة على كل ظلم باسم الحسين عليه السلام لصلحت أحوالهم، سواء منها ما كان بينهم وبين أنفسهم، أو بينهم وبين الآخرين، من أسر تنتظر العدل، أو آباء تتشوق لنيل حقها، أو جار يرقب الأمن من جاره...

لقد صبغوا ذكره بلون واحد فقط، فضربوا بذلك سياجاً يحول دون تغلغل الحسين عليه السلام في نفوس محبيه؛ ليكون مرشدهم في كل دهاليز الحياة.

إن الحسين عليه السلام ما كان ليصحبنا في مواطن القلاقل ثم إذا ما استقرت أمورنا انحاز عنا جانباً، بل هو درس الحياة الأكبر الذي من تعلمه وطبقه كان حراً في نفسه، ومتحرراً من كل قيد يعيقه عن العبودية لله تعالى، فلن تخضعه شهوة جامحة ولا نزوة عابرة، ولن تركعه ضربات من سوط بكف جلاد.

إن الحسين عليه السلام هو حياة الأحرار وأنشودتهم الدائمة في كل ساحات الحياة ودروبها، يذكره المظلومون فيؤجج في نفوسهم شعلة الحرية. ويذكره العُبَّاد فتسهر عيونهم ذكراه ليلة باتت كربلاء تتمايل على وقع دوي كدوي النحل منه ومن أصحابه.

ويذكره السالكون فتمد لهم يد العون من نواحي الغيب لتطوي بهم المراحل والمنازل. ويذكره المنهزمون أمام شهواتهم فيبعث فيهم روح العزيمة إذ تشرق أنواره عليهم.

فلنقترب من وهج الحسين عليه السلام ليضيء لنا سبل الحق، ولندنُ من نوره فقد سئمنا الظلمات.

أقوال وأفعال:

لقد أُثر عن الحسين عليه السلام من الكلمات ما يرتبط بحياتنا الروحية، التي نرغب أن نتألق في أجوائها فنعيش في رحاب الطهر والقداسة، وحفظ المؤرخون من عبادته ما تحير عندها العقول، وسأختار من هذين الحقلين باقتي قول وعمل.

لقد قال الحسين عليه السلام:

البكاء من خشية الله نجاة من النار.

وقال: بكاء العيون وخشية القلوب رحمة من الله[1].

فيا من ظن أن المحاريب لأهل الجبن ألا اسمع هتاف الحسين عليه السلام علّه يوقظك من سباتك؛ لتعلم أن قادة الحروب رهبان الليل، ولا تبحث عما يبرر كسل نفسك بإخفاء الحقائق.

ولو فسح لنا في البصر لرأينا من أحواله المذهلة ما يوقفنا على حقيقة هذه الكلمات، فقد نقل المشاهدون له عند إقباله على الوضوء أن ألوانه كانت تتغير، وأن مفاصله كانت ترتعد.

مشهد لم تألفه الناس في أنفسها ولا في من تقدسهم، فراحت تسأله عن ذلك فقال: ما تدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟[2]

لقد قلت حقاً فإن لك من المعرفة ما يوقفك هذا الموقف، وأما الآخرون فلم ينالوا من المعرفة إلا قليلاً مما أفضتموه.

وأزاح الإمام الحسين عليه السلام ستاراً لمن أبدى تعجبه من حاله بقوله:

---

(١) مستدرك الوسائل: ١١/٢٤٥.

(٢) إحقاق الحق: ١١/٤٢٢.

حق لمن وقف بين يدي الملك الجبار أن يصفر لونه ويرتعد(وترتعد) مفاصله[١].

وحدثت الروايات بأن الحسين عليه السلام كان يصلي فمر بين يديه رجل، فنهاه بعض جلسائه، فلما انصرف من صلاته قال له:

لم نهيت الرجل؟ فقال: يا بن رسول الله، خطر فيما بينك وبين المحراب. فقال: ويحك، إن الله عز وجل أقرب إلي من أن يخطر فيما بيني وبينه أحد[٢].

ورئي الحسين عليه السلام يطوف بالبيت، ثم صار إلى المقام فصلى، ثم وضع خده على المقام فجعل يبكي ويقول:

عبيدك ببابك، خويدمك ببابك، سائلك ببابك، مسكينك ببابك، يردد ذلك مراراً ثم انصرف[٣].

إن من يعيش هذه العلاقة مع الله تبارك وتعالى لا نعجب منه إذا ما استغرقت العبادة أوقاته، وصاغ حبه لله عز وجل المواقف العبادية صياغة فريدة من نوعها.

إن صلاة الحسين عليه السلام فريدة، تراها وقد لبست ثوب الإقبال والكثرة معاً، فقد كشف الإمام السجاد عليه السلام عن كثرتها لما قيل له: ما أقل ولد أبيك !! فقال: أتعجب كيف ولدتُ له، كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة[٤].

وإن حجه قد طبعه بطابع الحب كثرة وهيئة، فقد ألفه منذ أيامه الأولى يوم صحب النبي صلى الله عليه وآله في حجة الوداع، ونقل ما رآه فيها، فقال: كُنَّا مع

---

(١) جامع الأخبار : ٧٦.
(٢) وسائل الشيعة٣/٤٣٤.
(٣) إحقاق الحق : ١١/ ٤٢٣.
(٤) بحار الأنوار : ٨٢/٢١١.

النبي عليه السلام في الطواف فأصابتنا السماء، فالتفت إلينا، فقال: ائتنفوا العمل فقد غفر لكم ما مضى[١].

وألفه طريق الحج، فقد مشى في دروبه خمساً وعشرين حجة بهيئة تعبر عن عظيم حبه، فقد كان يذهب للحج ماشياً على قدميه، لا عن فقر ولا فاقة، فقد كانت النجائب تقاد بين يديه أو خلفه[٢].

وكانت حياته قد كستها مظاهر العلاقة بالله تبارك وتعالى، حتى أصبح الأمر لا يمكن كتمانه عن الآخرين، فقد قيل له: ما أعظم خوفك من ربك!!

فقال عليه السلام لهم مجيباً: لا يأمن يوم القيامة إلا من خاف الله في الدنيا[٣].

إليك يا من تطلب واعظاً:

أيها الوعاظ، أفيقوا فقد جاء من يعظكم، وأيها المتشدقون بالتدين استيقظوا فقد دق ناقوس الخطر في مسامعكم، ويا من أدخلتم الناس نار جهنم بأهوائكم تيقظوا، فقد هبت عليكم رياح الواعظين لتكشف لكم الواقع، فتبصروا الطريق، ألا فاقرؤوا ما قال الحسين عليه السلام:

فإياك أن تكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم، ويأمن العقوبة من ذنبه، فإن الله عز وجل لا يخدع عن جنته، ولا ينال ما عنده إلا بطاعته إن شاء الله[٤].

موعظة تتحدث عن واقع شريحة من الناس، وهم الذين يركبون موجة التدين فيعظون وينسون أنفسهم.

---

(١) كنز العمال: ١٧١/٥.

(٢) المحاسن: ١٤٦/١، بحار الأنوار: ١٩٣/٤٤، كشف الغمة: ٢٣/٢، وسائل الشيعة: ٥٩/٨

(٣) العوالم: ٦٢.

(٤) الكافي: ٤٩/٨.

الموعظة الشافية:

كم نحن بحاجة لاستماع ما يوقظنا من سباتنا الطويل!! فإننا نمر على ديار سكنها آباؤنا، وبعد ما شيدوها رحلوا عنها، فلا نتعظ برؤيتها، بل نذهل بما صار في أيدينا منها، ويخيل لنا أننا باقون لها، وهي باقية لنا.

ونظل في غفلتنا فلا نجد من يوقظنا، وإن وجد لم نطلبه، ولو قرأنا سيرة الطبقة العالية من الشيعة وهم مراجعنا العظام لرأيناهم يطلبون من أهل الوعظ أن يعظوهم.

فيا للعجب من المتعظين نراهم يبحثون عن الواعظين لهم، وياللعجب من الغافلين راحوا يصمون أسماعهم دونها.

ورب قائل يقول: ما أقل الوعاظ في زماننا!! ومن وجدناه فهل سيكون مالكاً للكلمة الصادقة في وعظه ليصبح القلب مرتهناً بكلماته، وهل سيكون ممن يمتلك البيان في التعبير عن مواقف الوعظ العظيمة؟!

إنني أعتقد أن خير ما يمكن أن يعظ به الإنسان نفسه هو أن يقرأ ما تفوه به الأئمة عليهم السلام فقد أبانوا وأوضحوا، وستجد أنك لا تملك دموعك وأنت تمر بموعظة قد صاغ كلماتها لسان معصوم كالحسين عليه السلام، وستلقي بقلبك في أودية الملامة للنفس على طول نسيانها لآخرتها وغفلتها عما يراد بها.

لقد روي أن الإمام الحسين عليه السلام قال:

يا بن آدم، تفكر... وقل:

أين ملوك الدنيا وأربابها الذين عمروا، واحتفروا أنهارها، وغرسوا أشجارها، ومدنوا مدائنها؟!!

فارقوها وهم كارهون، وورثها قوم آخرون، ونحن بهم عما قليل لاحقون.

يا بن آدم، اذكر مصرعك، وفي قبرك مضجعك، وموقفك بين يدي الله،

تشهد جوارحك عليك، يوم تزل فيه الأقدام، وتبلغ القلوب الحناجر، وتبيض وجوه وتسود وجوه، وتبدو السرائر، ويوضع الميزان القسط.

يا ابن آدم، اذكر مصارع آبائك وأبنائك، كيف كانوا؟! وحيث حلوا، وكأنك عن قليل قد حللت محلهم، وصرت عبرة للمعتبر، وأنشد شعراً:

أين الملوك التي عن حفظها غفلت
حتى سقاها بكأس الموت ساقيها
تلك المدائن في الآفاق خالية
عادت خراباً وذاق الموت بانيها
أموالنا لذوي الوراث نجمعها
ودورنا لخراب الدهر نبنيها[1]

مواعظ لا تنسى:

يأتي الصباح فيشرق على كل المخلوقات، ويصحو المكلفون، فيسيرون في طرق الحياة، وتأخذهم إلى عالمها وتذهلهم عما يراد بهم، وقليل منهم من يكون فوق مجرياتها فلا تأخذه لعالمها، بل يظل متيقظاً رغم منعطفاتها الضيقة.

وإن نفسي لتسأل قبل القارئ، فتقول: وما الذي يمكن أن يوقظ به الإنسان نفسه من سباتها؟. فتجيبها كلمات الحسين عليه السلام لما سئل فقيل له: كيف أصبحت يا بن رسول الله؟

فقال عليه السلام: أصبحت ولي رب فوقي، والنار أمامي، والموت يطلبني،

(١) إرشاد القلوب: ١/ ٢٩.

والحساب محدق بي، وأنا مرتهن بعملي، لا أجد ما أحب، ولا أدفع ما أكره، والأمور بيد غيري، فإن شاء عذبني، وإن شاء عفا عني، فأي فقير أفقر مني[١].

هكذا تستشعر النفس فقرها، وتبصر قيمتها، فتهتدي لطريقها، فإنني ولو كنت صاحب الخورنق والسدير سأجد الذلة بين يدي الله تبارك وتعالى بعد هذه الكلمات.

وهناك كلمات أخرى قالها الحسين عليه السلام تضع النقاط على الحروف أمامنا قبل أن تنطلق في طرق الحياة اليومية، فقد كتب رجل إليه: عظني بحرفين، فكتب إليه: من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوت لما يرجو وأسرع لمجيء ما يحذر[٢].

موعظة المذنبين:

جاء رجل إلى الحسين عليه السلام فقال: أنا رجل عاص، ولا أصبر عن المعصية، فعظني بموعظة، فقال عليه السلام: افعل خمسة أشياء وأذنب ما شئت:

فأول ذلك: لا تأكل رزق الله وأذنب ما شئت، والثاني: اخرج من ولاية الله وأذنب ما شئت، والثالث: اطلب موضعاً لا يراك الله وأذنب ما شئت، والرابع: إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فادفعه عن نفس وأذنب ما شئت، والخامس: إذا أدخلك مالك في النار فلا تدخل في النار وأذنب ما شئت[٣].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/٤٠٤.

(٢) الكافي: ٢/٣٧٣.

(٣) بحار الأنوار: ٧٥/١٢٦.

الفصل الثاني:

الصلاة في المحضر الحسيني

همسة للقارئ...

أمامك حقول معرفية لست من أهلها، إذ لم تنمُ أشجارها في قلبي، وإنما هي زهور جمعتها من كلمات العلماء، وثمار قطفتها من أبحاثهم، وقد وضعتها في سلة واحدة؛ ليسهل علينا تناولها والوصول إليها.

حروف للتأمل...

عندما ينفض المسلم يده مما علق بها من الدنيا يجد نفسه قد ارتفعت نحو عالم آخر، وإذا ما يمم وجهه نحو القبلة أشرفت روحه على عالم يشرق بالنور، فقد بدت علائم الجلال تلوح في الأفق.

إن المصلي لن يظل في مكانه محصوراً، بل إنه قد تهيأ للانتقال من محادثة العباد إلى خطاب ربه، فأصبحت الحركة محسوبة، واللفتة بالوجه ملحوظة، والكلمات مراقبة. إنه قد تهيأ للعروج من عالم إلى آخر، ووسيلته الصلاة التي سمتها كلمات النبي عليه السلام معراجاً.

فما أسعد من يعرج بالصلاة!! وما أسعد من يكون معراجه مشمولاً بألطاف الحسين عليه السلام، من البدء وحتى الختام!!

هبة الإمام الحسين عليه السلام للصلاة (١)

ماذا قدم الإمام الحسين عليه السلام للمسلمين في الصلاة ؟

وما هي البركات التي حصدتها الأمة ببركاته ؟

تساؤل مهم تعرفنا الإجابة عليه مقدار ما فتحه الإمام الحسين عليه السلام للأمة، وتوضح ما قدمه للمصلي من أبواب تقربه إلى الله عز وجل

إن الرواية الواردة عن الإمام الكاظم عليه السلام تبين سبب التكبيرات السبع التي يأتي بها المصلي عند مفتتح الصلاة، فقد قال عليه السلام: إن النبي صلى الله عليه وآله لما أسري به إلى السماء قطع سبعة حجب، فكبَّر عند كل حجاب تكبيرة، فأوصله الله عز وجل بذلك إلى منتهى الكرامة[1].

لقد كان المعراج في مكة المكرمة، وقد صاحبته مجموعة من الأحداث، والتي كان منها هذه الحادثة التي ذكرتها الرواية.

ولقد بقيت هذه التكبيرات مكتومة وغير متاحة للمسلمين، تحتاج لسبب تستنزل به هذه التكبيرات العظيمة، والتي ستعين المصلي في التقرب إلى الله عز وجل

لقد مرت على هذه الحادثة سنين عديدة ضمت أحداثاً متعددة، وكان منها ولادة الإمام الحسين عليه السلام في المدينة المنورة، وقد جرت فيه سنن الأئمة عليهم السلام، فقد نطق عند الولادة، ثم عاد إلى الصمت فلم يسمع له صوت.

حتى إذا ما جاء اليوم الذي خرج فيه الإمام الحسين عليه السلام مع جده الرسول صلى الله عليه وآله، وقد حمله على عنقه.

اصطف المسلمون خلف النبي صلى الله عليه وآله، وقد أقام الحسين عليه السلام على يمينه،

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ١/٣٠٥.

وهو لا يزال صامتاً لم يسمع بعد صوته.

وما أن افتتح الرسول عليه السلام الصلاة وكبر حتى سمع صوت الحسين عليه السلام وقد انطلق بالتكبير، فلما سمع جده عليه السلام تكبيره عاد وكبر، فكبر الحسين عليه السلام.

لقد كبر رسول الله عليه السلام في تلك الصلاة سبع تكبيرات، وكبر الإمام الحسين عليه السلام معه فجرت السنة بذلك[1].

لقد ورد في بعض الروايات أن السبب في تشريع هذه التكبيرات ما كان من رسول الله عليه السلام ليلة المعراج، وفي بعضها الآخر أن السبب في تشريعها ما كان من الإمام الحسين عليه السلام.

وأحسب أن القارئ للروايتين يصعب عليه أن يحدد الموقف تجاههما إلا أن يستعين بأهل العلم وأرباب الفهم.

فإذا ما رجعنا لما دونته أقلامهم فسنجدهم يقولون: إن ما صدر عن الرسول عليه السلام ليلة المعراج علة للتشريع في الواقع وعالم الباطن، وما صدر عن الإمام الحسين عليه السلام علة التشريع في عالم الظاهر[2].

لقد نالت الأمة بركات هذه التكبيرات بواسطة الإمام الحسين عليه السلام، وكان هو السبب الذي هطل به غيث الرحمة من عند الله عز وجل.

وقد تسمع من البعيدين عن ساحة العترة عليهم السلام أن هذه المقالة فيها من الغلو ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم يبدون تذمرهم من الاعتقاد بمثل هذه الروايات.

إنني لا أشك أن هذا القول يصدر من كل مريض في قلبه، ومن أولئك الذين لا يستطيعون أن يسمعوا صوتاً يلهج بفضل أهل البيت عليهم السلام.

---

(1) راجع مختلف الشيعة: ٢/١٨٦-١٨٧.

(2) راجع كتاب الصلاة، (تقرير بحث الشيخ النائيني) : ٢/٥٨.

ولو تأمل القارئ في كتب الفريقين لعرف أن هناك مجموعة من الأعمال العبادية إنما عرفها المسلمون ببركة بعض المقربين من الله ﷻ.

إن من تلك الأمور التسبيح المعروف بتسبيح السيدة فاطمة عليها السلام، فقد أقر الفريقان بأن السبب في نيل الأمة لهذه البركة، والسبب في الحصول على معرفته إنما هي فاطمة عليها السلام، وبأدنى مراجعة لكتاب كنز العمال[1] سترى تفاصيل الحادثة، وقد علق علماء المسلمين عامة على الفوائد المرتقبة لمن قام به.

لم تكن هذه التسبيحات أمراً عادياً يمكن للأمة أن تستغني عنه، بل هو باب عظيم يدرك من خلاله المسلمون كثيراً من الأجر والثواب.

لقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: لأن أصلي الخمس الصلوات مجردة من نوافلها، وأسبح في عقب كل فريضة منها تسبيح الزهراء عليها السلام، أحب إلي من أن أصلي في اليوم والليلة ألف ركعة لا أسبح فيما بينها تسبيح فاطمة عليها السلام.

وسئل عليه السلام عن قول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾[2] ما حد هذا الذكر؟

فقال: من سبح في عقب كل فريضة تسبيح الزهراء فاطمة صلوات الله عليها وآلها فقد ذكر الله ذكراً كثيراً[3].

إن هذه الرحمة الكبيرة كانت مكتومة عن الأمة، ومحجوبة عنها، لولا أن بسطت الزهراء عليها السلام كفيها لتستمطر العطاء من السماء، فأرخت عزاليها، وهَمَت بغيثها، فشملت الرحمة الأمة.

---

(١) كنز العمال: ١٥/٤٩٩.

(٢) سورة الأحزاب: ٤١.

(٣) المقنعة: ١٤٠.

هبة الإمام الحسين عليه السلام للصلاة (٢)

ما السر الذي كسا بقعة من الأرض فأضحت مقدسة، تنهال عليها فيوض التقديس من السماء، وتعكف عليها العبَّاد في الأرض، تتنشق منها عبير الخلد، وتستعطي الرحمات؟

إن الذي جعل الموحدين يعتقدون بأن هذه الأرض أو تلك تحمل نوعاً من القداسة سببان، وهما :

الأول : أن تكون تلك البقعة قد شهدت واقعة دينية، فنالت بها التربة شيئاً من النور المشع عليها.

الثاني : أن تكون تلك الأرض محلاً لشعيرة من الشعائر الدينية كحج أو صلاة[1].

لقد ذكر القرآن الكريم بقعة من بقاع الأرض، وعبَّر عنها بالمقدسة، وهي وادي طوى، والتي كانت مرتبطة بنبي الله موسى بن عمران عليه السلام فتقرأ في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾[2].

لقد مد بعض المفسرين عينه على المظاهر الدنيوية والطبيعية، فقالوا: إن سبب التعبير عن الوادي بالمقدس كثرة الأشجار والأثمار فيه، وهذا عجيب منهم أن يجعلوا مناط القداسة لبقعة من البقاع أن تكون مزدانة بالأشجار، ولو قالوا : إنها أرض مباركة وتظهرالبركة بكثرة الأشجار لكان محل قبول .

لقد تحدث بعض مفسرينا عن سبب التقديس لهذه البقعة المباركة فقال الشيخ الطبرسي رحمه الله : إن سبب التقديس لهذه التربة أنها بقعة قد شهدت

---

(١) راجع تفسير الميزان : ١٣٨/١٤ .

(٢) سورة طه : ١٢.

مخاطبة الله ﷻ لموسى ﷺ حتى أصبح يسمى كليم الله[١].

وذكر الفيض الكاشاني ﷺ أن سبب التقديس يعود إلى أن الوادي قد قدست فيه الأرواح، واصطفيت فيه الملائكة، وكلّم الله ﷻ موسى تكليماً[٢].

إن ما ذكر من أسباب لتقديس البقاع قد توفرت في أرض كربلاء، فهي أرض شهدت واقعة إلهية، وكان المفدي فيها سيد شباب أهل الجنة ﷺ.

وفيها كان الحسين ﷺ يخاطب الله تعالى تارة بمناجاته، وأخرى يخاطبه الله ﷻ بقرآنه.

فما أعظم هذه التربة التي شهدت كل ألوان القداسة، وكانت مسرحاً لها ولغيرها مما قد أشارت له الروايات.

لقد كانت هذه التربة مقدسة قبل أن تختلط بالدم الزكي للإمام الحسين ﷺ وزادت قداستها يوم صافح ترابها وجهه، فشمخت على كل بقاع الأرض، فأي بقعة تضاهيها أو تجري معها في حلبة ميدان.

مظاهر القداسة:

يكفينا في هذا المجال ما رواه معاوية بن عمار قائلاً: كان لأبي عبد الله ﷺ خريطة ديباج صفراء فيها تربة أبي عبد الله ﷺ فكان إذا حضرته الصلاة صبَّه على سجادته، وسجد عليه.

ثم قال ﷺ: إن السجود على تربة أبي عبد الله ﷺ يخرق الحجب السبع[٣].

وكان ﷺ لا يسجد إلا على تربة الحسين ﷺ تذللاً لله واستكانة إليه[٤].

---

(١) راجع مجمع البيان: ٧/٤٣٣.
(٢) التفسير الأصفى: ٢/٧٥٦.
(٣) وسائل الشيعة: ٥/ ٣٦٦.
(٤) ن.م

وقال عليه السلام: السجود على طين قبر الحسين عليه السلام ينور إلى الأرضين السبعة، ومن كانت معه سبحة من طين قبر الحسين عليه السلام كتب مسبحاً وإن لم يسبح بها[(١)].

وقفة تامل :

إن الركعة الأولى في الصلاة تبدأ بتكبيرات سبع، يتقرب بها العبد إلى الله عز وجل ويخرق بها المصلي الحجب السبع، وتختتم بالسجود على تربة الإمام الحسين عليه السلام فتخرق الحجب السبع.

فما أعظم فيض الحسين عليه السلام الذي يصحب المصلي عند بداية الصلاة ويختتم معه وهو ساجد لله عبودية ورقاً.

" فقطع الحجاب بين العباد ورب الأرباب في أول العروج إلى الله، وهو أول الركعة، بلسان الحسين عليه السلام، وخرق الحجاب في آخر الركعة وهو السجود بتربة الحسين عليه السلام[(٢)] ".

الحسين عليه السلام مقيم الصلاة :

يقف الزائر أمام الإمام الحسين عليه السلام فيلقي بمحضره عدة كلمات، ويدلي بشهادة في حقه، فيُعدد مجموعة من المواصفات التي كانت شخصيته تتمتع بها، فيقول:

" أشهد أنك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر "[(٣)].

---

(١) ن.م

(٢) منهاج الصالحين، لآية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني حفظه الله: ١/٣٦٢.

(٣) المقنعة : ٤٦٩.

معنى الشهادة :

إن الشهادة التي يدلي بها الشاهد لا تكون إلا عن علم منه، ولا تكون بالظن ولا بالشك ؛ إذ لا بد أن يكون الشاهد قد تيقن بالأمر فشهد به.

ومصدر هذا العلم قد يكون المشاهدة الحسية فيرى ببصره ما يشهد عليه مثلاً، وقد يكون البصيرة كما في الشهادة بوجود الله ﷻ.

فإن الله سبحانه وتعالى جل عن أن تقع عليه عين ناظر، أو أن يدركه بصر، ولكن من يشاهد الأفلاك وما فيها من مظاهر العظمة ودلائل الربوبية تخضع نفسه، وتتيقن بصيرته حتى يشهد بوجود رب لهذه الأكوان .

ونحن إذ نشهد في الزيارة بهذه الشهادة فنحن قد علمنا علماً لا شك فيه أن هذه المعاني قد تجسدت في الإمام الحسين عليه السلام.

معنى الشهادة بمحضره عليه السلام :

إن الزائر يشهد بمعنيين، وهما :

الأول: إنني أقر وأشهد أن الإمام الحسين عليه السلام كان حاملاً لمواصفات الحاكم العادل.

ولو تأملنا العبارة للاحظنا أنها لا تذكر هذه المفردات على أنها ستتحقق فيما لو سلم الأمر إلى الإمام الحسين عليه السلام، بل تذكرها على أنها كانت متجسدة فيه، ومتحققة في الواقع الذي يعيشه، فهو مقيم الصلاة ومؤتي الزكاة والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

ومتى كانت هذه المواصفات متجسدة في الحياة من قبله، فإنها تعني أن الإمام الحسين عليه السلام قد أقام حكم الله في الأرض في حدود ما يتمكن، وفي النطاق الذي يتجاوب مع دعوته.

الثاني: أن الإمام الحسين عليه السلام قد بلغ في هذه الصفات أعلى الدرجات،

وأصبح النموذج الكامل لها، فكان بذلك قدوة وأسوة التي لا تبلغ من لدن أحد، ولا يدنو لعلوها مخلوق .

الصفات الحسينية :

إن الصفات التي ذكرت في الزيارة تعالج من زاويا متعددة، نذكر ثلاثاً منها:

الأولى : أنها بعض من صفاته :

لا يمكن لأحد أن يدعي أن هذه الصفات المذكورة هي كل مواصفات الكمال التي حبي بها سيد الشهداء عليه السلام، وإنما هي بعض من تلك الصفات، وشعاع من نور يخطف الأبصار، وقطرة من بحر لجي .

ولهذا فإن تعديد هذه الصفات لا يقصد به الاستقصاء لكل مواصفاته، بل جاء من باب ذكر نماذج من صفاته العالية التي تحلت بها شخصيته.

الثانية : مراعاة الاختصار :

لقد اختصرت ألفاظ الزيارة ما يتمتع به الإمام الحسين عليه السلام من صفات، فعلاقته بالله عز وجل قد اختصرت في ذكر واحدة من أبرز تلك الصفات، وهي أفضل العبادات الروحية، فشهدت له بأنه قد أقام الصلاة.

ويندرج تحت هذه العبارة مجموعة من الصفات كالدعاء، والمناجاة، والالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى، وغير ذلك من المفردات العالية والمرتبطة بالعبادة الروحية.

واختصرت عبادته المالية المتعددة، والتي منها : الهبات، والأعطيات، والصدقات، في عبارة واحدة، وهي إيتاء الزكاة .

واختصرت عبارة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مجموعة من القيم

التي كان يمارسها تجاه المجتمع من حوله.

الثالثة : الشهادة بابرز الفرائض:

إن إقامة الصلاة التي هي أظهر مظاهر عبادة الله، وإيتاء الزكاة الذي هو أقوى أركان المجتمع الديني، وقد أشير بهما إلى نوع الوظائف الدينية التي بإتيانها يتم الإيمان بآيات الله بعد الإيمان بالله عز اسمه[1]، وقد شهدت في الزيارة بتحققهما من قبل الحسين عليه السلام.

ولتقترب من هذه القراءة للزيارة الشريفة اقرأ معي هذه الآية المباركة :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[2].

لاحظ هذه المفردات المذكورة في الآية، وتأمل في المفردات المذكورة في الزيارة الشريفة ستجد أنهما تتحدثان عن صفات واحدة.

فالآية تقول : أقاموا الصلاة، والزيارة تقول : أقمت الصلاة.

والآية تقول : وآتوا الزكاة، والزيارة تقول : وآتيت الزكاة.

والآية تقول : وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، والزيارة تقول : وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر.

إن الشهادة للإمام الحسين عليه السلام بحمله لهذه الصفات شهادة بأنه ممن يصلح لإقامة الحكم الإلهي في الأرض، وكأن الزائر يزور وعينه ناظرة للآية المباركة، فيعدد المزايا المذكورة في الآية لمن يقيم حكم الله في الأرض، متى ما مكنه الله عز وجل.

---

(١) راجع تفسير الميزان : ١٥٨/٩ .

(٢) الحج : ٤١.

الإمام الحسين عليه السلام والآية المباركة :

لقد ورد في الروايات المباركة أن المعني بهذه الآية أهل البيت عليهم السلام، فقد روي عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال : كنت عند أبي يوماً في المسجد إذ أتاه رجل فوقف أمامه، وقال : يا ابن رسول الله، أعيت علي آية في كتاب الله عز وجل سألت عنها جابر بن يزيد فأرشدني إليك، فقال : وما هي ؟

قال : قوله عز وجل : الذين إن مكناهم في الأرض ... فقال : نعم فينا نزلت، وذلك أن فلاناً وفلاناً وطائفة معهم .وسماهم .اجتمعوا إلى النبي عليه السلام فقالوا: يا رسول الله، إلى من يصير هذا الأمر بعدك ؟

فوالله، لئن صار إلى رجل من أهل بيتك إنا لنخافهم على أنفسنا، ولو صار إلى غيرهم؛ لعل غيرهم أقرب، وأرحم بنا منهم، فغضب رسول الله عليه السلام من ذلك غضباً شديداً، ثم قال:

أما والله، لو آمنتم بالله ورسوله ما أبغضتموهم؛ لأن بغضهم بغضي، وبغضي هو الكفر بالله، ثم نعيتم إليَّ نفسي، فوالله، لئن مكنهم الله في الأرض ليقيموا الصلاة لوقتها، وليؤتوا الزكاة لمحلها، وليأمرن بالمعروف، ولينهن عن المنكر، إنما يرغم الله أنوف رجال يبغضونني، ويبغضون أهل بيتي وذريتي.

فأنزل الله عز وجل: الذين إن مكناهم... فلم يقبل القوم ذلك، فأنزل الله سبحانه: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة الحج [1].

(١) بحار الأنوار : ٢٤ / ١٦٥.

ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام يقول: هذه فينا أهل البيت[١]، وتكررت أمثال هذه العبارة من غير واحد من الأئمة عليهم السلام.

ولا شك أن هذه المعاني المطروحة في الآية الشريفة على نحو الشرطية (إن مكناهم ...) قد أقامها الأئمة عليهم السلام، ولكن كل بحسبه، كما جاء في ألفاظ الزيارات الواردة، ومنها : " أشهد أن أباك علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام وسيد الوصيين وقائد الغر المحجلين، إمام افترض الله طاعته على خلقه، وكذلك أخوك الحسن بن علي عليه السلام، وكذلك أنت، والأئمة من ولدك، أشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم في الله حق جهاده حتى أتاكم اليقين من وعده[٢]".

لقد أقامها أمير المؤمنين عليه السلام بشكل واسع، وأقامها أولاده بحسب ما أتيح لهم، فكان الحسين عليه السلام ممن انطبقت عليه هذه الآية، فكان يمارس دوره في نطاق محدود.

وإنما تتجلى الآية بصورة واضحة يوم ترف راية الحق على كل صقع من أصقاع الأرض بيد الحجة المنتظر عجل الله فرجه؛ فإن الآية تحدثت عمن إذا تمكنوا في الأرض فإنهم سيكونون مجتمعاً صالحاً تقام فيه الصلاة، وتؤتى فيه الزكاة، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر[٣].

إقامة الصلاة :

إن التساؤل لا يبرح في البحث عن الشخص الذي ينطبق عليه أنه قد أقام الصلاة، أهو كل من يصلي؟ أم شريحة خاصة هي التي يصدق عليها ذلك ؟

---

(١) تفسير نور الثقلين : ٣ / ٥٠٦.

(٢) الإقبال : ٣ / ٧١،٧٠.

(٣) راجع تفسير الميزان : ١٤ / ٣٨٦.

هناك جهتان تتوفران فيمن يطلق عليه أنه مقيم الصلاة، وهما:

الأولى: العمل على ترويجها:

فقد عرفوا إقامة الصلاة: بأنها التصدي لأن يأتي الآخرون بها: إما جبراً، أو نصيحةً ووعظاً[1].

ففي اللغة العربية تعبيران يستعملهما العرب في خطاباتهم، وبينهما فارق كبير جداً، وهما: " فلان أقام الصلاة " و " فلان صلى ".

فلا يستعمل العرب عبارة أقام الصلاة إلا لمن قام بترويج الصلاة بين الناس، وعمل على نشرها، وجعلها شعيرة ممارسة من قبل الآخرين.

ويمكن أن نقترب من المعنى إذا لاحظنا كلام العرب في عالم الشعر، إذ يقال: (فلان شاعر)، وتارة أخرى يقال: (فلان أقام سوق الشعر)، ويقصدون بذلك أنه عمل على ترويجه ونشره بين الناس.

وهناك معنى آخر لإقامة الصلاة، وهو: نصرتها بعد أن قامت الحرب ضدها، فعمل على نصرتها، وخرج بها منتصرة على السياسات التي تريد تغييب الصلاة عن الذهنية الإسلامية.

إن هذه المعاني ذاتها يستوحيها العلماء من الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة ...

حيث لم تقصد الآية أن هؤلاء يصلون، ويزكون، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فهذه أمور يقوم بها من المسلمين الكثير، ولكن المعنى المراد هو أن هؤلاء يجعلون للصلاة وباقي الأمور رواجاً في المجتمع الذي يقيمونه.

---

(١) تفسير القرآن : ٥/٥٥٨.

الثانية: الإتيان بها كاملة:

لقد اختلفت تعابير العلماء في فهم هذه المفردة، وإن كانت بعضها متداخلة وقريبة من بعض، وسنشير لبعض هذه الآراء، ومنها:

- الشيخ الطوسي:

إقامة الصلاة يقصد بها: إتيانها بكمالها والمداومة عليها[1].

ويمكننا أن نتعرف على بعض كمالاتها من خلال هذه الرواية التي يحدثنا بها حماد بن عيسى فقد قال:

قال لي أبو عبد الله عليه السلام يوماً: تحسن أن تصلّي يا حمّاد؟ قال: قلت: يا سيّدي، أنا أحفظ كتاب حريز في الصلاة، قال: فقال عليه السلام: لا عليك قم فصلّ، قال: فقمت بين يديه متوجّهاً إلى القبلة فاستفتحت الصلاة وركعت وسجدت، فقال عليه السلام: يا حمّاد، لا تحسن أن تصلّي، ما أقبح بالرجل أن تأتي عليه ستّون سنة أو سبعون سنة فما يقيم صلاة واحدة بحدودها تامة!

قال حمّاد: فأصابني في نفسي الذلّ، فقلت: جعلت فداك، فعلّمني الصلاة، فقام أبو عبدالله عليه السلام مستقبل القبلة منتصباً، فأرسل يديه جميعاً على فخذيه قد ضمّ أصابعه وقرّب بين قدميه حتّى كان بينهما ثلاث أصابع مفرجات، فاستقبل بأصابع رجليه جميعاً لم يحرفهما عن القبلة بخشوع واستكانة فقال: الله أكبر، ثم قرأ الحمد بترتيل، وقل هو الله أحد، ثمّ صبر هنيئة بقدر ما يتنفّس وهو قائم، ثمّ قال: "الله أكبر" وهو قائم، ثمّ ركع وملأ كفّيه من ركبتيه مفرّجات، وردّ ركبتيه إلى خلفه حتّى استوى ظهره، حتّى لو صبّ عليه قطرة ماء أو دهن لم تزل لاستواء ظهره، وردّ ركبتيه إلى خلفه، ونصب عنقه، وغمض عينيه، ثمّ سبّح ثلاثاً بترتيل

---

(١) التبيان: ٥ / ٢٥٧.

وقال: "سبحان ربّي العظيم وبحمده"، ثمّ استوى قائماً، فلمّا استمكن من القيام قال: "سمع الله لمن حمده"، ثمّ كبّر وهو قائم، ورفع يديه حيال وجهه، وسجد، ووضع يديه إلى الأرض قبل ركبتيه فقال: "سبحان ربّي الأعلى وبحمده" ثلاث مرّات، ولم يضع شيئاً من بدنه على شيء منه، وسجد على ثمانية أعظم: الجبهة، والكفّين، وعيني الركبتين، وأنامل إبهامي الرجلين، والأنف، فهذه السبعة فرض، ووضع الأنف على الأرض سنّة، وهو الإرغام، ثمّ رفع رأسه من السجود، فلمّا استوى جالساً قال: "الله أكبر"، ثمّ قعد على جانبه الأيسر، ووضع ظاهر قدمه اليمنى على باطن قدمه اليسرى، وقال: "أستغفر الله ربّي وأتوب إليه"، ثمّ كبّر وهو جالس، وسجد الثّانية وقال كما قال في الأولى، ولم يستعن بشيء من بدنه على شيء منه في ركوع ولا سجود، وكان مجنّحاً، ولم يضع ذراعيه على الأرض، فصلّى ركعتين على هذا، ثمّ قال: يا حمّاد، هكذا صلِّ، ولا تلتفت، ولا تعبث بيديك وأصابعك، ولا تبزق عن يمينك ولا يسارك ولا بين يديك [1].

ـ الزمخشري في الكشاف [2]:

وقد ذكر أربعة معان، وتبعه بعض العلماء، وهي :

١. تعديل أركان الصلاة، والحفاظ عليها من أن يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها، وقد رجحه الشريف الجرجاني [3].

٢. المداومة على الصلاة والمحافظة عليها، وقد رجحه من اللغويين أبوعلي الفارسي [4].

---

(١) من لا يحضره الفقيه : ١/ ٣٠٠-٣٠٢.

(٢) الكشاف : ١ /١٢٩.

(٣) الحاشية على الكشاف : ١٣١.

(٤) شرح مسلم : ١ /١٦٣.

٣.التجلد والتشمر لأدائها، وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها، كما يقال : قامت الحرب على ساقها، وقام بالأمر، وضده من قعد عنه.

٤.أداء الصلاة والإتيان بها.

.الميرزا محمد المشهدي في تفسيره كنز الدقائق:

وقد بدأ الأقوال بهذا القول: القيام في الأصل الانتصاب، وإقامة الشيء جعله منتصباً، فكأنهم يجعلون الصلاة منتصبة من حضيض ذل العدم أو النقصان إلى ذروة عز الوجود أو الكمال، أي يحصلونها أو يأتون بها على ما ينبغي[(١)].

ولا شك أن التخصيص بالمدح لا يكون لمن جاء بها دون التفات لمعانيها وأبوابها المتعددة، وإنما يكون لمن جمع هذه الأبواب فكانت صلاته في كل النواحي غاية في الكمال .

فاللسان والجنان والأركان قد أدوا ما عليهم تجاهها، وتجلت الصلاة بأبهى حللها وأفضل مظاهرها[(٢)].

إن كل ما ذكر من المعاني يصب في خانة الاهتمام بالصلاة في كل نواحيها، ونحن نقرأ التاريخ فيحدثنا عن علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالصلاة، والتي لا توصف، وأكتفي بهذا الشاهد الذي يتقاطر فيه عشق الصلاة بنغمة لم تسمع الدنيا لها مثيلاً .

أين المدعون لحب الله عز وجل ؟ ألا فاسمعوا ما يقول سيد العشاق .

وأين الظانون بأنفسهم الوله لمناجاة الله ؟ دونكم فاقرؤوا ما حملته ريح التاريخ لآذان العباد فهاموا سكارى .

---

(١) تفسير كنز الدقائق : ١ /٨٦.

(٢) الأنوار اللامعة : ١٣١.

لقد كان الإمام الحسين (عليه السلام) يوم التاسع من المحرم، وقد هم القوم بالمناجزة، وإذا به يطلب طلباً واحداً، وقدحمّله أخاه العباس (عليه السلام) قائلاً: ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى غد، وتدفعهم عنا العشية؛ لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه، ونستغفره، فهو يعلم أني كنت قد أحب الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار[1].

الصلاة الحسينية الكاملة:

هل وراء القيام في الصلاة أوالقعود من معنى ؟ أم أنها تقف عند هذه الصور المتكررة من كل المصلين ؟

هل تتساوى تكبيرتنا مع تكبيرات الأولياء ؟ أم أن فرقاً بينهما كالفرق بين الثريا والثرى ؟

هل سلامنا في ختام الصلاة وبعد هذه الرحلة الروحانية كسلام أهل القلوب الصافية ؟ أم أننا إلى الآن لم ندرك من المعاني شيئاً، ولم تخطُ أقدامنا في هذا الطريق ؟

لا شك أن هناك فرقاً بين صلاة يؤديها الأولياء وبين صلاة كثير من الناس الذين تشغلهم الدنيا وما فيها، وتملكت قلوبهم مظاهرها. ولنتعرف على شيء من ذلك، ندنو قريباً من الروايات؛ لتعرفنا على كل هذا الفرق، ولكي تعرفنا ما الذي جعل صلاة الإمام الحسين (عليه السلام) هي الصلاة الكاملة، حتى أصبح مقيم الصلاة بتمام ما لهذه الكلمة من معنى ؟

الفهم الأول:

لقد روي عن الإمام الصادق (عليه السلام) أنه قال: "للصلاة أربعة آلاف حد"[2]،

---

(١) بحار الأنوار: ٢٩٢/٤٤.

(٢) الكافي: ٢٧٢/٣.

وروي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: "الصلاة لها أربعة آلاف باب"(١).

وقد ألف الشهيد الأول قدس سره "الرسالة الألفية" وتشتمل على ألف واجب في الصلاة، وألف "الرسالة النفلية" وتشتمل على ثلاثة آلاف من المستحبات - تقريباً -(٢).

وقد جاء الإمام الحسين عليه السلام بهذه الحدود والأبواب، فأصبحت صلاته هي الصلاة الكاملة الماثلة أمام أعين العالم.

الفهم الثاني:

إن الصلاة لها أربعة آلاف باب كلها قد أعدت للارتباط بالله عز وجل، فعندما يقف المصلي بين يدي الله عز وجل تكون أمامه كل هذه الأبواب، فانظر كم منها ستطرق، وكم منها ستدخل فيها.

إن هذا الفهم يعرفنا بأن الصلاة ليست تكراراً لعمل يومي، وإنما هي عمل متجدد، كلما جاء به المكلف ازداد قرباً، وانفتح له باب من أبواب الصلاة، يكسب منه شيئاً عظيماً.

إن هذه المعاني يتكلم عنها أرباب المعرفة، ونحن منها محرومون، وعنها مبعدون، فيصعب علينا تصورها؛ لأنها من عالم غير عالمنا الذي نعيشه وأنى لنا وقد أنسنا بالدنيا أنس الرضيع بمحالب أمه .

لكن أهل المعرفة، ومن ذاقوا من هذا المعين، عرفوا، فعشقوا، من بعدما رشفوا، فأفاضوا علينا من هذه المعاني، وأوضحوا لنا أن الصلاة كلما جئتها بقلب واعٍ ستنفتح لك أبواب مختلفة عن تلك التي انفتحت لك سابقاً، وليكن

(١) الخصال: ٦٣٨.

(٢) الألفية والنفلية: ٨٢، ويقول: "ووفق الله سبحانه لإملاء الرسالة "الألفية" في الواجبات، ألحقت بها بيان المستحبات، تيمناً بالعدد تقريباً..."

أمام ناظرك الصلاة الحسينية الكاملة، والتي انفتحت فيها أربعة آلاف باب، وأقام فيها أربعة آلاف حد.

هؤلاء هم المعصومون الذين أقبلوا على الله ﷻ كما أقبلنا على الدنيا، بل هم أشد، فإننا ارتبطنا بالدنيا، ومتى ما أردنا الصلاة سحبنا أنفسنا من الدنيا؛ لعلنا نقترب قليلاً من الصلاة، ولا نكاد نتفلت منها، بل تصبح قبلتنا أينما توجهنا.

وأما المعصوم فقد أقبل على الله ﷻ بكله، وفي كل آنٍ، ولولا ما وجب من حفظ الجسد من التلف لما مالوا لطعام يأكلونه، ولا طمعوا في بارد ماء يشربونه.

لقد قال رسول الله عليه السلام: "قرة عيني الصلاة"[1]، ولو دققنا في معناها لأدركنا الفارق الكبير بيننا وبين أولئك المطهرين، ودونك ما أفاده الشيخ المجلسي في البحار حول هذه العبارة، فقد ذكر أن ناراً في قلب رسول الله عليه السلام مضرمة من الاشتياق إلى الصلاة، ولا تبرد هذه النار إلا بالصلاة، ولا يثلج فؤاده بغيرها [2].

وقد روي عن الرسول عليه السلام أنه قال: يا أبا ذر، إن الله تعالى قرة عيني في الصلاة، وحببها إلي، كما حبب إلى الجائع الطعام، وإلى الظمآن الماء، وإن الجائع إذا أكل الطعام شبع، والظمآن إذا شرب الماء روى، وأنا لا أشبع من الصلاة [3].

اللهم إننا قد ملكت قلوبنا الدنيا، فحررنا منها، ولا تجعل في قلوبنا عبودية لغيرك يا ذا الجلال والإكرام.

---

(١) بحار الأنوار: ٨٠/١٦.

(٢) بحار الأنوار: ٨٠ /١٦.

(٣) مستدرك الوسائل: ٣/٤٢.

الإمام الحسين عليه السلام معلم الصلاة

إن النماذج التي أفرزتها أيام كربلاء الأخيرة كانت بالغة التأثير في نفوس السامعين والقارئين، ويعود ذلك لما حملت من عشق، تجلت صوره في ثنايا الساعات الأخيرة من حياة الإمام الحسين عليه السلام.

الموطن الأول :

لما زحف ابن سعد برجاله بعد عصر يوم تاسوعاء، بلغت أصواتهم لخيام الإمام الحسين عليه السلام، فأرسل أخاه العباس إليهم مستعلماً الخبر، فركب لهم في عشرين فارساً، فأخبروه أن الأمر قد جاء بأن يعرضوا عليهم أحد أمرين : النزول على حكم ابن زياد، أو القتال.

فلما بلغ الأمر الإمام الحسين عليه السلام قال كلمته المشهورة، والتي تهز قلوب أهل الإيمان : " ارجع إليهم، فإن استطعت أن تؤخرهم إلى الغدوة، وتدفعهم عنا العشية، لعلنا نصلي لربنا الليلة، وندعوه، ونستغفره، فهو يعلم أني قد أحب الصلاة له وتلاوة كتابه والدعاء والاستغفار "[1].

الموطن الثاني :

لقد بات الإمام الحسين عليه السلام ليلة العاشر هو وأصحابه، ولهم دوي كدوي النحل، فهم ما بين قائم وقاعد، وراكع وساجد، كما يصورهم المؤرخون [2].

الموطن الثالث :

لقد كشفت الحرب عن ساق، ولاحت في الأفق علائم الموت، فالضحايا

---

(١) الإرشاد : ٢/ ٩٠-٩١.

(٢) بحار الأنوار : ٤٤/ ٣٩٤.

بدأت تأخذ طريقها نحو الخلود، والحملة الأولى قد استنزفت أفرادها، والشمس قد بلغت كبد السماء، وزالت عن منتصفها، فما أن رمقها الإمام الحسين عليه السلام حتى بدأ يعمل على أن يقيم الصلاة، وسط أهازيج الرماح، وأزيز السهام، ولمعان السيوف وبريقها.

لله أنت، يا ابن المرتضى الذي ما منعته ليلة الهرير بصفين وسط زحام الموت أن يصف قدميه لله تعالى، والسهام تمر بين يديه، فلا يرفع لها طرفاً، ولك أن تقول: وما رأى السهام من تعلقت نفسه بربها، فانشغلت عن الكون ومن فيه .

نسخة من هذا الموقف يوم صفين أعادها الإمام الحسين عليه السلام ليقف التأريخ إجلالاً أمام هذه العبودية لله عز وجل.

الموطن الرابع :

وفي اللحظات الأخيرة، وليس بين الإمام الحسين عليه السلام وبين معانقة السيف إلا مقدار ما يميل على القوم ؛ ليلقي بدمه في محراب العبودية لله عز وجل، ويقدم نفسه بين يدي محبوبه الذي ما سكن فؤاده غيره .

في مثل هذه اللحظات، وقبل أن يغيب وجه الحوراء عليها السلام عن عينيه، حفر في ذاكرتها الكلمات التي يريد بقاءها، قائلاً: يا أختاه...

ليت شعري، ما عندك أيها العزيز ؟

وما الذي تطلبه قبل الموت ؟

وما الذي تريد أن يكون آخر ما تتفوه به يا ابن أمي ؟

يا أختاه ...لا تنسيني في نافلة الليل [1].

(١) حياة السيدة زينب : ٧٥ .

آه ...لقد حارت الكلمات أمام هذا المشهد العظيم، فقل لي بربك: من في الكون قد رسم مثل هذه المشهد؟ ومن الذي جسد العشق لله تبارك وتعالى بهذه الصورة؟

مواقف يهتز لها وجدان القارئ، ولا يمتلك نفسه أمامها، فهو أمام مناظر ليست من صنع بشر عادي؛ لتكون أذنه قد طرقها مثلها، أوتعود فكره عليها، بل هي فرائد لا تحصل إلا ممن طهرت نفسه من كل أحد، ولم يسكن في قلبه غير ربه حقيقة، فكان في قمة كمال الانقطاع إلى الله ﷻ، والمعبر عنها بأعلى درجات المعرفة.

الباب السادس

كلمات ووقفات حسينية

الفصل الأول:

من جواهر حكمه

-١-

إننا نمر بمواقف متعددة في حياتنا اليومية، ونقف من بعضها موقف التأمل، فلا نهتدي للطريقة المثلى في التعامل معها، فنتساءل وكلنا حيرة:

أنحدث هذا الشخص ونحن نعرف أنه سيكذبنا أم لا؟

وهل نطلب حاجتنا من آخر ونحن نعرف أنه لن يستجيب لنا أم لا؟

وهل نثق بمن له تاريخ في الغدر أم لا؟

وهل نبني أملنا بمن لا يؤمل فيه الخير أم لا ؟

هذه تساؤلات تجيب عليها كلمات الإمام الحسين عليه السلام:

العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه، ولا يسأل من يخاف منعه، ولا يثق بمن يخاف غدره، ولا يرجو من لا يوثق برجائه[١].

-٢-

إن الحوارات التي سلفت فيما مضى أو التي حدثت في هذه الأزمان ترفد العقل بما يغيب عنه، فلولا الإثارات التي تأتي من هنا وهناك، ولولا اختلاف الرأي بين المتحدثين لغابت كثير من الحقائق.

لقد جرى حديث عند معاوية وكان سيد الحاضرين إمامنا الحسين عليه السلام، فتذاكروا العقل فقال الحسين عليه السلام: لا يكمل العقل إلا باتباع الحق.

---

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام : ١/١٨١، عن ريحانة الرسول : ٥٥.

فقال معاوية: ما في صدوركم إلا شيء واحد[١].

حقيقة أدركها معاوية فجهر ببيانها، فقد كانت كلمات علي وأبنائه عليهم السلام واحدة، عبارات تختلف ومعانيها واحدة، تدل على أنهم نور واحد تعددت قوالبه.

٣ـ

هل كل من ادعى العلم كان حقيقاً بهذه التسمية؟ أم أن (العالم) اسم يحتاج حامله إلى مواصفات معينة حتى يصح إطلاق الاسم عليه؟

لقد دلنا الإمام الحسين عليه السلام على صفات تكون في العالم فقال:

.ومن دلائل العالم انتقاده لحديثه، وعلمه بحقائق فنون النظر[٢].

وقال عليه السلام:

.لو أن العالم كلما قال أحسن وأصاب لأوشك أن يجن من العجب، وإنما العالم من يكثر صوابه[٣].

أين من صوحت بهم أهواء النفس فمالوا معها؟ وأين من أخذهم العجب إلى وادٍ غير ذي زرع فظنوا أنهم قد تلبسوا بلباس العصمة دون الخلائق؟

أما يرون كيف أنهم يعيشون الجهل وما يشعرون، إذ راحوا يظنون أنهم لا يخطئون، وأصبح سامعهم لا يمني نفسه في أن يراجعوا كلامهم، أو يعترفوا بإمكانية أن يرد الخطأ إلى خطابهم أو بيانهم.

لو كان أولئك علماء لانتقدوا أحاديثهم، ولعرفوا أن من تحصى أخطاؤه فهو العالم، وأن الذي لا يخطئ فذلك المعصوم لا غير.

---

(١) بحار الأنوار: ١٢٧/٧٥.

(٢) تحف العقول: ٢٤٨.

(٣) شرح إحقاق الحق: ٥٩٠/١١.

الفصل الثاني:

كلمات مبينات

شكرك لنعمة سالفة يقتضي نعمة آنفة[1].

* قال الحسين عليه السلام لابن عباس: يا ابن عباس، لا تتكلمن بما لا يعنيك فإنني أخاف عليك الوزر، ولا تتكلمن بما يعنيك حتى ترى له موضعاً، فربّ متكلم قد تكلم بحق فعيب، ولا تمارين حليماً ولا سفيهاً، فإن الحليم يقليك، والسفيه يرديك، ولا تقولن خلف أحد إذا توارى عنك، إلاّ مثل ما تحب أن يقول عنك إذا تواريت عنه، واعمل عمل عبد يعلم أنه مأخوذ بالإجرام مجزي بالإحسان، والسلام[2].

* الصدق عز، والكذب عجز، والسر أمانة، والجوار قرابة، والمعونة صداقة، والعمل تجربة، والخلق الحسن عبادة، والصمت زين، والشح فقر، والسخاء غنى، والرفق لب[3].

* لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعرض لما لا تدرك، ولا تعد بما لا تقدر عليه، ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت، ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له أهلاً[4].

---

(١) صحيفة الإمام الحسين عليه السلام : ٢٤٠.

(٢) أعلام الدين في صفات المؤمنين : ١٤٥.

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٤٦.

(٤) شرح إحقاق الحق : ٢٧/١٩٠.

* من حوار بين أمير المؤمنين عليه السلام كان يسأل فيه ولديه الحسنين عليهما السلام فخاطب الحسن عليه السلام فلما فرغ التفت إلى ولده الحسين عليه السلام، فقال:

. يا بني، ما السؤدد؟ قال: اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة.

. قال: فما الغنى؟ قال: قلة أمانيك والرضا بما يكفيك.

. قال: فما الفقر؟ قال: الطمع وشدة القنوط.

. قال: فما اللؤم؟ قال: إحراز المرء نفسه وإسلامه عرسه.

. قال: فما الخرق؟ قال: معاداتك أميرك ومن يقدر على ضرك ونفعك.

ثم التفت إلى الحارث الأعور فقال: يا حارث، علموا هذه الحكم أولادكم، فإنها زيادة في العقل والحزم والرأي[1].

* دخل رجل من العرب متلثماً أسمر شديد السمرة فسلم، فرد عليه الحسين عليه السلام، فقال: يا بن رسول الله، مسألة.

فقال: هات.

قال: كم بين الإيمان واليقين؟ قال: أربع أصابع.

قال: كيف ؟ قال: الإيمان ما سمعناه، واليقين ما رأيناه، وبين السمع والبصر أربع أصابع.

قال: فكم بين السماء والأرض ؟ قال دعوة مستجابة.

قال: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس.

قال: فما عز المرء؟ قال: استغناؤه عن الناس.

قال: فما أقبح شيء؟

قال: الفسق في الشيخ قبيح، والحدة في السلطان قبيحة، والكذب في ذي الحسب قبيح، والبخل في ذي الغناء، والحرص في العالم.

---

(١) معاني الأخبار: ٤٠١.

قال: صدقت، يا بن رسول الله، فأخبرني عن عدد الأئمة بعد رسول الله ﷺ، قال: اثنا عشر عدد نقباء بني إسرائيل.

ثم طلب أسماءهم فسماهم له فقام الأعرابي وهو يقول:

مسح النبي جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من أعلى قريش وجده خير الجدود[١]

* من سره أن ينسأ في أجله ويزاد في رزقه فليصل رحمه[٢].

* اصبر على ما تكره فيما يلزمك الحق، واصبر عما تحب فيما يدعوك إليه الهوى[٣].

* من أصابته مصيبة فقال إذا ذكرها: إنا لله وإنا إليه راجعون، جدد الله له من أجرها مثل ما كان له يوم أصابته[٤].

* اتقوا هذه الأهواء التي جماعها الضلالة وميعادها النار[٥].

* إياك وما تعتذر منه، فإن المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر[٦].

* رُبَّ ذنب أحسن من الاعتذار منه[٧].

* لا تصِفَنَّ لملك دواءً، فإنه إن نفَعه لم يحمدك، وإن ضرَّه اتهمك[٨].

---

(١) بحار الأنوار : ٢٨٤/٣٦.
(٢) بحار الأنوار : ٩١/٧١.
(٣) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : ٨٥.
(٤) مستدرك سفينة البحار : ١٦٣/٦.
(٥) شرح إحقاق الحق : ٥٩١/١١.
(٦) تحف العقول : ٢٤٨.
(٧) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر : ٨٤.
(٨) ن م

* شر خصال الملوك: الجبن من الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الإعطاء[١].

* بلغ الحسين بن علي صلوات الله عليهما كلام نافع بن جبير في معاوية وقوله: إنه كان يسكته الحلم وينطقه العلم.

فقال عليه السلام: بل كان ينطقه البطر، ويسكته الحصر[٢].

* يا هذا، لا تجاهد في الرزق جهاد الغالب، ولا تتكل على القدر اتكال مستسلم، فإن ابتغاء الرزق من السنة، والإجمال في الطلب من العفة، وليست العفة بمانعة رزقاً، ولا الحرص بجالب فضلاً، فإن الرزق مقسوم، والأجل محتوم، واستعمال الحرص طلب المأثم[٣].

* دراسة العلم لقاح المعرفة، وطول التجارب زيادة في العقل[٤]...

* قال له رجل: من أشرف الناس ؟ قال عليه السلام: من اتعظ قبل أن يوعظ، واستيقظ قبل أن يوقظ. فقال: أشهد أن هذا هو السعيد[٥].

* كتب رجل إلى الحسين بن علي عليه السلام: يا سيدي، أخبرني بخير الدنيا والآخرة، فكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنه من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام[٦].

---

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣/ ٢٢١.
(٢) كنز الفوائد : ١٩٥.
(٣) جامع أحاديث الشيعة : ١٧/ ٢٨.
(٤) بحار الأنوار : ٧٥/ ١٢٨.
(٥) شرح إحقاق الحق : ١١/ ٥٩٠.
(٦) أمالي الصدوق : ٢٦٨.

الفصل الثالث:

من نوادر الأخبار

هناك عدد من القصص التي حفظها التاريخ، وفيها من الشواهد الطريفة، الوقفات الطريفة، ما لا يستغني عنه القارئ، بل يتطلع للإلمام بها المحب لأهل البيت عليهم السلام.

الأولى :

إن الحسين عليه السلام إذا أراد أن ينفذ غلمانه في بعض أموره قال لهم: لا تخرجوا يوم كذا، واخرجوا يوم كذا، فإنكم إن خالفتموني قطع عليكم.

فخالفوه مرة وخرجوا، فقتلهم اللصوص، وأخذوا ما معهم، واتصل الخبر بالحسين عليه السلام فقال: لقد حذرتهم، فلم يقبلوا مني.

ثم قام من ساعته ودخل على الوالي، فقال الوالي: يا أبا عبد الله بلغني قتل غلمانك فآجرك الله فيهم. فقال الحسين عليه السلام: فإني أدلك على من قتلهم فاشدد يدك بهم.

قال: أو تعرفهم يا ابن رسول الله ؟ قال: نعم، كما أعرفك، وهذا منهم، وأشار بيده إلى رجل واقف بين يدي الوالي.

فقال الرجل: ومن أين قصدتني بهذا، ومن أين تعرف أني منهم.

فقال له الحسين عليه السلام: إن أنا صدقتك تصدقني؟ فقال الرجل: نعم، والله لأصدقنك.

فقال: خرجت ومعك فلان وفلان. وذكرهم كلهم فمنهم: أربعة من موالي المدينة، والباقون من حبشان المدينة.

فقال الوالي للرجل: ورب القبر والمنبر، لتصدقني أو لأهرأن لحمك بالسياط. فقال الرجل: والله ما كذب الحسين وقد صدق، وكأنه كان معنا. فجمعهم الوالي جميعاً، فأقروا جميعاً فضرب أعناقهم[(١)].

الثانية:

ومنها: أن رجلاً صار إلى الحسين عليه السلام فقال: جئتك أستشيرك في تزويجي فلانة، فقال: لا أحب ذلك لك.

وكانت كثيرة المال، وكان الرجل أيضاً مكثراً فخالف الحسين فتزوج بها، فلم يلبث الرجل حتى افتقر.

فقال له الحسين عليه السلام: قد أشرت إليك، فخل سبيلها فإن الله يعوضك خيراً منها، ثم قال: وعليك بفلانة.

فتزوجها فما مضت سنة حتى كثر ماله، وولدت له ولداً ذكراً، ورأى منها ما أحب[(٢)].

الثالثة:

قال زرارة لأبي جعفر عليه السلام: أدركت الحسين صلوات الله عليه؟

قال: نعم، أذكر وأنا معه في المسجد الحرام وقد دخل فيه السيل والناس يقومون على المقام، يخرج الخارج يقول: قد ذهب به السيل، ويخرج منه الخارج فيقول: هو مكانه، قال: فقال لي: يا فلان، ما صنع هؤلاء؟

---

(١) الخرائج والجرائح: ١ /٢٤٧.

(٢) الخرائج والجرائح: ٢٤٨/١.

فقلت: أصلحك الله، يخافون أن يكون السيل قد ذهب بالمقام. فقال: نادِ: إن الله قد جعله علماً لم يكن ليذهب به، فاستقروا[١].

الرابعة:

قال صفوان بن مهران: سمعت الصادق عليه السلام يقول: رجلان اختصما في زمن الحسين عليه السلام في امرأة وولدها، فقال هذا: لي، وقال هذا: لي، فمر بهما الحسين عليه السلام فقال لهما: فيمَ تمرجان؟ قال أحدهما: إن الامرأة لي، وقال الآخر: إن الولد لي.

فقال للمدعي الأول: اقعد فقعد، وكان الغلام رضيعاً، فقال الحسين عليه السلام: يا هذه، اصدقي من قبل أن يهتك الله سترك، فقالت: هذا زوجي والولد له، ولا أعرف هذا.

فقال عليه السلام: يا غلام، ما تقول هذه؟ انطق بإذن الله تعالى، فقال له: ما أنا لهذا ولا لهذا، وما أبي إلا راعي لآل فلان، فأمر عليه السلام برجمها.

قال جعفر عليه السلام: فلم يسمع أحد نطق ذلك الغلام بعدها[٢].

الخامسة:

روي عن الصادق عليه السلام عن آبائه أن رجلاً كان من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام مريضاً شديد الحمى، فعاده الحسين بن علي عليه السلام، فلما دخل من باب الدار طارت الحمى عن الرجل، فقال له: قد رضيت بما أوتيتم به حقاً حقاً، والحمى تهرب منكم! فقال له الحسين عليه السلام: والله! ما خلق الله شيئاً إلا وقد أمره بالطاعة لنا، يا كناسة، قال: فإذا نحن نسمع الصوت ولا نرى الشخص، يقول: لبيك، قال عليه السلام: أليس أمير المؤمنين عليه السلام أمرك ألا تقربي إلا عدواً أو مذنباً لكي

---

(١) نور الثقلين: ١/٢٦٧.

(٢) بحار الأنوار: ٤٤/١٨٤.

تكون كفارة لذنوبه ؟! فما بال هذا؟ وكان الرجل المريض عبد الله بن شداد ابن الهاد الليثي[1].

السادسة:

يروى أن رجلاً ادعى على الحسين مالاً فقال الحسين عليه السلام: ليحلف على ما ادعاه ويأخذه، فتهيأ الرجل لليمين، وقال: والله الذي لا إله إلا هو، فقال الحسين عليه السلام: قل: والله، والله، والله، ثلاثاً، إن هذا الذي يدعيه عندي، وفي قبلي، ففعل الرجل ذلك، وقام فاختلفت رجلاه وسقط ميتاً.

فقيل للحسين: لم فعلت ذلك ؟ أي عدلت عن قوله: والله الذي لا إله إلا هو... فقال: كرهت أن يثني على الله فيحلم عنه[2].

السابعة:

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كنت عند الحسين بن علي عليهما السلام، إذ دخل علي بن الحسين الأصغر، فدعاه الحسين عليه السلام، وضمه إليه ضماً، وقبّل ما بين عينيه، ثم قال: بأبي أنت ما أطيب ريحك، وأحسن خلقك. فتداخلني من ذلك فقلت: بأبي أنت وأمي، يا بن رسول الله، إن كان ما نعوذ بالله أن نراه فيك، فإلى من؟

قال: علي ابني، هذا هو الإمام أبو الأئمة.

قلت: يا مولاي، هو صغير السن؟ قال: نعم. إن ابنه محمد يؤتم به وهو ابن تسع سنين، ثم يطرق، قال: ثم يبقر العلم بقراً[3].

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ١/٢٩٩.

(٢) شرح إحقاق الحق : ١١/٤٥٧.

(٣) بحار الأنوار : ٤٦/١٩.

الثامنة:

روي عن عليّ بن الحسين: أن الحسين بن عليّ عليهما السلام دخل المستراح فوجد لقمة ملقاة، فدفعها إلى غلام له فقال: يا غلام، ذكِّرْني عن هذه اللقمة إذا خرجتُ. فأكلها الغلام.

فلمّا خرج الحسين عليه السلام قال: يا غلام، هاتِ اللقمة، قال: أكلتها يا مولاي، قال: أنت حرّ لوجه الله. قال له رجل: أعتقته يا سيّدي؟! قال: نعم، سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: من وجد لقمة ملقاة فمسح منها ما مسح، وغسل منها ما غسل، ثمّ أكلها لم تستقرّ في جوفه حتّى يعتقه الله تعالى من النار، ولم أكن لأستعبد رجلاً أعتقه الله من النار[1].

التاسعة:

ورد في محاسن البرقي: قال عمرو بن العاص للحسين عليه السلام: يا ابن علي، ما بال أولادنا أكثر من أولادكم؟ فقال عليه السلام:

بغاث الطير أكثرها فراخاً ... وأم الصقر مقلاة نزور

فقال: ما بال الشيب إلى شواربنا أسرع منه في شواربكم؟

فقال عليه السلام: إن نساءكم نساء بخرة، فإذا دنا أحدكم من امرأته نكهت في وجهه فشاب منه شاربه.

فقال: ما بال لحائكم أوفر من لحائنا؟

فقال عليه السلام: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾[2].

(١) مستدرك الوسائل: ١٥/٤٦٦.

(٢) الأعراف: ٥٨.

فقال معاوية: بحقي عليك إلا سكت فإنه ابن علي بن أبي طالب.

فقال عليه السلام:

إن عـادت العقـرب عـدنا لهـا وكانـت النعـل لهـا حاضـرة
قـد علـم العقـرب واسـتيقنت أن لا لهـا دنيـا ولا آخـرة[1]

(١) مناقب آل أبي طالب : ٣/٢٢٣.

الفصل الرابع:

من مآثره في القرآن

فضل التلاوة:

روى بشر بن غالب الأسدي أن الحسين عليه السلام قال:

من قرأ آية من كتاب الله عزّ وجلّ في صلاته قائماً يكتب له بكلّ حرف مائة حسنة، فإذا قرأها في غير صلاة كتب الله له بكلّ حرف عشر حسنات، وإن استمع القرآن كتب الله له بكلّ حرف حسنة، وإن ختم القرآن ليلاً صلّت عليه الملائكة حتّى يصبح، وإن ختمه نهاراً صلّت عليه الحفظة حتى يمسي، وكانت له دعوة مجابة، وكان خيراً له ممّا بين السماء إلى الأرض.

قلت: هذا لمن قرأ القرآن، فمن لم يقرأه؟ قال: يا أخا بني أسد، إنّ الله جواد ماجد كريم، إذا قرأ ما معه أعطاه الله ذلك[1].

فهم القرآن:

قال الحسين عليه السلام: كتاب الله عز وجل على أربعة أشياء: العبارة، والإشارة، واللطائف، والحقائق.

فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء.

وقال عليه السلام: القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق[2].

---

(١) الكافي: ٢/٦١١.

(٢) بحار الأنوار: ٨٩/٢٠.

ما معنى الصمد؟

وردت روايتان عن الإمام الحسين عليه السلام في تفسير هذه الكلمة، وهما:

ـ قال الحسين عليه السلام:

الصمد: الذي لا جوف له.

والصمد: الذي قد انتهى سؤدده.

والصمد: الذي لا يأكل ولا يشرب.

والصمد: الذي لا ينام.

والصمد: الدائم الذي لم يزل ولا يزال [1].

ـ وروي عن الصادق عليه السلام: أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليهما السلام يسألونه عن الصمد، فكتب إليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فلا تخوضوا في القرآن، ولا تجادلوا فيه، ولا تتكلموا فيه بغير علم، فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار.

وإن الله ـ سبحانه ـ قد فسر الصمد، فقال: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾[2]

ثم فسره فقال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[3].

﴿لَمْ يَلِدْ﴾:

لم يخرج منه شيء كثيف، كالولد، وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين، ولا شيء لطيف كالنفس.

---

(١) التوحيد : ٩٠.

(٢) الإخلاص: ١ـ٢.

(٣) الإخلاص: ٣ـ٤.

ولا تتشعب منه البدوات: كالسنة والنوم والخطرة والهم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسآمة والجوع والشبع، تعالى عن أن يخرج منه شيء، وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف.

وَلَمْ يُولَدْ:

لم يتولد من شيء، ولم يخرج من شيء كما يخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها:

كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، والماء من الينابيع، والثمار من الأشجار.

ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم، والكلام من اللسان، والمعرفة والتميز من القلب، وكالنار من الحجر.

لا بل هو الله الصمد، الذي لا من شيء، ولا في شيء، ولا على شيء، مبدع الأشياء وخالقها، ومنشئ الأشياء بقدرته، يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه، فذلكم الله الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، عالم الغيب والشهادة، الكبير المتعال، وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ[1].

توضيح:

وردت في هاتين الروايتين ألفاظ تستدعي وقفة تأمل فيها، وهي:

* قال: والصمد الذي قد انتهى سؤدده:

والمقصود بالانتهاء ليس النفاذ، وإنما هو الغاية، أي في غاية السؤدد.

* قال: الصمد الذي لا جوف له:

---

(١) التوحيد: ٩١، تفسير الصافي: ٥/٣٩٢.

احتلت هذه العبارة مساحة في عالم المناقشة العقائدية، فقد توقف بعض العلماء أمامها، واعتبر أن الرواية مما يرد علمه إلى أهله، فهم أدرى بما قالوا.

والسبب في تبني هذا الرأي الحيادي هو أنّ العبارة تثبت أن الله تبارك وتعالى لا جوف له، وإذا كان الله تبارك تعالى ليس كمثله شيء فمقتضى ذلك أن لا يكون من الأشياء ما يكون بلا جوف، مع أننا إذا رأينا الحديد والحجر وأمثالهما وجدناها أشياء لا جوف لها.

إننا وفق هذا الترتيب سيكون لدينا ما يقال عنه بأنه مثل الله سبحانه وتعالى، أي سنقترب من عقيدة المجسمة.

وأجاب آخرون بأن المصمتات من حديد أو حجر والتي تراها بعينك العادية، إذا وضعتها تحت المجهرات وجدتها ذات جوف، وليس ثمت أجسام لا جوف لها.

فقد اتضح في العلوم الحديثة" أن كل مادة في العالم تتكون من ذرات، وكل ذرة من نواة تدور حولها الإلكترونات، وبين النواة والإلكترونات مسافة كبيرة نسبياً، ولو أزيلت هذه الفواصل لصغر حجم الأجسام إلى حد كبير مدهش.

ولو أزيلت الفواصل الذرية في مواد جسم الإنسان مثلاً، وكثفت هذه المواد لصغر جسم الإنسان إلى درجة عدم إمكان رؤيته بالعين المجردة، مع احتفاظه بالوزن الأصلي.

وبعضهم استفاد من هذه الحقائق العلمية ليستنتج أن الآية تنفي عن الله كل ألوان الجسمانية؛ لأن واحداً من معاني ﴿ ٱلصَّـمَدُ ﴾ هو الذي لا جوف له، ولما كانت كل الأجسام تتكون من ذرات، والذرات جوفاء، فالصمد نفي الجسمية

عن رب العالمين، وبذلك تكون الآية من المعاجز العلمية في القرآن"[1].

* قال: ولا كما يخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها، كالبصر من العين، والسمع من الأذن، والشم من الأنف، والذوق من الفم...

إن الفهم الحالي للإبصار هو انطباع صورة الأشياء في عدسة العين، وليس خروج شعاع البصر إلى الأشياء، وقد تكون هناك خفايا لما يهتدِ لها الإنسان، فيكون الفهم لهذه الكلمات مبنياً وفق حقيقة أخرى غير معلومة الآن.

ولو أردنا فهم الكلمات وفق معطيات علم البصر فإن معنى العبارة سيكون هكذا:

إن البصر تظهر قوته في العين، لا أن قوة البصر تخرج إلى خارج العين كشعاع ينطلق منها ليسقط على المرئيات فيراها، وإن السمع تخرج قوته في الأذن[2]...

*كشفت الرواية أن حدود الولادة المنفية في الآية ليست محصورة بدعوى وجود الأبناء أو الآباء، وإنما تحمل معنى واسعاً يشمل كل أنواع خروج الأشياء المادية واللطيفة منه، أو خروج ذاته المقدسة من أشياء مادية أو لطيفة[3].

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾[4].

قال رجل من أهل البصرة: رأيت الحسين بن علي عليهما السلام وعنده ابن عمر يطوفان بالبيت، فسألت ابن عمر فقلت: قول الله: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾،

---

(١) تفسير الأمثل : ٢٠ /٤٢٨-٤٣٠.

(٢) راجع حاشية التوحيد : ٩١.

(٣) تفسير الأمثل : ٢٠/٤٣٠.

(٤) الضحى : ١١.

قال: أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه، ثم إني قلت للحسين بن علي عليه السلام: قول الله: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١ ﴾، قال: أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه من دينه[1].

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ ﴾[2].

عن الحسين بن علي عليهما السلام في قوله تعالى: وشاهد ومشهود، قال: الشاهد: جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، والمشهود يوم القيامة، ثم تلا هذه الآية: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[3]، وتلا ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ[4] ﴾[5].

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾[6].

روى الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عن الحسين عليه السلام أنه قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾.

قام أبو بكر وعمر من مجلسهما، وقالا: يا رسول الله، هو التوراة؟ قال: لا، قالا: فهو الإنجيل؟ قال: لا، قالا: فهو القرآن؟ قال: لا، قال: فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: هو هذا، إنه الإمام الذي أحصى الله فيه علم كل شيء[7].

* قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ﴾[8].

---

(١) نور الثقلين : ٥/ ٦٠٢.
(٢) سورة البروج : ٣.
(٣) سورة الأحزاب : ٤٥.
(٤) سورة هود : ١٠٣.
(٥) مجمع الزوائد : ١٣٥/٧ـ١٣٦.
(٦) سورة يس : ١٢.
(٧) الصافي : ٢٤٧/٤.
(٨) سورة الأحزاب : ٦.

قال الإمام الحسين بن علي عليهما السلام: لما أنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية: ﴿وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾.

سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن تأويلها، فقال: والله ما عنى غيركم، وأنتم أولو الأرحام.

فإذا مت فأبوك علي أولى بي وبمكاني، فإذا مضى أبوك فأخوك الحسن أولى به، فإذا مضى الحسن فأنت أولى به.

قلت: يا رسول الله، فمن بعدي أولى بي ؟ فقال: ابنك علي أولى بك من بعدك. ثم عدد الأئمة عليهم السلام... ثم قال: فإذا مضى الحسن وقعت الغيبة في التاسع من ولدك.

فهذه الأئمة التسعة من صلبك، أعطاهم علمي وفهمي، طينتهم من طينتي، ما لقوم يؤذوني فيهم لا أنالهم الله شفاعتي[1].

* قال تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾[2].

عن النضر بن مالك قال: قلت للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام:

يا أبا عبد الله، حدثني عن قول الله عز وجل: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾.

قال: نحن وبنو أمية، اختصمنا في الله عز و جل، قلنا: صدق الله، وقالوا: كذب الله، فنحن وإياهم الخصمان يوم القيامة[3].

---

(1) كفاية الأثر : ١٧٥.

(2) سورة الحج : ١٩.

(3) غاية المرام : ٤/٢٧٨.

مصادر التحقيق

القرآن الكريم

١- إبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، محمد بن طاهر السماوي، ط ١، ١٤١٩هـ مركز الدراسات الإسلامية لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية.

٢- الاحتجاج، الشيخ الطبرسي أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، ط ١٣٨٦هـ- ١٩٦٦م، مطابع النعمان، النجف الأشرف، العراق.

٣- الأخبار الطوال، أحمد بن داوود الدينوري، دار احياء التراث العربي.

٤- الاختصاص، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، إيران.

٥- اختيار معرفة الرجال المعروف برجال الكشي، الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ط ١٤٠٤هـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، إيران.

٦- الأدب المفرد، البخاري محمد بن إسماعيل، ط ١، ١٤٠٦هـ مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

٧- إرشاد القلوب، الحسن بن أبي الحسن محمد الديلمي، ط ١ ١٤١٧ هـ إيران، دار الأسوة للطباعة والنشر.

٨- الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م، دار المفيد، بيروت، لبنان.

٩- الأزهار الأرجية في الآثار الفرجية، الشيخ فرج العمران ، النجف الأشرف، مطبعة النعمان.

١٠- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، ط١، ١٤١٢هـ دار الجيل، بيروت، لبنان.

١١- أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير)، انتشارات إسماعيليان، طهران، إيران.

١٢- أشهر المساجد في الإسلام، عبد المجيد بكر.

١٣- الإصابة في تميز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤- الأصفى في تفسير القرآن، المولى محمد محسن الفيض الكاشاني، ط١، ١٤١٨هـ مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

١٥- أضواء على ثورة الإمام الحسين عليه السلام

١٦- الأعلام، خير الدين الزركلي، ط٥، ١٩٨٠م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٧- أعلام الدين في صفات المؤمنين، الحسن بن أبي الحسن الديلمي، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

١٨- أعلام النساء، عمر رضا كحالة ط ٥ ١٤٠٤ هـ مؤسسة الرسالة بيروت.

١٩- أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، دار التعارف، بيروت، لبنان.

٢٠- الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين (الأصفهاني) بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٢١- إقبال الأعمال (مضمار السبق في ميدان الصدق)، ط١، ١٤١٤هـ علي بن موسى بن جعفر (ابن طاووس)، مكتب الإعلام الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٢٢- إكمال الكمال، ابن ماكولا، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر.

٢٣- الإكمال في أسماء الرجال، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، قم المقدسة، إيران.

٢٤- الألفية والنفلية، محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)، ط١، ١٤٠٨هـ مركز التحقيق الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٢٥- ألقاب الرسول وعترته (المجموعة)، بعض المحدثين والمؤرخين من قدمائنا، ط١، ١٤٢٢هـ دار القارئ، بيروت، لبنان.

٢٦- الأمالي، الشيخ الصدوق محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط١، ١٤١٧هـ مؤسسة البعثة، طهران، إيران.

٢٧- الأمالي، الشيخ الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ط١، ١٤١٤هـ دار الثقافة، قم المقدسة، إيران.

٢٨- الأمالي، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ط ١٤٠٣هـ منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، إيران.

٢٩- الإمام الحسين في أحاديث الفريقين من قبل الولادة إلى بعد الشهادة، السيد علي الموحد الأبطحي، ط١، ١٤١٨هـ مطبعة أمير، قم المقدسة، إيران.

٣٠- الإمام المجتبى مهجة قلب المصطفى

٣١- الإمامة الإلهية

٣٢- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، المقريزي أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣٣- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي.

٣٤- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، ط١، ١٣٩٤هـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٣٥- الأنوار البهية في تواريخ الحجج الإلهية، ط١، ١٤١٧هـ الشيخ عباس القمي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٣٦- أنوار العقول

٣٧- الأنوارالعلوية

٣٨- الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة (شرح آل كاشف الغطاء)، السيد عبد الله الشبر، مكتبة الرضي، قم المقدسة، إيران، ط١، ١٤٠٣هـ مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٣٩- الأنوار النعمانية، نعمة الله الموسوي (الجزائري) إيران، تبريز.

٤٠- أهل البيت عليهم السلام سماتهم وحقوقهم في القرآن الكريم

٤١- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، الشيخ المجلسي محمد باقر، ط٢ المصححة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان.

٤٢- البداية والنهاية، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٤٣- بشارة المصطفى ﷺ لشيعة المرتضى عليه السلام، محمد بن أبي القاسم الطبري، ط١، ١٤٢٠هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٤٤- بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد، أبو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ (الصفار)، ط ١٤٠٤هـ ق-١٣٦٢هـ ش، مؤسسة الأعلمي، طهران، إيران.

٤٥- بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين عمر بن أحمد بن العديم، ١٤٠٨ مؤسسة البلاغ بيروت.

٤٦- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، ط ١٤١٤هـ دار الفكر.

٤٧- تاج المواليد (ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة)، العلامة الفضل بن الحسن الطبرسي، ط١، ١٤٢٢هـ دار القارئ، بيروت، لبنان.

٤٨- تاريخ الأئمة (المجموعة)، من آثار القدماء من علمائنا الإمامية الثقات، ط ١٤٠٦هـ مكتبه آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، إيران.

٤٩- تأريخ الإسلام، الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٥٠- تأريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط٤، ١٤٠٣هـ مؤسسة

الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٥١- التاريخ الكبير، البخاري محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

٥٢- تاريخ الكوفة، السيد حسين بن السيد أحمد البراقي النجفي، استدراك السيد محمد صادق آل بحر العلوم، انتشارات المكتبة الحيدرية، ط ١، ١٤٢٤هـ

٥٣- تاريخ المدينة المنورة (أخبار المدينة النبوية)، ابن شبه عمر بن شبه النميري البصري، ط ١٤١٠هـ ق-١٣٨٦هـ ش، دار الفكر، قم المقدسة، إيران.

٥٤- تاج المواليد، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، المطبوع ضمن (مجموعة نفيسة) نشر مكتبة السيد المرعشي النجفي ١٤٠٦ هـ قم.

٥٥- تأريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، مؤسسة ونشر فرهنگ أهل بيت عليهم السلام، قم المقدسة، إيران.

٥٦- تاريخ أهل البيت عليهم السلام نقلاً عن الأئمة الباقر والصادق والرضا والعسكري عن آبائهم عليهم السلام، برواية كبار المحدثين والمؤرخين، ط ١، ١٤١٠هـ تحقيق السيد محمد رضا الحسيني، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، إيران.

٥٧- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أحمد بن علي الخطيب البغدادي، ط ١، ١٤١٧هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٥٨- تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفري، ط ١٤١٤هـ دار الفكر، بيروت، لبنان.

٥٩- تأريخ مدينة دمشق، ابن عساكر، علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، ط ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م، دار الفكر، بيروت، لبنان.

٦٠- تاريخ معالم المدينة المنورة قديماً وحديثاً

٦١- تاريخ معالم المدينة، الخياري.

٦٢- تاريخ مواليد الأئمة عليهم السلام ووفياتهم (ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة)، عبدالله بن النصر بن الخشاب البغدادي، ط١، ١٤٢٢هـ دار القارئ، بيروت، لبنان.

٦٣- التبيان، في تفسير القرآن، الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ط شهر رمضان المبارك ١٢٠٩هـ دار إحياء التراث العربي.

٦٤- التبيين لأسماء المدلسين، سبط ابن العجمي الشافعي، ط١، ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٦٥- تحرير الأحكام الشرعية على مذهب الإمامية، العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر، ط١، ١٤٢٠هـ مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، قم المقدسة، إيران.

٦٦- تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، ط٢، ١٤٠٤هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٦٧- تخريج الأحاديث والآثار، الزيلعي ط الاولى ١٤١٤ هـ دار بن خزيمة، الرياض.

٦٨- تذكرة الخواص، يوسف بن فرغلي الحنفي (سبط ابن الجوزي)، مكتبة

نينوى الحديثة، طهران، إيران.

٦٩- تذكرة الفقهاء، العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر، ط١، محرم ١٤١٤هـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، إيران.

٧٠- تراثنا (مجلة)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ١٤٠٥هـ قم المقدسة، إيران.

٧١- ترجمة الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام من تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي (ابن عساكر)، تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي، ط١، ١٤٠٠هـ مؤسسة المحمودي، بيروت، لبنان.

٧٢- ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد، تحقيق السيد عبد العزيز الطباطبائي، ط١، ١٤١٥هـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، إيران.

٧٣- تصحيفات المحدثين، الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري، ط١، ١٤٠٢هـ

٧٤- التعجب من أغلاط العامة في مسألة الإمامة، محمد بن علي الكراجكي، تصحيح وتخريج فارس حسون كريم.

٧٥- تفسير الألوسي (روح المعاني) أبو شهاب الدين محمود الآلوسي، ط ٤، ١٤٠٥ هـ دار إحياء التراث العربي.

٧٦- تفسير الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، ط ١، ١٤٢٢ هـ بيروت، دار إحياء التراث العربي.

٧٧- تفسير السمرقندي

٧٨- التفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ط٢، ١٤١٦هـ مكتبة الصدر، طهران، إيران.

٧٩- تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن كثير، ط ١٤١٢هـ دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٨٠- تفسير القرآن الكريم (مفتاح أحسن الخزائن الإلهية)، السيد مصطفى الخميني، ط١، جمادى الثاني ١٤١٨هـ ق-١٣٧٦هـ ش، تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني.

٨١- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، القرطبي محمد بن أحمد الأنصاري، ط ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٨٢- تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الميرزا محمد المشهدي، ط ١٤٠٧هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٨٣- تفسير نور الثقلين، الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، مؤسسة إسماعيليان، قم المقدسة، إيران.

٨٤- تقريب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط٢، ١٤١٥هـ دار المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

٨٥- تقريب القرآن

٨٦- تهذيب الأحكام في شرح المقنعة للشيخ المفيد، الطوسي شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ط ١٣٩٠هـ دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.

٨٧- تهذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ط١، ١٤٠٤هـ دار الفكر.

٨٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف المزي، ط٤، ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة.

٨٩- تهذيب المقال في تنقيح كتاب رجال النجاشي، السيد محمد علي الأبطحي، ط١، ١٣٨٩هـ النجف الأشرف، العراق، ط٢، ١٤١٧هـ قم المقدسة، إيران.

٩٠- التوحيد، الشيخ الصدوق محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة، قم المقدسة، إيران.

٩١- الثاقب في المناقب، محمد بن علي الطوسي (ابن حمزة)، ط٢، ١٤١٢هـ مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة، إيران.

٩٢- الثقات، محمد بن حبان، ط١، ١٣٩٣هـ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

٩٣- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط٢، ١٣٦٨ هـ ش، منشورات الرضي، قم المقدسة، إيران.

٩٤- جامع أحاديث الشيعة، البروجردي السيد حسين الطباطبائي، ط ١٣٩٩هـ المطبعة العلمية، قم المقدسة، إيران.

٩٥- جامع الأخبار، محمد بن محمد السبزواري، إيران، قم ط ١، ١٤١٤ هـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٩٦- الجريدة في أصول أنساب العلويين، السيد حسين الحسيني الزرباطي، ط١.

٩٧- جعفر بن أبي طالب عليه السلام

٩٨- الجمل، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي،

٩٩- جمهرة أنساب العرب، أبو محمد بن أحمد بن حزم الاندلسي، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.

١٠٠- جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام، محمد بن أحمد الدمشقي الباعوني الشافعي، ط١، ١٤١٥هـ مجمع إحياء الثقافة الاسلامية، قم المقدسة، إيران.

١٠١- الجوهرة في نسب الإمام علي وآله، محمد الأنصاري (البري)، ط ١٤٠٢هـ مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، مكتبة النوري، دمشق، سوريا.

١٠٢- حاشية التوحيد

١٠٣- حاشية الغارات

١٠٤- حاشية تاريخ دمشق

١٠٥- حاشية شرح الأخبار

١٠٦- الحاشية على الكشاف، علي بن محمد الجرجاني، ط الأخيرة ١٣٨٥هـ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي، مصر.

١٠٧- حاشية عمدة الطالب

١٠٨- الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، الشيخ يوسف البحراني، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

١٠٩- حديث نحن معاشر الأنبياء، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي.

١١٠- الحضارة الإسلامية

١١١- حقائق التأويل في متشابه التنزيل، السيد الشريف الرضي، شرح محمد الرضا آل كاشف الغطاء، دققته دار المهاجر.

١١٢- حلية الأولياء، أحمد بن عبد الله الاصبهاني (أبو نعيم)، ط ٥، ١٤٠٧، بيروت، دار الكتاب العربي.

١١٣- حياة الإمام الحسن العسكري عليه السلام

١١٤- حياة الإمام الحسين عليه السلام، باقر شريف القرشي، ط ١، ١٣٩٨هـ ط ١، ١٣٩٤هـ مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق.

١١٥- حياة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام، باقر شريف القرشي، ط ١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، العراق.

١١٦- حياة الإمام زين العابدين عليه السلام، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، ط ١، ١٤٢٤هـ مطبعة شريعت، قم المقدسة، إيران.

١١٧- حياة السيدة زينب عليها السلام

١١٨- الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام.

١١٩- الخصائص الحسينية، جعفر التستري، بيروت، دار الكتاب.

١٢٠- الخصال، الشيخ الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط ١٤٠٣هـ مركز المنشورات الإسلامية، قم المقدسة، إيران.

١٢١- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري، مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، ط١، ١٣٠١هـ القاهرة، مصر.

١٢٢- خلاصة عبقات الأنوار في إمامة الأئمة الأطهار للسيد حامد حسين اللكهنوي، السيد علي الحسيني الميلاني، ط ١٤٠٥هـ مؤسسة البعثة.

١٢٣- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، محمد علي البار، ط٨ ١٤١٢هـ- ١٩٩١م، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية.

١٢٤- دائرة المعارف الحسينية ـ ديوان الإمام الحسين عليه السلام

١٢٥- دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية

١٢٦- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، السيد علي خان المدني الشيرازي الحسيني، ط٢، ١٣٩٧هـ مكتبة بصيرتي، قم المقدسة، إيران.

١٢٧- الدرر في اختصار المغازي والسير، ابن عبد البر.

١٢٨- الدروس الشرعية في فقه الإمامية، محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)، ط١، ١٤١٢هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

١٢٩- دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل البيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، النعمان بن محمد التميمي المغربي، ط ١٣٨٣هـ دار المعارف، القاهرة، مصر.

١٣٠- دلائل الإمامة، محمد بن جرير الطبري (الشيعي)، ط١، ١٤١٣هـ مؤسسة البعثة قم المقدسة، إيران.

١٣١- ديوان الإمام علي عليه السلام (أمير المؤمنين وسيد البلغاء والمتكلّمين)،

بيروت، مؤسسة الأعلمي.

١٣٢- ديوان الحاج عبد الحسين الأزري،

١٣٣- ديوان السيد حيدر الحلي، السيد حيدر الحلي، بيروت، مؤسسة الأعلمي.

١٣٤- ديوان الشيخ علي الجشي، الشيخ علي بن الجشي القطيفي، ط ١، ١٤١٧ هـ قم، انتشارات الشريف الرضي.

١٣٥- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، أحمد بن عبد الله الطبري، ط ١٣٥٦هـ مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

١٣٦- الذريعة إلى تصانيف الشيعة، الشيخ آقا بزرگ الطهراني، ط٣، ١٤٠٣هـ دار الأضواء، بيروت، لبنان.

١٣٧- ربيع الأبرار، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط ١، ١٤١٢ هـ بيروت، مؤسسة الأعلمي.

١٣٨- رجال الطوسي، الشيخ الطوسي محمد بن الحسن، ط شهر رمضان المبارك ١٤١٥هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

١٣٩- رجال الكشي، أبو عمرو محمد بن عمر، ١٤٠٤ هـ قم مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

١٤٠- رحلة ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي ١٤٠٥ هـ بيروت.

١٤١- رسائل المرتضى، الشريف المرتضى، ط ١٤٠٥هـ دار القرآن الكريم مدرسة آية الله العظمى السيد الگلپايگاني، قم المقدسة، إيران.

١٤٢- روايات لعب الإمامين الحسنين عليهما السلام في الميزان

١٤٣- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن الخثعمي السهيلي، ١٤٠٩ هـ بيروت دار الفكر.

١٤٤- روضة الواعظين، محمد بن الفتال النيسابوري، منشورات الرضي، قم المقدسة، إيران.

١٤٥- سر السلسلة العلوية، سهل بن عبد الله البخاري، ط ١٣٨١هـ المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف، العراق، ط ١، ١٣٧١هـ انتشارات الشريف الرضي.

١٤٦- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس الحلي، ط ٢، ١٤١٠هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

١٤٧- سنن ابن ماجة، ابن ماجة محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر.

١٤٨- سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، ط ١، ١٣٥٧ هـ دار الحديث.

١٤٩- سنن /مسند أبي داؤود الطيالسي، سليمان بن داود الطيالسي، دار المعرفة، دار المعرفة بيروت، لبنان.

١٥٠- السيدة خولة عليها السلام، حيدر نايف خير الدين.

١٥١- السيدة سكينة عليها السلام، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم.

١٥٢- السيدة سكينة عليها السلام، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، بيروت، دار الكتاب العربي.

١٥٣- سير أعلام النبلاء، الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان، ط ٩، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

١٥٤- السيرة النبوية لابن إسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار المطلبي.

١٥٥- السيرة الحلبية، أبو الفرج نور الدين علي بن ابراهيم الحلبي الشافعي، المكتبة الاسلامية، بيروت.

١٥٦- السيرة النبوية، ابن هشام الحميري، ط ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر.

١٥٧- سيرة أمير المؤمنين خامس الخلفاء الراشدين الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما شخصيته وعصره، علي محمد الصلابي، ط١، ١٤٢٥هـ دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٥٨- شرح إحقاق الحق، السيد نور الله الحسيني المرعشي التستري، تعليق السيد شهاب الدين المرعشي النجفي، مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، إيران.

١٥٩- شرح أصول الفقه

١٦٠- شرح أصول الكافي، محمد صالح المازندراني، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٦١- شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار، القاضي النعمان المغربي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

١٦٢- الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.

١٦٣- شرح مسلم، النووي، ط ١٤٠٧هـ دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٦٤- شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ط١، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م، دار إحياء

الكتب العربية.

١٦٥- شفاء الصدور في شرح زيارة عاشور العلامة الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني، ط ٣، ١٣٧٠ هـ ش، إيران.

١٦٦- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، إسماعيل بن حماد الجوهري، ط ٤، ١٤٠٧هـ دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٦٧- صحيح ابن حبان، علي بن بلبان الفارسي، ط ٢، ١٤١٤هـ

١٦٨- صحيح البخاري، البخاري محمد بن إسماعيل، ط ١٤٠١هـ دار الفكر.

١٦٩- الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ، السيد جعفر مرتضى العاملي، ط ٤، ١٤١٥هـ دار الهادي، بيروت، لبنان.

١٧٠- صحيفة الإمام الحسين عليه السلام، جمع الشيخ جواد القيومي، ط ١٣٧٤هـ ش، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

١٧١- الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم، علي بن يونس العاملي النباطي البياضي، ط ١، ١٣٨٤هـ المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.

١٧٢- صلح الحسن عليه السلام، السيد شرف الدين.

١٧٣- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ، دار صادر، بيروت، لبنان.

١٧٤- طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، السيد علي أصغر البروجردي، ط ١، ١٤١٠هـ مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، إيران.

١٧٥- الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس على بن موسى، ط ١٣٩٩هـ مطبعة الخيام، قم المقدسة، إيران.

١٧٦-العدد القوية لدفع المخاوف اليومية، علي بن يوسف المطهر الحلي، ط ١، ١٤٠٨هـ مكتبة آية الله المرعشي.

١٧٧-العقد الفريد، أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، ١٤٠٦ هـ بيروت، دار الكتاب العربي.

١٧٨-عقيلة قريش

١٧٩-العقيلة والفواطم، حسين الشاكري، قم المقدسة، إيران.

١٨٠-علل الشرائع، الشيخ الصدوق محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

١٨١-العلل الواردة في الأحاديث النبوية، علي الدار قطني، ط ١، ١٤٠٥هـ دار طيبة، الرياض، السعودية.

١٨٢-علم وجهاد

١٨٣-علي الأكبر عليه السلام

١٨٤-عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني (ابن عنبة)، ط ٢، ١٣٨٠هـ المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

١٨٥-عمدة القاري، محمود بن أحمد العيني ، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

١٨٦-عمر بن أبي ربيعة: دراسة ومختارات

١٨٧-عوائد الأيام، أحمد النراقي، ط ١، ١٤١٧هـ مكتب الإعلام الإسلامي.

١٨٨-عوالم العلوم والمعارف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، الإمام الحسين عليه السلام، الشيخ عبد الله البحراني الأصفهاني، ط ١، ١٤٠٧هـ مدرسة

الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، إيران.

١٨٩- عوالي اللآلي العزيزية في الأحاديث الدينية، محمد بن علي بن إبراهيم (ابن أبي جمهور الأحسائي)، ط١، ١٤٠٣هـ مطبعة سيد الشهداء عليه السلام، قم المقدسة، إيران.

١٩٠- عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

١٩١- عيون الأخبار وفنون الآثار

١٩٢- عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب، ط ١٣٦٩هـ المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

١٩٣- الغارات، إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي ط ١، ١٤٠٧ هـ دار الاضواء، بيروت.

١٩٤- غاية المرام وحجة الخصام في تعيين الإمام من طريق الخاص والعام، السيد هاشم البحراني، تحقيق السيد علي عاشور.

١٩٥- الغيبة، الشيخ الطوسي، شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ط١، ١٤١١هـ مؤسسة المعارف الإسلامية، قم المقدسة، إيران.

١٩٦- الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني (ابن أبي زينب النعماني)، ط١، ١٤٢٢هـ أنوار الهدى، قم المقدسة، إيران.

١٩٧- فاطمة بنت الحسين عليهما السلام،

١٩٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ط٢، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

١٩٩- الفتوح، أحمد بن أعثم الكوفي، ط ١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، دار الأضواء، بيروت، لبنان.

٢٠٠- فدك في التاريخ، السيد محمد باقر الصدر، ط ١، ١٤١٥هـ مركز الغدير للدراسات الإسلامية.

٢٠١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ علي بن محمد بن أحمد المالكي، ط ١، ١٤٢٢هـ دار الحديث، قم المقدسة، إيران.

٢٠٢- فضائل الخمسة في الصحاح الستة، مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، ط ٤، ١٤٠٢، بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٢٠٣- فضل زيارة الحسين عليه السلام، محمد بن علي بن الحسن العلوي الشجري.

٢٠٤- الفوائد الرجالية، الوحيد البهبهاني الحائري.

٢٠٥- فوات الوفيات، محمد بن شاكر الكتبي، بيروت، دار صادر.

٢٠٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير، محمد عبد الرؤوف المناوي، ط ١، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٠٧- قادتنا كيف نعرفهم، السيد علي الميلاني، قم المقدّسة.

٢٠٨- قاموس الرجال، الشيخ محمد تقي التستري، مؤسسة النشر الإسلامي، ط ١، ١٤١٩هـ

٢٠٩- قرب الإسناد، عبد الله بن جعفر الحميري، ط ١، ١٤١٣هـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، إيران.

٢١٠- الكافي، الشيخ الكليني محمد بن يعقوب بن إسحاق، ط ٣، ١٣٨٨، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران.

٢١١- كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي، ط١، عيد الغدير ١٤١٧هـ مؤسسة النشر الإسلامي.

٢١٢- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ط ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م، دار بيروت، بيروت، لبنان.

٢١٣- كتاب الصلاة (تقرير بحث الميرزا محمد حسين الغروي النائيني)، الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني، ط١، ١٤١١هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٢١٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، الزمخشري، ط ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

٢١٥- الكشف الحثيث عمن رمي بوضع الحديث، برهان الدين الحلبي، ط١، ١٤٠٧هـ عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية.

٢١٦- كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمد العجلوني، ط٣، ١٤٠٨هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢١٧- كشف الغمة، علي بن عيسى بن أبي الفتح الأربلي، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، دار الأضواء، بيروت، لبنان.

٢١٨- الكشف في معرفة من له رواية في كتب السنة

٢١٩- كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر، علي بن محمد بن علي الخزاز القمي، ط ١٤٠١هـ انتشارات بيدار، قم المقدسة، إيران.

٢٢٠- كفاية الطالب، محمد بن يوسف الشافعي الكنجي، ط ٣، ١٤٠٤،

طهران، دار إحياء تراث أهل البيت عليهم السلام.

٢٢١- كمال الدين وتمام النعمة، الشيخ الصدوق محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط ١٤٠٥هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٢٢٢- كنز العمال، المتقي الهندي، ط ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٢٣- كنز الفوائد، محمد بن علي الكراجكي، ط ١، ١٤١٠هـ قم، دار الذخائر.

٢٢٤- الكنى والألقاب، الشيخ عباس القمي، مكتبة الصدر، طهران، إيران.

٢٢٥- لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، ط ١٤٠٥هـ نشر أدب الحوزة، قم المقدسة، إيران.

٢٢٦- اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء عليها السلام، محمد علي بن أحمد التبريزي الأنصاري، ط ١، ١٤١٨هـ دفتر نشر الهادي، قم المقدسة، إيران.

٢٢٧- اللمعة الدمشقية، محمد بن مكي العاملي (الشهيد الأول)، ط ١، ١٤١١هـ دار الفكر، قم المقدسة، إيران.

٢٢٨- اللهوف في قتلى الطفوف، السيد ابن طاووس علي بن موسى، الأنوار الهدى، قم المقدسة، إيران.

٢٢٩- المترادفات

٢٣٠- مثير الأحزان، محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي، ط ١٣٦٩هـ المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

٢٣١- مجلة جامعة الملك سعود، المجلد السادس.

٢٣٢- مجمع البحرين، الشيخ فخر الدين الطريحي، ط٢، ١٤٠٨هـ مكتبة النشر الثقافية الإسلامية.

٢٣٣- مجمع البيان في تفسير القران، الشيخ الطبرسي الفضل بن الحسن، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان.

٢٣٤- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي الهيثمي، ط ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٣٥- مجمع النورين وملتقى البحرين، أبو الحسن المرندي.

٢٣٦- مجموع الرسائل الصافي

٢٣٧- المجموع شرح المهذب، محيي الدين بن شرف النووي، دار الفكر.

٢٣٨- مجموعة ورام (تنبيه الخواطر ونزهة النواظر) أبو الحسين ورام بن أبي فراس المالكي، ط ٢، ١٣٦٨ هـ ش، دار الكتب الإسلامية.

٢٣٩- المحاسن، أحمد بن محمد بن خالد البرقي، دار الكتب الإسلامية.

٢٤٠- المحاسن والأضداد، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، ط ١، ١٤٠٦ هـ بيروت، دار إحياء العلوم.

٢٤١- المحبر، الحسن بن الحسين السكري، ط ١٣٦١هـ مطبعة الدائرة.

٢٤٢- المحسن السبط مولود أم سقط

٢٤٣- المحلى، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ط ٣، ١٤٢٤ هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٤٤- مختار الصحاح، محمد بن عبد القادر، ط١، ١٤١٥هـ دار الكتب

العلمية، بيروت، لبنان.

٢٤٥- مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر، ط ١، ١٤١٢هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٢٤٦- مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، السيد هاشم بن سليمان البحراني، ط ١، ١٤١٣هـ مؤسسة المعارف الإسلامية.

٢٤٧- مرآة العقول، محمد باقر بن محمد تقي المجلسي، ط ٣، ١٣٧٠، طهران، دار الكتب الإسلاميّة.

٢٤٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر، علي بن الحسين بن علي المسعودي، بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٢٤٩- المزار (مناسك المزار)، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي.

٢٥٠- مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ط ٢، ١٤١٤هـ دار المفيد، بيروت، لبنان.

٢٥١- المسألة الباهرة في تفضيل الزهراء الطاهرة

٢٥٢- المستجاد من كتاب الإرشاد (ضمن مجموعة نفيسة في تاريخ الأئمة)، الحسن بن يوسف بن علي المطهر الحلي، ط ١، ١٤٢٢هـ دار القارئ، بيروت، لبنان.

٢٥٣- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الشيخ حسين النوري الطبرسي، ط ١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت،

لبنان.

٢٥٤- مستدرك سفينة البحار، علي النمازي الشاهرودي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.

٢٥٥- المستدرك على الصحيحين، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٢٥٦- مستدركات أعيان الشيعة، السيد حسن الأمين، ط٢، ١٤١٨هـ دار التعارف، بيروت، لبنان.

٢٥٧- مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ط١، ١٤١٢هـ ابن المؤلف، مطبعة شفق، طهران، إيران.

٢٥٨- مستطرفات السرائر، ابن إدريس الحلي.

٢٥٩- مسند أحمد، أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت، لبنان.

٢٦٠- مسند الإمام الرضا عليه السلام، عزيز الله العطاردي الخبوشاني، ط ١٤٠٦هـ المؤتمر العالمي للإمام الرضا عليه السلام.

٢٦١- مسند الشاميين، سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، ط٢، ١٤١٧هـ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٦٢- المصباح (جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية)، الكفعمي إبراهيم بن علي الحسن العاملي، ط٣، ١٤٠٣هـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

٢٦٣- مصباح المتهجد، الطوسي شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن، ط١، ١٤١١هـ مؤسسة فقه الشيعة، بيروت، لبنان.

٢٦٤- مصباح الهداية في إثبات الولاية، السيد علي البهبهاني، ط ٤، ١٤١٨هـ مدرسة دار العلم بأهواز، قم المقدسة، إيران.

٢٦٥- المصنف، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ط ٢، ١٤٠٣ هـ بيروت: المكتب الإسلامي.

٢٦٦- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول ص١، محمد بن طلحة الشافعي، تحقيق ماجد أحمد العطية.

٢٦٧- المعارف، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ط ١، ١٤٠٧ هـ بيروت، دار الكتب العلميّة.

٢٦٨- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط ١٣٧٩هـ انتشارات إسلامي.

٢٦٩- معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، ط ١٣٩٩هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٧٠- المعجم الكبير، الطبراني سليمان بن أحمد، ط٢، بيروت دار إحياء التراث العربي.

٢٧١- معجم المؤلفين، عمر كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٢٧٢- معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، آية الله العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي، ط٥، ١٤١٣هـ

٢٧٣- معدن الجواهر ورياضة الخواطر، محمد بن علي الكراجكي، ط٢، ١٣٩٤هـ مطبعة مهر استوار، قم المقدسة، إيران.

٢٧٤- معرفة الثقات، أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، ط١، ١٤٠٥هـ مكتبة الدار، المدينة المنورة، السعودية.

٢٧٥- معرفة السنن والآثار (للبيهقي) أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، ١٤٢٢ هـ بيروت، دار الكتب العلمية.

٢٧٦- المعيار والموازنة في فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وبيان أفضليته على جميع العالمين بعد الأنبياء والمرسلين، أبو جعفر الإسكافي محمد بن عبد الله المعتزلي، ط١، ١٤٠٢هـ

٢٧٧- مفاتيح الجنان، الشيخ عباس القمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٢٧٨- مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني، ط٢، ١٣٨٥هـ منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الأشرف، مؤسسة دار الكتاب، قم المقدسة، إيران.

٢٧٩- مقتل الحسين عليه السلام، الخوارزمي، أبو المؤيّد الموفّق بن أحمد المكي أخطب خوارزم، ط ١، ١٤١٨ هـ قم، دار أنوار الهدى.

٢٨٠- مقتل الحسين عليه السلام، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، طهران، مؤسسة البعثة.

٢٨١- مقتل الحسين عليه السلام، أبو مخنف الأزدي، تعليق الحسن الغفاري.

٢٨٢- المقنعة، الشيخ المفيد أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي، ط٢، ١٤١٠هـ مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة، إيران.

٢٨٣- مكارم الأخلاق، الحسن بن الفضل الطبرسي، ط٦، ١٣٩٢هـ

٢٨٤- الملاحم والفتن (التشريف بالمنن في التعريف بالفتن)، السيد ابن

طاووس علي بن موسى، ط ١، ١٤١٦هـ مؤسسة صاحب الأمر عليه السلام.

٢٨٥- ملحمة الطف

٢٨٦- من أخلاق الإمام الحسين عليه السلام، عبد العظيم المهتدي البحراني، ط ١٤٢١هـ انتشارات الشريف الرضي، قم المقدسة، إيران.

٢٨٧- من لا يحضره الفقيه، الشيخ الصدوق محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، ط٢، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم المقدسة، إيران.

٢٨٨- مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب محمد بن علي، ط ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م، المكتبة والمطبعة الحيدرية، النجف الأشرف، العراق.

٢٨٩- مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، محمّد بن سليمان القاضي الكوفي، ط ١، ١٤١٢ هـ قم، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية.

٢٩٠- مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام وما نزل من القرآن في علي عليه السلام، أحمد ابن موسى بن مردويه، مؤسسة دار الحديث الثقافية، قم المقدسة، إيران.

٢٩١- المنتخب من كتاب ذيل المذيل من تاريخ الصحابة والتابعين، محمد بن جرير الطبري، ط ١٣٥٨هـ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان.

٢٩٢- منتهى الآمال، الشيخ عباس القمي، قم المقدّسة.

٢٩٣- منتهى المطلب في تحقيق المذهب، العلامة الحلي الحسن بن يوسف ابن المطهر، ط١، ١٤١٢هـ مجمع البحوث الإسلامية، مشهد المقدسة، إيران.

٢٩٤- المنمق في أخبار قريش، محمد بن حبيب البغدادي، عالم الكتب.

٢٩٥- منهاج الصالحين، آية الله العظمى الشيخ الوحيد الخراساني.

٢٩٦- مهج الدعوات ومنهج العبادات، رضي الدين علي بن موسى بن جعفر (ابن طاووس)، ط ١، ١٤١٤ هـ بيروت، مؤسسة الأعلمي.

٢٩٧- موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ، محمد الريشهري، ط٢، ١٤٢٥هـ دار الحديث، قم المقدسة، إيران.

٢٩٨- موسوعة شهادة المعصومين عليهم السلام، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، انتشارات نور السجاد عليه السلام.

٢٩٩- موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد باقر العلوم عليه السلام، ط١، ١٤٢٥هـ انتشارات أسوة، طهران، إيران.

٣٠٠- الموطأ، مالك بن أنس، ط ١٤٠٦هـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٠١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد بن عثمان، دار المعرفة بيروت، لبنان.

٣٠٢- الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٣٠٣- نتائج الأفكار في نجاسة الكفار، تقرير بحث آية الله العظمى السيد محمد رضا الگلپايگاني، الشيخ علي الكريمي الجهرمي، ط١، ١٤١٣هـ دار القرآن الكريم.

٣٠٤- نخبة اللآلي لشرح بدأ الأمالي، محمد بن سليمان الحلبي الريحاوي، ط ١٤٠٧هـ مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا.

٣٠٥- نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحسين بن محمد بن الحسن بن الحلواني، ط ١، ١٤٠٨هـ مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، قم المقدسة، إيران.

٣٠٦- نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار للسيد حامد حسين اللكهنوي، السيد علي الحسيني الميلاني.

٣٠٧- نفس الرحمن في فضائل سلمان، ميرزا حسين النوري الطبرسي، ط ١، ١٤١١هـ مؤسسة الآفاق،

٣٠٨- نقد الرجال، السيد مصطفى بن الحسين الحسيني التفرشي، ط ١، ١٤١٨هـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، إيران.

٣٠٩- نهج البلاغة، من كلام أمير المؤمنين عليه السلام، جمع الشريف الرضي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣١٠- نور الأبصار، الشيخ مؤمن الشبلنجي، منشورات الشريف الرضي، قم المقدسة.

٣١١- الهواتف

٣١٢- هوية التشيع، الشيخ الدكتور أحمد الوائلي، ط ٣، ١٤١٤هـ دار الصفوة، بيروت، لبنان.

٣١٣- الوافي بالوفيات، خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، ط ١٤٢٠هـ دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

٣١٤- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، الحر العاملي محمد بن الحسن، ط ٢، جمادى الآخرة ١٤١٤هـ مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدسة، إيران.

٣١٥- وعاظ السلاطين

٣١٦- وفاة الإمام الجواد عليه السلام

٣١٧- وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقري، ط٢، ١٣٨٢هـ المؤسسة العربية الحديثة.

٣١٨- ينابيع المودة لذوي القربى، القندوزي سليمان بن إبراهيم الحنفي، ط١، ١٤١٦هـ دار الأسوة.

المواقع والأقراص المدمجة:

✓ مقال منشور للكاتب صالح الطائي في موقع صوت العراق

✓ مقال منشور في الإنترنت باسم أساطير الشعوبية في موروث المدرسة الصفوية بتاريخ ٢٥ أغسطس ٢٠٠٧

✓ كذبة فارسية يفضحها الحق العربي، لم يتوفر الكتاب بين يدي، ولهذا اعتمدت على ما نقله الكاتب نبيل الكرخي في موقعه الإلكتروني

✓ موقع (مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة)

✓ موقع (براثا) الإلكتروني، بحث للكاتب أبي أحمد الحداد المسعودي

✓ مقالان منشوران في الإنترنت للدكتورة سعاد ماهر وحنفي المحلاوي

✓ الموسوعة الشعرية الكمبيوترية

المحتويات

القسم الثاني
الحسين وعائلته الشريفة

القسم الثالث

في رحاب الحسين